

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

علم النفس الاجتماعي

رؤيه معاصره

الدكتور فؤاد البرقى التيسى سعد عبد الرحمن



منتدى سور الأزبيبة

WWW.BOOKS4ALL.NET

سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس
الكتاب التاسع

علم النفس الاجتماعي رؤيه معاصرة

الدكتور

سعد عبد الرحمن

أستاذ علم النفس الاجتماعي والقياس النفسي
كلية البنات - جامعة عين شمس

الدكتور

فؤاد البهى السيد

أستاذ علم النفس الأسبق
كلية التربية - جامعة عين شمس

١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م

ملزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الإدارة : ٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤ ، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٣٠١،١ فؤاد البهى السيد.

ف د ع ل علم النفس الاجتماعي: رؤية معاصرة/ فؤاد البهى السيد،

سعد عبد الرحمن. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩.

٣٧١ ص: أيض؛ ٢٤ سم. - (سلسلة المراجع في التربية

وعلم النفس؛ الكتاب التاسع).

يشتمل على بليوجرافيات.

ندمك: ٦ - ١٢١٢ - ١٠ - ٩٧٧.

١- علم النفس الاجتماعي. ١- سعد عبد الرحمن،

مؤلف مشارك. بـ- العنوان. جـ- السلسلة.

تصميم وإخراج فنى

ثريا إبراهيم حسين



كتورين للطباعة والنشر (مهندس / هشام القرني وشريكه)

١ ش. المدق - خلف رقم ١٨٤ ش. بور سعيد - السيدة زينب ت: ٣٩٥٧٦١٤

سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس

تصدر هذه السلسلة بفرض النهوض بمستوى المراجع والكتب في مجال التربية وعلم النفس بحيث تشمل على أحدث ما صدر في هذا المجال عالمياً مع معالجته بمنظور ورؤى عربية مدعمة بخبرات الخبراء.

ويسر اللجنة الاستشارية أن يشارك أصحاب الفكر والكتاب وأساتذة الجامعات بنشر مؤلفاتهم المتميزة في تلك السلسلة.

وتضم اللجنة الاستشارية التي تناقش هذه الأعمال قبل صدورها مجموعة من خيرة علماء التربية وعلم النفس في مصر والعالم العربي، وهم:

رئيس اللجنة	أ. د. جابر عبد الحميد جابر.
عضوا	أ. د. هؤاد أبو حطب.
عضوا	أ. د. عبد الفتى عبود.
عضوا	أ. د. محمود الناقة.
عضوا	أ. د. أمين انور الخولي
عضوا	أ. د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب.
عضوا	أ. د. اسامه كامل راتب.
عضوا	أ. د. على خليل ابو العينين.
عضوا	أ. د. احمد اسماعيل حجي.
عضوا	أ. د. عبد المطلب القرطي.
عضوا	أ. د. على احمد مذكر.
عضوا	أ. د. مصطفى رجب
عضوا	أ. د. علاء الدين كفافي.
عضوا	أ. د. على محبي الدين راشد.

مديراً التحرير:

الكيميائي: أمين محمد الخضرى

المهندس: عاطف محمد الخضرى

جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالي:

دار الفكر العربي

سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤ ، فاكس : ٢٧٥٢٧٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِهُدَى الْكَلَمِ

إِلَى الْإِسْتَانِيَّةِ الْجَدِيدَةِ..

إِلَى أَسْتَانِيَّةِ الْمَجَدِ وَالْإِخْلَاقِ وَالْعَطَاءِ..

إِلَى مَن تَعْلَمَ فَأَجَادَ وَعَلِمَ فَأَفَاتَ: فَخَيَرَ النَّاسُ مِنْ تَعْلِمَ الْعِلْمَ وَعَلِمَهُ..

إِلَى أَسْتَانِيَّ فَوَادِ الْبَهْرِيِّ السَّيِّدِ فِي جَوَارِ دِبَهِ..

أَهْدَى كُلَّ مَا أَسْهَمْتُ بِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ..

سَعْدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

مقدمة وتحية

أسعدني كثيراً أن أقدم لهذه الطبعة، من كتاب علم النفس الاجتماعي، وهو الكتاب الذي أخرجه إلى حيز الوجود أستاذ الأساتذة / فؤاد البهى السيد - رحمة الله - .

إن نسيت، والنسيان من عادة البشر، فلن أنسى اليوم الذي جلست فيه أطلب العلم على يديه فبهرنا منطقه، وأدهشنا ذكاؤه، فنهلنا من فيض علمه، وأحسست بالحنو والرحمة والمودة التي يحملها الأستاذ بين جوانحه.

تعلمنا - أنا والجيل الذي تعلم على يديه - الكثير وشعرنا أنه خلق ليكون معلماً رائداً، يقود تلاميذه ومربييه إلى الحقيقة العلمية عن طريق البحث والاجتهداد.

جلست إليه لأتعلم أساس الإحصاء النفسي والتربوي، والقياس النفسي، وأتعلم علم النفس الاجتماعي فأجده - ولا فخر - فيما تعلمته منه لدرجة أن أستاذى فؤاد البهى أهدانى نسخة من كل كتبه في هذا المجال، وعليها إهداء فيه تذكرة دائمة لى أننى تلميد أطلب العلم في محاربه.

هذا الكتاب يضم أحد عشر فصلاً:

الفصل الأول: هو تعريف بعلم النفس الاجتماعي، وأهمية هذا النوع من علم النفس، وقد تجلت فيه الدقة والسلامة والوضوح الذي تميز بها أسلوب أستاذى فؤاد البهى، فأضاف عن النشأة والتطور سواء من الناحية الفلسفية أو العلمية.

والفصل الثاني، يتناول قضية جدلية هامة هي: علاقة الفرد بالجماعة والمتغيرات التي تحكم هذه العلاقة، وإنى أستاذن أستاذى في أن أضيف هذا الفصل إلى الكتاب حتى أزهو بما علمنى إياه.

والفصل الثالث، عن الجماعة وдинاميتها، وهو موضوع الساعة في كل ساعة، وقد أفضى فيه أستاذنا، حيث تكلم عن أنواع الجماعات وخصائصها النفسية سواء كانت الجماعة كبيرة أو صغيرة، مثل جماعات الجمهرة، وجماعات المناقشة، وكان المدخل الكمي والمعالجة الموضوعية أهم ما تميز به هذا الفصل.

والفصل الرابع، يعالج موضوع الحياة، موضوع التنشئة الاجتماعية وما تشمل من مفاهيم، ومعنى وعمليات ومظاهر.

وكان الفصل الخامس إكمالاً للفصل الرابع، حيث يعالج موضوع العلاقات الاجتماعية المتبادلة، والنماذج العملية التي تفسرها.

والفصل السادس؛ يمثل المدخل الكمي لعلم النفس الاجتماعي، والذى التزمت به حتى يومنا هذا، اقتداء باستاذى فؤاد البهوى، حيث يعرض هذا الفصل طرق قياس العلاقات الاجتماعية بدءاً من مورينسو، وحتى جاردنر وتومسون، بما فى ذلك المعاملات والمصفوفات، وإنى أستاذن للمرة الثانية فى أن أضيف بعض المصفوفات الحديثة والمعاملات الكمية حتى تكتمل منظومة هذا الفصل.

وفي الفصل السابع، أستاذن أستاذى للمرة الثالثة فى أن أضيف فصلاً كاملاً عن الإدراك الاجتماعي، وهو موضوع حديث نسبياً في مجال علم النفس الاجتماعي، حيث عرض الفصل العديد من النظريات التي وضعت لتفسير عملية الإدراك هذه مع الإشارة إلى أبعادها المختلفة.

وفي الفصل الثامن، أستاذن أستاذى مرة رابعة لأضع فى بؤرة اهتمام القارئ والباحث موضوع: الاتجاهات النفسية، وهو الموضوع الذى تدور حوله جميع أو معظم الدراسات فى مجال علم النفس الاجتماعي.

وكذلك أستاذنـهـ رحـمـهـ اللـهــ مرـةـ خـامـسـ لـأـعـرـضـ فـيـ الفـصـلـ التـاسـعـ مـوـضـوعـ الـقـيـادـةـ أـوـ الزـعـامـةـ،ـ وـهـوـ مـوـضـوعـ أـرـدـتـ أـلـاـ يـخـلـوـ مـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ.

وفي الفصل العاشر، تعرض الكتاب لمنهج البحث فى علم النفس الاجتماعي، بالشرح والتفصيل؛ ليكون بذلك دليلاً واضحاً للباحث فى العلوم السلوكية عامة، وعلم النفس الاجتماعي على وجه الخصوص.

واما في الفصل الحادى عشر والأخرين، فقد أراد أستاذ الأستاذة أن يعرف القارئ بعض مظاهر السلوك الاجتماعى عند الحيوان والحشرات والطيور.

وبعد . . .

يرحمك الله أستاذنا الفاضل الذى لم تعرف أستاذيته إلا الإخلاص والعطاء.

يرحمك الله أيها الصديق الكريم الذى لم تعرف صدقته وهنا ولا ضعفاً.

يرحمك الله أيها العالم الجليل فقد كنت صاحب علم وخلق ودين.

كنا نرى فى طول هامتك علو همتك . . .

وفي عرض جبينك نور يقينك . . .

وفي عينيك الهدأتين تألق الذكاء وتقد العبرية . .

أ. د. سعد عبد الرحمن

المحتويات

الصفحة

٧

الموضوع

الاهداء

مقدمة وتحية

الفصل الأول:

المدخل إلى علم النفس الاجتماعي

تعريف علم النفس الاجتماعي

مشكلات التعريف

المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي

المصادر الفرعية لعلم النفس الاجتماعي

أهمية علم النفس الاجتماعي

نشأة علم النفس الاجتماعي وتطوره

وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي

الفصل الثاني:

الفرد والجماعة: محددات التفاعل الاجتماعي

الداعم والدافعة

الحاجات

الأهداف - صورة الذات

مفهوم الفرد - القيم

المعايير

الاتجاهات النفسية

العادات - التقاليد

عرض وتعليق

المراجع

الفصل الثالث:

مفهوم الجماعة وأنواع الجماعات:

مفهوم الجماعة

أنواع الجماعات

الخصائص النفسية للجمهرة

الخصائص النفسية للجماعة المستمعة

٨٣	مراحل تكوين الجماعة المستمرة
٨٤	الخصائص النفسية لجماعة المناقشة
٩٤	الملخص
٩٨	المراجع
	الفصل الرابع:
	علاقة التنشئة الاجتماعية
١٠٢	مفهوم التنشئة الاجتماعية
١٠٧	عمليات التنشئة الاجتماعية
١٠٩	ظواهر التنشئة الاجتماعية
١٢٨	وسائل التنشئة الاجتماعية
١٣٩	الملخص
١٤٣	المراجع
	الفصل الخامس:
	العلاقات الاجتماعية المتبادلة:
١٤٦	العلاقات الاجتماعية والتفاعل
١٤٧	مستويات علاقات الفاعل الفاعل الاجتماعي
١٤٨	المستوى الأول – العلاقات الالتفادلية
١٤٨	المستوى الثاني – الاتجاه الواحد
١٤٩	المستوى الثالث – شبه التبادلية
١٥٠	المستوى الرابع – المتوازية
١٥٠	المستوى الخامس – غير المتناسقة
١٥١	المستوى السادس – المتبادلة
١٥٢	أنواع العلاقات المتبادلة
١٥٥	حجم الجماعة وأثره في العلاقات المتبادلة
١٥٩	أهم ظواهر العلاقات في الجماعة الثانية
١٦٨	أهم طرق بحث العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية
١٧٠	النماذج العلمية التي تفسر العلاقات المتبادلة
١٧٤	الجماعة الثلاثية
١٧٦	الملخص
١٨٢	المراجع
	الفصل السادس:
	قياس العلاقات الاجتماعية
١٨٤	الطريقة السوسيومترية

١٨٦	أهم مجالات استخدام الطريقة السوسيومترية
١٨٨	أهم خصائص أنواع الاختبار
١٨٩	الاختبار السوسيومترى
١٩٢	أهم أنواع العلاقات السوسيومترية
١٩٤	مصفوفات العلاقات السوسيومترية
٢٠٢	المؤشرات الإحصائية
٢٠٨	طريقة جاردنر وتومسون
٢١٠	تعديل الطريقة
٢١١	المعاملات السوسيومترية
٢١٦	الملخص
٢١٩	المراجع

الفصل السابع:

الإدراك الاجتماعي

٢٢٤	مفهوم عملية الإدراك الاجتماعي
٢٣١	دقة الإدراك الاجتماعي
٢٣١	حساب درجات الإدراك الاجتماعي
٢٣٤	تفسير درجات الإدراك الاجتماعي
٢٣٦	دليل الإدراك الاجتماعي
٢٣٨	عملية الإدراك الاجتماعي ومتغيرات أخرى
٢٣٨	عملية الإدراك الاجتماعي وإنتجية الجماعة
٢٤٤	عملية الإدراك الاجتماعي وصورة الذات
٢٤٥	عملية الإدراك الاجتماعي والمتغيرات
	السوسيومترية
٢٤٨	المراجع

الفصل الثامن:

الاتجاهات النفسية

٢٥٠	معنى الاتجاه النفسي
٢٥٣	مكونات الاتجاه النفسي
٢٥٥	الاتجاه النفسي والعقيدة
٢٥٧	الاتجاه النفسي والرأي
٢٥٧	الاتجاه النفسي والقيمة
٢٥٨	أنواع الاتجاهات
٢٥٩	الاتجاه العلني والاتجاه السرى
	تفسير الاتجاهات النفسية

٢٦٠	تغير الاتجاه النفسي
٢٦١	قياس الاتجاهات النفسية
٢٦٤	مقياس التباعد الاجتماعي – مقياس ثرستون
٢٦٥	مقياس ليكرت
٢٦٨	– مقياس جوئمان
٢٧١	وجهة نظر أخرى في قياس الاتجاهات
٢٧٥	المراجع
٢٧٧	الفصل التاسع:
	ظاهرة الزعامة أو القيادة
٢٨٠	تعريف القيادة أو الزعامة
٢٨٢	دراسات في القيادة
٢٨٥	اكتشاف القادة
٢٩١	العلاقة بين عناصر الموقف الرعامي
٢٩٤	المراجع
	الفصل العاشر:
	مناهج البحث النفسي الاجتماعي
٢٩٦	صعوبات البحث في علم النفس الاجتماعي
٢٩٩	مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي
٣٠٤	مفهوم الطريقة العلمية
٣٠٧	أهم طرق البحث المستخدمة في علم النفس الاجتماعي
٣٠٨	الملاحظة العلمية
٣١٥	الطريقة التجريبية
٣٢٤	أهم تصنيفات الأبحاث النفسية الاجتماعية
٣٢٢	الملخص
٣٣٥	المراجع
	الفصل الحادى عشر:
	ظواهر السلوك الاجتماعي الحيوانى
٣٣٨	العلاقة بين السلوك الاجتماعي الحيوانى والإنسانى
٣٤٢	التنظيمات الاجتماعية الحيوانية
٣٤٥	العلاقات الاجتماعية الحيوانية
٣٥٦	ظواهر السلوك الاجتماعي عند الحشرات والطيور
	والرئيسيات
٣٦٦	الملخص
٣٧٠	المراجع



الفصل الأول

تعريف علم النفس الاجتماعي، ونشأته، وتطوره

أولاً، تعريف علم النفس الاجتماعي ومصادره.

ثانياً، أهمية علم النفس الاجتماعي.

ثالثاً، نشأة علم النفس الاجتماعي وتطوره.

رابعاً، وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي.

خامساً، الملخص.

لكل عمل علمي معناه، وهدفه، ونشأته وتطوره، وتجاربه، ووحدة قياسه. والمدخل الرئيسي لعلم النفس الاجتماعي يبدأ بتحديد المفهوم الدقيق لهذا العلم، والملابسات التي أحاطت به حتى استقر أخيراً في تعريف واضح لا تختلط فيه الرؤية بين علمي النفس والمجتمع، ويبيّن بعد ذلك الأهداف العملية المباشرة، والغاية العالمية لعلم النفس الاجتماعي. ثم يلخص أصول النشأة الفلسفية والتطور العلمي الحديث لهذا العلم الناشيء. ويمضي بعد ذلك إلى دراسة أول بحث فكر فيه عالم لتطوير مجال علم النفس الاجتماعي للمنهج العلمي. ويناقش أخيراً مفهوم الوحدة العلمية التي تناسب ذلك المنهج العلمي وطريقته التجريبية.

أولاً - تعريف علم النفس الاجتماعي ومصادره

كان العلماء قديماً لا يعدون التعريف تعريفاً صحيحاً إلا إذا تخلص من شوائب التداخل القائم بينه وبين الميادين الأخرى. لذلك كانوا يشترطون في التعريف أن يكون جاماً لخصائص المعرف، ومانعاً لخصائص المعرفات الأخرى حتى لا تختلط به. وهذا ما يسمى بالتعريف الجامع المانع، وأصبح العلماء الآن يشترطون في التعريف أن يكون إجرائياً ينبع من عملية القياس وي الخاضع لها في تحديده.

وستبين فيما يلى التعريف الإجرائي الشائع لعلم النفس الاجتماعي، وندرس مشكلاته ومصادره الرئيسية والفرعية.

(١) تعريف علم النفس الاجتماعي:

علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يهتم بدراسة وبحث كل مظاهر من مظاهر السلوك الاجتماعي للفرد. أي أنه علم سلوك الفرد في الجماعة والمجتمع.

وهو كما تدل تسميته عليه يبحث في الميدان العلمي المشترك بين علمي النفس والمجتمع. ويعرف بأنه العلم الذي يتناول بالوصف والتجربة والتحليل سلوك الفرد مع الأفراد الآخرين واستجابته لهم، سواءً أكان هؤلاء الأفراد مجتمعين أم متفرقين. أي أنه العلم الذي يعني بالدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث تأثيره بسلوك الأفراد الآخرين، ومن حيث تأثيره فيهم. وبذلك يهدف الباحث في علم النفس الاجتماعي لاكتشاف العوامل التي يتغير بتغييرها سلوك الفرد في استجابته للمثيرات الاجتماعية المختلفة.

ولقد انتهى علم النفس الاجتماعي في أواخر العشرينيات من هذا القرن إلى التعاريف التالية:

- ١ - دراسة الجمهرة وظاهرة التجمع.
- ٢ - دراسة الحياة العقلية الجماعية.
- ٣ - دراسة القوى والمؤثرات الاجتماعية.
- ٤ - دراسة سلوك الفرد في استجابته لسلوك الفرد آخر.
- ٥ - دراسة السلوك الفردي داخل إطار الجماعة.
- ٦ - دراسة التنشئة الاجتماعية.

لكن كل تعريف من هذه التعريفات يجذب نحو ضرب خاص من الاتجاهات التي أثرت في تطور علم النفس الاجتماعي. فالتعريف الثلاثة الأولى تهتم بالجماعة أكثر مما تهتم بالفرد. وهي بهذا تمثل بعلم النفس الاجتماعي ميلاً شديداً نحو ميادين علم الاجتماع. والتعريفان الرابع والخامس يؤكدان أهمية الفرد دون إهمال لأمر الجماعة. وتلك وجهة نظر صحيحة تتفق وميادين الدراسات النفسية. والتعريف الأخير يقصر ميدان البحث على مظاهر واحد من مظاهر السلوك الاجتماعي للفرد.

وبذلك تبدأ الدراسات الاجتماعية لعلم النفس الاجتماعي بالجمهرة والأسرة وغيرها من التنظيمات الاجتماعية، وتنتهي من ذلك كله إلى الفرد كجزء من الجماعة. وتبدأ الدراسات النفسية بحثها في علم النفس الاجتماعي بتفاعل الفرد مع غيره وبعلاقاته التي تنشأ من دوافعه وشخصيته التي يحددها المجتمع والثقافة القائمة. وينتهي بها المطاف إلى الجماعة.

فأولى إذن بالدراسات الأولى أن تسمى علم الاجتماع النفسي، وأن تستقبل الثانية بعلم النفس الاجتماعي. هذا، والطريقة الأولى تبدأ بالعام لتنتهي إلى الخاص، والثانية تبدأ بالخاص لتنتهي إلى العام. ومعنى بالطبع هنا صفات الجماعة، وبالشخص صفات الفرد. فالطريقة الأولى أقرب ما تكون لنطاق العلوم النظرية كالرياضيات وخاصة علم الهندسة. والطريقة الثانية أقرب ما تكون لنطاق العلوم التجريبية وخاصة علم الطبيعة أو الفيزياء.

(ب) مشكلات التعريف،

علم النفس الاجتماعي فرع من فروع علم النفس يدرس ظاهرة السلوك الاجتماعي وخاصة سلوك الأفراد، ويتمد أحياناً لدراسة سلوك الجماعات، والمنهج

النفسي الاجتماعي لدراسة السلوك هو منهج التفاعل أو التأثير المتبادل الذي يخضع لهذا السلوك للدراسة حينما يكون مؤثرا في الآخرين، وحينما يكون متأثرا بهم.

وتصبح مشكلة علم النفس الاجتماعي بهذا المعنى هي تفرقته عن علم الاجتماع.

ويرى بعض العلماء أن علم النفس الاجتماعي عليه أن يقصر ميدانه على الفرد فقط في تفاعله مع الآخرين حتى يستقل بذلك عن علم الاجتماع.

لكن نفس هؤلاء العلماء كثيراً ما يهتمون بدراسة الخصائص النفسية الاجتماعية للجماعة، وخاصة الجماعة الصغيرة. ولذا يجب أن تقوم التفرقة الواضحة بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع على نوعية المفاهيم التي يستخدمها علم النفس الاجتماعي، وتعریف هذه المفاهيم تعريفاً ينحو بها نحو علم النفس أكثر مما ينحو بها نحو علم الاجتماع.

وبينما يشتغل علم النفس الاجتماعي مفاهيمه من دراسة سلوك الأفراد، يشتغل علم الاجتماع مفاهيمه من التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية.

لكن هذه التفرقة لا تنطبق تماماً، على كل ما يميز علم النفس الاجتماعي عن علم الاجتماع، وأحياناً تتدخل مفاهيم هذين العلمين، وذلك أمر لا مفر منه، لأن وجود علم النفس الاجتماعي نفسه رهن بمصدرين مختلفين أحدهما علم النفس، والآخر علم الاجتماع، وقد ظهر معهما منبع آخر جديد هو الأنثروبولوجي. وبذلك أصبحت المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي هي علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي.

ولا تقتصر منابع علم النفس الاجتماعي على تلك المصادر الرئيسية، بل تمتد أيضاً إلى مصادر فرعية أهمها علم الاقتصاد وعلم السياسة.

(ج) المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي:

المصادر الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي هي: علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجي. وعلم النفس هو المصدر الأساسي لدراسة أثر الدوافع النفسية على السلوك الاجتماعي للأفراد. وقد كان لعلم النفس دوره الرئيسي في دراسة الاتجاهات والتعصب على أنها دوافع اجتماعية مكتسبة. وفي دراسة أثر المنافسة الجماعية وأثر التعاون على إنتاج الأفراد. وكان لهذه البحث العلمي المنظم في النمو النفسي وفي سيكولوجية الطفولة فيما بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ أثره في أبحاث علم النفس الاجتماعي الخاصة بالتنشئة الاجتماعية للطفل، وفي دراسة العمليات النفسية المختلفة

التي تلائم بين الفرد وبيته الخارجية، وتخضع سلوكه لقوانين المجتمع وتقاليده، وتحد من اختيار ضرورة إشباع الرغبات المختلفة التي لا تسير النظم الاجتماعية القائمة.

وكان لعلم الاجتماع الفضل في توجيه بعض الباحث علم النفس الاجتماعي للدراسة سيكولوجية الجماعة الصغيرة، وديناميات المجتمع، والرأي العام، والإشعارات، وغير ذلك من الموضوعات الأخرى التي تتصل بالجماعة والمجتمع. لكن الإسراف في الاعتماد على علم الاجتماع يسلك بالباحث ضرورياً من السبل تأثر به في قليل أو كثير بعيداً عن الميدان الحقيقي لعلم النفس الاجتماعي، وتميل بدراساته نحو الجماعة أكثر مما تميل بها نحو الفرد. والفرد في تفاعلاته الاجتماعي هو جوهر البحث في علم النفس الاجتماعي.

والأنثروبولوجي^(١). أو علم البشر هو المصدر الحقيقي لاهتمام علم النفس الاجتماعي بالثقافة والمجتمعات البدائية والصور الأولى للنشاط الاجتماعي ومظاهر تطور هذه الصور من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة. وبينما كان الجدل العلمي متداً بين دعاة الغرائز وبين منكريها كان علم البشر ينشئ لنفسه ميادين جديدة في علم النفس الاجتماعي ليفسر مظاهر الثقافة في تطورها وانتقالها عبر الأجيال وعبر المجتمعات، وأثرها في تشكيل الفرد وفي تغيير طبيعته الأولى.

(د) المصادر الفرعية لعلم النفس الاجتماعي:

يتأثر موضوع علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الاجتماعية الأخرى التي تعد إلى حد كبير مصادر فرعية لهذا العلم، ومن أهم هذه العلوم: علم الاقتصاد وعلم السياسة.

لكنه يختلف عنها في موضوع ومناهج بحثها. في بينما يدرس علم الاقتصاد وعلم السياسة، وبقية العلوم الاجتماعية الأخرى خصائص التجمعات الكبرى للإنسان، ولتصنيف الناس إلى فئات، وتحليل المؤشرات السلوكية الاجتماعية مثل البيع والشراء، وعملية الانتخابات، فإن علم النفس الاجتماعي يعالج هذه النواحي على أنها أنماط من السلوك عند أنماط من البشر. أي أن هذه العلوم لا تهتم إلا بطائفة معينة من البشر مثل الإنسان الاقتصادي، والإنسان السياسي، وهكذا.

ولذلك يختلف علم النفس الاجتماعي عن جميع تلك العلوم في أنه يهتم بكل مظاهر الظاهرة الإنسانية للإنسان. وبذلك يمكن أن نعدد من هذه الناحية أنه علم

(١) الأنثروبولوجي Anthropology أو علم البشر، هو العلم الذي يهتم بدراسة أصول الحياة الاجتماعية البدائية، ومظاهر الثقافة في تطورها من تلك العصور إلى المجتمعات الحديثة.

دراسة تفاعل الإنسان مع غيره من الأفراد الآخرين باعتبار أنه عضو في الجماعة التي يتتمى لها أو يواجهها.

ثانياً- أهمية علم النفس الاجتماعي

أهمية علم النفس الاجتماعي عملية مباشرة، وعامة عالمية. والأهمية المباشرة تتصل بحياة الناس اليومية ومدى اعتماد هذه الحياة على النواحي التطبيقية لهذا العلم. والأهمية العامة تتصل بحياة المجتمع العالمي وما يحمل به من حرية وطمأنينة وسلام، وما يعاني من عبودية وخوف وحرب.

(أ) الأهمية العملية المباشرة:

كل من يتعامل مع الجماعات، ومع أفراد الجماعات يحتاج لعلم النفس الاجتماعي لفهم دراسة وتوجيه سلوك هؤلاء الأفراد.

والعلمون يحتاجون لعلم النفس الاجتماعي لفهم الخصائص النفسية الاجتماعية للفصل المدرسي كجماعة صغيرة تقوم بين أفرادها علاقات تحددها مراحل التنشئة الاجتماعية وتسفر عن مظاهر التعاون والتنافس، والآلفة والنفور، والتعلم والتفكير الجماعي.

والإخصائى الاجتماعي يستعين بعلم النفس الاجتماعي فى فهمه ودراساته وتوجيهه للتماسك الجماعى، والقيادة، والانجذابات، والتعصب.

ورجال الصناعة يستفيدون من علم النفس الاجتماعي فى فهم العلاقات الإنسانية بين العمال، والروح المعنوية، وعلاقة تلك الروح بالإنتاج وبالصحة النفسية للأفراد.

وضباط القوات المسلحة يحتاجون لعلم النفس الاجتماعي لفهم سلوك جماعة الجنود وتوجيههم وتدريبهم ورفع مستوى الروح المعنوية والإفادة من الشعور بالولاء والتبعية فى بناء شخصية المقاتل.

والإنسان فى حياته الخاصة يحتاج لعلم النفس الاجتماعي لفهم سلوكه هو والذين معه، وفي فهم ما يحدث من تفاعل بينه وبين الآخرين، وفي فهم الخلافات الاجتماعية والثقافية التي تحدد أثواب هذا السلوك، وتجعل الفرد يقبل على بعض الناس، وينفر من البعض الآخر، ويقبل التضحية في موقف ما، ويعزف عنها في موقف آخر.

(ب) الأهمية العامة العالمية:

تطورت الأهمية العامة العالمية لعلم النفس الاجتماعي منذ نشأته الأولى، فبدأت متباينة بالإذار من المشكلات الختامية للمستقبل، وتطورت متباينة إلى بناء ذلك

المستقبل ومعالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية، ومشكلات النقد وحرية الأسواق، وتجنب العدوان وال الحرب لتحقيق الطمأنينة والسلام.

وبذلك يهدف علم النفس الاجتماعي في آفاقه العليا العالمية لإقامة مجتمع جديد فاضل تتكافأ فيه الفرص لجميع الناس في حدود قدراتهم المختلفة وتنسج وحداته الاجتماعية لترقى من الوطن إلى النوع الإنساني كله، وتشيع بين أرجائه المثل الإنسانية، وهو يسعى لتحقيق هذه المثل بدراسة الظواهر النفسية الاجتماعية ليخضعها لتجاربه وأبحاثه، وليسر بها قدما، نحو خلق ذلك الفردوس الواقعي.

١- الإنذار من مشكلات المستقبل:

كان الإنذار من أزمات الغد من أهم أهداف علم النفس الاجتماعي في إرهاصاته الأولى قبل النشأة العلمية التجريبية التي تطور إليها في القرن العشرين. وكان الرأي السائد عند بعض المفكرين مثل هربرت سبنسر Spencer (١٨٢٠ - ١٩٠٣) أنه من العيب بل من الخطورة بمكان أن يحاول الناس توجيه التغيير الاجتماعي أو التعجيل به. وكان المفکرون وقتئذ يرون أن عملية التطوير الاجتماعي عملية طويلة المدى تخضع لعوامل طبيعية وليس للإنسان دخل فيها.

وبذلك تصبح الفائدة العملية لعلم النفس الاجتماعي، وللعلوم الاجتماعية الأخرى أهم نتذر الناس بما سيحدث ولا تستطيع أن تتدخل في مجرى الأحداث شأنها في ذلك شأن العلوم التي تنذر بقرب انفجار بركان ما لكنها لا تستطيع أن تمنع ذلك الانفجار.

وللإنذار بالمشكلات أهمية قد لا تقل في كثير من الأحيان عن عملية توجيه النشاط الاجتماعي التي تبناها علم النفس الاجتماعي في تطوره الحديث. والإذار يعتمد على التنبؤ العلمي بأحداث الغد. ومن هذا التنبؤ نفسه نشأ علم جديد نسميه الآن علم المستقبل^(١). وهو يهدف إلى رسم صورة الحياة في المستقبل القريب والبعيد، ويحاول أن يمهد طريق الحاضر لتحقيق أحلام الغد.

٢- بناء المستقبل:

كان البعض الآخر من المفكرين الذين عاصروا الإرهัصات الأولى لعلم النفس الاجتماعي أكثر تفاؤلاً من تلك النظرة المظلمة لمصير الإنسان، وتلك الختمية التي لا

(١) علم المستقبل Futurology

يملك لها الفرد دفعاً ولا تغييراً. وكان كومت Comte (1798 - 1857) الفيلسوف الفرنسي المؤسس الفكرى للمذهب الوضعي يؤكد قدرة الإنسان على أن يغير أسلوب حياته، وعلى أن يوجه نشاطه ليعالج مشكلاته ويحقق أهدافه. وأن ذلك ليس بالأمر الصعب أو المستحيل، وخاصة بعد أن استخدم الإنسان العلوم الطبيعية لتحقيق الرفاهية المادية، واستعان بالعلوم البيولوجية لرفع المستوى الصحي، فلم لا يستفيد من علم النفس الاجتماعي في تحقيق العدالة الاجتماعية وبناء المستقبل.

وما زالت أهمية علم النفس الاجتماعي في بناء المستقبل عملية مستمرة من القرن الماضي إلى القرن العشرين، وأمل كل عالم ودارس في أن يصل بمفاهيم هذا العلم وتجاربه إلى تحقيق ذلك الهدف.

٣- معالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية:

إذا جاز لنا أن نفترض إمكان بحث كل علاقة اجتماعية بحثاً موضوعياً. وإذا جاز لنا أن نفترض أن شقاء النوع الإنساني يرجع في جوهره إلى اختلال النظم الاقتصادية والسياسية القائمة في جميع أنحاء المعمورة حيث تجحف الناس في توزيعها للعمل والجهد والثروات. ، إذا جاز لنا أن نفترض أن اختلال تلك النظم يصدر عن جهل بطبائع الإنسان الاجتماعية، جاز لنا بعد كل ذلك أن نفترض أن في مقدور الأبحاث النفسية الاجتماعية أن تنقذ العالم من الهوة السحيقة التي يوشك أن يتربى فيها. وأن في مقدورها أيضاً أن تنشئ الدعائم الأساسية لحياة اجتماعية فاضلة نقية.

فالآزمات الاقتصادية والسياسية تنشأ من ضعف الشقة بين فرد وفرد آخر، وبين جماعة وجماعة أخرى، وبين أمة وأمة أخرى.. والشقة حالة نفسية يمكن لعلم النفس الاجتماعي أن يدرسها، وأن يلمس بعوامل قوتها وضعفها ونواحي توجيهها وإصلاحها.

وبذلك تتضح أهمية علم النفس الاجتماعي في علاج المشكلات الاقتصادية والسياسية.

٤- معالجة مشكلات النقد وحرية الأسواق:

يرجع بعض الباحثين أسباب شقاء المجتمع الراهن إلى عدم ملاءمة النظام النقدي للتغيرات الحديدة في الإنتاج والتوزيع^(١). ولقد أدى هذا الاختلال إلى ظهور مناطق مختلفة يهيمن عليها تعصب اقتصادي ضيق، كمنطقة الدولار ومنطقة الاسترليني.

(1) Brown, J. F. Psychology and the Social Orders N. Y. Mc Graw Hill. 1936.

وتغالت الدول في إقامة الحدود المالية التي تفصلها عن جيرانها رغبة منها في حماية نفسها وحماية أفرادها من تدفق إنتاج الشعوب الأخرى عليها. فأقامت حواجز جمركية، وحالت بين التجارة وبين حرية أسواقها. وتلك بدورها تعود في جوهرها إلى جنوح العلاقات الاجتماعية عن الطريق السوي، وذلك نتيجة فقدان الثقة. وقد نجحت الدول الأوربية في علاج هذه الناحية بإنشاء السوق الأوربية المشتركة.

وتتضح أهمية علم النفس الاجتماعي في دراسته للسلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات على أنه نوع من التفاعل الذي تحكمه ديناميات نفسية اجتماعية، تخضع بدورها للبحث العلمي، والتوجيه الهداف.

٥ - معالجة مشكلات العدوان وال الحرب

الإنسان في علاقاته الاجتماعية المسالمة والعدوانية هو مناطق البحث في علم النفس الاجتماعي كما تسفر عن ذلك مظاهر التشتت الاجتماعية. ودراسة تلك المظاهر وما يلابسها من أسباب ومسارات وعلل ومعلومات؛ وجنوح عدواني يؤدي إلى الحرب والهلاك؛ واستواء على جادة الطريق يبشر بفردوس واقعى هدف من أهداف هذا العلم. ومستقبل الحضارة الإنسانية، في عصر كثر فيه التنازع والتنابز، وتقدمت فيه وسائل التخريب والدمار حتى أمست تهدد بفناء الجنس الإنساني، رهن بفهم تلك المظاهر فهما علمياً دقيقاً، ورهن بتوجيهها توجيهاً متناقضاً لا أضطراب فيه ولا اختلال.

أى أنه رهن بتقدم علم النفس الاجتماعي في بحثه الدائب المستمر نحو استجلاء كنه عناصر الخير والشر في علاقات الإنسان الاجتماعية. ورهن بدقة رصده للظواهر العلمية النفسية، الاجتماعية، وبقدرتة على ضبطها، والتنبؤ بها قبل وقوعها.

وهكذا تبدو أهمية علم النفس الاجتماعي في بحث ودراسة السلوك العدوانى الفردى والجماعى، والكشف عن العوامل التى تؤدى إلى ظهوره أو اختفائه تمهدًا للتحكم فى نزواته، وخاصة أن السلام إنما يبدأ فى عقول البشر قبل أن يتشرى بين الشعوب والدول المختلفة ويزدهر فى ريوس الحياة.

ثالثاً- نشأة علم النفس الاجتماعي وتطوره

سندين في دراستنا لنشأة علم النفس الاجتماعي وتطوره أهمية تلك النشأة وكيف بدأت في أحضان الفلسفة، ثم كيف مزجت الفلسفة بالعلم، وكيف صبح علم النفس الاجتماعي مساره حتى اتضحت اتجاهاته العلمية في القرن العشرين، وكيف تحول إلى علم تجريبي.

(ا) أهمية دراسة النشأة والتطور:

الذين لا يعرفون نشأة العلم ومراحل تطوره يكررون أخطاء الماضي، والذين يعرفون تاريخ العلم يتعلمون من خبرات الماضي.

والماضي ليس كله أخطاء، فلقد ترك الأولون في الدراسات النفسية الاجتماعية ثروة ضخمة من الملاحظات الأساسية والفرضيات الدقيقة، والأراء الذكية التي ما زالت صحيحة حتى يومنا هذا.

وقد عجز هؤلاء الرواد عن بناء أدوات علمية دقيقة للبحث النفسي الاجتماعي لقصور مفاهيمهم التجريبية ووسائل تحليفهم الإحصائية والرياضية.

وفشلوا أيضاً في صياغة النظريات المناسبة لتفسير الظواهر التي لاحظوها، وذلك لتخلف أدوات البحث العلمي المتاحة لهم وقيودهم، ول Lillem shidid إلى التعميم السريع الذي لا يستند على النظرة الفاحصة الشاملة، وإنما يقوم على ملاحظة عابرة أو تجربة بدائية لا تتحمل التعميم الذي يرقى بها إلى مستوى النظرية.

(ب) النشأة الفلسفية:

بدأت العلوم الإنسانية من الفلسفة وإليها تعود. بدأت منها حينما كانت محاذيلات بدائية بسيطة لفهم الإنسان والكون المحيط به ثم انفصلت عنها لتنشئ لنفسها ميادين خاصة للبحث، ثم عادت إليها تستلهمها آفاقاً جديدة للدراسة والاستكشاف.

والعلم يصف ويحلل لكنه عندما يرتطم بجوهر الأشياء ومكانتها وعللها الظاهرة والباطنة، يعود إلى الفلسفة مرة ثانية. أي أن الوظيفة الأولى للعلم هي وصف كيفية حدوث الظاهرة لا تعليل حدوثها. وحينما يتناول الباحث عملة حدوث شيء ما فإنه بذلك يخرج من ميدان العلم المجرد إلى ميدان فلسفة العلم.

ولقد كان جوهر الطبيعة البشرية هو المحور الرئيسي "نشأة الفلسفية لعلم النفس الاجتماعي".

وبذلك بدأ علم النفس الاجتماعي بين أحضان الفلسفة، وكان وقيوداً من الفلسفة الاجتماعية، ثم وضح منهجه بعد ذلك، وتعددت طرق بحثه وتكونت مفاهيمه ومصطلحاته.

ويرجع بعض الباحثين النشأة الأولى لعلم النفس الاجتماعي إلى آراء أفلاطون وأرسطو عن جوهر الطبيعة البشرية. فكان أفلاطون يفسر سلوك الإنسان على إنه النتاج

العام لمؤثرات المجتمع المختلفة. فسلوك الفرد يعتمد في تكوينه وأهدافه على الجماعة. وكان يعتقد أن في مقدور الهيئات التعليمية والمؤسسات الاجتماعية تغيير الطبيعة البشرية في أي اتجاه. ولقد أعلن المبادىء والنظم التي تقوم عليها المدينة الفاضلة، وسعى بفلسفته إلى تحقيقها في كتابه «جمهورية أفلاطون».

وكان أرسطو يفسر سلوك الإنسان على أساس الوراثة البيولوجية. أي أن الإنسان يخضع في أنماط حياته المختلفة للمؤثرات والاستجابات البيولوجية. فالجماعة لديه خاصية في مكوناتها للسلوك الفردي. وبما أن تغيير الأساس البيولوجي للفرد أمر يكاد يكون مستحيلاً. فتغير المجتمع إذن أمر شاق عسير بعيد المنال.

ولقد اهتم أفلاطون وأرسطو وسانت أوغسطين St. Augustine وبشام Bentham وLocke، وطائفة أخرى من الفلسفات الاجتماعية بمشكلة الفرد والجماعة، والأهمية النسبية لكل منهما. فالغالاة في حقوق الفرد كفرد دون أي اعتبار لحقوق الجماعة تؤدي إلى الفوضى. والغالاة في حقوق الجماعة كجماعة دون أي اعتبار لحقوق الفرد تؤدي إلى النظم الاستبدادية، والعدل والمساواة بين الفرد والجماعة يؤديان إلى الديقراطية.

ولقد أعلن هوبز Hobbes سنة 1651 أن الإنسان بطبيعته أناني يغالى في إيشهاره الدائم لنفسه، فلا صلاح للناس إلا إذا حد المجتمع بنظامه وقوانينه من هذه الأنانية وأنماط للأفراد أن يعيشوا متحابين متعاونين. ويلخص هوبز دوافع السلوك البشري في البحث عن المتعة، والابتعاد عن الألم. وهو في كل هذا متأثر بمذهب اللذة^(١). الذي يتلخص في أن الفرد ينزع بسلوكه إلى كل ما يحقق لذة له، ويعزف عما يؤذيه.

ويخالفه في ذلك روسو Rousseau حينما بسط آراءه في كتابه «العقد الاجتماعي» سنة 1762، وملخصها أن الإنسان بطبيعته خير نقى طاهر، طابعه العام نكران الذات، لكن الحضارة هي التي أفسدته وصبغته بالشر.

وبذلك نشأ تياران يؤكدا أحدهما أن الإنسان كائن اجتماعي لا يكتفى بذاته بل يستعين بغيره، وأن خصائص الحياة الإنسانية اجتماعية في مظاهرها ومجالاتها. وما زال بعض الناس يرددون هذه الفكرة من عصر أفلاطون وما قبله إلى يومنا هذا.

ويؤكد التيار الآخر ذاتية الإنسان، ويعلن رفضه لسيطرة الجماعة على تلك الذات. وهذا الاتجاه يقرر أن الإنسان كائن منفرد لا يستطيع أن ينشئ علاقة فعالة مع

(١) مذهب اللذة Hedonism

الآخرين، وأن الحياة الاجتماعية تنطوى في جوهرها على التفاق والخداع. ولذا فمن حق الفرد أن يرفض القيم الأخلاقية التي يفرضها المجتمع ويشبع شهواته الحسية المادية ولذاته الفردية. ومن دعاء هذا المذهب الكلبي^(١) ديوجينيس الإغريقي في القرن الرابع قبل الميلاد. واستمر هذا المذهب عبر الزمن حتى ظهر في صور مختلفة في كتابات باسكال Pascal وغيره من المفكرين، ووصل إلى ذروته عند طائفة من الوجوديين.

وقد ظهرت هذه الأزدواجية بين الشخصية الاجتماعية والكونية الفردية للإنسان في مجالات متعددة أهمها علم النفس، والسياسة، والاقتصاد، وعلم الأخلاق، والدين.

ويؤكد الاتجاه الاجتماعي على أن الحضارة ولادة المدنية. ويؤكد الاتجاه الفردي على أن التقدم المادي بل الاجتماعي أيضا لا يتصل بحل مشكلة سعادة الإنسان بل هو في جوهره صورة من الصور المتعددة للعبودية.

ويتحول هذا التعارض بين الجماعة والفرد إلى اتجاهين أحدهما اتجاه متشائم يؤكد الأنانية الفردية العميقه للطبيعة الإنسانية، وأن الذات تمثل دائما إلى أن تنظر إلى الآخرين على أنهم وسائل وأدوات لتحقيق مأربها، أو أعداء يجب التغلب عليهم لتحقيق تلك المطالب وبلوغ تلك المآرب والغايات.

ويقابل هذا الفكر المتشائم اتجاه آخر متفاصل مثالي يجدد فضائل الصداقة ويقرر أن الرغبة الطيبة المتبادلة بين الأفراد كفيلة باحتواء كل ما ينشأ من تنازع وصراع وعدوان. وذلك عن طريق التفاهم العقلي المتبادل بين الناس والحرص على خاسك الجماعة وصلابتها.

لكن الخير والشر أمور نسبية تخضع في معايرها للإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد^(٢). والإطار الاجتماعي مركب معقد من علاقات مكانية و زمنية، وتقالييد وطقوس معينة، وعوامل أخرى متعددة فالقتل في الحروب خير، والقتل المعتمد شر. وتعدد الأزواج للمرأة الواحدة في جميع المجتمعات المتحضرة شر بالغ، بينما هو أمر عادي في بعض المجتمعات البدائية مثل سكان هضبة التبت بآسيا. فالفرد إذن خاضع في معايره الأخلاقية للتراث الاجتماعي والثقافة التي تؤثر فيه، والمجتمع يتأثر بدوره بالفرد في تفاعله مع الأفراد الآخرين، ومع المجتمع ومع الثقافة القائمة.

(١) المذهب الكلبي Cynicism

(٢) عالج الفيلسوف الألماني نيتشة هذا الموضوع باستطراد في دراسته المشهورة «ما وراء الخير والشر» "Beyond Good and Evil".

ولذا فعلم النفس الاجتماعي المعاصر لا يناصر أى اتجاه من هذين الاتجاهين بل يتخطى هذا الصراع إلى مفهوم جديد لا يؤكد أهمية الجماعة على حساب الفرد ولا يؤكد أهمية الفرد على حساب الجماعة، بل يقيم أبحاثه على العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد، ويتحول بالمشكلة من مجالاتها الإستاتيكية الجامدة الآسنة إلى مجالاتها الدينامية العلمية التي تخضع للقياس. والتنبؤ والتطور، والتغيير.

واتخذ البحث في السلوك الاجتماعي للفرد وجهة بيئية، وذلك حينما أعلن مونتيسكيو^(١). مذهبه الذي يرجع السلوك الاجتماعي للفرد لأثر المناخ. وظن مونتيسكيو أنه اكتشف ارتباطاً قوياً وعلاقة واضحة بين السلوك البشري والتغيرات المناخية البيئية العامة. وكان يعتقد أن للمناخ الحار أثراً قوياً في انتشار الرق وأن المناخ البارد لا يساعد على الرق. وأن المناخ البارد لا يساعد على الرق.

فارتفاع درجات الحرارة يساعد على الخمول والكسل، وبذلك يصبح الرق ضرورة لدفع الناس للعمل، والبرودة تساعد على النشاط والعمل، وبالتالي يصبح الرق أمراً ثانوياً لا ضرورة له. وبينما هذا المنطق حاول مونتيسكيو أن يفسر أنماط النظم السياسية، أو الطبقات الاجتماعية. والتكون العائلي، والتقاليد والخلق، لكن هذه الآراء تنطوي على قدر كبير من المغالطة والبالغة، وتتعارض مع مظاهر الحياة الاجتماعية. فالهجرة لا تؤثر كثيراً في السلوك الاجتماعي للفرد. وتشابه بعض النظم الاجتماعية في المناطق الجغرافية المختلفة كتعدد الزوجات في المناطق الحارة والمعتدلة يثير كثيراً من الشكوك حول صحة هذا المذهب.

وقد صاحب اتجاه مونتيسكيو اتجاه آخر قريب منه سمي بعد ذلك «الجغرافية النفسية». ومثال ذلك دراسات هاردي Hardy وهيلباتش Hellpach التي ظهرت بهذا الاسم أى «الجغرافية النفسية»^(٢). ولقد تعرض هذا الاتجاه أيضاً لنفس النقد الذي تعرضت له آراء مونتيسكيو.

وبظهور كتاب أصل الأنواع لداروين Darwin سنة ١٨٥٩ الذي أعلن فيه نظريته في النشوء والارتقاء، تجاوיבت ميادين العلم المختلفة بصدى هذه الآراء الجريئة وتأثرت نشأة علم النفس الاجتماعي بهذا الاتجاه الجديد. فنادي هيربرت سبنسر Spencer سنة ١٨٩٧ بأن السلوك الاجتماعي يتبع في غمه خطوات خاصة معينة تخضع لقوانين أساسية في تطورها. وبأن المجتمع مركب فوق العضوي يتطور في تكوينه وسلوكه وأهدافه،

(1) Le Piere, E. T. Farnsworth, Social Psychology. N. Y. Mc Graw` Hill. 1942.

(2) Miroglio A: La Psychologie des Peuples. Paris P. U. F. 1962.

وبأن دراسة السلوك الاجتماعي للفرد يجب أن تبدأ بدراسة النشأة لهذا السلوك، وتتابع المدارج المختلفة التي يتطور إليها.

(ج) علم النفس الاجتماعي بين الفلسفة والعلم:

لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن لازاروس Lazarus وشتاينثال Steingthal هما المؤسان الأولان للدوريات العلمية في علم النفس الاجتماعي. فقد أصدرا مجلة لهذا العلم سنة ١٨٦٠. ولقد لخص لازاروس أهداف هذه المجلة في السعى للكشف عن القوانين العلمية النفسية العامة التي تحرك الجماعات كوحدة، والتي تؤثر في هذه الوحدة وفي الدراسة العلمية لحياة الجماعات كما تبدو في لغتها ودينها وخلقها، وفيما يطرأ على عقول الناس من خبرات تتحوّل بالمجتمع إلى السمو أو إلى الانحدار. وكانت الملاحظة الدقيقة هي الوسيلة العلمية لتلك الدراسات، فهي إذن مرحلة تلي النشأة الفلسفية لعلم النفس الاجتماعي تؤدي إلى مرحلة الأبحاث التجريبية. ولقد قسم لازاروس وشتاينثال ميدان علم النفس الاجتماعي إلى ميدانين: الأول يبحث في العوامل النفسية الاجتماعية العامة التي تفسر سلوك الجماعات كافة. والثاني يبحث في العوامل النفسية التي تفسر سلوك كل نوع من أنواع الجماعات.

ولقد اتجه فونت Wundt في دراسته لعلم النفس الاجتماعي وجهة تقرب من طريقة لازاروس وشتاينثال. فعلم النفس الاجتماعي يعني لديه التماوج العقلاني العام للمجتمعات كما يbedo في اللغة والقوانين والأساطير والعرف والمؤثرات الشعبية والفن، وكما يbedo في العوامل النفسية التي تؤثر في الأسرة والقبيلة والعشيرة والدولة. وهو لا يفصل بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العام فصلاً واضحاً بينا، إذ الأول جزء متداخل متكامل مع علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العام ولا غنى عنه في فهم العمليات العقلية العليا.

ويمتاز هذه الدراسات بالتبصر وعمق التفكير، لكنها تنسى عن بلوغ المرتبة العلمية الحقيقة لاعتمادها المطلق على الملاحظات الشخصية، والفرضيات الغامضة والتعميم الخاطئ، وخلوها من الطرق الدقيقة في البحث. ولخضوعها أحياناً للسخرة الوطنية، ولغالاتها في القيم النسبية للشعوب بتفضيل جنس بشري على آخر.

وقبيل نهاية القرن التاسع عشر، اتجه نفر من العلماء الفرنسيين نحو دراسة أثر الجماعة في سلوك الفرد، وأثر سلوك الفرد في فرد آخر. فتانبرى بريد Braid لبحث الأستواء وأثره المباشر في سلوك الجماعات، وفي السلوك الاجتماعي للفرد، وبالغ في

أهميته، وظن أنه المؤثر الوحيد في السلوك الاجتماعي. ولقد تأثر به برنهايم Bern-heim وأثر هو بدوره في مدرسة نانسي المشهورة بدراساتها للتنويم المغناطيسي. ولقد تأثر تارد Tarde بتجارب برنهايم وبتجارب مدرسة نانسي وتأثر أيضاً بلاحظاته الشخصية التي جمعها عن المجرمين طوال حياته القضائية. وذهب إلى أن الإجرام لا يعود إلى التكوين البيولوجي للمجرم كما كان سائداً وقتئذ، بل يعود إلى طبيعة المجتمع والبيئة التي ينشأ فيها المجرم. وانتهى بتحليله العلمي للسلوك الاجتماعي إلى أنه عدوى تنتقل من فرد إلى آخر. ودلل على ذلك بحالات الفزع التي تتتبّع الجماعة نتيجة فزع بعض أفرادها. ثم استطرد في تحليله حتى وصل إلى إرجاع السلوك الاجتماعي عامة إلى التقليد. ومن أهم الابحاث التي ظهرت في ذلك العصر دراسات جوستاف ليون Gus-Lyon عن الجمود tave Le Bon في الهستيريا والفزع وبعض الظواهر النفسية الشاذة. وكان أيضاً متأثراً بأراء برييد وتارد. ولذا استعرض ليون القوى المختلفة التي تساعد على تجانس الجماعات وشخصها في الاستهواء والمشاركة الوجданية والتقليد.

(د) تصحيح مسار علم النفس الاجتماعي:

تدل مراحل تطور علم النفس الاجتماعي على أنه كعلم لم يبدأ حقيقة إلا في القرن العشرين. ولقد كان قبل هذا القرن موضوعات متفرقة لا علاقة بينها. ولا تدور حول موضوع واحد واضح للمفاهيم الرئيسية لهذا العلم..

وقد كانت هذه المفاهيم أحياناً مفاهيم وصفية لا تعتمد في بنائها الأساسي على البحث العلمي والتجارب المقننة، وتتسم بالتعصب الذي يميل بالباحث إلى النواحي الذاتية ويتأثر به بعيداً عن النواحي الموضوعية. وأحياناً لا تستعمل مفاهيم علم النفس الاجتماعي بنفسها بل تمتزج بالمفاهيم الفلسفية أو المفاهيم الاجتماعية، وتتجه إلى التعميم الذي لا يقوم على الفكر التجريبي أو الضبط العلمي، وتميل إلى الاستطراد والإطناب أكثر مما تميل إلى الدقة والإيجاز، ولا تتصف فيما بينها بالتنسيق، ولا تكاد تنحصر في حدود معينة معروفة حتى أصبح ما ينطوي تحت اسم علم النفس الاجتماعي يختلف اختلافاً كثيراً من كاتب لآخر، أي أصبح هذا المصطلح لا يدل إلا على عنوان شارد يتبع اتجاه كاتبه ولا يتبع منهج موضوعه.

ولقد عبر دور كايم⁽¹⁾ Durkheim عن تلك المرحلة حينما كتب سنة 1898 ليقرر أن «علم النفس الاجتماعي مفهوم غريب يقبل أي نوع من التعميم في مدى شموله ودقته دون أن يحدد موضوع دراسته».

(1) Reuchlin, M. Histoire de la Psychologie. Paris, Press Univ. de France. 1961. p. 105.

ثم بدأ الباحثون في أوروبا وأمريكا يدركون عجز علم النفس المعاصر لتلك المرحلة عن دراسة الظواهر النفسية الاجتماعية وبحث علاقة الإنسان بيئته الاجتماعية بل وبالطبيعة أيضاً. وتحليل دراسة العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد والتي تسم بالتأثير والتاثير. وبذلك بدأ الباحثون يدرسون الخصائص العلمية لهذه الظواهر والمعدلات الدينامية لبعضها المتغير، والقوانين التي تكمن وراء تلك التغيرات النفسية الاجتماعية.

وقد زاد الاهتمام في نفس الوقت، وعلى المستوى التطبيقي بأثر الرأي العام على الحياة العامة، وعلى اتجاهات الأحزاب السياسية، وعلى تغير ظروف ومتطلبات العمل نتيجة للتطور التكنولوجي، وعلى انتشار التعليم الإلزامي. وأصبح لزاماً على العلماء والباحثين أن يواجهوا هذه التغيرات ويتصدوا لدراسة آثارها على نمط الحياة الاجتماعية التي يحياها الناس، ويتابعوا المنهج العلمي التجربى في دراسة تلك التغيرات وما يصاحبها من مشكلات وما تؤدي إليه من تطور.

وبذلك تعددت طرائق البحث ومجالاتها ومداخلها ومراجعها ونتائجها.

(ه) وضوح الاتجاهات العلمية في القرن العشرين:

كتابان كان لهما الأثر الكبير في الشأة الحديثة لعلم النفس الاجتماعي. وقد ظهرتا معاً في سنة ١٩٠٨، أحدهما كتبه روس^(١). Ross وهو من الأمريكان المشغلين بعلم الاجتماع، والأخر كتبه مكدوجل^(٢). McDougal وهو من الإنجليز المشغلين بعلم النفس. وقد اهتم روس بالتقليد وما يؤدي إليه من تفاعل اجتماعي بين الأفراد. وكان لهذا الاهتمام أثره القوى في نشأة ديناميات الجماعة. وقد أصبحت الديناميات من أهم ركائز علم النفس الاجتماعي المعاصر. واهتم مكدوجل بالتزععات الفطرية، وكان لهذا الاهتمام أثره البالغ في نشأة موضوع الدوافع، وما تطور إليه من دراسة لسيكولوجية الاتجاهات. وقد أصبحت الاتجاهات من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي.

ويعتبر كتاب مكدوجل «مقدمة في علم النفس الاجتماعي» فتحاً جديداً في ميدان هذا العلم الناشئ. ولقد بسط مكدوجل في كتابه هذا نظريته في الغرائز ووصفها بأنها المحرّكات الأولى والدوافع الجوهرية لسلوك الحيوان والإنسان. ولقد لخص مكدوجل دوافع السلوك البشري في أربع عشرة غريزة. وعرف الغريزة بأنها استعداد فطري معقد. ثم عدل التسمية، وعدل أيضاً عدد هذه الغرائز. ولقد كان مكدوجل في نظرته هذه متأثراً بنظرية التطور. وكان أيضاً بيولوجياً في اتجاهه العلمي. وظهر أثر مكدوجل في

(1) Ross, E. A. Social Psychology N. Y, macmillan. 1908.

(2) McDougall, W. An Introduction to Social Psychology. London Methuen. 1908.

كتاب ثورنديك^(١). أصل طبيعة الإنسان. وظهر أثره أيضاً في كتاب وودورث^(٢). Woodwarths علم النفس الدينامي. وتأثرت ميادين علم النفس عامة بهذه النظرية الجديدة، ثم أسرف العلماء في اختراع غرائز جديدة ونعتوها بأسماء لا تکاد تمت إلى العلم بصلة.

وأصدر مكدوجل كتابه الثاني في علم النفس الاجتماعي سنة ١٩٢٠ وأسماه العقل الجماعي^(٣). ويسط فيه الأسس العامة والخطوط الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي، ثم فسر نفسية الشعوب وأخلاقها في ضوء هذه الأسس والخطوط، ولقد نشأت فكرة هذا العقل الجماعي من اختلاف سلوك الجماعات عن سلوك الأفراد. فقد تجنب الجماعة إلى سلوك عدواني شاذ، وقد تقسو وقد تثور. وهي بسلوكها هذا تختلف عن سلوك كل فرد من أفرادها لو كان بمعزل عنها وعن تأثيرها الجماعي. ولذلك افترض مكدوجل وجود عقل جماعي عام يسيطر على سلوك الجماعات ويتميز عن مكوناته الفردية. ولقد اختلط الأمر على الباحثين في نشأة هذا العقل. واختلفت الآراء في مكوناته وفي صفاتيه. فمن قائل بأنه مجموعة العقول الفردية التي تتألف منها الجماعة، ومن قائل بأنه يمثل أذكي أو يمثل أغبي عقل فرد من أفراد الجماعة. ومن قائل بأنه يمثل متوسط عقول الأفراد. والسؤال الفصل في هذه الآراء المتضاربة ينكرها جميعاً، ويقرر أن الكل لا يتكون فقط من المجموع العددي للوحدات الجزئية التي منها يتكون، بل يتاثر بالشكل العام للوحدات مجتمعة. ويتأثر أيضاً بالعلاقات المختلفة التي تربط الجزء بالجزء، والكل بالجزء، والجزء بالكل.

ولعل دنلاب^(٤). Dunlap هو أول من أعلن إنكاره الصريح للغرائز في بحثه الذي نشره سنة ١٩١٩ بعنوان «أحق أن هناك غرائز؟» وأنكر واطسون^(٥) Watson الغرائز في كتابه «السلوكية».

ويتلخص نقد دنلاب ومن تبعه في أن الغرائز وحدات معقدة، وأن العلم يهدف دائماً إلى التبسيط: ولقد أدى هذا الاتجاه إلى ظهور اصطلاحات جديدة مثل الحوافر، والدوافع، والبواعث، والمشيرات، وغيرها. وظن باديء ذي بدء أنها أبسط من غرائز مكدوجل وأقل منها تعقيداً.

(1) Thorndike, E. L. *The Original Nature of Man*. N. Y. Columbia univ. p. 1913 - 1914.

(2) Wood worth, R.S. *Dynamic Psychology*. N. Y. Columbia Univ. P. 1918.

(3) Mc Dougal, W. *The group Mind*. N. Y. Put nam's Sons. 1920.

(4) Dunlap, K. *Are There Any Instincts*. J. of Abn. and Soc., Psych. 1919, 14, pp. 307 - 311.

(5) Waston, J. B. *Behviorism*. N. Y. Norton. 1925.

لكن هذا الخلاف لم يؤثر في نشاط الابحاث التجريبية، واستمر العلم في غموضه وفى تطوره بناءً عن صانعى النظريات.

وكما ظهر أثر غرائز مكدوجل في الدوافع فقد ظهر أثره أيضاً في النزعات الفطرية العامة التي بسطها أيضاً في كتابه «مقدمة في علم النفس الاجتماعي»، وهو يلخصها في الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد. وهو يعني بالاستهواه تأثير فرد بفرد آخر عقلياً. ويعنى بالمشاركة الوجدانية تأثير شخص بشخص آخر افتعالياً. ويعنى بالتقليد تأثير شخص بشخص آخر سلوكيًا.

وقد خضعت بعض هذه النزعات العامة للتجربة أخيراً وخاصة الاستهواه وظهرت أهميتها في مجال القياس النفسي وفي تطبيقات علم النفس الاجتماعي، كما تدل على ذلك أبحاث أيزنك^(١) Eysenck التي نشرها في كتابه «المعقول وغير المعقول في علم النفس» سنة ١٩٥٧.

ويعد بوجاردس Bogardus المؤسس الحقيقي لعلم النفس الاجتماعي المعاصر وخاصة في كتابه الذي نشره سنة ١٩٣١ عن أسس علم النفس الاجتماعي، وبأبحاثه في قياس التباعد النفسي، وكولى Cooley في كتاب مقدمة في علم الاجتماع الذي نشره سنة ١٩٣٣، وأبحاث موريس Morris سنة ١٩٣٤ عن العقل والذات والمجتمع، والتي اعتمد فيها اعتماداً أساسياً على محاضرات مرجريت ميد Mead ونتائج دراساتها الأنثروبولوجية عن المجتمعات البدائية^(٢).

و- البدء التجربى لعلم النفس الاجتماعي:

بدأ المنهج التجربى في علم النفس الاجتماعي بمقارنة نشاط الفرد وهو يعمل مع الجماعة أو أمام الأفراد الآخرين بنشاطه وهو يعيش وحده^(٣). وكان هدف هذه التجارب اكتشاف مدى نقصان أو زيادة إنتاج الفرد تبعاً لوجوده مع الآخرين أو تبعاً لتفرده بالعمل بعيداً عن الآخرين.

ويعد ترييليت^(٤) Triplett من الرواد الأوائل في تطوير بعض الظواهر النفسية الاجتماعية للطريقة التجريبية، وذلك عندما لاحظ سنة ١٨٩٧ أن سجلات سباق

(1) Eysenck, H. J. Sense and Nonsense in Psychology. London. Pelican, 1957, pp. 25 - 70.

(2) Maisonneuve, J. Psychologie Sociale, Paris Univ. de France, 1961, pp. 9 - 10.

(3) Fransse, P. et Piaget. J. Psychologie Sociale, P. U. F. 1965, p. 2.

(4) Triplett, N. the Dynamogenic Factors in Pacemaking and Competition Amer. J. Psych. 1897, 9, pp. 507 - 533.

الدرجات تدل على أن سرعة الفرد تزداد بنسبة ٢٠٪ عندما يشتراك مع غيره، عنها عندما ينفرد وحده. وأدت به هذه الملاحظة إلى القيام بتجربة على ٤٠ طفلاً تمت أعمارهم من ١٠ سنوات إلى ١٢ سنة. حيث طلب من كل طفل أن يلف بكرة صيد السمك وحده، وأن يعود فيقوم بهذا العمل مع زملائه حيث يعملون ويراهם من حيث لا يرونها. ودلت نتائج تجربته على أن ٢٠ طفلاً زادت سرعتهم مع الجماعة عنها عندما كانوا متفردين. وأن ١٠ أطفال نقصت سرعتهم وأن ١٠ أطفال لم تتغير سرعتهم.

وبذلك تدل نتائج هذا البحث على إمكانية إخضاع الظواهر النفسية الاجتماعية للتجربة العلمية، أو على أن عمل بعض الأفراد يتأثر تأثيراً واضحاً بالجماعة، وأن البعض الآخر لا يتتأثر بتلك الناحية الجماعية، أى أن هذا الأثر يختلف من فرد لأخر تبعاً لاختلاف الفروق الفردية.

رابعاً - وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي

يمكن إلى حد ما أن نشبه تباين مستويات التقدم في العلوم المختلفة بالشعوب النامية والشعوب المتقدمة. ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قررنا أن أغلب العلوم التي تتصل اتصالاً مباشراً بالإنسان علوم نامية، شأنها في ذلك شأن الدول النامية، غنية في المادة الخام وفقيرة في وسائل معالجة تلك المادة، وأغلب العلوم المتصلة بالمادة الطبيعية والكون الفلكي علوم متقدمة، مثل الطبيعة، والرياضة، والكيمياء، والفلك.

وعلم النفس الاجتماعي، والفرع الآخر لعلم النفس من العلوم النامية، وتعاني مثل هذه العلوم من طغيان مناهج التحليل في العلوم المتقدمة على مناهجها التي تصلح لدراسة وتحليل خصائص موضوعاتها. ولهذا نرى المحاولات تلو المحاولات التي تطبق مناهج البحث في علم الطبيعة أو الكيمياء أو حتى الفلكل على الظواهر النفسية. وهذا يفسر مثلاً المصطلحات الغريبة التي شاعت في أبحاث وتجارب علم النفس مثل الموجهات، والمجال، والдинاميك والمصفوفات، والعوامل، وما بعد الفراغ الثالثي في التحليل العامل.

ولذلك كان علينا في علم النفس الاجتماعي أن نحدد منذ البدء وحدة البحث في علم النفس الاجتماعي ومناهجه التي يستعيدها من العلوم الأخرى المتقدمة والتي ينفرد بها وحده ويتميز بها عن تلك العلوم.

ويشترط في هذه الوحدة، فوق أنها مناسبة، وطيبة، أن تشتمل على أهم صفتين للسلوك الإنساني. وتقرر الصفة الأولى دافعية السلوك، ووجهته نحو تحقيق هدفه.

وتقر الصفة الثانية تكامل السلوك، ومعنى هذا التكامل أن الفرد بخصائصه العقلية المعرفية، والخارجية، أي الانفعالية النزوعية يسلك طريقه نحو تحقيق هدفه كائن له كلية التكاملة وليس كعقل يعمل مستقلا عن التنظيم المزاجي، وهكذا.

والوحدة التي تحقق كل هذه الشروط هي على وجه التحديد «حدث سلوكي شخصي». أو بمعنى آخر ما ينشأ من علاقات نتيجة لتفاعل الاجتماعي القائم بين الأفراد ^(١).

والمثال التقريري الذي يوضح بعض معالم هذه الوحدة، الحوار الذي يدور بين بعض الأفراد وما ينطوي عليه هذا الحوار من سرور وحزن، ومن تألف وتنافس، وما يسفر عنه من «أحداث سلوكية شخصية بینية». في مثل هذا الموقف يصبح سلوك أحد الأفراد استجابة لسلوك فرد آخر من ناحية، ويصبح من ناحية أخرى، وفي نفس الوقت مشيراً للفرد الآخر، وهكذا نستطيع أن نلاحظ ونحلل سلوك كل فرد بالنسبة للأفراد الآخرين، وسوف يتنهى بنا هذا التحليل إلى أن سلوك كل فرد سبب ونتيجة معاً وفي نفس الوقت، سبب لسلوك الآخرين ونتيجة لسلوك الآخر أو الآخرين ^(٢).

والتحليل السابق يوضح التكامل ودافعية السلوك التي توجهه نحو تحقيق الهدف. هكذا تتعاقب الأحداث في تناسق متصل بحيث يتلو بعضها بعضاً في تكامل عضوي. ومن وراء ذلك كله دافع يوجه السلوك وجهة الهدف المرجو.

وحدة التحليل بهذا المعنى ليست وحدة بسيطة، بل هي وحدة معقدة.

خامساً - الملخص

يعرف علم النفس الاجتماعي بأنه العلم الذي يتناول بالوصف والتجريب والتحليل سلوك الفرد مع الأفراد الآخرين واستجاباته لهم، سواء أكان هؤلاء الأفراد مجتمعين أم متفرقين. أي أنه العلم الذي يعني بالدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث تأثيره بسلوك الأفراد الآخرين، ومن حيث تأثيره فيهم. فهو بذلك علم سلوك الفرد في الجماعة والمجتمع.

ويتعرض التعريف النفسي لعلم النفس الاجتماعي للنقد كما يتعرض التعريف الاجتماعي أيضاً لنقد. والتعريف عندما يقصر ميدان علم النفس الاجتماعي على الفرد

(١) Interpersonnal Behaviour Event.

حدث سلوكي شخصي

(٢) Krech, D, Crutchfield, R. S, and Ballachey, E. L. Individual in Society N. Y Mc Graw - Hill, 1962, pp. 4 - 7.

فقط ينحو به نحو علم النفس، وعندما يقصر ميدانه على الجماعة يتحول به إلى علم الاجتماع. ولذا كثيراً ما تختلط مفاهيم الفرد بمفاهيم الجماعة في كتب علم النفس الاجتماعي. وخير علاج لهذه المشكلة أن يحدد علم النفس الاجتماعي ميدانه في العلاقات النفسية الاجتماعية التي لا توجد إلا في مواجهة الفرد للجماعة أو للأفراد الآخرين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ومشكلات التعريف هي مشكلات المصادر الرئيسية والفرعية لعلم النفس الاجتماعي، فاما الرئيسية فتتمثل في مفاهيم علم النفس وعلم الاجتماع والأنثربولوجى. وأما الفرعية فتتمثل في علم الاقتصاد والسياسة. وعلى علم النفس الاجتماعي أن يستعين بعض مفاهيم تلك العلوم ومنهاج بحثها دون أن يفقد وحدة موضوعه.

وتحتل أهمية علم النفس الاجتماعي من التطبيقات العملية المباشرة إلى المجالات العامة العالمية، فأما العملية المباشرة فهي التطبيقات المختلفة لهذا العلم في مجال التربية وعلاقته بالخصائص النفسية الاجتماعية للفصل الدراسي. ولعملية التعلم والتفكير. وفي مجال الخدمة الاجتماعية وتوجيه الجماعات. وفي مجال الصناعة وأثر العلاقات النفسية الاجتماعية على رفع مستوى الإنتاج. وفي مجال القوات المسلحة وأهمية الروح المعنوية في بناء شخصية المقاتل، وفي حياتنا الخاصة، وعلاقتنا الاجتماعية المختلفة. وأما المجالات العامة العالمية فقد بدأت متباينة بالإذنار من المشكلات الاقتصادية والسياسية وتطورت متباينة إلى بناء ذلك المستقبل، ومعالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية، ومشكلات النقد وحرية الأسواق وتجنب العدوان وال الحرب وتحقيق السلام.

وقد نشأ علم النفس الاجتماعي في أحضان الفلسفة ثم تحول في صورته المعاصرة إلى علم تجريبي. ولهذه النشأة أهميتها لأن الذين لا يعرفون تاريخ العلم يكررون أخطاء الماضي والذين يعرفون هذا التاريخ يتعلمون من خبرات الماضي. وقد ترك لنا هذا الماضي الملاحظات الفاحصة، والفرضيات الدقيقة التي ما زالت تصلح للتحقيق التجريبي في عصرنا هذا. وكان جوهر الباحث الفلسفية في علم النفس الاجتماعي الطبيعية البشرية. فأكَدَ أفلاطون أهمية البيئة الاجتماعية في تشكيل هذه الطبيعة البشرية الاجتماعية، وأكَدَ أرسطو أهمية المحددات البيولوجية. ومن ذلك الوقت بدأت ثانية البيئة والوراثة. وانتقلت المشكلة إلى القيم التي تحدد سلوك الإنسان، فذهب هوبيز إلى أن الإنسان بطبيعته شرير، وعلى المجتمع أن يصلح ذلك الشر، وخالفه في ذلك جان جاك روسو حيث قرر أن الإنسان بطبيعته خير، وأن المجتمع هو الذي أفسده.

وبذلك نشأ تياران يؤكد أحدهما أن الإنسان كائن اجتماعي لا يكتفى بذاته بل يستعين بغيره، ويؤكد التيار الآخر ذاتية الإنسان ويعلن رفضه لسيطرة الجماعة على تلك الذات.

ويتحول هذا التعارض بين الجماعة والفرد إلى اتجاهين أحدهما اتجاه متشائم يؤكد الأنانية الفردية ويقرر أن الذات تمثل دائماً إلى أن تنظر إلى الآخرين على أنهم وسائل لتحقيق مآربها أو أعداء يجب التغلب عليهم لتحقيق تلك المطالب، ويقابل هذا الاتجاه المتشائم اتجاه آخر متضاد يجدد فضائل الصداقة والتفاهم العقلى والحرص على تماست الجماعة وصلابتها.

لكن الخير والشر أمور نسبية تخضع في معايرها للإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد. ولقد عالج نيشه الفيلسوف الألماني هذا الموضوع في دراسته «ما وراء الخير والشر».

وعلم النفس الاجتماعي المعاصر لا يناصر أى اتجاه من هذين الاتجاهين بل ينطوي هذا الصراع إلى مفهوم جديد لا يؤكد أهمية الجماعة على حساب الفرد، ولا يؤكد أهمية الفرد على حساب الجماعة، بل يقيم أبحاثه على العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد.

وقد اتخد البحث في السلوك النفسي الاجتماعي بعد ذلك التعارض وخلال نشأة علم النفس الاجتماعي وجهة جديدة على يد متسكيو الذي أكد أهمية دور البيئة الطبيعية في تشكيل سلوك الفرد.

وكان متسكيو يعتقد أنه للمناخ الحار أثراً قوياً في انتشار الرق، وأن المناخ البارد لا يساعد على الرق، وحاول أيضاً أن يفسر انماط النظم السياسية والطبقات الاجتماعية والتكوين العائلي والعادات والتقاليد والخلق.

وقد صاحب هذا الاتجاه اتجاه قريب منه سمي بعد ذلك الجغرافية النفسية.

لكن هذه الآراء تنطوى على قدر كبير من المغالطة والبالغة وتعارض مع مظاهر الحياة الاجتماعية، فالهجرة لا تؤثر كثيراً في السلوك الاجتماعي للفرد، وتشابه بعض النظم الاجتماعية في المناطق الجغرافية المختلفة كتعدد الزوجات في المناطق الحارة والمعتدلة يثير كثيراً من الشكوك حول صحة هذا المذهب.

وبظهور كتاب أصل الأنواع لداروين سنة ١٨٥٩ تأثرت نشأة علم النفس الاجتماعي بهذا الاتجاه الجديد.

وطبق سبنسر فكرة دراوين عن التطور على الطبيعة الإنسانية، فانتهى إلى أن الحياة الاجتماعية تمر بمراحل، وتنتهي عند المجتمع إلى صورة مركبة يسميها فوق العضوية.

وقد تحول علم النفس الاجتماعي بالتدريج من الفلسفة إلى العلم ظهرت أول مجلة له سنة ١٨٦٠ وكان منهاجها هو دراسة القوانين النفسية العلمية التي تحرك الجماعات كوحدة، واهتم عالم النفس فونت في دراسته النفسية الاجتماعية باللغة والقوانين والتأثيرات الشعبية، ثم بدأ العلماء يهتمون بملحوظة وتحليل الظواهر الأساسية التي يمكن أن تصلح لتفسير السلوك النفسي الاجتماعي، وانتهى بريد إلى أن الأساس العلمي لذلك السلوك هو ظاهرة الاستهواء وخالفه في ذلك تارد حين أكد أهمية التقليد. وعكف جوستاف ليون على دراسة الجمود وأهمية الاستهواء والمشاركة الوجданية والتقليد في وصف الجمود، وما يصدر عنها من سلوك نفسي اجتماعي.

لكن علم النفس الاجتماعي لم يبدأ كعلم إلا في القرن العشرين، وكان قبل هذا القرن موضوعات متفرقة لا علاقة بينها، ومفاهيم وصفية لا تعتمد على البحث العلمي والتجارب المقتنة، وكانت هذه المفاهيم متزوجة بالمفاهيم الفلسفية والاجتماعية وتميل إلى الاستطراد أكثر مما تميل إلى الإنجاز وإلى التعميم أكثر مما تميل إلى التخصص الدقيق.

ثم اتجه العلماء بعد ذلك إلى تصحيح هذا المسار وذلك بعد أن أدركوا عجز علم النفس المعاصر لتلك المرحلة عن دراسة الظواهر النفسية الاجتماعية وال العلاقات الاجتماعية. وزاد اهتمام العلماء بهذا العلم لإدراكهم لأثر أبحاثه على الرأي العام وعلى الاتجاهات السياسية. ومتطلبات العمل، وأثر التطور التكنولوجي على حياة الأفراد والجماعات وبذلك تعددت طرائق البحث ومجالاتها.

وتعتبر سنة ١٩٠٨ سنة فاصلة في تاريخ هذا العلم حيث ظهر فيها كتاب العالم الإنجليزي مكدوجل «مقدمة في علم النفس الاجتماعي» ويظهر هذا الكتاب بذات مشكلة الدوافع تأخذ طريقها إلى مباحث علم النفس الاجتماعي وتطورت من غرائز مكدوجل إلى الاتجاهات النفسية التي أصبحت من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي المعاصر. وبدأت أيضاً مشكلة التزعزعات الفطرية العامة التي تتلخص في الاستهواء والمشاركة الوجданية والتقليد تأخذ طريقها إلى التجربة العلمي وخاصة في الخمسينيات من هذا القرن، وذلك عندما نشر أيرنست نتائج أبحاثه التجريبية على الاستهواء في كتابه «المعقول وغير المعقول في علم النفس».

وظهر أيضا كتاب لعالم الاجتماع الأمريكي روس «علم النفس الاجتماعي» وبظهور هذا الكتاب ظهرت مشكلة التفاعل النفسي الاجتماعي وال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. وبعد هذا الموضوع الآن من أهم ركائز علم النفس الاجتماعي المعاصر إن لم يكن أهمها كلها.

ويعد بوجاردس المؤسس الحقيقي لعلم النفس الاجتماعي وخاصة في كتابه «أسس علم النفس الاجتماعي» الذي نشره سنة ١٩٣١ وأبحاثه في قياس التباعد النفسي، وكولى في كتابه «مقدمة في علم الاجتماع» الذي نشره سنة ١٩٣٣ وأبحاث موريس التي نشرها سنة ١٩٣٤ والتي اعتمد فيها على أبحاث مرجريت ميد عن المجتمعات البدائية وبذلك بدأ الأنثروبولوجي يؤثر في أبحاث علم النفس الاجتماعي.

وببدأ المنهج التجاري في علم النفس الاجتماعي بمقارنة نشاط الفرد وهو يعمل مع الجماعة أو أمام الجماعة بنشاطه وهو يعمل وحده. وبعد تجربة أول من قام بتجربة علمية في علم النفس الاجتماعي سنة ١٨٩٧ على أطفال يقومون بلف كرة صيد السمك مجتمعين وفرادي وقارن بين نتائج المرتين.

وقد تطورت وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي من الاستهواء عند بريد إلى التقليد عند تارد، إلى الغريرة عند مكدوجل، إلى العادة عند وليم جيمس، حتى استقرت أخيرا في العلاقة الاجتماعية التي تدل على التفاعل القائم بين الأفراد الآخرين والتي تعتمد في جوهرها علىحدث السلوكى الشخصى البيئى.

* * *



الفصل الثاني

الفرد والجماعة

محددات التفاعل الاجتماعي

١. الدوافع والداعية.

٢. الحاجات.

٣. الأهداف.

٤. صورة الذات عند الفرد.

٥. مفهوم الفرد عن الآخرين.

٦. القيم.

٧. المعايير.

٨. الاتجاهات النفسية.

٩. العادات.

١٠. التقاليد.

كم هي عسيرة وشاقة وتحتاج إلى جهد جهيد: تلك هي دراسة العلاقة بين الفرد والجماعة وخاصة من وجهة نظر علم النفس.

وكم هي مثمرة ومفيدة تلك الدراسة. إذ أن علاقة الفرد بالجماعة علاقة تحتاج إلى اهتمام خاص لأن الوسائل التي تربط أفراد الجماعة بعضهم البعض ليست بسيطة ومسطحة ولكنها أعمق وأعقد: ومن ثم فإن نتيجة هذه الدراسة سوف تكون ذات خطر بالغ، وخاصة في فهم وتحليل وتفسير أنماط سلوك الأفراد في الجماعات.

وهذا الفهم يعتمد غالباً على معالجة مجموعة من التغيرات تؤثر في هذه العلاقة وتعطيها صيغتها النهائية، وبالتالي فإن هذه العلاقة هي التي تحدد نوعية التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة.

وفي الفقرات التالية سوف نتعرض بشيء من المناقشة والتحليل لهذه التغيرات على أمل أن يستطيع القارئ في نهاية هذه المناقشة تكوين مفهوم عام عن حركة وتعقد التفاعل الاجتماعي في هذه الجماعة أو تلك:

١- الدافع والدافعية؛

ليس هناك شك في أن الدافع النفسي ذات أثر واضح على سلوك الفرد وتفاعلاته مع الآخرين، ولذلك فقد نالت الدافع النفسي والدافعية القدر الذي تستحقه من دراسة وبحث حتى أصبح هذا التغيير الذي تعطى له الأولوية في التأثير على نوعية ودرجة التفاعل الاجتماعي على قدر من الوضوح للدارسين والباحثين.

ويحسن في بادئ الأمر أن نعرف في بساطة ويسر على الدافع النفسي عند الإنسان، وربما كان من الأفضل أيضاً أن نحدد معنى هذا الدافع ونضع له التعريف المناسب.

وسوف نطور التعريف الذي سبق أشرنا إليه في كتاب سابق^(١) والذي كان يشير إلى أن الدافع هو حالة تفاعل تركيب ووظيفة الكائن الحي مع عنصر أو أكثر من العناصر التي تقع في المنسق النفسي الاجتماعي لهذا الكائن. وسوف نطور هذا التعريف ليكون أكثر مرونة لتفسير وظيفة الدافع كمتغير يؤثر في علاقة الفرد بالجماعة فنقول:

(١) سعد عبد الرحمن، السلوك الإنساني تحليل وقياس التغيرات ١٩٨٣.

«إن الدافع هو عبارة عن حالة من التوتر وعدم الاتزان تنشأ نتيجة التفاعل غير المتوازن بين تركيب أجهزة الكائن الحي ووظيفة هذه الأجهزة في وجود عناصر المجال النفسي أو الاجتماعي أو البيولوجي للفرد».

وهذا يعني أننا سوف نفسر دافع الجوع على أنه تفاعل غير متوازن بين تركيب الجهاز الهضمي للكائن الحي – أي القناة الهضمية وملحقاتها من غدد وغير ذلك – ووظيفة هذا الجهاز من حيث هضم وامتصاص الطعام وما يتربّط على ذلك من تمثيل وطاقة، هذا التفاعل غير المتوازن هو الذي يؤدي إلى الإحساس بالتوتر وعدم الاتزان مع عناصر البيئة الخارجية وهي الحالة التي تدل على نشاط هذا الدافع أو ذاك.

بهذه الصورة يمكن أن نفهم كيف يؤثر الدافع على علاقة الفرد بالجماعة إذ أن العلاقة الطبيعية بين الفرد والجماعة التي يتمتع بها هي علاقة الاتزان والتعادل، والتعادل هنا لا يعني التساوى ولكنه يعني الاستقرار في العلاقة القائمة بين الطرفين.

بعض الجماعات ترى أن العلاقة التي تقوم بينها كشخصية معنوية (الدولة أو الحكومة أو...) وبين الأفراد يجب أن تكون في إطار الحقوق والواجبات أي أن عملية إشباع الدوافع عند الفرد سواء كانت هذه الدوافع فسيولوجية أو اجتماعية يجب أن تقترب بما يبذله الفرد من مساعدة وجهد في حفظ كيان الجماعة وتطويرها والعمل على استمرارها. أو يعني آخر إذا كانت عملية إشباع الدوافع حق فإن الجهد الذي يبذله الفرد هو الواجب.

لذلك فإن تفسير هذه العلاقة من خلال نشاط الدوافع أمر محتمل وممكن، حيث إن الدوافع عند الإنسان لا تقف عند مجرد الجوع والعطش ولكنها تصل إلى الأنجذاب والتفوق وتحقيق الذات وتقديرها، وبهذا نجد أنه في حالة عدم إشباع الدافع أيا كان هذا الدافع فإن حالة عدم الاستقرار سوف تسسيطر على العلاقة بين الفرد والجماعة وتنتهي هذه الحالة ويعود الاتزان عندما يتم إشباع دوافع الفرد من خلال ما وضعته الجماعة من نظم وأعراف لتنظيم كيفية إشباع هذه الدوافع. كما أنه يجب أن نقول أن حالة عدم الاستقرار سوف تستمر لو أن الفرد أشبع دوافعه بصورة تتعارض مع الإطار الذي حدده الجماعة.

وهناك جماعة أخرى ترى أن العلاقة بينها كشخصية معنوية – وبين الفرد يجب أن تقوم على مبدأ الضبط والتحكم يعني أنه لا يجوز للفرد أن يشبع دوافعه إلا بالقدر الذي تسمح به الجماعة وتحت الظروف والشروط التي تراها هذه الجماعة ضرورية ومناسبة.

وفي هذه الحالة نجد أن حالة الاستقرار التي تسود العلاقة بين الفرد والجامعة لا تحدث إلا عندما يقبل الفرد هذا الإطار من الضبط والتحكم قبولاً فعلياً وليس ظاهرياً فقط.

فمعظم حالات الانحراف الفردي أو الجماعي أو حالات التمرد والعصيان أو حالات الرفض وعدم السواء: قد جاءت نتيجة لعدم تمكن الفرد من قبول مبدأ الضبط والتحكم الذي افترضته الجماعة تقوم عليه العلاقة بينها وبين أفرادها.

وهناك نوع آخر من الجماعات يقيم العلاقات مع الأفراد على أساس مبدأ المنحة والحق المكتسب دون النظر إلى واجبات أو ضبط وتحكم، حيث يتمكن الفرد من إشباع دوافعه ويدرك ذلك على أنه حق اكتسبه بمجرد انتمامه للجماعة، بينما تدرك الجماعة هذه العملية على أنها منحه تجود بها على الفرد. لذلك فقد كانت هذه العلاقة أشد أنواع العلاقات تأثراً بنشاط الدوافع عند الفرد، إذ أنه في حالة عدم إشباع هذه الدوافع أصبح انتمام الأفراد للجماعة مهدداً بالتحلل والتلاشي.

لسنا هنا بصدده مقارنة جماعة بجماعة أخرى فقد يكون هناك مجال لذلك في مكان آخر بشئ من التفصيل والتحليل ولكنه ما نهتم به الآن هو توضيح مدى تأثير نشاط دوافع الفرد على علاقته بالجماعة.

نعود مرة أخرى إلى معنى الدافع النفسي كما سبق أن أوضحناه على أنه حالة من التوتر تنشأ من تفاعل غير متوازن بين تركيب أجهزة الكائن الحي ووظيفة هذه الأجهزة في وجود عناصر مختلفة نفسية كانت أو اجتماعية أو بيولوجية.

نعود ونقول أن هذا المعنى لا يتوقف عند مجرد التعريف الذي أشرنا إليه بل يجب أن يتعداه إلى التفسير والتوضيح حتى يرى القارئ مدى أهمية الدوافع كمتغير يؤثر في العلاقة المتبادلة بين الفرد والجماعة.

هناك أكثر من تفسير مقبول لنشاط الدوافع عند الإنسان وقبل أن تدخل إلى مجال تفسير الدوافع يحسن بنا أن نشير إلى مفهوم (نشاط الدافع) أو كما نحب أن نسميه ميكانيكية الدافع.

نقول أن نشاط الدافع له ثلات مراحل متميزة هي:

أ. مرحلة الإلحاح: وهي المرحلة التي يتسارع فيها معدل التوتر ويترافق ويصبح الدافع واضح تماماً في المجال الإدراكي للفرد كما يتتحول ما عداه من عوامل ومتغيرات إلى أرضية أو خلفية لهذا المجال.

بـ- مرحلة الإشباع، وهي المرحلة التي يتم فيها إشباع الدافع وتحقيق الحاجة سواء كانت بيولوجية أو اجتماعية، وتتميز هذه المرحلة بدرجة الاكتفاء أو الرضى التي تتصل بأداء الفرد وسلوكه. وتختلف هذه الدرجة من فرد لأخر ومن موقف ويعتمد ذلك على نوعية الدافع ودرجة نشاطه وشدة، كما يعتمد أيضاً على مستوى طموح الفرد وصورة ذاته ومفهومه عن الآخرين.

جـ- مرحلة الاتزان، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل نشاط الدافع حيث يتم التوافق أو التعادل في عملية التفاعل بين تركيب أجهزة الفرد ووظائف هذه الأجهزة، ومن ثم يحدث التوازن بين الفرد وبين عناصر البيئة الخارجية، ويصل الدافع إلى مرحلة من الاستقرار هي مؤقتة بطبيعة الحال – وذلك إلى أن ينشط من جديد. ولو نظرنا إلى هذه المراحل الثلاث لوجدنا أن كل مرحلة لها أثر من نوع خاص على علاقة الفرد بالجماعة.

ففي المرحلة الأولى وهي مرحلة الإلحاد نجد أن علاقة الفرد بالآخرين من أفراد الجماعة تتخذ صيغة متمنية قد يغلب عليها التنافس أو التعاون مع أفراد آخرين أو الانضمام إلى عشائر Subgroups أو تنظيمات Organizations أو نظم Systems حيث يبحث الفرد وبطريقة واضحة عن حاجته التي تتعلق بإشباع هذا الدافع النشط أو قد يتضطرب هذه العلاقة بين الفرد والجماعة. نتيجة لارتفاع درجة الإلحاد عن درجة قدرة الجماعة في توفير الأماكن المناسبة لإشباع دوافع الفرد.

وفي هذه المرحلة كذلك نجد أن علاقة الفرد بالجماعة قد تميزت بنوع خاص من الحراك Mobility حيث يكون أهم خصائص هذا الحراك محاولة انتقال الفرد إلى مراكز الاهتمام، بل ربما تدعى هذه المراكز إلى بؤرة الزعامنة والقيادة من الجماعة.

وفي جميع الحالات فإننا نرى أن مرحلة الإلحاد هذه هي أهم مراحل نشاط الدافع النفسي لأن فيها تتضح درجته من الشدة والتأثير على علاقة الفرد بالجماعة.

أما في المرحلة الثانية وهي مرحلة إشباع الدافع نجد أن العلاقة بين الفرد والجماعة اتخذت صيغة أخرى غير تلك التي كانت عليها في المرحلة السابقة.

نلاحظ أن هذه العلاقة تميز بتنظيم من نوع خاص حيث يقل فيه الحراك إلى الحد الأدنى وتصبح العلاقة من الفرد والجماعة مجموعة من الشرائح المتتالية حيث يكون لكل شريحة درجة مختلفة من الاستقرار النسبي، وفي نهاية مرحلة الإشباع تبلور العلاقة بين الفرد والجماعة وتتخذ صورتها المحددة، وخاصة أن هذه العلاقة قد خضعت لعملية تقييم ضمني يقوم بها الفرد من حينآخر.

يلى ذلك مرحلة الاتزان أو التوازن، حيث نلاحظ أن علاقة الفرد بالجماعة قد اتخذت صيغة الاستقرار ولكنها الاستقرار المؤقت الذي لا بد وأن يعود إلى النشاط مرة أخرى، وربما كان هذا أهم ما يميز استقرار الدافع. أو بمعنى آخر وأكثر توضيحاً: علاقة الفرد بالجماعة في هذه المرحلة الأخيرة تكون علاقة الاتزان الحركي وليس الاتزان الساكن.

يقودنا الحوار السابق إلى مفهوم يتعدد كثيراً عند الحديث عن مراحل نشاط الدافع النفسي وهو مفهوم التسامي أو الإعلاء Sublimation وهو تعبير أحياناً يرتبط بالغرizia كذلك عندما يتحدث البعض عن إعلاء الغرizia أو التسامي بها.

ونحن نريد في الفقرة التالية أن نوضح معنى عملية التسامي من الناحية العلمية أو كما يجب أن يتم تفسيرها حيث إن كل الكتابات السابقة أو معظمها كان يتناول المعنى الوظيفي للتسامي أما نحن فسوف نتناول المعنى البنائي لها.

كلمة التسامي Sublimation هي أصلاً في قاموس الكيمياء وبالذات في وصف خواص المادة. ونحن نعلم أن كل مادة لها ثلاثة حالات: هي الحالة الصلبة واللحالة السائلة واللحالة الغازية أو البخارية. وعند تسخين المادة فإنها تنتقل من حالة الصلابة إلى حالة السائلة، وباستمرار التسخين فإنها تنتقل إلى الحالة الغازية. فعلى سبيل المثال إذا أخذنا قطعة من الثلج (صلبة) وعرضناها للحرارة فإنها تحول إلى الماء (سائل) ثم باستمرار الحرارة تحول إلى بخار الماء (غاز).

ولكن هناك بعض المواد الصلبة عندما تتعرض للحرارة فإنها تحول مباشرة إلى الحالة الغازية أو البخارية دون المرور بمرحلة السائلة. مثل مادة اليود أو الثلج الجاف (ثاني أكسيد الكربون المجمد) وفي هذه الحالة نقول أن هذه تسامت أو حدث ما يسمى بالتسامي.

ونحن نريد في هذا المجال أن نقول أن الدافع بمراحله الثلاث يشبه إلى حد كبير المادة في حالتها الأصلية، وعليه فإن تسامي الدافع هو عبارة عن انتقال الدافع من مرحلة الإلحاد (التوتر) مباشرة إلى مرحلة الاتزان دون المرور بمرحلة الإشباع.

وهنا يمكن أن نفسر الكثير من الدوافع النشطة مثل دافع الجنس عند الشباب في مجتمع يعطي للجنس القدسية ويفرض عليه بعض الشروط، وكذلك دافع الجوع عند الصائمين: حيث نجد أن أيها من هؤلاء يتزن مع نفسه ويبيته دون أن يشعـع دافع الجنس أو دافع الجوع.

ندخل الآن إلى مجال تفسير الدافع حتى يستعين القارئ بما سوف نسوقه من تفسيرات في استنباط مدى تأثير الدافع والداعية على علاقة الفرد بالجماعة.

ربما كان أقرب ما نشير إليه هو تفسير يقوم على العمليات الحيوية التي يتميز بها الإنسان أو كما سمي في بعض الكتابات التفسير الفسيولوجي للدّوافع^(١). والحقيقة أن هذا التفسير يقوم على حقائق علم وظائف الأعضاء Physiology وكذلك التشريح Anatomy

ويعتقد أصحاب هذه الفكرة في تفسير الدافع أن أي مثير سواء كان داخلياً أو خارجياً يسبب – عندما يدخل مجال إدراك الكائن الحي – نوعاً من التغيرات البيوكيميائية التي تشمل غالباً إفرازات الغدد الصماء والغدد القنوية، وبناء على هذا النشاط البيوكيميائي يتواتر الدافع، ومن ثم يسلك الفرد من أجل إشباعه.

ربما كان هذا التفسير يلتقي إلى حد واضح مع تعريفنا السابق للدّوافع، فإن تفاعل وظيفة أجهزة الكائن الحي مع تركيبها في وجود هذا المثير أو ذاك أدى إلى هذا النشاط البيوكيميائي الذي بدوره يؤدي إلى حالة التوتر والتي سميّناها الدافع.

قد لا يكون هذا التفسير مقبولاً من جميع المشتغلين بعلم نفس الدّوافع ولكنه قد يكون قادراً على توضيح بعض الدّوافع وخاصة دوافع الجوع والجنس وما إلى ذلك.

قد تكون هناك وجهة نظر أخرى تفسر الدّوافع تفسيراً عصبياً أي يعتمد على نشاط وفعالية الجهاز العصبي عند الإنسان، وخاصة أن هناك العديد من البحوث التي تراكمت في السنوات الأخيرة حول علاقة جهاز الإيقاظ أو التنبيه في المخ بالانفعال والداعية واتصاله المتبدّل مع القشرة الدماغية، وكذلك حول نوعية الطاقة الحيوية في الخلية العصبية سواء كانت سريعة التحول أي لا تستغرق في ذلك أكثر من $\frac{1}{100}$ من الثانية، وبطيئة التحول أي تستغرق $\frac{15}{100}$ إلى $\frac{3}{100}$ من الثانية الواحدة.

وقد ورد ضمن نتائج هذه البحوث حقيقة ذات أهمية كبيرة في مجال سيكولوجية الدّوافع وهي أن الخلية العصبية تتعرض في بعض الأحيان لعوامل التعب والإنهيار الذي يؤدي إلى الكف، وقد يستغرق ذلك مدة أطول بكثير من أجزاء الثانية. هذه الحقيقة العصبية تفسّر لماذا يتباطأ الفرد في تقديم استجابة خاصة لإشباع دافع خاص. مثل الفرد الذي يدهمه الخطر فتجده يتلکأ قليلاً قبل أن يقدم استجابة الهرب. (لاحظ أن الدافع هو دافع تجنب الأذى أو حب البقاء وأن الانفعال هو الخوف والاستجابة هي الهرب).

(١) سعد عبد الرحمن السلوك الإنساني: تحليل وقياس التغيرات ط ٣ مكتبة الفلاح ١٩٨٣.

وهناك أيضا وجهات نظر ثالثة ورابعة وهكذا في تفسيرنا للد الواقع، منها ما يربط الدافع بالغريزة كما هي وجهات نظر مدرسة التحليل النفسي الคลasicية حيث يفسر فرويد جميع دوافع الإنسان في إطار غريزتين فقط هما غريزة الجنس أو بقاء النوع (الحياة) ثم غريزة الموت بما فيها عدوان وكراهة وغير ذلك. وبهذا فقد نظر فرويد إلى د الواقع الإنسان من خلال طرف مقياس لا تدريج له ولا وسط فيه.

ومن وجهات النظر هذه ما يفسر الواقع من خلال وظيفتها أو من خلال ديناميكية السلوك وغير ذلك.

٢- الحاجات:

الحاجة هي ما يشبع الواقع إشباعاً مرحاً، وذلك إذا سلمنا أن د الواقع الإنسان في نشاط دائم.

فالطعام هو الحاجة عندما يكون الجوع هو الواقع، والتفوق هو الحاجة عندما يكون الواقع هو تحقيق الذات أو الإنجاز.

ومن هنا نرى أن الحاجات ترتبط دائماً بالد الواقع، وبالتالي لابد أن يكون لها أثر علاقة الفرد بالجماعة، وسوف يتضح ذلك عندما نستعرض فكرة ترتيب أو تنظيم الحاجات النفسية عند الإنسان كما أشار إليها بعض المشغلين بهذا الفرع من علم النفس. يرى (ماسلو) أن د الواقع الفرد وحاجاته النفسية والبيولوجية يمكن أن ترتب أو تنظم في شكل هرمي يكون قاعده الحاجات الفسيولوجية مثل الطعام والشراب والجنس والهواء... إلخ. وهذه كما هو واضح تتصل بدوافع الجوع والعطش والجنس والتنفس على الترتيب.

ثم يلى ذلك أي يعلو قاعدة الهرم مجموعة من الحاجات تسمى حاجات الأمن والطمأنينة، وهذه ترتبط بها د الواقع تجنب الأذى والدفاع عن الذات وما إلى ذلك.

بل إنه يجب أن نفهم العلاقة بين الفرد والجماعة من هذه الزاوية، إذ أن الفرد يتتمى إلى جماعة ما بحثاً عن الأمان ومتجنبًا للأذى إذا عاش بمفرده.

ومن ثم تكون هذه الحاجات - وهذه بالذات - من أهم عوامل ارتباط الفرد بالجماعة. ثم يأتي بعد ذلك في الترتيب مجموعة من الحاجات تسمى «حاجات الحب والرفقة» وهذه ترتبط بدوافع الرعاية والعناية والحب والانتماء، وهنا أيضاً تعود ونؤكّد أهمية هذا النوع من الحاجات في عملية ارتباط الفرد بالجماعة من جهد لرعاية الفرد والاهتمام به والالتزام نحوه.

ثم تأتي في أعلى الهرم حاجات الذات. وهي التي ترتبط بدافع الذات مثل تحقيق الذات وتقديرها والأمر هنا أكثر من واضح، إذ أن الحاجة إلى تحقيق الذات تعطي لعلاقة الفرد بالجامعة لونا خاصا من التنافس أو التعاون أو بذل الحد الأقصى للجهد، كما أن الحاجة إلى تقدير الذات تعطي علاقة الجماعة بالفرد صيغة محددة من الإنابة والثناء والتقدير.

٣- الأهداف:

الهدف هو النهاية المحتملة لكل دافع وذلك لأن سلوك الإنسان غرضي أو هدفي حتى السلوك غير السوي (المرضي) فإن له هدفا وغاية. وأهداف الفرد تحدد علاقته بالجامعة وتؤثر في تفاعله مع بقية أفرادها لأن هذه الأهداف هي التي ترسم للفرد مسار سلوكه وكيفية الوصول إليها. هذا من ناحية الوظيفة أما من ناحية المعنى فإن الأهداف تخضع الفرد في مكان محدد داخل الجماعة. بناء على مدى مشروعية هذه الأهداف ومدى اتفاقها مع الأهداف العامة للجماعة يتحدد مكان الفرد بين الآخرين – كما يتضح – قوة واتجاه تفاعل الآخرين مع الفرد، إذ عندما تكون أهدافه منسجمة مع أهداف الجماعة تكون العلاقة تدعيميا وتعزيزا، أما إذا كانت غير ذلك فإن هذه العلاقة تكون علاقة منع وكف وضغط.

٤- صورة الذات عند الفرد:

وهذا متغير آخر من المتغيرات التي تؤثر في علاقة الفرد بالجامعة والحديث عن صورة الذات هو من الأحاديث التي يشترك فيها جميع المتخصصين في علوم الإنسان.. فالفلسفه يتحدثون عن الذات. وعلماء النفس يناقشون بل ويجربون في مجال مفهوم الذات وصورتها، وكذلك علماء الأجناس والسلالات يعتبرون صورة الذات أو مفهومها من المتغيرات الأساسية التي تدخل ضمن اعتبارهم ودراساتهم، وصورة الذات هي مفهوم الفرد عن نفسه بكل ما فيها من خصائص أو قدرات أو سمات.

وهذه الصورة قد تكون قريبة من (الواقع) ولو أنه ليس هناك واقع في مجال مفهوم الفرد عن نفسه – وقد تكون بعيدة عنه، قد تكون هذه الصورة قريبة من فهم الآخرين لذات الفرد، وقد تكون بعيدة عن هذا الفهم وبناء على هذه المسافات والأبعاد تتحدد علاقة الفرد بالجامعة.

قد يكون مفهوم الفرد عن نفسه أنه على درجة متقدمة من الذكاء والمهارة، ولكن مفهوم الجماعة عنه بعيد عن ذلك، ومن ثم نجد أن هناك مسافة واضحة بين صورة

الذات عند الفرد وبين ما يفهمه الجماعة عنه، وعليه تكون العلاقة غير ذات تنظيم واضح يشبع الفرد ويريح الجماعة.

والحقيقة أن هذه النقطة ذات أهمية بالغة في دراسات الإدراك الاجتماعي وخاصة تلك الدراسات التي اتخذت المدخل الكمي أساساً لمنهجها بجانب ما يتطلبه المنهج العام من وصف وحوار ومناقشة. لذلك سوف نترك هذا التفصيل إلى مكان آخر في هذا الكتاب عندما نناقش موضوع الأدراك الاجتماعي مناقشة مستقلة.

يتضح مما سبق أهمية مفهوم الفرد عن ذاته في علاقته بالجماعة، وقد يكون من المفيد أن نشير إلى كيفية تكوين وتطور هذا المفهوم.

تشا صورة الذات مع بداية النشأة الاجتماعية للطفل أى عندما يتبدل التفاعل الاجتماعي مع الآخرين مع ملاحظة أن صورة الذات هذه تشمل جميع خصائص الفرد الجسمية الفيزيقية والعقلية والنفسية وغير ذلك.

وتنمو هذه الصورة أثناء التفاعل والاحتكاك إذ يمثل الآخرون مصدراً أساسياً من مصادر تكوين صورة الذات عند الفرد: حيث يستقبل الطفل، والفرد عموماً إدراكات الآخرين له ثم يقوم باستدلالها ومعالجتها ذهنياً ليحوّلها إلى بعض مكونات صورة ذاته.

ونشير أيضاً إلى أن هناك بعض المفاهيم الأخرى التي ترتبط بصورة الذات عند الفرد، مثل الذات الواقعية أو الحقيقة ومن الطبيعي أن نسلم أنه ليست هناك ذات حقيقة مطلقة، وإنما كل حقيقة هي نسبية؛ ولذلك نفضل أن نطلق عليها الذات الواقعية بدلاً من الحقيقة، وهي عبارة عن الذات كما تحددها المعايير الواقعية التي تفترضها الجماعة وتبنّاها في ثقافتها وحضارتها.

وربما اتصل هذا المفهوم – الذات الواقعية – بمفهوم الذات كما يجب أن تكون أو كما يتوقع أن تكون، وهذه ذات الفرد، كما تؤهله له قدراته وخصائصه وما كان يتوقع منه أو ما يجب عليه أن يكونه.

وهذا التكوين أو هذا المفهوم هو في حقيقة الأمر من المحاور في علاقة الفرد بالجماعة وعلاقة الجماعة بالفرد؛ لأن المعايير الحضارية والثقافية هي من وضع الجماعة وهي في نفس الوقت الأطر التي ينشط في حدودها الفرد.

وهناك أيضاً مفهوم الذات المثالية أو المثل الأعلى وهي مجموعة من القيم والمبادئ، والتكتوبات النفسية يجمعها الفرد ويجعل منها تنظيماً متناقضاً يسميه الذات

المثالية – وهي في ذلك تختلف عن الذات القدوة التي تكون عبارة عن ذات أخرى محددة يحاول الفرد أن يتمتص خصائصها أو يتوحد معها وخاصة على مستوى الإدراك والشعور .

ويعنى آخر نجد أن الذات المثالية قد تكون من نسيج الخيال والتوقعات والإرهاصات ، أما الذات القدوة فهي ذات مائلة حقيقية يقتدى بها الفرد في سلوكه وردود أفعاله .

وقد يتصل هذا المفهوم – مفهوم الذات المثالية – بمفهوم الذات كما يجب أن يكونها الفرد دون أن يكون في إطار قدراته أو خصائصه وإمكاناته .

٥- مفهوم الفرد عن الآخرين:

وهذا متغير آخر يؤثر في علاقة الفرد بالجماعة ، وخاصة من حيث تنظيم استجابات الفرد للمثيرات المتوافرة في مجال الجماعة .

ومفهوم الفرد عن الجماعة يحدد درجة انتماهه إليها فقد يدرك الجماعة على أنها جماعة مرحبة مشجعة توفر حاجاته من أمن وطمأنينة وصداقة ورفقة فتزداد درجة انتماهه إلى الجماعة وينشط تفاعله معها .

أما إذا أدرك الجماعة على أنها غير ذلك أصبح يتلمس الطريق للخروج منها أو الانسحاب من الواقع الاجتماعية التي تكون مجال الجماعة أو تقديم الاستجابات الساكنة أو المحايدة لمجموعة المثيرات التي تقدمها الجماعة .

ومفهوم الفرد عن الجماعة يحدد نوعية تفاعله معها فعندما يدركها متسامحة أصبح تفاعله حرا غير مقيد أما إذا أدركها على أنها عقایة أصبح تفاعله مع الآخرين حذرا كما تصبح توقعاته أيضا من الجماعة وأفرادها غير توقعاته منهم في الحالة الأولى .

٦- القيم:

عندما نناقش القيم فإننا نناقش الأبعاد الحضارية العامة التي تكون هيكل البناء الاجتماعي للإنسانية ، ونناقش أيضا الأبعاد الخاصة التي يقوم عليها النشاط الإنساني في كل وقت وفي كل مكان .

القيم أشبه ما تكون بشكل هندسى متعدد الأضلاع يمكن رؤيته من زوايا مختلفة وفى أشكال مختلفة .

المتخصص فى علم النفس الاجتماعى له رؤية خاصة ، والمتخصص فى علم الاجتماع له رؤية ثانية والمتخصص فى علم الإنسان له رؤية ثالثة ، والfilisوف له رؤية رابعة ، والمتخصص فى القانون له رؤية أخرى وهكذا . . .

ولكن يتفق الجميع على كيان القيم وأثرها الواضح في علاقة الفرد بالجامعة، وخاصة من حيث تنظيم هذه العلاقة ووضعها في مسارات وقنوات تحافظ على نور الجامعة وتشبع رغبات الفرد.

والقيمة – من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي – هي تنظيم خاص لخبرة الفرد ينشأ في مواقف المفضلة والاختيار ليصبح دينامية تكمن خلف سلوك الفرد كما يتحول إلى وحدة عيارية على الصعيد الاجتماعي للإنسان.

وفي ظل التعريف الذي افترضه وتبناه الكاتب في كتابات سابقة^(١). يمكن أن نوضح مدى تأثير القيم على علاقة الفرد بالجامعة والجامعة بالفرد. فمواقف المفضلة والاختيار هي مواقف تبادل خبرة بين الفرد والآخرين وهي الموقف التي تنشأ فيها القيمة كما أن الصعيد الاجتماعي لا يتكون من الداخل – حتى لو أخذنا بأراء مدرسة التحليل النفسي – وإنما يتكون من مجموعة من الخبرات تسوقها الجماعة أثناء تفاعلها مع الفرد، كما أن تحول القيمة إلى وحدة عيارية يعني تحول القيمة إلى حالة الفعل حيث يستخدمها الفرد – كوحدة عيارية – للحكم على صحة وخطأ استجابات الأفراد الآخرين – أو حتى استجاباتهم – للمؤشرات الاجتماعية وهناك عدة أنواع من القيم سبق أن تناولتها معظم المراجع في هذا المجال، مثل القيمة الروحية أو الدينية وهي القيمة التي يرتبط بها سلوك الدين والعمادة والإيمان بالغيب وما إلى ذلك^(٢).

والقيمة العلمية أو النظرية ويتصل بها سلوك الشك والبحث عن الحقيقة وكذلك السلوك الاختباري (المختبرى) وغير ذلك مما يتصل بطبيعة العلم والنظرية.

والقيمة الاجتماعية ويتصل بها سلوك التجمع والبحث عن الرفاق والأصدقاء والهروب من العزلة والاهتمام بالطاعة الاجتماعية والمسايرة وتدعم النظم الاجتماعية وغير ذلك.

والقيمة السياسية ويتصل بها سلوك إدارة الأفراد والسعى إلى مراكز الرعامة والقيادة وما إلى ذلك.

والقيمة الاقتصادية ويتصل بها سلوك التوفير في جميع مصادر الطاقة التي يستخدمها الإنسان مثل الوقت أو الجهد أو المال.

وأخيرا قيمة تذوق الجمال أو القيمة الجمالية ويرتبط بها مجموعة من الأنماط السلوكية الفنية من رسم وموسيقى وشعر وغير ذلك مما يمكن أن يتذوق فيه الإنسان معنى الجمال.

(١) أسس القياس النفسي الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٧ القاهرة.

(٢) السلوك الإنساني تحليل وقياس المتغيرات ط ١٩٨٣ الكويت.

وإذا نظرنا الآن إلى هذه المجموعة من القيم سوف نجد أنها بلا أدنى شك ذات أثر — لابد وأن يكون واضحًا — على علاقة الفرد بالجماعة. وإذا أردنا أن نستطرد سوف نقول أن هذه القيم عندما تقوى وتشتد فإنها تصبح من عموميات النسيج الاجتماعي في أي جماعة وتتصبح كذلك من إلزاميات توجيهه تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ومصدراً من مصادر التشريع وسن القوانين وتدعم قواعد السلوك وبذل الضغط على الأفراد الذين يحاولون الخروج عن النظام العام للمجموعة. هذه القيم منها ما يستند على خلفية دينية أو بمعنى آخر تكون مشتقة من دين أو عقيدة وهذه تكون أقوى أنواع القيم تأثيراً أو أكثرها استمرارية. ومن هذه القيم ما تستند على خلفية من الممارسات الحضارية اليومية أي تكون مشتقة من واقع خبرة الفرد ونظم تفاعله مع الآخرين.

وسوف نعود إلى القيم مرة أخرى في مكان آخر من هذا الحوار.

ولكن ما نهتم به حالياً هو أن يرى القارئ مدى أهمية القيم كمتغيرات تؤثر في علاقة الفرد بالجماعة.

٧- المعايير:

المعيار هو مقياس نسبي تتفق عليه جماعة معينة في موقف معين لتحكم به على مدى صحة سلوك أي فرد من أفرادها في هذا الموقف بالذات.

وهذا يعني أن المعايير أكثر نسبية من القيم وأقل ثباتاً منها، ولتوسيع معنى المعيار نقول أن سلوك تناول الطعام ليس خطأ على وجه العموم ولكن تناول الطعام أثناء المحاضرة أو الدرس يعتبر خطأ يستوجب العقوبة في هذا الموقف بالذات.

ومن الناحية الأخرى نحن نعلم أن سلوك القتل خطأ على وجه العموم ولكن عملية القتل أثناء معركة حربية هو سلوك صحيح يستوجب التشجيع والإشادة.

هذا ما قصدنا إليه وهو أن المعيار مقياس نسبي يتبع تصور جماعة معينة في موقف معين.

والمعايير في جميع الحالات تكتسب قوتها وفعاليتها من كثرة استخدامها حيث يدل ذلك على مدى قربها من التفكير العلمي والمفهوم الإجرائي لنشاط الجماعة إذ أن هناك بعض المعايير لا تستخدم نتيجة عدم قدرتها على إشباع حاجة الجماعة في النمو والاستمرار وهذه تضعف إلى أن تخفي من نسيج الجماعة.

والمعايير عندما تقوى وتشتد وتكتسب قدرًا معيناً من الثبات والاستقرار فإنها تحول إلى قيم وتدخل إلى حضارة الجماعة وثقافتها وتتصبح ذات مكان في نسق أو بروفيل القيم في هذه الجماعة أو تلك.

فعلى سبيل المثال هناك معيار اتفق عليه الجماعة لاظهار واجب التقدير والاحترام لن يقوم على تعليم أطفال هذه الجماعة، وقد وجد الآباء والأمهات ومن يقوم على عملية تعليم الأطفال أن هذا المعيار عملي وإجرائي ونافع ومفيد فكثير استخدامه كما ارتبطت به أيضا قيمة أخرى هي قيمة احترام كبر السن وذلك لأن المعلم بطبيعة الحال أكبر سنا من الأطفال.

و هنا يمكن أن نقول أن قيمة احترام المعلم واحترام كبر السن معايير متطرفة إلى قيم. أما قيمة احترام الوالدين فهي قيمة بالاصل لأنها مشتقة فعلا من خلفية دينية وكذلك قيمة احترام الأنسى (الأم).

٨- الاتجاهات النفسية:

الاتجاه النفسي استعداد عقلي عصبي أحدثته الخبرة الحادة المتكررة، وهذا الاتجاه وبهذا المعنى يدفع بالفرد قريبا أو بعيدا من عناصر البيئة الخارجية سواء كانت هذه البيئة مادية أو معنوية أو بشرية.

وعليه فإن الاتجاهات النفسية لابد وأن تكون ذات أثر واضح على علاقة الفرد بالجماعة. والاتجاهات ذات أنواع متعددة حيث يمكن أن تعرف على الاتجاهات العامة والتوعية: الاتجاهات العامة هي التي تشمل العنصر أو الموضوع بأكمله في حين أن الاتجاهات النوعية هي التي تختص بجزئية محددة من العنصر. كما أن الاتجاه العام أكثر ثباتا من الاتجاه النوعي:

هناك أيضا الاتجاه الفردي والاتجاه الجماعي ثم الاتجاه العلني والاتجاه السري والاتجاه الموجب والاتجاه السالب، والاتجاه القوي والاتجاه الضعيف.

والحقيقة أن وظيفة هذه الاتجاهات جمعها بأنواعها المختلفة تتصل اتصالا وثيقا بنوعية العلاقة بين الفرد والجماعة. فالاتجاهات الموجبة القوية العامة تجعل من علاقة الفرد بالجماعة علاقة ذات معنى خاص قد تصل به إلى مراكز القيادة والزعامة فيها، أما الاتجاهات السالبة والتي تدفع بالفرد بعيدا عن مكونات البيئة فإنها تدخله في صراع مع أفراد الجماعة ومؤسساتها المختلفة وتبعده كذلك عن مراكز الصدارة فيها. ولكن هذا لا يعني أن الاتجاه السالب في هذه الحالة هو دائما اتجاه معيب فأتجاهات الرفق في موقف ما من مواقف الجماعة قد تكون صحيحة من وجهة نظر الفرد. ومن وجهة نظر بعض الآخرين، ولكن لا تكون كذلك من وجهة نظر الجماعة كشخصية معنوية وكذلك معظم الآخرين.

إن تعارض الاتجاهات هو أمر متوقع في جماعة حية نشطة، ويصبح من الطبيعي أن تتبع هذه الاتجاهات المتعارضة محصلة تشير إلى اتجاه تام موحد أو متكامل، ولكن ليس من الطبيعي أبداً أن يحاول بعض هذه الاتجاهات قهر البعض الآخر به من أجل أن يسود هذا البعض من الاتجاه ويحمي هذا البعض الآخر.

هذا التعارض وهذا الصراع هو الذي يعطي الصيغة المحددة لعلاقة الفرد بجماعة ما.

٩- العادات:

العادة الاجتماعية غط من أنماط السلوك الفردي الذي يكتسب صفة الشيوع والانتشار ويتقل بالتألي في تكوينات الجماعة المختلفة محدثاً نوعاً من التناسق الذي ينشأ عن التقليد والمحاكاة.

وعلى هذا فإن العادات متغير آخر يؤثر في علاقة الفرد بالجماعة من حيث مدى تقبل الفرد في إطار الجماعة.

فعلى سبيل المثال تناول نوع معين من أنواع الأطعمة أو المشروبات مثل الشاي أو القهوة في مناسبات معينة يعتبر عادة اجتماعية تميز بعض الجماعات عن البعض الآخر، وكذلك لأن يلبس الفرد نوعاً خاصاً من الملبس في مناسبة معينة لهو عادة اجتماعية أخرى.

ومن المتوقع بطبيعة الحال أن يساير الفرد مثل هذه العادات حتى يدخل إلى إطار الجماعة.

وما يجدر الإشارة إليه أن العادات عندما تقوى وتشتد نتيجة تكرار الممارسة وشدة الشيوع فإنها تحول إلى تقاليد.

١٠- التقاليد:

التقاليد مجموعة من الأنماط السلوكية الجماعية الموروثة والتي تنتقل من جيل إلى جيل وبذلك فهي ذات أثر كبير في نشاط الجماعة وتفاعل أفرادها وتعتبر متغيراً أساسياً من المتغيرات التي توجه علاقة الفرد بالجماعة.

والتقاليد - دون الحاجة إلى مناقشة وتوضيح - هي مصدر أساسى بجانب القيم من مصادر الإلزام والتشريع في الجماعة فهي أساس للقاعدة والقانون والحكم على السلوك بالصحة والسوء أو الشذوذ والتجريم. وهي - أي التقاليد - تدخل بذلك دائرة عموميات الجماعة، وخاصة إذا كانت تؤازرها القيمة والدين والعقيدة، فتصبح بذلك

ذات قوة من نوع خاص تؤثر ليس فقط في علاقة الفرد بالجامعة أو علاقة الجامعة بالفرد وإنما في التشكيل العام للجامعة ونظامها وبنائها.

والعلاقة بين القيم والتقاليد علاقة تبادلية يقوى كل منهما الآخر وذلك في وجود الدين والعقيدة كأساس لكل منها.

عرض وتعليق:

في الفقرات السابقة أشرنا في غير تفصيل إلى المتغيرات المحتملة والتي يمكن أن تؤثر في علاقة الفرد بالجامعة وصنفت هذه المتغيرات إلى عشرة: حيث كانت هي الدوافع وال حاجات والأهداف وصورة الذات ومفهوم الفرد من الآخرين وهذه تبدأ من حيث يقدم الفرد على التعامل مع الجامعة، وكذلك كانت القيم والمعايير والاتجاهات النفسية والعادات والتقاليد وهذه تبدأ من حيث تقدم الجامعة على التعامل مع الفرد.

والحقيقة نحن لا نميل إلى الفصل بين الفرد والجامعة إذ أن كلاهما يتكملا مع الآخر فلا يمكن أن تكون هناك جماعة دون أفراد ولا يمكن أن يكون هناك فرد في غير إطار جماعة حتى لو كانت هذه الجماعة افتراضية.

وقد أوضحنا أهمية هذه المتغيرات العشرة في التأثير على العلاقة المتبادلة بين الفرد والجامعة وهي أهمية لا يمكن عدم الالتفات إليها بل يجب أن تؤخذ دائماً في الاعتبار عند دراسة الجماعات وسيكولوجية الأفراد أثناء التفاعل الاجتماعي.

يبقى الآن ما ادخلناه لهذه الفقرات وهي مناقشة التفاعل الداخلي أو البيئي لهذه المتغيرات العشرة فهي لا تعمل في صيغة أحادية – أي أن كل متغير لا يعمل أبداً بمفرده ولكنها تعمل في صيغة جماعية حيث هناك هذا التفاعل الداخلي بينها جميعاً الذي يؤدي إلى تكوين ما يسمى بشبكة العلاقات الاجتماعية.

هذا التفاعل يتضح على سبيل المثال عندما تتفاعل الدوافع مع القيم في وجود المتغيرات الأخرى، فعندما يريد الإنسان أن يشبع بعض دوافعه بطريقة أو بأخرى فإنه يجد أمامه النظم والقواعد التي أرستها قيم المجتمع وتقاليده لتنظيم وتنسيق إشباع هذه الدوافع.

ومن هنا يبدأ التفاعل بين هذه الدوافع وتلك القيم فإذا أن تسير الدوافع في المسار الذي حددته القيم، وبالتالي يصبح نشاط الفرد في إطار الطاعة الاجتماعية التي فرضتها الجماعة أو أن ينحرف الفرد في إشباع دوافعه، ومن ثم يعتبر من الخارجين على الجماعة

التي تقف منه مواقف الكف والمنع والعقاب إذا اقتضى الأمر. يتضح هذا التفاعل أيضاً عندما تتفاعل صورة الذات مع اتجاهات الفرد نحو بعض عناصر البيئة، وخاصة اتجاهات التعجب والتحامل وبالذات العرقية منها حيث نجد أن صورة الذات تقوى وتعزز هذا النوع من الاتجاهات، كما نجد أن هذه الاتجاهات تعزز صورة الذات وتدعيمها وتقوى من كيانها.

وهكذا نستطيع أن نحدد (٤٥) نوعاً من أنواع هذا التفاعل البيني إذ أن عدد

$$\text{المتغيرات عشرة فيكون احتمالات التفاعل } \frac{9 \times 10}{1 \times 2} = 45$$

وي يكن أيضاً أن نعرض نموذجاً من هذا التفاعل عندما نستعرض نظرية سابقة قدّمها المؤلف في مرجع سابق وقد تحدّثنا في هذه النظرية عن السلوك المنظور وغير المنظور وقلنا أنه في منطقة السلوك غير المنظور يغلب الدافع على أي متغير آخر يكون له علاقة بسلوك الإنسان^(١). وهنا نجد أن دوافع الفرد تكون لها الأولوية على بقية المتغيرات وإن كانت هذه البقية تدخل أيضاً مجال نشاط الفرد في المنطقة غير المنظورة.

نجد أيضاً أنه في منطقة السلوك المنظور تتبادل القيمة الأولوية مع الدافع فتتأتى القيمة في المقدمة وبالذات في الجزء الأول من منطقة السلوك المنظور ويسمى هذا الجزء بمجال السعي أو البحث ثم يلي ذلك جزء آخر وهو مجال الهدف حيث تكون الأولوية والأهمية لاتجاه النّفسي دون بقية المتغيرات.

وقد أقمنا هذه النظرية والتي نرى أنها تفسر سلوك الفرد في يسر وسهولة بجموعة من المسلمات نعرضها على النحو التالي:

(أ) المسلم الأول: «سلوك الإنسان ليس بسيط الخلفية»

ولتفسير هذا فإننا نقول أن كل نمط سلوكي يقوم به الفرد أثما له خلفية معقدة متعددة المكونات فليس هناك متغير واحد فقط مثل الدوافع أو القيم أو الاتجاهات أو غير ذلك هو الذي يتبع سلوك الفرد، ومعنى ذلك أنه ليس هناك دالة واحدة يمكن عن طريقها استنتاج سلوك الفرد أو التنبؤ به.

وعليه فإن جميع المتغيرات والتي سبق أن أشرنا إليها لابد وأن تشتراك معاً في تكوين سلوك الفرد وإعطائه الصيغة المناسبة للموقف الذي يتفاعل مع عناصره ومكوناته.

(١) سعد عبد الرحمن السلوك الإنساني تحليل وقياس المتغيرات ص ٦٠٢ – مكتبة الفلاح ط ٣ ١٩٨٣.

(ب) المسلم الثاني، «المتغير المتعلق بسلوك الإنسان ليس أحادى الفعل أو الوظيفة»،

وهذا المسلم يعتبر مكملاً للمسلم السابق وموضحاً له فقد قلنا سابقاً أن سلوك الفرد ليس بسيط الخلية وأن هذه الخلية هي نتاج تفاعل جميع التغيرات مع بعضها البعض، وهنا نقول أن كل متغير من هذه التغيرات يشترك في إنتاج أكثر من نمط من أنماط السلوك.

فالاتجاهات على سبيل المثال تشتراك مع مجموعة أخرى من التغيرات لتعطى نمط الطاعة الاجتماعية من السلوك، والاتجاهات نفسها تشتراك مع مجموعة ثانية من التغيرات لتعطى نمط القيادة أو الزعامة في نفس الجماعة. وهكذا.

(ج) المسلم الثالث «سلوك الإنسان يبدأ بالدافع وينتهي بالغرض»،

وهذا يقودنا إلى القول بأن سلوك الإنسان غرضي دائماً، وأن سلوك الفرد في لحظة ما من موقف ما يكون محصوراً بين نقطتين هما الدافع والغرض أو الهدف، ولكن هاتين النقطتين لا تقعان على خط مستقيم أى لا تمتلان قطبيين في نهايتين كما ورد ذلك في بعض التصورات الأولية لسلوك الإنسان ووصفه بأنه ثنائى القطبية، وإنما هاتان النقطتان أى الدافع والغرض يقعان على قوس أو جزء من محيط دائرة بحيث يكون كل دافع يسبق غرضه ويليه غرض وأن كل غرض يسبق دافع ويليه دافع.

(د) المسلم الرابع «تنتقل التغيرات مع بعضها البعض بالترابط والتركيب وليس بالإضافة البسيطة»،

والقصد من هذا المسلم هو توضيح كيفية تفاعل التغيرات العشرة الأساسية التي أشرنا إليها سابقاً فإذا كان هناك دافع نشط وقيمة وتقالييد قائمة وصورة ذات محددة على سبيل المثال فإن السلوك الذي ينشأ عن تفاعل هذه التغيرات الأربع لا يكون ناتجاً بمجرد الإضافة الكمية لنشاط الدافع والقيمة والتقالييد وصورة الذات.

وإذا يتبع من تفاعل تراكمي من هذه التغيرات، وبالتالي فإن السلوك المكون يكون له من الخصائص ما يختلف عن سلوك ينشأ عن نشاط الدافع بمفرده أو القيمة بمفردها أو التقاليد أو صورة الذات؟.

ويعنى آخر حتى نوضح ما نقصده فإن التركيب الكيميائي للماء هو غاز الأكسجين + غاز الأيدروجين وعند تفاعل كلا الغازين مع بعضهما البعض لا يكون التفاعل بالإضافة ولكن بالتركيب والترابط حيث يكون الناتج هو الماء مختلفاً تماماً في خصائصه وميزاته عن كل من غاز الأكسجين بمفرده أو غاز الأيدروجين بمفرده.

في ضوء هذه المسلمات الأربع ووصفنا للمتغيرات العشرة ومناقشتنا لكيفية سلوك الإنسان ونوعيته فإننا نقترح هذه القوانين التالية كأسس تنبؤية – من وجهة نظرنا – لسلوك الفرد في موقف ما.

١- القانون الأول، قانون أولوية المتغير

ينص هذا القانون على أنه «يتأثر تركيب سلوك الفرد حسب أولوية ظهور المتغير المتعلق بهذا النمط من السلوك» ويمكن التعبير عن هذا القانون كما يلى:

أ – في منطقة السلوك غير المنظور تكون العلاقة بين القيمة والدافع كمتغيرين يتعلقان بسلوك الفرد وتفاعله مع الجماعة علاقة تناسب عكسي: $\text{أى } \text{د} \times \text{ق} = \text{مقدار ثابت } \text{k}$. حيث d هي كمية الدافعية (الدافع).

q هي مدى تأثير القيمة على سلوك الفرد.

وبذلك كلما اشتدت الدافعية عند الفرد كان أثر القيمة على سلوكه قليلاً أى $\frac{1}{\text{q}}$ تناسب مع $\text{d} \times \text{q}$.

ب – أما في منطقة السلوك المنظور تتدخل عوامل الضغوط الاجتماعية الخارجية الأخرى، وبالتالي فإن العلاقة وإن كانت علاقة تناسب عكسي بين الدافع والقيمة إلا أنها تأخذ شكلاً آخر يعبر عنه فيما يلى:

$$\text{d} \times \text{q} = \text{k} + \text{s}$$

حيث s هي أثر الضغوط الاجتماعية على سلوك الفرد، وعند إزالة أثر هذه الضغوط نحصل على العلاقة السابقة التي أشرنا إليها. أى:

$$(\text{d} \times \text{q}) - \text{s} = \text{k}$$

ج – في الجزء الأخير من السلوك المنظور أى في مجال الهدف يتعرض سلوك الفرد لنوعين من العوامل الأخرى هما الاتجاه النفسي الذي يحدد سلوك الفرد بصورة أقوى من تحديد القيمة والدافع لهذا السلوك والنوع الثاني هو الضغوط الخارجية التي تسببها بقية المتغيرات الأخرى.

ويمكن التعبير عن هذه العلاقة كما يلى:

$$\frac{د \times ق}{ج} = ك \times س$$

حيث د هي كمية الدافعية أو نشاط الدافع.
 ق هي مدى تأثير القيمة على سلوك الفرد.
 جـ هي أثر الاتجاه النفسي على السلوك.
 س هي أثر الضغوط الاجتماعية المختلفة.
 كـ مقدار ثابت.

ونحن نعلم بطبيعة الحال أن (الدافعية) تناسب طردياً مع نشاط وأثر الاتجاه النفسي (جـ) أي أن $\frac{د}{جـ} =$ مقدار ثابت وبمعنى آخر أنه كلما زادت الدافعية عند الفرد زاد أثر الاتجاه النفسي على سلوك هذا الفرد.

ونحن نعلم أيضاً أنه إذا ارتفع أثر القيمة على سلوك الفرد زاد كذلك أثر الاتجاه النفسي على سلوكه أي أن التاسب بين هذين المتغيرين تناسب طردي أي أن $\frac{ق}{جـ} =$ مقدار ثابت.

أما الدافع أو الدافعية (د) ونشاط القيمة (ق) فإن العلاقة بينهما غير ما سبق فهي ليست طردية ولكنها عكسية، وخاصة إذا كانت القيمة هي التي تحكم طريقة إشباع الدافع وعلى ذلك فإنه كلما زاد نشاط القيمة قل النشاط التلقائي للدافع أي أن $د \times ق =$ مقدار ثابت، وهذا ما يوضحه القانون السابق.

٢- القانون الثاني هو قانون تنظيم المتغير

وينص هذا القانون على أن الفرد يقوم في كل مرحلة من مراحل سلوكه بتنظيم كمية المتغير المطلوبة بناء على مدى حساسيته للغرض أو الهدف الذي يسعى إليه.
 ومعنى ذلك أن الفرد كلما اقترب من الهدف زادت قدرته على تنظيم كمية المتغير النشط أو الفعال في كل منطقة من مناطق السلوك، فقدرة الفرد على سبيل المثال على تنظيم العلاقة بين متغيرات القيمة والاتجاه النفسي والدّوافع والضغط الاجتماعي في منطقة الغرض أكثر بوضوح من قدرته على تنظيم العلاقة بين الدافع والقيمة في منطقة أخرى من مناطق السلوك.

٣- القانون الثالث هو قانون الجهد المتضاعف:

ينص هذا القانون على أنه كلما ابتعد الهدف أو الغرض من الفرد ولكن كان في متسع إدراكه؛ تضاعف الجهد الذي يبذله الفرد بمعدل متزايد. ويمكن تفسير هذا القانون

عندما نفترض أن المسافة بين الفرد والهدف هي (ف) على سبيل المثال وأن الفرد يبذل الجهد (أ) للوصول إلى الهدف فإن المسافة إذا زادت بمقدار (س) فإن جهد الفرد يرتفع إلى أ ثم إلى أ' وهكذا، بحيث تتسارع الزيادة في جهد الفرد.

٤- القانون الرابع هو قانون اتصال السلوك أو استمرارية السلوك:

وهذا يعني أن وحدات السلوك الإنساني متصلة ومتتابعة بين الدافع والغرض . وهذا يعني أيضاً أن هذا السلوك وحدة متكاملة وأن حلقاته متصلة متتابعة لتصل بين الدافع والغرض ومن هنا يمكن أن نشير إلى نقطتين :

أ – لأن ينشط الفرد ويتجه إلى الهدف لابد أن يتبعه سلوكه مستوى الدافعية ولذلك فإن أحلام اليقظة على سبيل المثال لا تصل بين الدافع والغرض وذلك لأنها سلوك دون مستوى الدافعية .

ب – أن سلوك الإنسان لا يتكرر لأنه حلقات متتابعة وهذا يمكن تفسيره إذا عرفنا أن الإنسان متغير بخصائصه وطبيعته من موقف إلى آخر وكذلك فإن كل موقف هو متغير أيضاً في بنائه وعناصره .

٥- القانون الخامس هو قانون تعديل الهدف:

وينص هذا القانون على أن الفرد يعدل من وضع الهدف ومكانه بما يتناسب مع قدراته وإمكاناته ، وهذا يعني أن العكس احتمال وليس هو القاعدة أى أن يقوم الفرد بتعديل مستوى قدرته للوصول إلى هدف ما ليس هو القاعدة العامة لسلوك الفرد تجاه الهدف .

وهذا لا يعارض مع القانون الثالث والخاص بالجهد المتضاعف ، فإن بذل النشاط لا يعني تعديلاً في مستوى القدرة وهي التي تعتبر من الخصائص المميزة والثابتة نسبياً في بناء موقف التفاعل بين الفرد والهدف .

بعد هذا العرض يأتي دور الحديث عن شبكة العلاقات الاجتماعية وهي ما أشرنا إليه سابقاً كنتيجة طبيعية لتفاعل المتغيرات العشرة التي ناقشنا أثراها على علاقة الفرد بالجماعة .

شبكة العلاقات هذه تمثل مجموعة الضغوط الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد وتتعرض لها الجماعة أيضاً فهى حصيلة تفاعل المكونات الرئيسية فى علاقة كل منها بالآخر .

ولهذه الشبكة مجموعة من الوظائف الحيوية بالنسبة للفرد والجماعة تشير إليها فيما يلي:

١ - من أهم الوظائف التي تقوم بها شبكة العلاقات الاجتماعية هي حماية الجماعة من عوامل التعرية الاجتماعية والتحلل والمحافظة على استمراريتها وتأكيد شخصيتها المعنوية.

وربما كانت أهم عوامل التعرية الاجتماعية هي موجات الغزو الحضاري والثقافي التي تتعرض لها أي جماعة من حين لآخر مثل الأيديولوجيات المختلفة والاتجاهات الفكرية المتباعدة بل حتى بعض عادات الحياة اليومية من لغة ولهجة ومكان وملبس وغير ذلك مما يحتمل أن يغير موقف الفرد من علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها.

وهنا يأتي دور شبكة العلاقات الاجتماعية في المحافظة على الجماعة وحمايتها وذلك من خلال:

أ— أحداث ما يسمى بتكامل الجماعة Group Integration وهو عبارة عن رفع مقاومة الجماعة ومانعتها أمام العوامل الخارجية وذلك عن طريق إظهار وتجسيد مقومات الجماعة حالياً وخصائصها وإنجازاتها سائقاً وتوقعاتها مستقبلاً.

فعلى سبيل المثال عندما تتعرض جماعة ما لغزو حضاري أو ثقافي نجد أن وسائل التواصل في هذه الجماعة تلعب الدور الأول والأساسى فى إحداث هذا التكامل بين الماضي بأمجاده وإنجازاته والحاضر بخصائصه وسماته والمستقبل بتوقعاته وذلك فى إطار المقومات الحضارية أو الثقافية الحالية، وهذا من أجل رفع درجة مقاومة الجماعة لهذا الغزو.

وهنا نريد أن نقول إن كل غزو حضارى أو ثقافى ليس بالضرورة ضاراً أو مدمرًا، بل قد يكون من عوامل تغير الجماعة إلى الأحسن والأفضل وربما كان المثل وأصحاً في دخول الفكر الإسلامي إلى كثير من الأقطار والجماعات بعد ممانعة ومقاومة وأصبح هذا الفكر مقوماً أساسياً من مقومات حضارة أكثر ازدهاراً بالنسبة لهذه الجماعات أو المجتمعات بما تميز به من منهج ومحنتي.

ب - رفع معدل الروح المعنوية عند أفراد الجماعة وكذلك روح الفريق وتنظيم العمل الجماعي والتعاون من أجل مساعدة الجماعة في الحفاظ على كيانها. ورفع الروح المعنوية يعني بالضرورة إحداث الثقة في الجماعة وقيادتها والاقتناع بأهدافها وإحساس الفرد بأهمية دوره في نشاط الجماعة، وهذا ما تقوم به شبكة العلاقات الاجتماعية عن

طريق أدواتها المختلفة من وسائل إعلام ومؤسسات وتنظيمات اجتماعية متعددة مثل المدرسة والأسرة وما إلى ذلك.

جـ - رفع معدل مخرجات Out Puts التفاعل الاجتماعي بدرجة واضحة عن مدخلاته In Puts .

وهذا يعني رفع مستوى فاعلية ونشاط القيم الاجتماعية والتقاليد وبقية مصادر الإلزام الأخرى.

فإن مدخلات التفاعل الاجتماعي هي مجموعة المثيرات في حين أن مخرجات هذا التفاعل هو نشاط وفاعلية الإلزاميات. ولتوسيع ذلك فإن مطلق الإشاعة في زمن السلم له عقوبة من نوع ما يحددها نشاط هذه القيم والتقاليد، وهذا يعني أن المدخلات هي إطلاق الإشاعة والمخرجات هي نوعية العقوبة المناسبة.

أما في زمن الحرب - وهذا في معناه الواسع زمن غزو حضاري يهدد الجماعة - نجد أن العقوبة أشد وأعنى وهي العقوبة التي حددتها نفس القيم والتقاليد التي قامت بذلك في زمن السلم. وهذا يعني أن معدل المخرجات (نشاط القيم) ارتفع كثيراً عن معدل المدخلات (نشاط الإشاعة).

٢ - أما الوظيفة الثانية لشبكة العلاقات الاجتماعية فهي عملية تطوير الجماعة وذلك لضمان استمراريتها وتناسبها مع ما يستجد من أحداث خارجية. ويتم ذلك عن طريق إعادة النظر من حين لآخر في مكونات وعناصر الجماعة وخاصة فيما يتصل بنشاط العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات وغير ذلك: حيث تتمكن شبكة العلاقات الاجتماعية من ممارسة الضغط السكاني الذي يؤدي إلى إلغاء تقليد ما أو تطويره أو إحلال قيمة مكان قيمة أخرى أو تعديل اتجاه معين أو إزالة عادة من العادات أو غير ذلك مما تحدده شبكة العلاقات الاجتماعية ضرورياً لاستمرارية الجماعة.

٣ - الوظيفة الثالثة لشبكة العلاقات الاجتماعية هي إعطاء الجماعة الشخصية المعنية وتتأكد هذه الشخصية المعنية وصياغتها صياغة متميزة، وهذه الوظيفة هي التي تجعل جماعة ما أو مجتمع ما مختلف عن مجتمع آخر مثل جماعات الحضر وجماعات الريف والبدو وجماعات المناطق الساحلية وهكذا.

٤ - الوظيفة الرابعة والأخيرة لشبكة العلاقات الاجتماعية هي عملية التجديد التلقائي لمكوناتها (أى مكونات الشبكة ذاتها) وهو تجديد ذاتي حتى تحافظ الشبكة على فاعليتها وقدرتها على بذل الضغط وممارسة الوظائف السابقة.

* * *

المراجع

1 -- Berelson, The behavioural Science, Harper, 1966.

2 -- Borgata, Hand book of Personality, 1969.

3 -- Kats, Racial Strereotypes J. Abn. Psych 1983.

٤ - سعد عبد الرحمن. السلوك الإنساني تحليل ومقاييس المتغيرات ١٩٨٣ م.



الفصل الثالث

مفهوم الجماعة وأنواع الجماعات

أولاً - مفهوم الجماعة في علم النفس الاجتماعي.

ثانياً - أنواع الجماعات.

ثالثاً - الخصائص النفسية لجماعة كبيرة .الجمهرة.

رابعاً - الخصائص النفسية لجماعة كبيرة أو صغيرة .الجماعة المستمعة.

خامساً - الخصائص النفسية لجماعة صغيرة . جماعة المناقشة.

سادساً - الملخص.

كانت الجماعة الكبرى لا الصغرى هي أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي في نشأته الأولى. ومن أمثلة ذلك كتاب جوستاف ليبون Le Bon عن الجمهرة، وكتاب مكدوجل Mc Dougall عن العقل الجماعي كما سبق أن بينا ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من هذا الكتاب.

ثم تحول مجال البحث في التطور المعاصر لعلم النفس الاجتماعي من الجماعات الكبرى إلى الجماعات الصغرى التي لا يكاد يزيد عدد أفرادها عن ثلاثين عضواً. يتكون وجهها لوجه، ويؤثر كل منهم في الآخر ويتأثر به بطريقة مباشرة. ويتغير سلوكهم تبعاً لمدى التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بينهم. ويتصف هذا التغيير بالдинامية التي أصبحت من أهم الظواهر التي تميز الجماعات الصغيرة إلى الحد الذي أدى إلى نشأة ميدان جديد من ميادين علم النفس الاجتماعي هو ميدان ديناميات الجماعة.

أولاً - مفهوم الجماعة في علم النفس الاجتماعي

الجماعة في مفهومها المنطقي تصنيف لطائفة من الناس يشتراكون معاً في صفة أو صفات متعددة. فهي بهذا المعنى فئة من فئات التصنيف. ومثال ذلك جماعة الأميين التي تقابلها جماعة المتعلمين، وجماعة المرضى التي تقابلها جماعة الأصحاء، وغير ذلك من التصنيفات المختلفة للأفراد.

والجماعة في علم النفس الاجتماعي هي التي يتفاعل أفرادها مع بعضهم البعض في مواقف محددة، وما ينشأ عن هذا التفاعل في تلك المواقف من علاقات اجتماعية متبادلة. وقد يصبح هذا التفاعل مقصوراً على فردٍ فتُسمى الجماعة: جماعة ثنائية، وقد يمتد هذا التفاعل إلى ما يقرب من ثلاثين فرداً فتُسمى الجماعة: جماعة صغيرة، وقد يزيد عدد الجماعة عن ذلك الحد بكثير، فتقبل بذلك حدة التفاعل ويصعب لقاء الأفراد وجهاً لوجه وتفاعلهم فرداً مع كل فرد بطريقة مباشرة، فتُسمى الجماعة: جماعة كبيرة.

ويهتم علم النفس الاجتماعي المعاصر بالجماعة الصغيرة أكثر من اهتمامه بالجماعة الكبيرة.

والجماعة الصغيرة كما يعرفها سميث⁽¹⁾. Smith. وحدة تتكون من مجموعة قليلة من الأفراد الذين يتصفون بإدراك اجتماعي مشترك أو متشابه، وبأنهم يتخذون من البيئة المحيطة بهم موقفاً موحداً.

(1) Smith, M. Social situation, social behavior, social group. Psych. Rev. 1945, 52, 244 -- 229.

ويؤكد فرويد^(١) في تحديده لمفهوم الجماعة وحدة القيم والمعايير التي توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة مع الآخرين ومع البيئة المحيطة به وبهم. وللقيم والمعايير التي تهيمن على سلوك أفراد الجماعة وظيفتان: الأولى أنها تصبح إطاراً مرجعياً ينسب أفراد الجماعة سلوكهم إليه ويحدد توقعاتهم من سلوك زملائهم نحوهم. والثانية أنها تحدد مكانة الفرد في الجماعة وذلك بمقدار ما يدافع عنها، ويتمسك بها، ويتحذها أسلوباً لحياته وموجها لسلوكه. وتختلف الجماعات عن بعضها البعض تبعاً لمدى جمودها أو تحررها في تمكّنها بقيمها ومعاييرها. فمن الجماعات ما يتتصف سلوك أفرادها بالتحرر واليسر. وتقبل الجماعة لهذا النوع من التحرر يساعد على استمرار بقائها لأنها لا تضيق الخناق على أعضائها ولا تلفظ أو تخرم من عضويتها من يتحرر إلى حد ما من قيود قيمها وتقاليدها. ومن الجماعات ما يتتصف سلوك أفرادها بالجمود، وهي لذلك لا تقبل أي انحراف منها كان صغيراً عن الحدود التي توجه بها سلوك أفرادها. ومثل هذا النوع من الجماعات لا يستمر طويلاً بل سرعان ما يضيق حتى يصبح مقصوراً على عدد قليل من الأفراد. وقد يتحول إلى جماعات سرية أو تنظيمات إرهابية.

ويمتد مفهوم الجماعة عند دوتش^(٢). Deutsch حتى يشتمل على وحدة الهدف الذي تسعى الجماعة - كجماعة - لتحقيقه. ولوحدة الهدف أهميتها فيما ينشأ بين أفراد الجماعة من علاقات وتفاعل لأنها تصبح بذلك هادفة وليس مجرد علاقات أو مجرد تفاعل. وقد تكون وحدة الهدف كامنة عند كل فرد من أفراد الجماعة لكنها سرعان ما تسفر عن نفسها عندما يهدد الجماعة خطر ما أو عندما تتعرض الجماعة لأى مؤثر يتصل من قريب أو بعيد بوحدة كيانها. وبذلك يجب أن ننظر إلى الجماعة على أنها كيان دينامي وليس مجرد تجمع للأفراد.

وقد تكون للفرق الفردية القائمة بين أفراد الجماعة أهميتها في تنوع نشاطها وتعدد مجالات سلوكها. وعلى الفرد الذي يتمتع مثل تلك الجماعة أن يتقبل خصائص كل فرد آخر، ويقرها، ويحترمها. وبهذا تقوى الصلة القائمة بين الفرد وكل فرد آخر من أفراد الجماعة. فلا يسخر الأفراد بعضهم من بعض لأن الجماعة لا تعنى فقط أن يصبح سلوك كل فرد صورة أخرى من سلوك الأفراد الآخرين، بل تعنى تشابها في

(1) Freud, S. *Group Psychology and the Analysis of the Ego*. London, Hogarth, 1922.

(2) Deutch, M. *The effects of Cooperation and Competition upon group process*. In Cartwright, D. and Zander, A. *Group Dynamics*. N. Y. Harper, 1960. 414 - 448.

بعض التواхи واحتلافا في نواحي أخرى، ولهذا الاختلاف أهميته في تحديد دور كل فرد في الجماعة، أي أن يصبح لكل عضو من أعضاء الجماعة دوره في النشاط الذي تقوم به الجماعة^(١).

ثانياً - أنواع الجماعات

يجتمع الناس لأمور عدة. فقد يجتمعون لمشاركة زميل لهم في أفراده أو في أترابه وأحزانه. وقد يجتمعون لمشاهدة حادث في الطريق العام. وقد يجتمعون للمطالبة بحق أو رفع الظلم عن أنفسهم. وقد يجتمعون لغير هذا من الأسباب المختلفة.

وقد يقل عدد أفراد الجماعة فتصبح جماعة صغيرة أو يزداد عدد أفرادها فتصبح جماعة كبيرة. وقد يجتمع الناس لأمور موضوعية أو لأمور ذاتية تتصل بهم من قريب أو من بعيد. وقد يجتمعون في منظمات تهيمن على جميع ضروب حياتهم، أو لأمور تتناول حياتهم من بعيد. وقد تجمعهم لحظة عابرة ينفصل بعدها شملهم وقد تجمعهم صلات عميقة تؤثر فيهم مدى الحياة.

والحقائق النفسية التي تقوم عليها هذه التقسيمات المختلفة تستند في جوهرها إلى أسس عدة، تحاول كل منها أن تستوعب الأنواع المختلفة للتجمع الإنساني في إطارها العلمي. ولكل من هذه الأسس نواحي قوتها ونواحي ضعفها.

وتتلخص أهم التقسيمات المختلفة للجماعات على النحو التالي:

(أ) حجم الجماعة

تنقسم الجماعات بالنسبة لحجمها إلى صغيرة وكبيرة، والصغيرة هي التي لا يكاد يتجاوز عدد أفرادها ٣٠ فرداً، والكبيرة هي التي يجاوز عدد أفرادها ذلك الحد.

والصغيرة إما أن تكون ثنائية أو ثلاثة أو أكبر من ذلك. وللصغيرة ديناميتها، كما أن للكبيرة أيضاً ديناميتها

ومن أمثلة الجماعة الصغيرة الأسرة. ومن أمثلة الجماعات الكبيرة الجمهرة.

وسوف نبين فيما بعد خصائص بعض الجماعات الصغيرة مثل الثنائية والثلاثية. كما سنبين بعد ذلك أمثلة أخرى للجماعة الصغيرة والجماعة الكبيرة.

(ب) الموضوعات والذاتية

تنقسم الجماعات بالنسبة لموضوعية وذاتية العوامل المؤثرة في التجمع إلى أربعة أنواع:

(1) Sportt, W. J. H. Human Groups. Harmondsworth. Penguin, 1963.

١- وحدة العوالم الموضوعية:

ومن أنواعها التفرقة القائمة بين الجماعات على أساس اختلاف البيئات الجغرافية . واختلاف لون البشرة ، والفارق الواضح في العمر الزمني ، وفي مستويات الدخل . ومن أمثلة التفرقة الجغرافية التمييز بين سكان الوجه البحري وسكان الوجه القبلي بمصر . وبين سكان السواحل وسكان الوادي . ومن أمثلة التفرقة القائمة على اختلاف لون البشرة التمييز بين الشعوب البيضاء ، والشعوب الصفراء ، والشعوب السوداء .

لكن الوحدة الموضوعية لا تعنى وحدة سيكولوجية . وتعنى بالوحدة السيكولوجية الشعور بالتآلف الجماعي الذي ينطوى على تشابه الآراء ، والتفكير ، والاتجاهات . وقيام هذا التشابه التفاف الاجتماعي الذي ينشأ بين أفراد الجماعة كنتيجة للتجمع نفسه .

٢- وحدة المعايير الاجتماعية والاتجاهات:

ومن أمثلتها التفرقة الاجتماعية القائمة بين أفراد حزب سياسي ما وأفراد حزب سياسي آخر . غالباً ما تنشيء هذه الأحزاب جماعات مختلفة لكل جماعة منها وجهتها الخاصة التي تتفق مع أهداف الحزب الذي تنتهي إليه ومعاييره الاجتماعية والاتجاهات ، والتي تعارض مع اتجاهات الأخرى وتختلف عنها تبعاً لتبسيط غائيات وأهداف الأحزاب المختلفة .

٣- تشابه السلوك ووحدة العمل:

ومن أمثلة ذلك عمال المصنع الواحد الذين تجمعهم روابط خاصة تؤلف بينهم وتنشئ من هذا التآلف جماعات لها مميزاتها السيكولوجية .

٤- الشعور المشترك بالتبغية:

ومن أمثلة ذلك شعور الطالب بتبغيه لكتلته حتى إذا تخرج فيها وانفصل عنها ، لا يفتا يحس بنوع من التبغية غير المرئية تربطه بها وبباقي الخريجين مما اختلفت أجيالهم . وينطوى شعور التبغية على إدراك الفرد للتشابه القائم بينه وبين الجماعة التي يتبعها لها .

وقد يتبع الأفراد إلى جماعة ما ، وبهيمان عليهم إطار جماعة أخرى . وهكذا نفرق هنا بين نوعين من أنواع الجماعات التي يظن الناس أن الفرد يتبعها إليها ، والجماعة التي يظن الفرد نفسه أنه يتبعها إليها .

(ج) الجزئية والكلية:

تنقسم الجماعات بالنسبة للسلوك الاجتماعي للفرد إلى نوعين:

١- الجزئية:

تتمثل الجزئية في الجماعة التي تهيمن على جزء محدود من النشاط الاجتماعي للفرد. فانتساب الفرد إلى أندية عدّة واشتراكه في نشاط جماعات مختلفة في جوهره انتساب واشتراك جزئي.

ومشاركة الفرد الجزئية في نشاط الجماعة التي يتسبّب لها تختلف باختلاف مدى هذا النشاط. فقد يهب الفرد جماعة ما، ما يساوي ٩٪ من مجموع نشاطه الاجتماعي، وقد يهبهما ما يساوي ١٪ فقط.

وقد يضى الفرد أغلب وقته مع أفراد جماعة ما، بينما ذاته تخلق به في جو جماعة أخرى.

٢- الكلية:

تتمثل الكلية في سيطرة إحدى الجماعات سيطرة مطلقة على جميع نواحي الفرد حتى تفني فيها شخصيته وتتصبح الجماعة بمثابة وبيادتها وبدستورها هي كل ما يحيا له الفرد ويجهد في سبيله.

ومن أمثلة هذا النوع جماعة الفدائين، والتنظيمات أو الجماعات السرية.

(د) التقيد والحرية:

تستلزم بعض أنواع الجماعات خضوع الفرد لاتجاهات ثابتة، ومسالك محددة ومعايير مفقرة. ولعل أوضح مثل لهذا النوع من الجماعات جماعة الجنود في خضوعهم للنظام العسكري وفي احترامهم لتقاليده. ومن أمثلتها أيضاً الخضوع المطلق للطقوس الدينية التي تهيمن على جماعة ما، والمغالاة والتعصب لحزب سياسي معين.

والبعض الآخر من الجماعات يحرر الفرد من أغلب تلك القيود مثل جماعة المناقضة، وقد لا تنبع المناقضة أو التفكير الجماعي دون هذا التحرر.

وقد تطور هذا التقسيم على يد علماء النفس الاجتماعي حتى أعدوا مقياساً لتقدير مدى الجمود والتحرر في اتجاهات الأفراد.

(هـ) الثبات:

تنقسم الجماعات بالنسبة لثباتها إلى ثلاثة أنواع: جماعة ثابتة كالأسرة، وجماعة غير ثابتة كالجمهرة، وجماعة ثابتة نوعاً ما كجماعة النادي أو الطائفة.

وتحتختلف الجماعات أيضاً في درجة ثبات أثرها وفي درجة تجانسها.

وأثر الجماعة الثابتة قوى عميق يهيمن على سلوك الفرد طول حياته أو يكاد. فأثر الأسرة يظل في تفاعل دائم مع الفرد في ضروب ومسالك حياته اليومية. وللأسرة أثران بارزان في حياة الفرد هما: الوراثة والبيئة. حيث تساعد البيئة على اكتساب الصفات الاجتماعية.

أما الجماعة غير الثابتة فإنها غالباً ما تنشأ لسبب عارض كالجتماع الناس في الطريق العام لمشاهدة حادث ما. وسرعان ما يتفض شمل الجماعة ويقضي كل فرد إلى وجهته التي كان يسعى إليها من قبل. فالجمهرة إذن جماعة يؤلف بين أفرادها شعور واحد كما أسلفنا. لكنه شعور سطحي مؤقت يتولد بسرعة ويزول بنفس السرعة التي بزغ بها. وليس لهذا النوع من الجماعات وحدة اجتماعية قوية تربطها، فأهدافها قريبة وعواطفها سطحية وذكرياتها معدومة.

والجماعة الثابتة نوعاً ما مثل جماعة النادي وهي أقوى أثراً وأكثر تماسكاً وتجانساً من الجمهرة. ومن أمثلتها نقابات المهن المختلفة مثل نقابة المهندسين والتجاريين والمعلمين، وخريجي معهد أو كلية واحدة وأعضاء الأحزاب السياسية. ويتميز هذا النوع بذكريات مشتركة، وعواطف متبادلة، وأهداف بعيدة وعلاقات داخلية تربط الأعضاء بعضهم بعض، وقوانين ودساتير خاصة تعمل على تنظيم وتألف أفراد هذه الجماعة.

(و) الداخلية والخارجية:

الجماعة التي يتمى إليها الفرد تسمى بالجماعة الداخلية. والجماعة التي لا يتمى إليها هي جماعة خارجية بالنسبة له. وبين الجماعتين فوارق وحدود قائمة. وتحتختلف هذه الفوارق قوة أو ضعفاً، وضوحاً أو غموضاً باختلاف آراء واتجاهات الجماعتين. فإذا اتفقت الآراء واتجاهات اختفت الفوارق والحدود أو كانت. وإذا تضاربت الاتجاهات اشتد التنازع بين الجماعتين واتضحت الفوارق وأسفر الموقف عن تعصب يشتد ويقوى كلما اشتد التباين والتمايز.

ولذا فأفراد الجماعة الداخلية يرتبطون معاً بعلاقات عاطفية واتجاهات خاصة. آراؤهم مشتركة أو متقاربة، ومعاييرهم الاجتماعية متحددة أو متشابهة. يثورون معاً لأى اعتداء يصيب أحد أفراد الجماعة. ويفخرون معاً بأى نجاح يلقاه أحدهم. وأول جماعة داخلية يتمى لها الفرد هي أسرته.

وغالباً ما تشعر مثل هذه الجماعة نحو الجماعة الخارجية بالخوف بل وبالبغض والاشمئزاز أحياناً.

وقد يما قسم العبرانيون الناس إلى نوعين: شعب الله المختار، والشعوب الأخرى. وقسم اليونانيون شعوب العالم إلى نوعين، على أساس وحدة اللغة، فمن كانت لغته اليونانية فهو إنسان مهذب فاضل، والبقية الباقية التي تجهل اليونانية برابرة.

ولا يعني هذا أن لكل جماعة داخلية، جماعة خارجية تقابلها. فهناك من الجماعات أنواع لا تثير في الفرد نفوراً أو ميلاً. وتلك ما نسميتها بالجماعات المحابدة.

(ز) الأولية والثانوية:

تقسام الجماعات بالنسبة لأسبقية ظهورها في حياة الفرد إلى أولية وثانوية. وتسبق الجماعة الأولية جماعة أخرى تسمى الجماعة الوثيق. وتسبق الجماعة الثانوية الجماعة الوسطى، وسميت بالوسطى لأنها تقع بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية.

وبذلك تتطور الجماعات خلال مراحل حياة الفرد من الوثيق، إلى الأولية، إلى الوسطى، إلى الثانوية. وسنبين فيما يلى أهم خصائص كل نوع من هذه الأنواع الأربع.

١- الجماعة الوثيق:

علاقات هذا النوع من الجماعات أقوى وأوثق عرى من علاقات أي نوع من الأنواع الأخرى. ومن أمثلتها الجماعة التي تكون من الأم وطفلها. وعلاقة الزوج بزوجه، وعلاقة المحاربين في جبهة القتال وهم بين الحياة والموت.

وتتلخص أهم خصائص الجماعة الوثيق فيما يلى:

– نوع الاتصال الاجتماعي: وجهاً لوجه، مباشر، وبالأخص لحاستي اللمس والشم.

– درجة الاتصال الاجتماعي: مستمر حيناً وكثير التكرار أحياناً أخرى.

– الحدة الانفعالية للاتصال: حدة الانفعال عميقه تؤثر في الفرد طول حياته.

– مدى الارتباط ومدى الاستقلال: ارتباط كلى أو شبه كلى.

٢- الجماعة الأولية:

الجماعة الأولية هي اللبننة الأساسية في صرح المجتمع. وهي عريقة في القدم تمتد جذورها إلى نشأة الحياة الإنسانية وتعاصر نشأة الإنسان الأول وهي أساسية جوهيرية في تكوين الفرد لأنها تشبع حاجاته الرئيسية، وهي عامة بين أفراد النوع الإنساني كافة في مختلف بقاع الأرض، وخلال الأجيال المتعاقبة.

ومن أمثلة الجماعة الأولية الأسرة ورفقاء اللعب والجيران.

وتتميز مثل هذه الجماعات بتكوينها التلقائي في بيئه يسكنها أنس يجمعهم تجانس قريب في صلة الدم حينا وفي الثقافة أحيانا وفيهما معا أحيانا أخرى.

وفي تلك الجماعات تبرز شخصية الفرد وتشكل إلى حد كبير. وفي نطاقها الضيق يتلقى الفرد مؤثراته الاجتماعية الأولى ويتلقي لأول مرة مؤثرات الثقافة، وتشرب نفسه المعاير الاجتماعية والخلقية، والاتجاهات النفسية الهامة.

وتتميز المؤثرات والعلاقات الاجتماعية بأنها مباشرة قريبة، ومستواها أولى جوهري، يقوم على لقاء الأفراد بعضهم مع بعض، ووجهها لوجه، وصوتا لصوت، في أحاديثهم المتبادلة. ميلهم مشتركة، وأذواقهم قريبة، وصلاتهم قوية عميقة.

ودراسة أثر الجماعة الأولى في السلوك الاجتماعي تؤدي بنا إلى فهم سلوك الفرد في الجماعات الكبيرة المعقّدة المتشابكة التي يسلك أفرادها سلوكا يسفر عن ألوان مختلفة متباعدة من ثقافات عدة. وتكون الأسس الأولى لمثل هذا السلوك في الجماعات الأولية وتسري منها إلى الجماعات الثانوية. ويفسر نوع استجابة الطفل لسلطة أبيه وأمه الأسس النفسية لاستجابة الإنسان للقانون.

وتلخص أهم خصائص الجماعة الأولية فيما يلى:

- نوع الاتصال الاجتماعي: وجها لوجه، اتصال مباشر للسمع والبصر والشم.
- درجة الاتصال الاجتماعي: اتصال كثير التكرار في مراحل الطفولة ثم تقل مرات التكرار في المراحل التالية.
- الحدة الانفعالية للاتصال: اتصال يترك في نفوس الأفراد طابعا خاصا وذكريات تبقى مدى الحياة.
- مدى الارتباط ومدى الاستقلال: أفكار مشتركة، طموح متقارب، استقلال عاطفي نوعا ما.

٣- الجماعة الوسطى:

تقوم هذه الجماعات على علاقات تقرب في جوهرها من العلاقات المباشرة الشخصية، وتتميز أحيانا باتجاهات متشابهة أو مختلفة نوعا ما، كجماعة أحد الفضول في مدرسة ما، أو كالمجموعة التي تكون من سكان أحد الأحياء في قرية، أو زملاء العمل الذين يشتركون معا في حجرة تعد مكان تجمعهم وعملهم.

وتلخص أهم خصائص الجماعة الوسطى فيما يلى:

- نوع الاتصال الاجتماعي: وجهاً لوجه، اتصال مباشر للسمع والبصر.
- درجة الاتصال الاجتماعي: تشابه الأهداف أحياناً وقد تختلف أحياناً أخرى إلى حد ما.
- الحدة الانفعالية للاتصال: اتصال سطحي، وعلاقات شكلية أو قريبة من الشكلية.
- مدى الارتباط ومدى الاستقلال: رغبات وميل تكاد تكون مشتركة. تأكيد الناحية الفردية في السعي لتحقيق نواحي الطموح المختلفة. استقلال عاطفي نوعاً ما.

٤- الجماعة الثانوية

يتميز تكوين الجماعات الثانوية عن الجماعات الأولية بالقصد والاختيار. وتمثل هذه الجماعات الرغبات وال حاجات العامة للأفراد. ولا تعتمد دائماً على العلاقات الاجتماعية المباشرة بين الأفراد التي تقوم على مقابلة أفرادها بعضهم مع البعض الآخر ووجهاً لوجه بين الحين والأخر، بل تعتمد على وسائل الاتصال غير المباشر كالصحف والتليفون وغيرها.

ومثال ذلك الهيئات العلمية، فقد يتسبّب الفرد إلى جمعية علمية ويصبح عضواً فيها دون أن يقابل جميع أعضائها. وقس على ذلك الأحزاب السياسية والنقابات المهنية.

وبالرغم من أن هذه الجماعات تمثل رغبات عامة إلا أنها تتطلب من أفراد الجماعة تنظيمياً وتنسيقاً يفوق ما تتطلبه الجماعات الأولية.

وتواجه الحضارة الراهنة طغيان الجماعات الثانوية على الجماعات الأولية. لكن ليس معنى هذا زوال أثر الجماعة الأولية من حياة الفرد الاجتماعية. فكل ما يكتسبه الفرد من عادات واتجاهات في جماعته الأولية يستقل إلى نواحي نشاطه المختلفة في الجماعات الثانوية.

وتلخص أهم خصائص الجماعة الثانوية فيما يلى:

- نوع الاتصال الاجتماعي: غالباً ما يكون الاتصال غير شخصي وغير مباشر. وقوام هذا النوع من الجماعات الاتصال الآلي الميكانيكي. ومن أمثلة الصحف والدوريات العلمية والتليفون والتلغراف والراديو.

- درجة تكرار الاتصال الاجتماعي: اتصال نادر بالنسبة للزمان والمكان.
- الحدة الانفعالية للاتصال: شكلية.
- مدى الارتباط ومدى الاستقلال: آراء لفظية مشتركة. تحفظ تام بالنسبة للأهداف وضروب الطموح المختلفة. استقلال عاطفى اللهم إلا فى الأزمات التى تمس جميع أفراد الجماعة.

(ح) تعدد الجماعات التى ينتمى لها الفرد:

اختلاف تقسيم الجماعات من حيث الموضوعية والذاتية، والجزئية والكلية، والتقييد والحرية، والثبات، والداخلية والخارجية، والأولية والثانوية لا يعني أبدا تقسيما حادا جاما، وذلك لأن تلك الأنواع متداخلة. فالعلم يصنف دائما يدرس ويلحلل. وتظل التقسيمات بعد ذلك كلها تختلط من نوع إلى نوع، لكنها في اختلاطها هذا تجمع وتركت في جماعات أخرى.

فعاليات الفرد الاجتماعية بالأفراد الآخرين تختلف من حيث النوع، والمدى، والحدة. وتلك الصفات مجتمعة تسمى علميا المشاركة الاجتماعية^(١). لأن هذه المشاركة تختلف مستويات مختلفة في نشاط الأفراد وتهدى بذلك لإقامة ما يقرب من المعايير المعيارية للعلاقات الاجتماعية.

فالأسرة مثلا تهيمن على الفرد في بدء حياته، ثم يتسع الأفق الاجتماعي للطفل، في حدود الجماعة الأولية، فيشارك رفقاءه في العابهم، ويصادق جيرانه، ثم تنمو دائرة نشاطه الاجتماعي فتشمل بعض الجماعات الثانوية كالمدرسة، وتحف بذلك حدة اتصاله المباشر بالمنزل والجماعات الأولية الأخرى. وقد يجد نفسه في شبابه يشتراك في حشد ضخم من جماعات عدّة.

وبما أن هذه العلاقات تختلف من حيث النوع، والمدى، والحدة، كما أسلفنا، فلا يضير الفرد أن يعيش في إطارها جميعا، كل وفق مستوى ونوعه. فقد تكون علاقات الفرد العائلية علاقات مودة وعطف وحب، بينما علاقاته في عمله تقوم على الكفاح الشديد أو على أي لون من ألوان قانون الغابة فتتضم بالأنانية والقسوة.

ثالثا - الخصائص النفسية لجماعة كبيرة- الجمهرة:

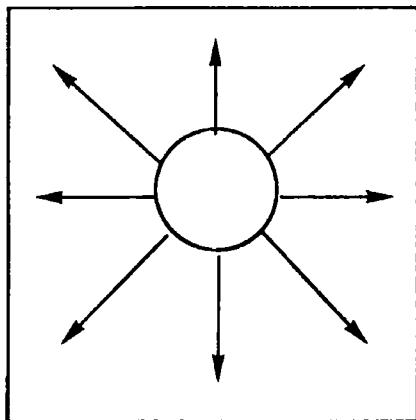
ت تكون الجمهرة من حشد كبير نسبيا من الناس.

وهي تستجيب انفعاليا لشير مشترك. والاستجابة الانفعالية الحادة هي من أهم الخصائص التي تميز الجمهرة عن بقية الأنواع الأخرى للجماعات.

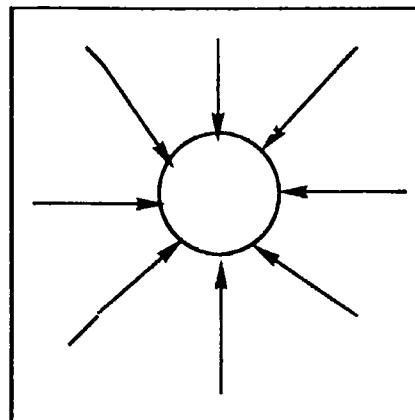
وتختلف الاستجابات الانفعالية المختلفة. فالجمهرة الثائرة تختلف في استجاباتها عن الجمهرة التي تجمعت فوق سطح باخرة توشك أن تغرق.

والجمهرة جماعة بسيطة في تجمعها، لا هي بالتماسكة ولا هي بالمستقرة، وأهدافها قريبة، وذكرياتها كوحدة اجتماعية معدومة أو ضعيفة، إذ سرعان ما يتجمع أفرادها وسرعان ما ينفض شملهم.

والجمهرة في تجمعها تتجه نحو بؤرة واحدة يتركز فيها هدفها ومثار انتباها كما يbedo ذلك في الشكل التالي حيث تدل الدائرة على البؤرة، وترمز الخطوط إلى مسار الأفراد، وتشير الأسهم إلى اتجاه التجمع.



الجمهرة في انحلالها وتشتيتها



الجمهرة في تجمعها نحو بؤرة اهتمامها

والجمهرة في فزعها تتجه بعيداً عن البؤرة التي يتركز فيها انتباها فيتدافع أفرادها بالمناكب والأكتاف، وقد يستند الزحام فيهلك من يهلك أو يudo من يعدو خوفاً وفزواً، كما يbedo ذلك في الشكل الآخر.

(أ) الخصائص النفسية للجمهرة:

تلخص أهم الخصائص النفسية للجمهرة فيما يلى:

١- الوباء العقلى:

في حياة كل أمة موجات تشبه الجنون، يندفع فيها الناس كافة فيتجمهرون في كل مكان، ويثورون في كل بقعة طائف وجماعات، رجالاً ونساء وأطفالاً. صيحتهم عامة، وعاطفهم حادة مشتركة. يهدرون جميعاً إلى شيء واحد لا يبغون عنه حولاً حتى حين. ذلك هو ما نسميه مجازاً «الوباء العقلى». ومن أمثلته مظاهرات ٢٦ يناير

سنة ١٩٥٢ التي أسفرت عن حرق القاهرة. ومن أمثلته في العالم جنون البحث عن الذهب في ولاية كاليفورنيا بأمريكا سنة ١٨٤٨ . وجنون البحث عن الماس جنوب أفريقيا سنة ١٨٨٤ .

وأساس تلك الظاهرة النفسية، الرغبة العامة في التفيس من توتر اجتماعي حاد. والوباء العقلي غاية المرتقي في تضخم الجمودة وانتشارها كالعدوى عبر المكان والزمان.

٢- تشابه الاستجابات،

المجتمعون في مظاهره ما يسلكون سلوكاً متشابهاً. فهم يصيرون معاً هاتفين بحياة زعيم ما أو بسقوطه. يرددون معاً عبارات قصيرة قوية عاطفية حماسية.

وقد يبدو أحياناً على سلوك أفراد الجمودة نوع من الاختلاف والتباين حينما يصبح بعضهم في ثورة، وحينما يقذف البعض الآخر بالحجارة على المنشآت العامة أو التجارية، وحينما يهز كل فرد في فريق آخر يديه في وعيد وتهديد. لكنهم جميعاً بسلوكهم هذا يهاجمون في غضب وثورة، فاستجاباتهم متشابهة مشتركة رغم اختلافها الظاهري.

٣- وحدة الدافع والمثير،

يصدر تشابه الاستجابات عن دافع واحد مشترك. فالجمودة كلها تهدف في نفس الوقت إلى غرض واحد. وقد يكون الغرض واضحاً محدداً، وقد يكون عاماً غامضاً. ويتحول غموض الهدف إلى وضوح عندما ينهض من بين المجتمعين زعيم يحدد هدف التجمهر وينظم الصفوف لهجوم واحد مباشر. ومهما يكن من أمر الهدف فالدافع الذي يمكن وراء التجمهر يميل دائماً إلى الشدة والعنف، ويضفي بذلك على الهدف حيوية وقوية.

والجمودة التي تفوز بتحقيق هدفها المباشر تحس بأنها نجحت في القيام بمهمة جد خطيرة، ومثال ذلك جمود الطلبة حينما تندفع ثائرة، مخرية محظمة كل ما يقابلها في طريقها وهي مندفعة لترك المدرسة إلى الطريق العام وعندما تجتاز عقباتها وتتخطى الأسوار تحس بنشوة الانتصار وتمضى في سيرها لستهوى طلبة المدارس الأخرى في الانضمام معها موحية إليهم بنفس الذي أنارها هي أولاً.

٤- العاطفة الجارفة،

الواقع القوى الحاد يتصل من قريب ومن بعيد بعاطفة جارفة هو جاء تهيمن على أفراد الجمودة كافة. وبذلك بكل سلوك يصدر عن الجمودة يصطبغ بشحنة انفعالية قوية تسفر عن نفسها في ثورة الأفراد وأضطرابهم.

وهو متصل في هذا كله بطبيعة الظروف المحيطة بال موقف. وكلنا يذكر حماس الناس عندما يشاهدون مباريات كرة القدم وصياحهم كلما انتصر فريق على فريق آخر. وتصفيقهم في دوى قاصل عندما يتتصير الفريق الذي يناصرونه، وغضبهم وسلوكهم العدائى عندما ينهزم الفريق الذى يشائرون.

٥- مستوى الذكاء،

يدل سلوك الأفراد في الجماعة على مستوى منخفض من الذكاء. وقد يعزى ذلك إلى ضرورة هبوط ذكاء الجماعة كلها إلى مستوى أبغى فرد فيها حتى يفهم عنها سلوكها ويندمج في زمرةها فتتحرّك الجماعة المترافق كوحدة. لكن هذا التفسير أصبح الآن مرفوضاً من عدد كبير من العلماء لأن اندفاع الجماعة في سلوكها العدواني لا يعني بالضرورة أن كل فرد من أفرادها يفهم دافع هذا السلوك، وإنما هو يتصرف كما تتحرّك الحشود من حوله، يصبح عندما تصبح ويقذف بالأحجار عندما تقذف، بل ويهرّب أيضاً عندما تهرب.

والرأي الأكثر صواباً والذى يشائرون عليه عدد كبير من العلماء هو أن مستوى الذكاء يرجع إلى ما يطرأ على الجماعة من عود إلى بدء للمستويات الحيوانية الأولى في سلوكها الهمجي. لكن هذا الرأي تعوزه الصبغة العلمية في إقامة دعواه، وتوطيد أدلةه.

وأقرب الآراء مطابقة لخصائص السلوك الجماعي هو أن التوتر الشديد يساعد على ثورة الجماهير ويؤدي إلى انفعال حاد وعاطفة جارفة وتزيد من قوة الجماعة الغضبي لتحقيق بذلك هدفها. وحدة هذا الانفعال تقاد تشدّل القوى الإداريكية العليا فتسليك الجماعة سلوكاً غبياً يشبه صياغ الأطفال وغضب الصبية. ويؤيد هذا الرأي ما نلاحظه على أنفسنا حينما يشتعل بنا الغضب ويغتصب بنا الغيظ. فتبعدونا من الفاظ وأفعال هوجاء، هي أقرب ما تكون إلى سلوك الحمقى.

٦- قرارات الجماعة تهائية لا رجعة فيها،

تتخذ الجماعة قراراتها على ما يعترضها في سرعة واندفاع. وسلوك كهذا يغلب عليه الطيش. ومصدر تلك القرارات الهوجاء انعدام روح النقد التزيم بين أفراد الجماعة لانحطاط الذكاء ولطغيان العاطفة وسيطرتها على أساليب المتجمهرين. وعلى الفرد أن يقبل ما تفعله الجماعة وتقره، لا على أنه أحد الاحتمالات الممكنة لتحقيق الهدف، بل على أنه الاحتمال الوحيد الصحيح.

واية هذا كله زيادة تماسك الجماعة لأن النقد يؤدى إلى الانقسامات الداخلية، ومعارضة فريق آخر. وهذا يتنافى مع قوة الجماعة في سيطرتها المطلقة على أفرادها لأنهم يسلكون طريقهم وكأنهم دمى تحركها يد غير منظورة.

٧- القابلية للاستهواه:

الأفراد في الجماعة يتأثرون بالاستهواه في سهولة ويسر لضعف روح النقد ولانحطاط مستوى الذكاء. وكل رغبة طارئة، وكل فكرة عابرة، تستهوي الجماعة مادامت تلك الرغبات والأفكار لا تتعارض وملابسات الموقف العام الذي يشتمل على المجتمعين عاماً. وكل من تزعم أو يتزعم أى جماعة، ويدرك أهمية الاستهواه في التأثير على الحشد الضخم من الناس، يدرك تماماً متى وأين وكيف يوحى إلى أفراد الجماعة بالأفكار التي تصلح لإثارتهم واندفعهم في حماس وقوة.

ومن الأمثلة المعروفة للاستهواه ما كان يحدث في أسواق الريف المصري، وما زال يحدث في بعضها، حيث يقف أحد الباعة يلقى خطاباً مشيراً حماسياً ليبيع بعض العقاقير التي يحملها في حقيقته، فيوحى إلى الجمع الساذج بسحر عقاقيره، ويعلم الله أن عقاقيره لا فائدة فيها ولا جدوى. لكن قوله هو الذي سحر وأسلوبه هو الذي فتن، فاستهواه الجمع وأوحى لهم بما أوحى.

٨- ضعف الشعور بالمسؤولية:

سلوك الجماعة يتصرف بالرعونة والطيش، وسلوك كل فرد فيها يتنافى أحياناً والمعايير الخلقية التي أقامها لنفسه. ولو كان الفرد بمعرض عن الجماعة لراجعته نفسه فيما يفعل. ولا يحجم بشدة عما يأته وهو منساق مع التيار العام للجماعة. ومرجع ذلك كله ضعف شعور الفرد بمسئوليته. فهو عندما يخرب ويعيث في الأرض فساداً لا يخشى لومة لائم، فهو فرد في جمع حاشد من الناس، تخرب كما يخرب، وتعيث كما يعثث. فتحديد المسؤولية الفردية أمر شاق وجد عسير. فهو عندما يسأل عما فعل، وعما يفعل. يلقى التبعة على غيره وهم جمع كثير. ويطعن بذلك أنه ناج من العقاب. وهذا القلن وحده هو أقوى ما يضعف شعور الفرد بمسئوليته.

٩- الشعور بالعالمية:

التكتل البشري الذي تتصف به الجماعة يكسب كل فرد فيها شعوراً بالقوة. وحينما يسمع الفرد الجموع كله يهتف كما يهتف ويصبح كما يصبح، يصبح التجاوب بينه وبين الأفراد الآخرين تجاوباً تاماً. وعندما يرى الأفراد المحظوظين به في اندفاعهم، يهدّي البصر إلى ما لا يرى، فيذهب في تعميمه مذهبها واحداً، فيرى الجماعة كلها وكأنها رجع قريب عام مشترك لما تفعله فتنة القرية منه.

وآية ذلك كله شعور الفرد بالعالمية، وبنشوة من القوة تغمره الإحساس العميق بما يعني هذا الحشد الضخم المحظوظ به من قوة

١٠- الزعامة في الجماعة غير مستقرة:

تنشأ الجماعة تلقائيا دون زعيم يقودها أو يوجهها. ونشأتها رهن بموقف مثير يؤلف بين الأفراد، فتصدر عنهم استجابات مشتركة. وقد ينبع من بين صفوف الجماعة زعيم ينظم صفوفها ويوجه أفرادها وجهة واحدة.

لكن سمة الجماعة عدم الاستقرار. فهي رعاء متحولة لا تثبت على نحو واحد وسرعان ما ينبع زعيم آخر يضليها عن هداتها ويسوقها إلى ردها.

وقد يختلط الأمر بينهما فيختفيان فجأة بين الحشد الضخم ويتلعلهم التيار وتغرس الجماعة كما بدأت دون زعيم.

(ب) قياس خصائص الجماعة:

تواجه الدراسة التجريبية التي تستهدف الكشف عن خصائص الجماعة مشكلات عدة تتلخص أهمها: في عدم القدرة على متابعة رصد سلوك الأفراد في الجماعة، ورصد مظاهر الجماعة نفسها، للسرعة الفائقة التي يتظور بها مجرى الأحداث ولكرة عدد المتجمهرين كثرة تحول دون بحث سلوك كل فرد فيها ولصعوبة التنبؤ بالخطوة التالية لأى سلوك للجماعة كتوطئة لدراسةه وبحثه.

ولقد تغلب الباحثون على بعض تلك الصعوبات باستخدام التسجيل السينمائي لدراسة التغيرات التي تطرأ على سلوك الجماعة، بيد أن طريقة كذلك لا تصلح لاكتشاف الدافع الذي تزعز بالأفراد إلى التجمهر. ولا تصلح أيضاً لمعرفة الحالات العقلية للأفراد قبل التجمهر.

ومن أهم الأبحاث التي أجريت في هذا الميدان التجربة التي أجراها مير (١). ومنتجاً Meier Mennenga وستولتز Stoltz سنة ١٩٤١. وتتلخص تلك التجربة في تهيئه الجو المناسب لتجمهر طائفة من الأفراد ثم دراسة استجاباتهم المختلفة بعد تجمهرهم.

وأعد الباحثون استبياناً لمعرفة اختيار كل فرد لإحدى الحالات التالية:

– إذا تجمهر الناس، فإنني أسارع بالانضمام إليهم / نعم لا.

– إذا تجمهر الناس، فإني أنضم إليهم لا عن رغبة صادقة في التجمهر ذاته بل لمساعدتهم – ١ نعم لا.

– إذا تجمهر الناس، فإنني لا أشارك معهم أبداً نعم لا.

(1) Meier N. C. Menanga, G. H. and Stoltz, H. J An experimental approach to the study of mob behavior J. Ab. Soc. Psych. 1941, 506 - 524.

— إذا تجمهر الناس ، فإنني أحارو إقناعهم بالحسنى حتى لا يأتوا بمنكر نعم لا .
ويلى هذا الاستبيان استبيان آخر لتحليل دوافع اختيار كل حالة من الحالات الأربع التي اشتمل عليها الاستبيان السابق . وعلى سبيل المثال إذا كانت إجابة الفرد على السؤال الأول بنعم فعليه أن يجيب على الأسئلة التحليلية التي تلى السؤال الأول وهى :

- أسرع بالانضمام لأن القانون لا ينال المتجمهرين بسوء — نعم / لا .
 - أسرع بالانضمام لأن ذلك التجمهر يضع الحق في نصا به — نعم / لا .
- والأسئلة التحليلية التي تلى الإجابة بنعم على السؤال الثالث في الاستبيان الأول هي :
- لا أشتراك مع المتجمهرين لأن التجمهر خيانة للمجتمع — نعم / لا .
 - لا أشتراك مع المتجمهرين لأنى لا أميل إلى العنف والاغتصاب نعم / لا .
 - لا أشتراك مع المتجمهرين تخفيلا للواقع تحت طائلة القانون مذنبا أو شاهدا — نعم / لا .

ويلى التحليل السابق تهيئة الجو المناسب للتجمهر وذلك باستشارة الأفراد استشارة انفعالية حادة ، وتوجيههم نحو هدف واحد يؤلف بينهم جميعا مثل الثورة ضد الاستيراد أو الاعتراض على تشريع جديد ليس في صالح الجماعة التي تعلن رفضها بتجمهرها وهتافاتها المعادية .

وت تكون عينة التجربة التي قام بها مسieur وزملاؤه من ١٢٤ طالبا يبلغ متوسط أعمارهم ٢١ سنة وتمتد هذه الأعمار من ١٧ سنة إلى ٢٨ سنة ، وهم يتالفون من ٧٩ طالبا ، ٤٥ طالبة . وتتلخص نتائج هذه التجربة فيما يلى :

- أعلى نسبة للذين اشتركوا في التجمهر هي نسبة الطلبة الجدد بالكلية ، تليها نسبة الطلبة عامة ، تليها نسبة الطالبات .
- دلت تقارير الطلبة عن مدى تأثرهم بالجماعة على أن ٨٥٪ منهم تأثروا بهتاف زملائهم وأن ٦٪ تأثروا بالخوف وأن ٣٪ تأثروا بالغضب . وأما الـ ٦٪ الباقية فلم تستطع تحديد نوع تأثيرها .

— بلغت نسبة الذين يعتقدون أن كل فرد في الجماعة يشعر بنفس شعورهم ٨٤٪ وذلك ما نسميه الإسقاط الاجتماعي^(١) ، أي إسقاط شعورهم وإحساساتهم في الجماعة كلها صدى لهم أو هم رجع لها ، ولقد بلغت نسبة الذين يقررون أن شعورهم يشابه شعور الجماعة ٧٪ ونسبة الذين يميلون إلى الاعتقاد بأن بعض أفراد الجماعة يشعرون بشعورهم ٣٪ .

- يدل سلوك الأفراد المتجمهرين على أنه تفاعل مع الموقف واستجابة مباشرة له.
- يتأثر الأفراد وهم في الجمودة سابق اتجاهاتهم وعاداتهم ونماذج سلوكهم الشخصية.

رابعاً - الخصائص النفسية لجماعة كبيرة أو صغيرة - للجماعة المستمعة:

الجماعة المستمعة زمرة من الناس تجتمع للأستماع أو للرؤيا أو لهما معاً. ولذا فتسمية تلك الزمرة بالجماعة المستمعة تنطوي على تجاوز للمعنى اللغوي الدقيق الذي تقصد. ولعل شفيعنا في ذلك أن الأساس النفسي لتكوين وتنظيم تلك الزمرة بنوعيها واحدة. وتلك الجماعة أكثر تنظيماً وأرقى شكلاً وموضوعاً وهدفاً من الجمودة. وهي تتفق والجمودة في خصوصيتها لظاهر التأثير الجماعي. وقد تحول الجماعة المستمعة إلى جماعة متجمدة إذا واتتها العوامل الخاصة بهذا التحول. وهي لذلك محطة أنظار الرعماء الطامحين في إثارتهم للجماع الحاشدة إثر خطاب حماسي يلقونه على مستمعيهم.

وتهيمن على الجماعة المستمعة صفات ثقافية مشابهة. فالمستمعون في الجامعة لمحاضرة تلقى عليهم، والمستمعون في السرادق لخطاب سياسي والمستمعون في الفصل لدرس ما، والمستمعون في المسجد للوعظ، كل أولئك يشتركون معاً في صفات عامة تجمع بينهم كمستمعين لمحاضرة أو خطاب أو لدرس أو لوعظ.

(أ) عملية الاستقطاب ومراحلها:

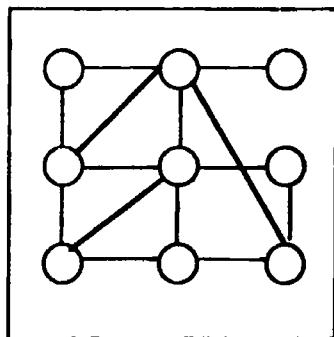
تعنى بالاستقطاب توجه الجماعة المستمعة نحو هدف واحد مشترك، وهذا الهدف قد يكون محاضراً في الجامعة أو مدرساً في المدرسة أو خطيباً في محفل سياسي أو واعظاً في محراب عبادة أو مثلاً في مسرح، أو غير ذلك من الاحتمالات الممكنة.

وتمر عملية الاستقطاب بمراحل ثلاث تبدأ بالتمهيد للاستقطاب وتطور إلى الاستقطاب الجزئي، وتنتهي إلى الاستقطاب الكلى.

١- مرحلة التمهيد للاستقطاب:

تبدأ مرحلة التمهيد للاستقطاب بتواجد المستمعين واحداً إثر آخر داخل مكان الاستماع أياً كان نوعه، كأن يكون قاعة للمحاضرات، أو سرداقاً للتجمع السياسي، أو محراباً للعبادة، وهكذا. ويتسوّجه كل فرد بعد ذلك إلى مكانه المألوف إذا كانت الاجتماعات دورية، أو يبحث له عن مكان إذا كان الاجتماع موقوتاً بأحداث ولم يتكرر من قبل ثم ينشأ بين الوافدين بعد ذلك حوار عابر، وقد يشغل بعضهم نفسه بتأمل مبني قاعة المحاضرات، وقد يهتم البعض الآخر بمقعد المحاضر.

ويدل سلوك الأفراد في هذه المرحلة على تشتت الانتباه. ويمكن أن تمثل علاقات الأفراد وما ينشأ بينهم من حوار في الشكل التالي حيث تدل الدوائر على الأفراد، وتدل الخطوط على العلاقات.

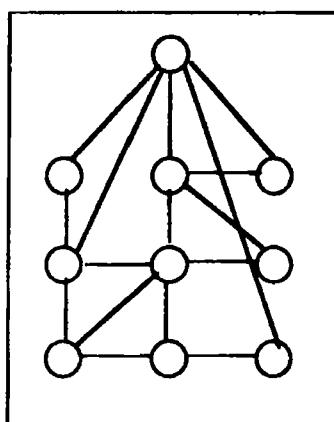


التمهيد للاستقطاب

٢ - مرحلة الاستقطاب الجزئي:

يتطور التمهيد للاستقطاب إلى استقطاب جزئي، فيتجه انتباه بعض المستمعين إلى المحاضر، ويشغل البعض الآخر نفسه بشيء غير المحاضرة وتدل هذه الظاهرة عندما تحدث على أمور شتى أهمها ملل المستمعين، وعجز المحاضر عن جذب انتباهم، وجود بعض عناصر مشاغبة بين المستمعين. وغير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى تشتت الانتباه.

ويمكن تمثيل الاستقطاب الجزئي في الشكل التالي حيث تدل الخطوط المتوجهة نحو المتحدث على ترميز الانتباه أى على الاستقطاب، وتدل الخطوط غير المتوجهة نحو المتحدث على تشتت الانتباه أو الاستقطاب.



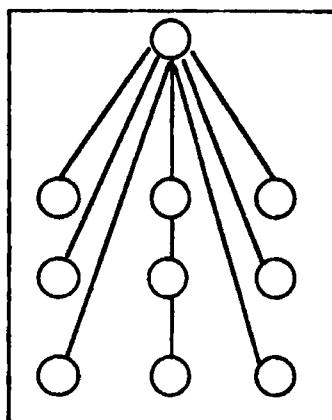
الاستقطاب الجزئي

٢- مرحلة الاستقطاب الكلى:

تضجع مظاهر الاستقطاب الكلى عندما يستطع المتحدث أن يجذب كل انتباه المستمعين نحوه لاستماعهم العميق بما يقول وتأثيرهم البالغ بما يعني. وبذلك تبلغ عملية الاستقطاب ذروتها.

ولا تستمر عملية الاستقطاب الكلى طويلا لأنها سرعان ما تفسح المجال للاستقطاب الجزئى، وتلك بدورها تفسح لها الميدان، وهكذا تتوالى الظاهرتان، الواحدة تلو الأخرى، مع تبادل متصل فى المدى الزمنى لكل منها.

والشكل التالى يبين أهم مظاهر من مظاهر الاستقطاب الكلى وذلك عندما تتجه الخطوط كلها نحو المتحدث لتدل بذلك على أنه بؤرة انتباهمهم جميا.



الاستقطاب الكلى

(ب) الشروط الالزمة للاستقطاب:

تعتمد عملية الاستقطاب فى تطورها على ضرورة توافر شروط محددة تلخص أهمها فى التحدث، والتجانس العقلى الثقافى للمستمعين، وخبرتهم السابقة. والتمهيد الصحيح للحديث المقبل، وتوافق مقومات الموقف العام، ومدى الانتباه، كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل فيما يلى:

١- المتحدث أو المحاضر:

يتوقف نجاح عملية الاستقطاب على المتحدث نفسه، فهو العامل النشيط فى ذلك النوع من العلاقات الاجتماعية. فهو المؤثر والجماعة هى التى تخضع لتأثيراته. هو مؤثر فى عرضه لأفكاره. وفي تصويره وتشيله لحديثه، وفي قوله وبراعة حجته، وفي وضوح أفكاره، وفي موقفه الإيجابى الفعال وكأنه موقف الزعيم من أتباعه، وفي موقف الجماعة منه وكأنه موقف الأتباع من زعيمهم.

وتظل تلك العلاقات قائمة حتى تنشيط الجماعة المستمعة فتضحك أو تبكي أو تصفق أو تصيح. وبذلك تعكس العلاقة الاجتماعية، ويصمت المتحدث إلى حين، ثم يعاود إقامة الحدود النفسية السابقة، ويعاود تنظيم المجال الاجتماعي من جديد. ويجد بعض الخطباء معرفة التوقيت الزمني لصوتهم، ومعرفة الوقت المناسب لفاظهم لأفراد الجماعة على التصفيق. وقد يعلو صياح الجماعة، ويشتت تصفيقها لتعلن بذلك عن تأثيرها البالغ بما تسمع.

٢- التجانس العقلى الثقافى:

يؤدى التجانس العقلى الثقافى إلى سرعة استقطاب الجماعة، ومثال ذلك الجماعة المؤلفة من أفراد حزب سياسى واحد. فهى أسرع إلى الاستقطاب فى استماعها لخطيب ما من جماعة تتكون من أحزاب عددة يعارض أفرادها بعضهم بعضاً. وطلبة الفرقة الدراسية الواحدة أكثر تجانساً من طلبة فرق عدة مجتمعة. وتلك بدورها أكثر تجانساً من طلبة مدارس عددة يجمعها صعيد واحد فى استماعها لخطيب ما.

والتجانس العقلى الثقافى يؤدى إلى وحدة الجماعة. وتلك الوحدة تؤدى بدورها إلى استقطاب الانتباه فى بؤرة واحدة. وانعدام هذا التجانس ينشئ فراغاً نفسياً بين الأفراد. ويؤدى هذا الفراغ إلى توزيع الانتباه. ويعمل أيضاً على تفرقة الأفراد تفرقة سيكولوجية. فالجماعة المستمعة ليست مجرد طائفة من الناس يجمعهم صعيد واحد فى استماعهم لخطيب ما، بل هى تفاعل واستجابة نفسية بين الجماعة والخطيب.

٣- الخبرة السابقة والتدريب:

الجماعة المستمعة فى ظهر يوم الجمعة بالمسجد تنصت إلى الخطيب فى انتباه و تستجيب لندائه عندما تدعى معه الله لغفر لها ذنبها، فإذا الشفاه تحرك فى همس خافت، وإذا الأكف ترتفع فى خضوع و ضراعة. وهذا الإنصات وتلك الحركات تعتمد فى جوهرها على خبرة سابقة و تدريب و مران.

والجماعة المستمعة للمطرب أو المطربة فى حفل غنائى عام، تعلم متى تصفق، ومتى تهتف بحماس، ومتى تنصت فى سكون، فالاستقطاب هنا يعتمد فى جوهره على الخبرة الفردية السابقة بتلك الأمور.

٤- التمهيد الصحيح للحديث الم قبل:

يعنى التمهيد الصحيح للحديث الم قبل إثارة انتباه الجماعة المستمعة بشتى الطرق قبل اجتماعها. وتهدف تلك الاستشارة لتهيئة الأذهان لنوع الحديث الم قبل. فالجماعة الم قبلة للاستماع إلى حديث علمي خاص تنفر حينما تجد تغييراً مفاجئاً يستبدل فيه

بالحديث العلمي حديث سياسى، لأنها أقبلت بحالة عقلية خاصة، وتهيأت للاستماع إلى ضرب خاص من ضروب الحديث. واستقطاب مثل ذلك الجماعة أمر شاق عسير يتطلب من المتحدث مقدرة كبيرة وجهدا بالغا.

٥- توافق مقومات الموقف العام:

تتأثر الجماعة المستمعة في استقطابها بعوامل ثانوية تعتمد في جوهرها على قاعة الاجتماع ذاتها، وعلى خصائصها الضوئية والصوتية. ولمساحة القاعة أثر سيكولوجي في نفوس الأفراد. فالحقيقة القليلة من الناس في البهو الواسع العريض تحس بالوحدة. والخشى الضخم في القاعة التي تضيق بالأفراد يحس إحساسا خفيًا بأهمية موضوع المحاضرة.

ولطبيعة الجو العام المحيط بقاعة الاجتماعات أثره في نفوس المستمعين. فالحديث الديني في مرقص شعبي لا يهمني الجو المناسب لتقبله. ومحاضرة عن الفلسفة في مزاد علني مفضي عليها بالفشل. ولهذا كان جلو المساجد والكنائس الدينية أثر كبير في خشوع الناس وانصاتهم لإمامهم. ولهذا أيضا تلجأ صناعة الفيلم إلى اللون مختلفة من الموسيقى لتهيئة الأذهان جلو القصة.

فتوافق وحدات الموقف يهيمن على المتحدث والمستمعين معا، ويضفي على الحديث نفسه صفات يشتقتها من الكل الذي يحتويه ويساعد عملية الاستقطاب على اكتمال ثوتها.

٦. مدى الانتباه:

كلما احتفظت الجماعة المستمعة بتركيز انتباها في المحاضر أو المحاضرة مدة أطول، كان الاستقطاب أقوى وأشد. ويتأثر مدى الانتباه بدرجة تجانس المجموعة، وبطريقة المتحدث في الإلقاء، وبجادة الحديث نفسه. فالجماعة غير التجانسة لا تقوى على الاحتفاظ بالاستقطاب مدة طويلة. وقد تساعد الجمل القصيرة على تركيز انتباها لأن قصرها يناسب ضيق مدى الانتباه. والخطيب الذي يلتجأ إلى الجمل الطويلة قميء بأن يفشل.

والمحاضر الذي يقرأ محاضراته على الطلبة من مذكرات يحفظ بها معه، أضعف تأثيرا في المستمعين من محاضر لا يعتمد في إلقاء محاضراته إلا على العناصر الأساسية التي يدونها في بطاقة صغيرة ويستطرد هو في بناء محاضرته مستجيبا للتغيرات التي تطرأ على الموقف العام.

ولقد دلت نتائج التجربة التي نشرها مور⁽¹⁾ سنة ١٩١٩ على أن الطريقة الثانية تفوق الأولى بكثير. وتتلخص تجربته في قراءة أحد الموضوعات على مجموعة من الطلبة، ومحاضرة أخرى عبارة عن حوار مع الطلبة في نفس الموضوع ثم قياس مدى فهم المجموعتين. ولقد دلت نتائج هذه التجربة على أن المجموعة الثانية فاقت المجموعة الأولى بحوالي ٣٦٪ في احتفاظها بعناصر المحاضرة وفي فهمها لها.

(ج) مراحل تكوين الجماعة المستمعة:

يتطور تكوين الجماعة المستمعة خلال خمس مراحل: تبدأ الأولى منها بجذب انتباه الأفراد ليجتمعوا حول المتحدث أو الخطيب. وتتطور عملية التكوين بعد ذلك إلى مرحلة الحفاظ على استمرار انتباه الجماعة وزيادة شوقيهم إلى الاستماع. ثم يستمر التطور إلى مرحلة تأثر أفراد الجماعة بما يستمعون ويتطور التأثر إلى الاقتناع. وتنتهي تلك المراحل بعد ذلك إلى قيام الجماعة المستمعة بنشاط معين أو بعمل محدد وفق ما تتلقى من توجيهات وإرشادات.

وللمتحدث أن يسلك بالجماعة المستمعة تلك المراحل الخمس مبتدئاً بالأولى ومتنهياً بالخامسة. وله أن يبدأ بإلحادها ليتهيأ عند التي تليها، أو عند أي مرحلة من المراحل السابقة. ويعتمد اختياره لتلك المراحل على طبيعة الحديث، وهدفه، وعلى خصائص الجماعة المستمعة والموقف العام.

فالمستمعون خطيب على قارعة الطريق إنما يجتمعون حوله لأنه أثار انتباهم وقد يتركونه بعد حين. وهم يغدون إلى اجتماعهم من كل صوب وحصب، مختلفي المشارب والأهواء، متعددى الاتجاهات والأهداف، وقد ينتهى اجتماعهم عند تلك المرحلة. وقد يسلك بهم الخطيب مسلكاً خاصاً في حديثه إليهم حتى يتهيأ بهم إلى المرحلة الأخيرة، ومثال ذلك الحملات الانتخابية التي يقوم بها رجال السياسة لاكتساب أصوات ناخبيهم. فهدف الخطيب هنا توجيه الجماعة المستمعة لانتخابه، وهذا نزوع للقيام بعمل ما.

والطلبة في فصولهم الدراسية يمثلون جماعة درس ومناقشة فهم باجتماعهم هذا في قاعة واحدة، ليسوا إذن بحاجة إلى من يثير انتباهم للتجمع إذ هم فعلاً مجتمعون، وبذلك يبدأ المتحدث إليهم من المرحلة الثانية فيثير اهتمامهم وشوقيهم للاستماع وهو يمضى معهم في حديثه إليهم، ويقضي بهم حتى ينتهي إلى المرحلة الخامسة.

(1) Moore, H. T. The attention value of lecturing without notes. J. of Educ. Psych. 1919, 11, 467 - 469.

و المجتمعات مثل النقابات للمطالبة بحق أو الإعلان رأى خاص تمثل جماعة مستمرة مختارة . فهي إذن ليست بحاجة إلى من يثير انتباها لتجتمعها وليس بحاجة إلى من يثير اهتمامها للإنصات . فأهمية الموضوع الذي من أجله يجتمعون ، واتصاله الوثيق بحياتهم تقوم عندهم بأداء المرحلة الأولى والثانية ، وعلى المتحدث إليهم أن يبدأ معهم مباشرة من المرحلة الثالثة ليتنهى إلى الخامسة .

والجماعة المدبرة – مثل جماعة الفدائين – تبدأ بالمرحلة الرابعة ثم الخامسة فهي ليست في حاجة إلى المراحل الثلاث الأولى .

والجنود في إصعادهم لقادتهم وتنفيذهم لأوامره ، إنما يمثلون بذلك جماعة نظامية تبدأ بالمرحلة الخامسة فتنزع توا إلى القيام بنشاط محدد .

خامساً - الخصائص النفسية لجماعة صغيرة - جماعة المناقشة :

جماعة المناقشة ، جماعة صغيرة ، علاقاتها الاجتماعية متبدلة ، ولقاء أفرادها لقاء وجه لوجه . ويتصرف نشاطها بالдинامية لتغييره خلال تطوره وتغير دور الفرد من موقف فكري في المناقشة لموقف فكري آخر .

وعندما تكبر جماعة المناقشة ، ويزداد عدد أفرادها ، يحتكر بعض هؤلاء الأفراد المناقشة ويظل الآخرون دون دور إيجابي يقومون به ، ولا يبقى أمامهم إلا أن ينصتوا ، ولذا لا تصلح المناقشة الجماعية إلا في الجماعات الصغيرة .

ومن أمثلة جماعات المناقشة اللجان التي تجتمع لدراسة موضوع محدد والعمال الذين يجتمعون لمناقشة مشكلة تهمهم ، والزراع الذين يناقشون استخدام نوع جديد من السماد . والجماعة لا تسمى جماعة مناقشة إلا إذا كان حوارها قائما على معالجة مشكلة أو مواجهة موقف ، ولذا لا تسمى جماعة العلاج النفسي جماعة مناقشة ، ولا تسمى جماعة الأصدقاء الذين يسمرون في حفل ما جماعة مناقشة .

وجماعة المناقشة بهذا المعنى جماعة تفكير جماعي .

(أ) أهم وظائف جماعة المناقشة :

١- التفكير الجماعي :

عندما يناقش الإنسان مسألة مع الآخرين فإنه يقوم ببحثها بحثا جماعيا وهذا البحث يتخذ لنفسه صورة من صور الحوار العقلى الذى ينشأ وينمو بين أفراد جماعة صغيرة من الناس .

والمناقشة بهذا المعنى عملية فكرية جماعية يعالج بها أفراد جماعة صغيرة مشكلاتهم بطريقة تعاونية ناقدة مرنة تيسر لكل فرد الاشتراك فى تحديد موضوع المناقشة ،

وفي صياغة عناصرها وتساعد على ظهور وجهات النظر الأساسية، وعلى تحديد الخطة الشاملة وعلى اتخاذ القرارات النهائية الضرورية لمعالجة الموضوعات والمشكلات المختلفة. والحل الجماعي للمشكلة ليس مجرد صورة أخرى للحل الفردي، وإنما هو ظاهرة متمايزه لها خصائصها وصفاتها.

ويحدث هذا النوع من التفكير خلال عملية الاتصال العقلى التى تحدث بين أفراد الجماعة، أى أثناء التفاعل الاجتماعى، وما ينطوى عليه هذا التفاعل من علاقات متبادلة بين الأفراد. ومعنى ذلك أنها عملية تفكير جديد، وليس مجرد مجموع المحاولات الفردية لمعالجة مشكلة قائمة، وذلك لأنه يتطلب وصول الجماعة إلى قرار، وما ينطوى عليه من هذا القرار من حوار فكري وتباحث واتفاق. فالممناقشة بهذا المعنى تفكير جماعى.

٢- ممارسة الديمقراطية،

المناقشة أساسها الشورى. والشورى عملية ديمقراطية. وعندما يتحرر الفرد من الضغوط وهو يناقش يتحرر أيضاً من المخاوف والشكوك فيألف الآخرين بعد أن كان ينفر منهم وتتعذر اتجاهاته وقيمه في ذلك الجو السوى الصحيح.

ولذا تساعد المناقشات الجماعية الجماعة على ممارسة الديمقراطية والتدريب على أسلوبها في الحوار الذي يؤكد أهمية الحرية في نجاح المناقشة، وذلك لأن جو المناقشة الجماعية يهيء الفرصة المناسبة لكل فرد حتى يدللي برأيه، ويشارك بخبراته في المناقشة القائمة.

فهي بهذا المعنى عملية إيجابية تشير نشاط الأفراد، وتشيع بينهم الجو الديمقراطي الضروري للخصوصية الفكرية.

٣- نقد المعرفة،

زادت وسائل نشر المعرفة في القرن العشرين إلى الحد الذي أصبح لزاماً على الفرد أن يتعلم كيف يختار ما يناسبه منها واختفى بذلك ذلك النوع من المثقفين الذي كان يلم بكل علوم عصره، وتحولت المعرفة الموسوعية إلى معرفة فارقة متخصصة.

ولم تعد مشكلة المعرفة مشكلة نقص في المعلومات بل أصبحت مشكلة اكتشاف المعلومات الصحيحة من الزائفة، ومعرفة الخبر من الإشاعة، والحقيقة من الدعاية. وقد نشأت هذه المشكلة نتيجة لتعدد وسائل نشر المعلومات التي امتدت من الكتاب إلى الصحافة إلى الإذاعة والتليفزيون والسينما، وجاوزت في مداها حدود الكرة الأرضية فاستخدمت الأقمار الصناعية في نقل المعرفة عبر المسافات النائية.

والمناقشات الجماعية وسيلة فعالة في اصطراخ الفكر وتحقيق الرأي والكشف عن المعرفة الأصلية والدخيلة والصحيحة والزائفة.

والإنسان يناقش ليرى سبيله في حياته، وليكتشف ما يصلح هذه الحياة من معارف وأراء، وما يصلح من هذه المعارف والأراء لأن يكون أسلوب حياة، ونظام عمل.

٤- تأكيد الذات،

تعد المناقشة الجماعية من أهم الوسائل التي يتبعها الفرد للتعبير عما يخالج نفسه من أفكار وانفعالات، فيؤكد بذلك شخصيته وينميها وذلك عن طريق العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بينه وبين الآخرين خلال تطور مراحل المناقشة وخاصة عندما تستمع الجماعة لرأيه، وتهتم به، وتناقشه مؤيدة إياه، أو ناقده له، أو تتطلب منه مزيداً من المعلومات.

ويشعر الفرد بالراحة عندما يسأل في جانب، وبهتم به من يجيبه، ويوليه عنايته. وبذلك تنمو ثقة الفرد بنفسه من خلال حواره، متحدثاً أو مستمعاً، سائلاً أو مجيباً.

٥- تدعيم التعلم،

تؤثر المناقشة الجماعية على مدى قابلية الكبار للتعلم لأنها تسخير ميولهم وتيسير لهم إدراك النواحي المعنوية بما تضفيه عليها من واقعية وخبرات عملية. وتؤدي بذلك إلى تدعيم التعلم لأنها تشعر الفرد بالأهمية عندما ينصت إليه الآخرون.

وهي بذلك تسخير ميول الكبار لأنها تتحقق لهم النشاط الحيوي المناسب للتفاعل الاجتماعي المتصل بين الأفراد المختلفين. ولذا فهي وسيلة قوية لتعليم الكبار. وهي تختلف عن أغلب الوسائل التعليمية الأخرى في أنها إيجابية تؤكد شخصية الفرد، وتسير به وفق مستوى، وتوضح له الغموض الذي يواجهه وتقود معه في أبعاده الفكرية وفق استعداداته ومواهبه المختلفة.

وتحدف المناقشة الجماعية في نواحيها التعليمية إلى تجسيد الأفكار المعنوية التي يصعب على الفرد العادي إدراكها إدراكاً مباشراً، لأن تلك المناقشة تعتمد في نموها وتطورها على مدى خصوصية الخبرات التي يؤكد بها كل فرد آراءه أثناء حواره ومناقشاته.

ويجلب أغلب الأفراد إلى أن يتحدثوا أثناء مناقشاتهم عن خبرات حياتهم الماضية حتى يوضحوا الفكرة التي يعالجونها خلال المناقشة. ولهذا التوضيح أهميته التعليمية في ربط المفاهيم المختلفة بواقع الحياة اليومية.

وهكذا ندرك أهمية المناقشة الجماعية في العملية التعليمية المشتركة بين الأفراد، وذلك لأن التعلم في جوهره تغير في السلوك المكتسب نتيجة للاتصال الاجتماعي الذي يحدث بين فرد وفرد آخر، أو بين فرد وإنماج فرد آخر.

وعندما ينجح الفرد في التعبير عن نفسه، ويرى أثر هذا النجاح على وجوه المستمعين فإنه يمضي في طريق تطوره التعليمي على هدى ويقين. ومن المعروف علمياً أن النجاح يؤدي إلى النجاح. والنجاح بهذا المعنى تدعيم للعملية التعليمية. والجواهري الاجتماعي الذي ينشأ أثناء المناقشة يصبح العملية التعليمية بألوان عاطفية تساعد على تأكيد هذه العملية وتثير رغبات وميول الناس في مزاولتها والاستمرار فيها لأنها تحقق لهم رغبة شخصية، وتؤكد تدعيم التعلم الذي يحدث بين الأفراد خلال المناقشة.

(ب) خصائص التفاعل الاجتماعي في جماعة المناقشة،

١- تحليل عملية التفاعل في جماعة المناقشة:

دلت نتائج الأبحاث التي نشرها بيلز^(١). Bales سنة ١٩٥٠ على أنه يمكن تحليل التفاعل الاجتماعي الذي يحدث أثناء المناقشة الجماعية عن طريق تصنيف مظاهر النشاط الاجتماعي الذي يحدث خلال تطور المناقشة إلى ست مراحل يتلو بعضها بعضاً، وتنقسم كل مرحلة إلى اتجاهين أحدهما سالب والآخر موجب. والسؤال سؤال أو طلب، والموجب إجابة عن ذلك السؤال أو عطاء للطلب كما يبين ذلك الشكل التالي (ص ٨٨).

وتتطور المراحل من المعلومات إلى الرأى إلى المشورة إلى القرار إلى التزاع، وتنتهي عند التكامل. فهي بهذا المعنى ست مراحل تشتمل على ستة اتجاهات سالبة وستة اتجاهات موجبة.

والاتجاه السالب في المرحلة الأولى مراحل المعلومات هو طلب معلومات، وطلب تكرار معلومات سبق أن قبليت حتى تتضح معانيها وتتأكد مراميها ومقاصدها. والاتجاه الموجب في نفس هذه المرحلة إعطاء معلومات وتكرار معلومات سبق أن قبليت وتوضيح لها وتأكيد لأهميتها.

والاتجاه السالب في مرحلة الرأى طلب الرأى وتحليله. والاتجاه الموجب إعطاء للرأى وتحليله.

والاتجاه السالب في مرحلة المشورة طلب مقترنات وإرشادات، وطلب توضيح للطرق المحتملة للعمل. والاتجاه الموجب اقتراحات وإرشادات وتوضيح للطرق المحتملة للعمل.

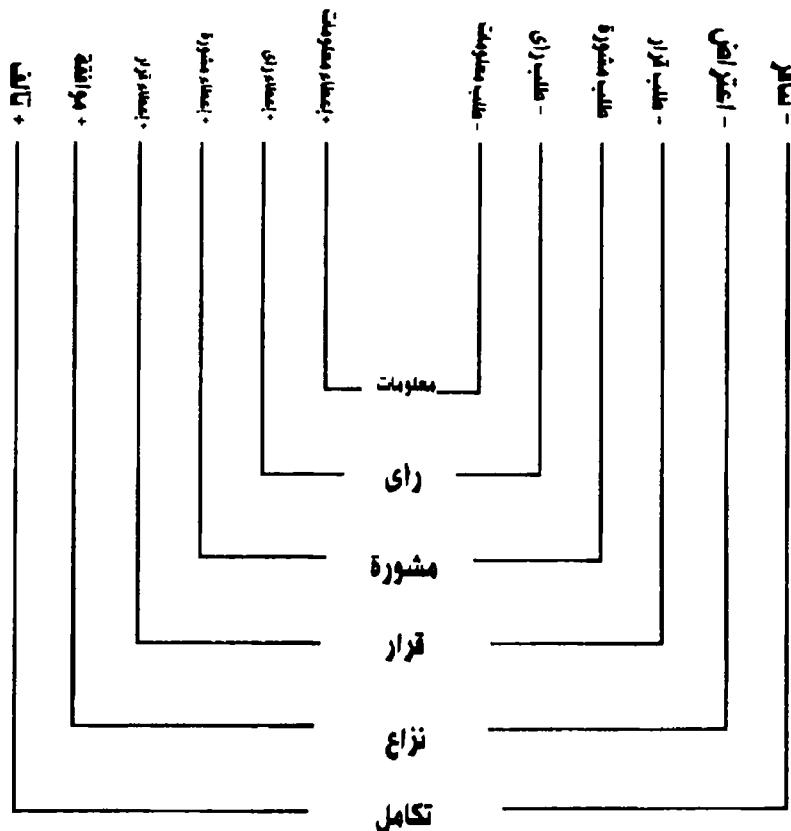
(1) Bales, R. F. Interaction Process Analysis: A Method for the Study of small Group. Cambridge, Mass., Addison - Wesley, 1950.

والاتجاه السالب في مرحلة القرار طلب القرار وقد يمتد هذا الاتجاه السالب إلى رفض المساعدة. والاتجاه الموجب اتخاذ القرار، وقد يمتد هذا الاتجاه إلى الفهم الصحيح للقرار.

والاتجاه السالب في مرحلة النزاع الأعراض وقد يصل الأمر إلى الانسحاب. والاتجاه الموجب الموافقة والرضا.

وينتهي التفاعل في مرحلة التكامل بالتسوية الشاملة ويصبح اتجاهها السالب التناقض واحتقار وامتهان آراء الآخرين. والدفاع عن النفس وتأكيدها بطريقة عدوانية. ويصبح اتجاهها الموجب التألف، والتضامن، واحترام وتقدير آراء الآخرين.

وتصنف المراحل إلى عمليات عقلية تمثل في مرحلتي المعلومات والرأي، وعمليات افعالية تمثل في مرحلتي المشورة والقرار. وعمليات سلوك وتتمثل في مرحلتي النزاع والتكامل.



مراحل التفاعل في جماعة المناقشة واتجاهاتها السالبة والموجبة

٢- العوامل التي تؤثر على مراحل التفاعل:

تلخص أهم العوامل التي تؤثر في سير المناقشة الجماعية في موقف الفرد من الجماعة، وفي موقف الجماعة منه، وفي طريقة توجيهه المناقشة.

فاما عن موقف الفرد من الجماعة فهو إما أن يوافقها على رأيها العام ويظل موافقاً لها في آرائها وبذلك تصبح مشاركته سلبية لكل ما يقال. وهذا لا يؤدي بالمناقشة إلى هدفها الصحيح. وإما أن يبدأ معارضها ويناقش وينتقد، وعندما يقتضي تحول إلى الموافقة. وقد يغير الفرد رأيه ويقر الرأى المعارض له إذا اقتنع أن هذا التغيير يهدف إلى المصلحة العليا ويبقى على التمسك الجماعي المتبع. وقد يحاول الفرد أن يقنع نفسه وغيره بأن الفروق القائمة بين الرأى الذي يعتقده والأراء الأخرى المارضة له فروق بسيطة غير جوهرية، ويجب أن تهمل حتى تسير الجماعة في اتجاه واحد ومسار مستقيم. وإنما أن يبدأ الفرد معارضها ويبقى معارضها حتى النهاية لا يحاول أن يفهم الآراء المختلفة بل قد ينس عن عواطفه بأن يحقر رأى معارضيه أو ينكره أو يشوهه، وفي هذا إعاقة لسير المناقشة، وتصلب في الرأى لا قيمة له. وبذلك يتلخص موقف الفرد من الجماعة في الموافقة أو التحول أو المعارضه.

وأما موقف الجماعة تجاه المعارضين من الأفراد فيتضح عندما يبدى أحد الأفراد رأياً يخالف الرأى العام للجماعة، فإن الذي يحدث هو أن الجماعة تنشط وتركت انتباها على هذا الفرد ليغير رأيه ولو بطريقة غير منطقية، وإذا كان الفرد الذي أبدى ذلك الرأى المعارض للجماعة له أهميته ومكانته، فإن الجماعة قد تفسر رأيه في الناحية التي لا تهدد كيانها وتضامنها. وقد تلتزم له الأعذار بأن تعتقد أنه لا يعني ما قال أو أنه أساء فهمه أو قد تغير الجماعة رأيتها من أجل الفرد. أما إذا كان التمسك أقوى من الفرد فإن الجماعة تعزل هذا الفرد وتبعده عن اجتماعاتها حتى لا يتهدد تمسكها وكيانها.

وأما طريقة توجيهها ومدى سيطرة بعض أفرادها على الآخرين فإنه من المعروف علمياً أن أنساب جو للمناقشة هو الجو الديمقراطي حيث يصل إنتاج الجماعة فيه إلى القمة. وذلك عكس القيادة المسيطرة أو القيادة الفوضوية كما دلت على ذلك الابحاث المختلفة في ديناميات الجماعة وسيكلولوجية القيادة. وتتأثر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد بفكرة الفرد عن نفسه وعن الآخرين، ويفرق مستوى إنتاجه عن مستوى طموحة.

(ج) توجيه المناقشة الجماعية:

تدل نتائج أغلب الابحاث على أن أهم الصفات التي يجب أن تتوفر لدى موجه المناقشات الجماعية يمكن أن تتلخص فيما يلى:

- ١ - القدرة على إثارة الأسئلة وتهيئة الجو المناسب لحرية المناقشة.
- ٢ - القدرة على معالجة التتعصب والتزاع عندما يظهر بين أفراد الجماعة والإنسان بطبعه عدو لما يجهل. وقد ينشأ بين بعض الأفراد لون من الخلاف نتيجة التعصب لفكرة معينة أو لفرد معين، وعلى موجه المناقشة الجماعية أن يتتبه تماماً لهذا اللون الغريب الذي يحول بين المناقشة وبين تحقيق هدفها.
- ٣ - يجب على موجه المناقشة أن يشجع كل فرد للمشاركة الإيجابية، وأن يهتم بالأفراد الصامتين، والخجولين فيدعوهم بطريقة مشجعة إلى الاشتراك في المناقشة.
- ٤ - يجب على موجه المناقشة الجماعية لا يفرض آراءه على المتناقشين فمن المفترض أن الأفراد هم الذين يناقشون المشكلة بحرية تامة حتى تظهر الحقيقة المرجوة من تلك المناقشة، وهو كأى فرد منهم له الحق في إبداء رأيه وليس له حق فرضه عليهم.
- ٥ - يجب على موجه المناقشة الجماعية أن يحول بين بعض الأفراد وبين السيطرة على ناحية معينة من المناقشة.
- ٦ - يجب على موجه المناقشة لا يفضل بعض المتحدثين على الآخرين إذ أن هذا التفضيل ينشئ جواً غير سوى بين الأفراد ويعوق سير المناقشة الجماعية.
- ٧ - يجب أن تتوافق لدى موجه المناقشة القدرة على التلخيص الصحيح بين الحين والأخر، وعليه أن يعرض هذا التلخيص على أفراد الجماعة ليقرروه أو لينقدوه. وعملية التلخيص المتالية تساعد على تسجيل جميع نواحي المناقشة وربط أفكارها وعناصرها.
- ٨ - القدرة على التوقيت وتحديد الزمن المناسب للمناقشات العامة والفرعية في بدنها ونهايتها ومداها، فأحياناً يستمر الإنسان في حديثه ويستغرق وقتاً طويلاً في الإلقاء بآرائه، وهذا معناه طغيان بعض الأفراد على وقت الآخرين وحقهم في مناقشة الآراء المختلفة والإنسان بطبعه يميل إلى أن يستمع إلى صوته. ذلك الصوت الذي يحس له الفرد ضخامة وقداسة. وإذا استمرت العملية بهذا الوضع فإن المناقشة لا تؤتى ثمرتها، ولذا فعلى موجه المناقشة أن يلاحظ التوزيع الزمني الصحيح بالنسبة للأفراد والأفكار.
- ٩ - يجب على موجه المناقشة أن يحول بين المناقشة وبين انحرافها عن الهدف. وعليه أن يذكر الأفراد بموضوع المناقشة، وخاصة كلما استطروا في مناقشات فرعية لا تمت إلى الهدف بصلة.
- ١٠ - يجب على موجه المناقشة أن يدرك خلال مراحل المناقشة مدى اقترابها من الهدف، وأن يشعر المتناقشين بهذه الناحية، وأن يقدر السرعة التي تقترب بها الجماعة من تحقيق هدفها والعوامل المؤدية إلى هذه السرعة فيؤكدها ويعمل على نشرها.

- ١١ – يجب أن يهتم موجه الماقشة بشرح فكرة الماقشة منذ البدء حتى يفهم كل فرد الموضوع الذي يناقشه.
- ١٢ – من الصفات الرئيسية للتوجيه الناجح للجماعات الصغيرة القدرة على إشاعة الاحترام المتبادل بين الأفراد، وبين الفرد والجماعة.
- ١٣ – يجب أن يعمل موجه الماقشة على أن يوجه عملية النقد وجهتها الصحيحة.
- وهكذا يصبح النقد نقدا للأراء لا نقدا للأفراد.

(د) قياس الماقشة الجماعية:

١- قياس قدرة الموجه على تسيير الماقشة،
بما أن الماقشة الجماعية عملية تدريبية وانتاجية، إذن يجب أن يتطور تدريب الموجه والأفراد حتى يصل الإنتاج العقلاني الجماعي إلى نهاية العظمى. ولذا علينا أن نقيس قدرة الموجه على تسيير الماقشة الجماعية.

وخير طريقة لتحقيق فكرة القياس بالنسبة لهذه الظاهرة هو الاستبيان. وعلى الأفراد المشتركين في الماقشة أن يحكموا على القدرات المختلفة لموجه الماقشة وفقا للجدول في الصفحة التالية:

ويستحسن أن يوزع هذا الاستبيان على الأفراد المشاركون في الماقشة وأن تخلل نتائجه في نهاية الماقشة حتى يستفيد منها موجه الماقشة بالنسبة للمجتمعات المقبلة.

٢- قياس التفاعل الاجتماعي أثناء الماقشة:

تعتمد طريقة قياس التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الأفراد أثناء الماقشة الجماعية على المراحل وأقطابها السالبة والموجبة. وذلك عن طريق إعداد جدول يبين نشاط كل فرد خلال الماقشة.

والجدول ص ٩٣ يوضح فكرة قائمة قياس التفاعل حيث يدل العمود الأول على المراحل وأقطابها السالبة والموجبة. ويبدل الصف الأول على أرقام أفراد الماقشة. وتدل خلايا القائمة على تكرار نشاط كل فرد في كل مرحلة بقطبيها السالب والموجب.

وعلى كل جماعة مناقشة أن تنتخب أحد أفرادها ليقوم بعملية رصد النشاط في القائمة المعدة لذلك. ويمكن أن نحوال تكرار نشاط كل فرد في كل مرحلة من مراحل التفاعل إلى نسبة مئوية وأن نحوال هذه النسبة إلى خط بياني يدل على التفاعل الاجتماعي لكل فرد من أفراد جماعة الماقشة، ويسمى مثل هذا الخط البياني ببيان التفاعل الاجتماعي.

استبيان لقياس قدرة الموجه على تسيير المناقشة

ضعف	القليل المتوسط	متوسط	لوقت المتوسط	متناز	صفات الموجة
					<p>١ - القدرة على إثارة الأسئلة.</p> <p>٢ - القدرة على معالجة التعرّض</p> <p>٣ - تشجيع الخجولين على المناقشة.</p> <p>٤ - لا يفرض رأيه على المناقشين.</p> <p>٥ - منع الأفراد من السيطرة على المناقشة.</p> <p>٦ - عدم تفضيل بعض المتحدثين على الآخر.</p> <p>٧ - القدرة على التلخيص.</p> <p>٨ - القدرة على تحديد الزمن المناسب.</p> <p>٩ - توجيه سير المناقشة نحو الهدف.</p> <p>١٠ - تقديم سرعة اقتراب المناقشة من الهدف.</p> <p>١١ - القدرة على شرح موضوع المناقشة.</p> <p>١٢ - القدرة على احترام أفراد المناقشة.</p> <p>١٣ - القدرة على توجيه الجماعة للنقد.</p> <p>١٤ - إشاعة روح المرح والفكاهة.</p>

قائمة تسجيل التفاعل الاجتماعي أثناء المناقشة

الآفراد					الاتجاه السالب والموجب	المراحل
٥	٤	٢	١	٠		
					طلب معلومات	(١) المعلومات
					إعطاء معلومات	
					طلب الرأي	(٢) الرأي
					إعطاء الرأي	
					طلب المشورة	(٣) المشورة
					إعطاء المشورة	
					طلب القرار	(٤) القرار
					إعطاء القرار	
					الاعتراض	(٥) النزاع
					الموافقة	
					التنافر	(٦) التكامل
					التاليف	

سادساً، المُلْحَصُ:

بدأ علم النفس الاجتماعي في نشأته بدراسة الجماعات الكبرى مثل الجمهرة، ثم تطور في مباحثه المعاصرة لدراسة الجماعات الصغرى التي لا يكاد يزيد عدد أفرادها عن ٣٠ فرداً مثل جماعة المناقشة.

والجماعة في مفهومها المنطقي مجرد تصنيف لطائفة من الناس يشتراكون معاً في صفة ما أو في صفات متعددة. والجماعة في مفهومها النفسي الاجتماعي هي التي يتفاعل أفرادها في مواقف محددة ويدركون البيئة المحيطة بهم إدراكاً اجتماعياً مشتركاً أو متشابهاً، وينسبون سلوكهم إلى قيم ومعايير واحدة، ويعتمدون في تحديد مكانتهم الاجتماعية على تلك القيم، ويسعون لتحقيق هدف مشترك، ويؤدون أدوارهم في أي نشاط تقوم به الجماعة وفق ما بينهم من فروق فردية تميز وتؤكد خصائص كل فرد منهم.

وتقسم الجماعة إلى جماعات. وبعض أسس التقسيم تنطوي تحت الخصائص النفسية الاجتماعية. والبعض الآخر لا ينطوي تحت تلك الخصائص، وتكمّن أهميته في تحديد الصفات الفارقة للجماعة في مفهومها النفسي الاجتماعي وفي مفهومها المنطقي. وتقسام الجماعة بالنسبة لحجمها إلى صغيرة وكبيرة، وتعد الصغيرة من أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي، وبالنسبة للموضوعية والذاتية إلى وحدة العوامل الموضوعية، وهذا مفهوم منطقي. وإلى وحدة المعايير الاجتماعية والاتجاهات، وهذا مفهوم نفسي اجتماعي. وإلى تشابه السلوك ووحدة العمل، وإلى الشعور المشترك بالتبني. وهما صفتان تنطويان تحت المفهوم النفسي الاجتماعي. وبالنسبة إلى الجزئية والكلية إلى ما يهيمن على جزء محدود من نشاط الفرد وما يسيطر سيطرة كاملة على نشاط الفرد. والكلية أقرب إلى مفهوم النفسي الاجتماعي من الجزئية. وبالنسبة للتقييد والحرية إلى ما يستلزم خضوع الفرد لمعايير مقتنة ومسالك محددة، وإلى ما يحرر الفرد من أغلب تلك القيود. وللنوعين دورهما في المفهوم النفسي الاجتماعي. وبالنسبة للثبات إلى جماعة ثابتة وهي من الخصائص النفسية الاجتماعية للجماعة وإلى جماعة ثابتة نوعاً ما وجماعة غير ثابتة وهما أبعد من الثابتة في انتسابها للمفهوم النفسي الاجتماعي. وبالنسبة للداخلية والخارجية، تعد الأولى الجماعة التي يتمتع بها الفرد في مواجهة أخرى قد تكون في موقف عدواني مع الداخلية، ولذا قد تنطوي الداخلية والخارجية تحت المفهوم النفسي الاجتماعي للجماعة. وبالنسبة لأسبقية ظهورها في حياة الفرد إلى وثيق وأولية ووسطي وثانوية. فاما الوثيق فتبدو في علاقة الأم بطفليها والزوج بزوجه. ومن أهم

خصائصها أن الاتصال الاجتماعي يكون وجهاً لوجه مباشرةً مستمراً حيناً وكثير التكرار أحياناً، وحدته الانفعالية عميقه تؤثر في الفرد طول حياته، ومدى ارتباطه الاجتماعي قد يكون كلياً أو شبه كلي. وأما الأولية فخير مثال لها الأسرة، واتصالها الاجتماعي يكون وجهاً لوجه مباشرةً وكثير التكرار في مراحل الطفولة ثم تقل مرات تكراره بعد ذلك، وحدته الانفعالية تترك أثراً في نفوس الأفراد وذكريات تبقى مدى الحياة، ويدل مدى ارتباطه على أفكار مشتركة وطموح متقارب واستقلال عاطفي نوعاً ما. وأما الوسطى فمن أمثلتها زملاء العمل وسكان أحد الأحياء في قرية ما. ويكون اتصالها الاجتماعي وجهاً لوجه، مباشرةً، يتكرر أحياناً، وحدته الانفعالية سطحية، وعلاقاته شكلية أو قريبة من الشكلية. ويدل مدى ارتباطه على تأكيد الناحية الفردية في الطموح وما يصاحب ذلك من استقلال عاطفي نوعاً ما. وأما الشانية فمن أمثلتها المدرسة، والأحزاب السياسية، ويكون اتصالها الاجتماعي غير شخصي وغير مباشر، نادراً بالنسبة للزمان والمكان، وحدته الانفعالية شكلية، ويدل مدى ارتباطه على التحفظ والاستقلال العاطفي إلا في الأزمات التي تمس جميع أفراد الجماعة.

والفرد في انتمامه الاجتماعي لا يقصر هذا الانتمام على جماعة واحدة بل يمتد به إلى جماعات عدّة. وتتغير هذه الجماعات خلال مراحل نمو الفرد.

وستبين فيما يلى أهم الخصائص النفسية الاجتماعية لثلاث جماعات يهتم علم النفس الاجتماعي بدراساتها. الأولى هي الجمهرة وهي جماعة كبيرة عاصرت دراستها علم النفس الاجتماعي منذ نشأتها الأولى. والثانية الجماعة المستمرة وهي بطبيعة تكوينها قد تكون أحياناً جماعة كبيرة وأحياناً تكون جماعة صغيرة. والثالثة جماعة المناقشة وقد زاد الاهتمام بها في الدراسات المعاصرة لأهميتها في التفكير الجماعي.

فأما الجمهرة فتكون من حشد كبير نسبياً من الناس يستجيبون لاستجابات انفعالية حادة ويعتمدون على مثير مشترك، ويتجهون في تجمعهم نحو بؤرة واحدة ويتفرقون عنها عندما ينتهي التجمهر. وقد تصبح الجمهرة وباء عقلياً عندما تنتشر بين الأفراد في أماكن متعددة. وتعد بذلك وسيلة من أهم وسائل التتفيس عن التوتر الاجتماعي الحاد. ومن أهم خصائص الجمهرة أن استجابات أفرادها متشابهة أو مشتركة، وتتميز بالغضب والثورة، وتتصدر عن دافع أو مثير واحد مشترك، وقد يكون هدف التجمهر عاماً غامضاً، بادئ ذي بدء، لكنه سرعان ما يتحدد عندما ينهض من بين المتجمهرين زعيم ينظم صفوفهم لهجوم مباشر. وتهيمن على المتجمهرين عاطفة جارفة هوجاء تصدر عن شحنة انفعالية قوية. ويدل سلوكهم على مستوى منخفض من الذكاء لأن حدة الانفعال

تکاد تشنل القوى الإدراكية العليا . وقرارات الجمودة سريعة يغلب عليها الطيش والاندفاع ، ويتأثر أفرادها بالاستهواء ، ويضعف شعورهم بالمسؤولية ، ويشعرون بالقوة العالمية نتيجة للتكتل البشري الذى تتصف به الجمودة ، وتنشأ الزعامة فى تلقائية لكنها سرعان ما تنتقل من زعيم لزعيم آخر وهكذا . ولقد واجهت الطرق العلمية التى تصدت لقياس خصائص الجمودة صعوبات مختلفة ومتنوعة مثل متابعة تطور الأحداث ، وكثرة عدد المتجمدين وصعوبة التنبؤ بالخطوة التالية . وقد استخدم التسجيل السينمائى للتغلب على أغلب تلك الصعوبات . واستعان بعض الباحثين الآخرين بتهيئة الجو المناسب للتجدد ثم قياس استجابات الأفراد عن طريق الاستبيان .

وتعد الجماعة المستمعة جماعة كبيرة أحياناً وصغرى أحياناً أخرى . دراسة خصائصها دراسة لهذا النوع من الجماعات . وهى فى مفهومها النفسي الاجتماعى زمرة من الناس تجمعت للاستماع أو للرؤية أو لهما معاً .

وقد تحول هذه الجماعة إلى جمودة إذا واتتها العوامل الخاصة بهذا التحول ولا يتم تحويل الجماعة المستمعة إلا إذا اكتملت عملية الاستقطاب . ونعني بالاستقطاب توجه الجماعة المستمعة نحو هدف واحد مشترك . وتتطور عملية الاستقطاب في ثلاثة مراحل : الأولى هي التمهيد للاستقطاب وقوامها توافد الأفراد إلى مكان الاجتماع واهتمامهم أحياناً ببعض المحاضر . والثانية الاستقطاب الجزئي وتميز بالتجاه بعض المستمعين إلى المحاضر والانتباه له ، بينما البعض الآخر لا يتوجه له ولا يتتبه إليه وذلك لما يشعرون به من ملل أو لعجز المحاضر عن جذب انتباهم . والثالثة الاستقطاب الكلى ويحدث هذا النوع من الاستقطاب عندما يتمكن المتحدث من جذب انتباه كل المستمعين . وتعتمد عملية الاستقطاب في نجاحها على توافر شروط مختلفة أهمها : المتحدث أو المحاضر وما يتميز به من قدرة لتوضيح أفكاره ولبراعة حجته ولمعرفة التوقيت المناسب للصمت ، ولحفظ المستمعين ومثال ذلك طلبة الفرقة الدراسية الواحدة . والشرط الثالث هو الخبرة السابقة للجماعة المستمعة مثل جماعة المصليين في المسجد يوم الجمعة . والشرط الرابع هو التمهيد الصحيح للحديث المسبق حتى تتهيأ أذهان المستمعين له . والشرط الخامس هو توافق مقومات الموقف العام من حيث الخصائص الضوئية والصوتية لقاعة الاستماع . والشرط السادس هو مدى انتباه الجماعة المستمعة ويتأثر هذا المدى بدرجة تجانس الجماعة ، وبطريقة المتحدث في الإلقاء ، وبإدراك الحديث نفسه وبطول جمل المتحدث حيث إن الجمل القصيرة أجدى من الطويلة لأنها تناسب ضيق مدى الانتباه . ويتطور تكوين

الجماعة المستمرة خلال خمس المراحل: أولها جذب انتباه الأفراد ليجتمعوا، وثانيها الحفاظ على استمرار انتباه الجماعة وثالثها تأثر أفراد الجماعة بما يستمعون، ورابعها الاقتناع بما يقال، وخامسها قيام الجماعة المستمرة بنشاط معين أو بعمل محدد.

وخير مثال لتوضيح أهم الخصائص النفسية للجماعات الصغيرة جماعة المناقشة، وذلك لأن علاقاتها الاجتماعية متبدلة، ويلتقي أفرادها وجهاً لوجه ولا يكاد يزيد عدد أفرادها عن ٣٠ فرداً. وتتلخص أهم خصائصها في التفكير الجماعي لمعالجة مشكلة بطريقة تعاونية ناقلة مرنة وذلك بهدف اتخاذ القرارات النهائية عن طريق الحوار العقلاني الجماعي. وفي ممارسة الديمقراطية لأن المناقشة أساسها الشورى. وفي نقد المعرفة وذلك لأن مشكلة المعرفة لم تعد مقصورة على نقص المعلومات، بل تعدت إلى اكتشاف المعلومات الصحيحة من الزائفة، والحقيقة من الإشاعة أو الدعاية، وفي تأكيد الفرد لذاته وخاصة عندما تستمع الجماعة لرأيه، وتهتم به، وتناقشه. وفي تدعيم عملية التعليم ولذا تعد المناقشة الجماعية من أهم وسائل تعليم الكبار لأنها إيجابية تؤكد شخصية الفرد.

وتتطور عملية التفاعل في جماعة المناقشة خلال ست مراحل، وتقسم كل مرحلة إلى اتجاهين أحدهما سالب والآخر موجب. وتبدأ عملية التفاعل بالمعلومات اتجاهها السالب: الطلب واتجاهها الموجب: الإعطاء. تليها مرحلة الرأي في طلبها وإعطائها. ثم مرحلة النزاع في اعتراضها وموافقتها. وتنتهي في مرحلتها السادسة إلى التكامل حيث يصبح اتجاهها السالب هو التناحر واتجاهها الموجب هو التالق. وتتأثر مراحل التفاعل بموقف الفرد من الجماعة في موافقته أو تحوله أو معارضته. وبموقف الجماعة من الفرد في تغييرها لرأيه، أو تغيرها لرأيها هي، أو في عزلها للفرد بعيداً عنها. وتطلب جماعة المناقشة موجهاً لها يتصرف بالقدرة على السؤال، وعلى معالجة التعرّض، وعلى تشجيع المناقشة. وعليه لا يفرض رأيه على المناقشين، وألا يترك غيره يفرض رأيه، وألا يفضل بعض المتحدثين على الآخرين. وأن يتميز بالقدرة على التلخيص والتوصيت، والوصول بالمناقشة إلى هدفها، وتحديد مسارها لتحقيق غايتها، والشرح الواضح لموضوعها، وإشاعةاحترام بين الأفراد. وتقاس قدرة الموجه على تسخير المناقشة عن طريق استبيان يجيب أفراد الجماعة على أسئلته. ويقاس التفاعل الاجتماعي أثناء المناقشة عن طريق مراحله الست وأقطابها السالبة والموجبة. وتسجل النتائج في جدول يعد لذلك على أن يقوم برصد النتائج أحد أفراد الجماعة.

سابعاً - المراجع العامة

- 1- Bales, R. F. Interaction Process Analysis A Method for Small Groups. Cambridge, Mass, Addison - Wesley, 1950.
- 2- Cantril, H., and Allport, G. W The Psychology of Radio. N. Y., Harper, 1935.
- 3 - De Gre, G., Outlines for a systematic classification of social groups. Amer. Soc. Rev., 1949, 14, 145 - 148.
- 4 - Festinger, L., and Thibaut, J. Interpersonal communication in small groups. J. Abnorm. Soc. Psych., 1951, 46, 92 -- 99.
- 5 - Golembiewski, R. T. The Small Group. Chicago, University of Chicago Press, 1962.
- 6 - Hare, A. P. Handbook of Small Group Research. Glencoe, I11., Free Press, 1962. •
- 7 - Homans, G. The Human Group., London, Routledge and Kegan Paull, 1951.
- 8 - Krech, D., and Gutchfield, R. Theory and Problems of Social Psychology. N. Y. Mc Graw - Hill 1962.
- 9 - Krech, D., Crutchfield, R.S., and Ballachey, E. L. Individual in Society. N. Y. mc Graw - Hill, 1962.
- 10 - Mc Curdy, H. G., and Lambert, W. E., The efficiency of small human groups in the solution of problems requiring genuine cooperation. J. Pres., 1952, 20, 478 - 494.
- 11 - Sherif, M. An Outline of Social Psychology. N. Y., Harper, 1948.
- 12 - Sherif, M., White, B. J., and Harvey, O. J. Status in experimentally produced group. Amer. J. Social, 1955, 60, 370 - 379.

- 13 - Smith, P. B (Ed.). Group Process. Harmondsworth, Penguin 1970.
- 14- Sprott, W. J. H. Human Group. Harmondsworth, Penguin. 1963.
- 15 - Waller, W. W., and Hill, R. The Family: A Dynamic Interpretation.
N. Y. Dryden Press, 1951.
- 16 - Winch, R. F. The Modern family. N. Y. Holt, 1952.



الفصل الرابع

علاقات التنشئة الاجتماعية

أولاً - مفهوم التنشئة الاجتماعية ونشاطه.

ثانياً - عمليات التنشئة الاجتماعية.

ثالثاً - مظاهر التنشئة الاجتماعية.

التنشئة الاجتماعية مصطلح لفهم يشمل على عمليات متعددة أهمها التعلم الاجتماعي، وتكوين الأنا، والتوافق الاجتماعي، والتثقف أو الانتقال الثقافي من جيل لأخر. فهي بهذا المعنى مفهوم خصب وبالرغم من كثرة مكوناته فإن لهذا المفهوم تكامله ووحدته التمزية.

ومصطلح التنشئة الاجتماعية هو التعبير اللغظى عن هذا المفهوم. وبعد هذا المصطلح أكثر مصطلحات التنشئة شيوعا بين المستغلين بعلم النفس الاجتماعي وأقدمها وجودا. ومن المصطلحات البديلة مصطلح التطبع الاجتماعي، ومصطلح التطبع الاجتماعي، لكنه نؤثر مصطلح التنشئة الاجتماعية على تلك المصطلحات البديلة.

وسبعين فيما يلى معنى التنشئة الاجتماعية والعمليات التى تعتمد عليها، ومظاهرها التي تكاد تنحصر في التعلق والعدوان، ووسائلها التي تنتشر عن طريقها وأهمها الأسرة، والمدرسة، والجماعة المرجعية، وجماعة النظائر، ووسائل الإعلام.

أولاً - مفهوم التنشئة الاجتماعية ونشأته

١- معنى التنشئة الاجتماعية:

تدل التنشئة الاجتماعية في معناها العام على العمليات التي يصبح بها الفرد واعياً ومستجيناً للمؤثرات الاجتماعية، وما تشمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين، ويسلك معهم مسلكهم في الحياة.

وهي في معناها الخاص نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخصي اجتماعي.

وتصل تلك التنشئة إلى أقصاها في الطفولة لكنها لا تقف عندها بل تمتد بامتداد الحياة وخلال مراحلها المتعاقبة.

وبالرغم من أن التنشئة الاجتماعية تمثل أهم جانب من جوانب الشخصية إلا أنها ليست مرادفا لها، ويجب ألا نخلط بينهما، وتدل الشخصية في أبسط معاناتها على التنظيم الدينامي للسمات التي تميز شخصاً ما عن شخص آخر في توافقه المميز ليبيته.

ومن المفاهيم التي تدل أيضا على التنشئة مصطلح التشقف^(١) وهو يدل على العمليات التي بها يتعلم الطفل الأنماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه عن ثقافة المجتمعات الأخرى.

ومنها أيضا مفهوم الاندماج الاجتماعي^(٢)، وهو يدل على احتواء الشخص لأفكار، ومارسات، ومعايير، وقيم المجتمع الذي يعيش في إطاره. ودلالة هذا الاندماج تحول قول الطفل من «أمى تعتقد» و«أبى يعتقد» إلى «أنا أعتقد». ومعنى هذا أنه قد احتوى تماماً بذلك المعتقد، ولم يعد مجرد راوية أو مقلد.

لكن بالرغم من ظهور مثل تلك المفاهيم البديلة إلا أنها لا تعدو أن تكون مفاهيم جانبية أو هامشية ولا ترقى إلى مستوى مفهوم التنشئة الاجتماعية في خصوبته وأصالته.

(ب) نشأة المفهوم:

التنشئة الاجتماعية عملية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية ذاتها. مارستها الأسرة والقبيلة والشعوب منذ نشأتها الأولى لتشنى أطفالها على ما نشأت هي عليه، ولتحافظ بذلك على استمرار عاداتها وتقاليدها وخصائصها الاجتماعية المختلفة.

وقد توضح بعض جوانب هذه الممارسات عندما نذكر ما كانت تقوم به إسبرطة من أساليب في التنشئة لتربي أطفالها ليصبحوا مقاتلين.

لكن التنشئة الاجتماعية في دراستها العلمية عملية حديثة إذ يرجع الاهتمام العلمي الحقيقي بها إلى أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات وذلك عندما نشر بارك^(٣) بحثه عن التنشئة الاجتماعية سنة ١٩٣٩ باعتبار أنها إطار مرجعي لدراسة المجتمع.

ومن أهم العلوم التي أسهمت في نشأة هذا المفهوم علم النفس وعلم الاجتماع وعلم البشر أو الأنثربولوجى. والغريب أنها جمِيعاً بدأوا تهتم في وقت واحد تقريباً بالتنشئة الاجتماعية. وهذا يعني حاجة التطور العلمي في العلوم الإنسانية إلى ذلك المفهوم لتفسير به الظواهر العلمية المختلفة التي ترتبط به.

(ج) التنشئة الاجتماعية السوية واللاسوية:

بالرغم من أهمية مفهوم التنشئة الاجتماعية وسرعة انتشاره إلا أنه لم يسلم من النقد الذي يتلخص أكثره في أن التنشئة الاجتماعية بمعناها العلمي الشائع تنطوي على

(1) Indoctrination.

التشقف

(2) Acculturation

الاندماج الاجتماعي

(3) Park, R. E. Symbiosis and socialization: a frame of reference for the study of society. Amer. J. of Sociology, 1939, 45, 1 - 25.

تؤكد لأهمية المجتمع على حساب الفرد حيث يقوم المجتمع بالدور الرئيسي الفعال في تشكيل حياة الفرد وتحديد أهداف نموه ولا يبقى للفرد إلا أن يساير ضغوط المجتمع ويقبل هذا التشكيل لأن تكوينه العصبي النفسي يتصف بالمرنة التي تساعده على التوافق مع بيته الاجتماعية القائمة، وما تشتمل عليه من مؤشرات مختلفة.

وأياً كان الرأي في مدى صحة هذا النقد إلا أنه يتناسى التفاعل القائم بين الفرد والجماعة، وأثر هذا التفاعل على تشكيل الجماعة، وتشكيل الجماعة للفرد وإن أصبح المجتمع جامدا لا يتطور ولا يتمتع أفراده بأى لون من ألوان الحرية الفردية التي تظهر أحيانا في مغايرتهم للأنماط السلوكية السائدة في المجتمع. ومن مظاهر هذا التفاعل الصراع القائم بين قوى الجماعة وقوى الفرد، والذي قد ينتهي بمسايرة الفرد للجماعة أو استقلاله عنها.

والإفراط في دور الجماعة، والمغالاة في إخضاع الفرد لضغوطها يدفعانه إلى التقيد بحدود هذه التنشئة أكثر من اللازم، وهذا مما يحول بينه وبين مرونة الابتكار وخصوصيته وأصالته، مما يؤدي به أيضا إلى اتجاه المحافظة والجمود.

والترانخي في دور الجماعة، والمغالاة في أهمية الفرد يؤديان به إلى تجاوز الحدود المرعية وكثرة مطالبه من الآخرين، وعدم مراعاة حقوقهم ومشاعرهم.

وهكذا يؤدي الإفراط في التنشئة الاجتماعية إلى ضعف ثقة الفرد بنفسه واعتماده على الآخرين. وما أقرب هذا المظهر للتطفل في الحيوانات بل وفي النباتات أيضا. ويؤدي التفريط إلى العصيان والعدوان⁽¹⁾. أي أن الإفراط والتفرط يؤديان إلى التنشئة الاجتماعية اللاسوية. والتفاعل الصحيح القائم على اتزان ضغوط الجماعة مع الحرية الفردية يؤدي إلى التنشئة الاجتماعية السوية.

ثانيا - عمليات التنشئة الاجتماعية

أكملنا في دراستنا للمعنى العام للتنشئة الاجتماعية أنها العمليات التي يتحول بها الفرد إلى شخص. وفي تحديدنا لمعناها الخاص بينما أنها حصيلة تلك العمليات. وتعنى العملية ما يكتاب الشئ أو الكائن من تغيير يكتسبه خصائص جديدة أو وجهة معينة. والعملية بهذا المعنى مفهوم دينامي يدل على تفاعل وأمور تحدث. وهي من هذه الوجهة تختلف عن التكوين الذي يدل على التنظيم أو الشكل أو الصورة القائمة.

والتنشئة الاجتماعية باعتبار أنها تغير يصاحب الفرد خلال مراحل حياته عمليات مختلفة متعددة تؤدي إلى هذا التغير. وباعتبار أنها صفة لفرد في موقف من موقف حياته حصيلة لتلك العمليات.

(1) Danziger, K. Socialization. Harmondsworth, Penguin, 1971, 22 - 23.

وستبين فيما يلى أهم العمليات التي توصف بها التنشئة الاجتماعية وسنجزها فى : التعلم الاجتماعي؛ وتكوين الأنماط أو الذات الاجتماعية، والتوافق الاجتماعي، والانتقال الثقافي .

(أ) التعلم الاجتماعي:

يقصر بعض العلماء تعريف التنشئة الاجتماعية على التعلم الاجتماعي . وبالرغم من أن التعلم يلعب دورا هاما في التنشئة الاجتماعية إلا أنها أعم من مجرد التعلم لأنها كما بينا في تحديدها لتعريفها حصيلة عمليات متعددة مختلفة، وقد تكون عملية التعلم الاجتماعي أهم تلك العمليات، لكنها ليست العملية الوحيدة كما سيأتي بيان ذلك في دراستنا للعمليات الأخرى .

ويختلف دور التعلم الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية عن مجرد النمو الاجتماعي لأن التعليم نمو موجه لإعداد الطفل لمجتمعه الذي يتسمى إليه . ويدل هذا التعلم على ما يكتسبه الطفل من عادات وتقاليد . وقيم مجتمعه حتى يصطحب فهمه وإدراكه للعالم الخارجي المحيط به بإدراك هذا المجتمع ، وحتى يفسر خبراته في إطار ذلك الإدراك .

ويختلف دور التعلم الاجتماعي أيضا في التنشئة الاجتماعية تبعا لاختلاف مراحل النمو، ويصل تأثير هذا التعلم إلى أقصاه في الطفولة وخاصة المبكرة والوسطى . ولذا تعتمد خطة توطين المهاجرين إلى مجتمعات أخرى جديدة غير مجتمعاتهم الأصلية على هذا التعلم الاجتماعي في تنشئة أطفال المهاجرين وفق عادات وتقاليد المجتمعات الجديدة . وكلما تباعدت أنماط الحياة الاجتماعية في المجتمعات الأصلية عن المجتمعات المهاجر، زادت تبعا لذلك حدة الصراع بين جيل الآباء والأبناء، لأنه في جوهره صراع بين تنشئتين اجتماعيتين مختلفتين . فإذا سلمنا علميا بأن التعلم عملية مستمرة باستمرار الحياة أمكننا أن نهني الكبار أيضا سبل التعلم الاجتماعي المناسب الذي يساعدهم على إعادة تنشئتهم الاجتماعية بالأسلوب الذي يساير نبض المجتمع الجديد وأنماط سلوكه السائدة .

ولقد بلغ من أهمية التعلم الاجتماعي أن صاغ روتير⁽¹⁾ Rotter نظرية أعلنها سنة ١٩٥٤ ، وتؤكد هذه النظرية ست حاجات يتحققها التعلم الاجتماعي وهي : تأكيد المكانة الاجتماعية، والحماية الناجمة عن التعلق، والسيطرة، والاستقلال، والحب والعطف،

(1) Rotter, J. B. Social learning and Clinical Psychology. N. Y. Prentice Hall. 1954.

والراحة البدنية. والتعلم الاجتماعي الذي يحقق هذه الحاجات ينحو بالتنشئة الاجتماعية إلى وجهتها الصحيحة.

وتعد أيضاً نظرية الاستقلال الوظيفي^(١) لـAllport^(٢) تأكيداً لأهمية الدافع الاجتماعي وما يصاحبها من تعلم اجتماعي في التنشئة الاجتماعية. ويؤكد الاستقلال الوظيفي نشأة الدافع الاجتماعي في إطار أي دافع سابق ثم استقلالها عنها وظيفياً خلال مراحل نمو الفرد. وهكذا تتطور تنشئة الفرد اجتماعياً عن طريق الاستقلال الوظيفي فتكتسب بهذا التطور مظهرها الديني، وتكتسب أيضاً خصائصها الاجتماعية واحدة تلو الأخرى.

ويؤكد سeward^(٣) أهمية التقمص في التعلم الاجتماعي حيث يتمتص الطفل خلال تنشئته الاجتماعية دور الكبار في سلوكهم الاجتماعي. وتعد عملية التقمص من أهم العمليات التي تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية في إكساب الطفل قيمه المختلفة، وخاصة قيم الدين. وتصلح فكرة سeward في الدراسة المقارنة للتنشئة الاجتماعية في الثقافات المختلفة.

ويقول باندرووا Bandura ١٩٧٧ أن التعلم الاجتماعي يتم عن طريق التعلم باللحظة وهذا الأخير عليه ثلاث ملاحظات هي:

١ - ملاحظة سلوك المثل أو القدوة حيث تساعد تلك الملاحظة المتعلم أن يكتسب سلوكاً لم يكن اكتسبه من قبل.

ويبدو هذا واضحاً في تعلم العادات الاجتماعية والاتجاهات النفسية وممارسة التقاليد بوجه عام.

٢ - تأثير الملاحظ المتعلم بنموذج سلوك المثل أو القدوة حيث يمكن أن يقوى سلوك المثل سلوكاً سابقاً اكتسبه الملاحظ المتعلم أو يضعفه.

ويبدو ذلك في تغيير بعض العادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية حيث يكون السلوك النموذج دافعاً لتقوية عادة ما أو مضعفاً لها أو يعني آخر يعمل السلوك النموذج على تقوية أو إضعاف الرابطة بين المثير والاستجابة في موقف ما وبطبيعة الحال يتم ذلك عن طريق الإثابة أو العقاب.

(1) Functional autonomy

الاستقلاف الوظيفي

(2) Allport, G. W. Personality: A Psychological Interpretation. N. Y. Holt. 1937.

(3) Seward, J. P. Learning Theory and identification. J. Genet. Psychol. 1954, 48, 201

٣ - ملاحظة السلوك النموذج قد تستثير بعض أنماط سلوكية ذات علاقة بالموقف عند التعلم الملاحظ فيقدمها بعد تعديلها.

ويبدو ذلك في تطور أساليب التعبير عن الاتجاهات والقيم عند الأجيال المختلفة.

ومن أهم نتائج التعلم الاجتماعي ظاهرة النمو الخلقي عند الطفل حيث يقول كولبرج ١٩٧٦ أن هناك ست مراحل يتم فيها النمو الخلقي من خلال التعلم الاجتماعي وهي كما يلى :

١- مرحلة العقوبة والطاعة،

يعنى خوف الطفل من أن يعاقب على عمل ما فيكون البديل هو الطاعة .

٢- مرحلة العاملة بالمثل،

يعنى أن الطفل لا يرتكب خطأ حتى لا يرتكب أحد نفس الخطأ في حقه .

٣- مرحلة الثناء والإطراء،

يعنى أن الطفل يشعر بأن هناك من يثنى عليه أو سوف يكون فخورا به عندما يقوم بعمل حسن .

٤- مرحلة النظام والقانون،

يعنى أن يشعر الطفل بأن ما يقوم به من خطأ إنما هو كذلك من وجهة نظر القانون والعرف والتقاليد وأن ما ارتكبه عمل يعاقب عليه .

٥- مرحلة العقد الاجتماعي،

يعنى أن تكون هناك بعض المواقف تغلب فيها القيمة والضرورة على القانون لأن يكون إنقاذ حياة إنسان مخالفًا لبعض نواحي القانون أو النظام .

٦- مرحلة عمومية المبادئ الخلقية،

يعنى أن يقوم الفرد بدراسة متغيرات الموقف قبل أن يتخذ القرار وذلك في ضوء المبادئ الخلقية التي تتفق عليها الإنسانية .

(ب) عملية تكوين الأنماط الأخلاقية:

يتكون الجهاز النفسي للفرد من الإد، والأنماط، والأنماط الأخلاقية . والأصل في هذا الجهاز هو الإد، أو الجزء اللاشعوري الذي يولد به الفرد . وهو بخصائصه اللاشعورية لا خلقي ، ولا منطقى ، ويسعى دائمًا لتحقيق اللذة ، وبه يتميز الفرد كمجرد كائن عضوى عن الشخص كذات اجتماعية .

وعندما يتصل (الإد) بالمجتمع تبدأ عملية تكوين الأنما أو الصيرورة من الفردية إلى الشخصية. وبهذه العملية تبدأ أيضاً التنشئة الاجتماعية. وبذلك تعد عملية تكوين الأنما من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية. والأنما يخضع لمبدأ اللذة، ولذا فهو منطقى. ، إذا تمكن من تحقيق رغبات (الإد) فهو يتحققها في إطار الواقع الذي يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانيئنه.

ويشتق الفرد الأنما الأعلى سمعياً من أوامر الأب ونواهيه، كما تدركها الأنما. أى ما يقوله الأب أمراً، ناهياً، مهدداً، راضياً، مشجعاً، مكافأة. والأب بذلك ينقل لأولاده سلطة أبيه هو، وهكذا. فكأن الأنما الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقالييد وطقوس المجتمع إلى الأجيال القادمة. وهو بذلك أساس معايير السلوك الاجتماعي.

وبذلك ترتبط التنشئة الاجتماعية في نشأتها وتطورها بعمليتين رئيسيتين هما عملية تكوين الأنما، وعملية تكوين الأنما الأعلى. وبهما يكتسب الفرد عاداته وتقاليده، بل ومعاييره وقيمه أيضاً.

(ج) عملية التوافق الاجتماعي:

قد يصعب أحياناً الفصل الواضح بين التوافق والتكيف⁽¹⁾. ولذا فعلينا قبل أن نبين دور عملية التوافق في التنشئة الاجتماعية أن نفرق بين المصطلحين. والتوافق كما تعرفه المعاجم النفسية الإنجليزية⁽²⁾ والفرنسية⁽³⁾ أعم من التكيف، ويقاد يكون معناه مقصوراً على التواهي النفسية والاجتماعية. أما معنى التكيف فيختص بالتواهي الفسيولوجية. وبذلك تصبح عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك باتباعه للعادات والتقالييد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية، عملية توافق. وتصبح عملية تغيير حدقة العين وذلك باتساعها في الظلام وضيقها في الضوء الشديد عملية تكيف، وهكذا ندرك دور عملية التوافق الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية.

وعملية التوافق الاجتماعي لا تقتصر فقط على الطفل بل تمتد لحياة الرشد وخاصة عندما يواجه بيئه اجتماعية جديدة، وعندئذ تبدأ عملية التوافق مع تلك البيئة.

(1) Adjustment

- توافق - Adaptation

تكيف

(2) English, H. B., and English, A. C. A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms. N. Y. Longman, 1974.

(3) Pieron, H. Vocabulaire de la Psychologie. Paris. P. U. F. 1963.

ولذا فإنه بالرغم من أن أغلب أبحاث التنشئة الاجتماعية تتمرّكز حول تنشئة الطفل ونموه الاجتماعي إلا أن التنشئة الاجتماعية في معناها العام ليست مقصورة على ما يحدث للطفل وهو يتحوّل من فرد إلى شخص بل إنها تمتد لتشتمل على كل ما يحدث لأى فرد عندما يتوافق سلوكه مع معايير الجماعة التي ينضم لها ولأسلوب حياتها، وهذا ما يحدث مثلاً للمدنى عندما يجند، وللفرد عندما يتقلّ خلال مراحل حياته من بيئه لأخرى، ومن عمل لعمل آخر، ومن مستوى اجتماعي لمستوى آخر، وبذلك تؤكّد عملية التوافق استمرار عملية التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة.

(د) عملية التثقف أو الانتقال الثقافي:

عندما تعمل التنشئة الاجتماعية على تحويل الفرد ككائن بiological إلى الشخص ككائن اجتماعي، فإنها في نفس الوقت تنقل ثقافة جيل إلى الجيل الذي يليه ويعقبه، وذلك عن طريق الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى. وبما أن هذه الثقافة تميز مجتمعاً عن مجتمع آخر، إذن فالتنشئة الاجتماعية من أهم الوسائل التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الأجيال^(١).

ولذا ففشل التنشئة الاجتماعية بالنسبة للفرد قد لا يؤدى إلى مثل خطورة فشلها بالنسبة للمجتمع، لأنها عندما لا تتحقق وظيفتها الثقافية فإن هذا قد يعني انتهاء المجتمع القائم وتحوله إلى مجتمع آخر، ومثل ذلك تحول المجتمع المصري المعاصر بثقافته عن ثقافة المجتمع الفرعوني القديم، أي أن المظاهر الثقافية التي يعتمد عليها المجتمع المصري المعاصر في حفاظه على ذاتيه ليست هي نفس المظاهر الثقافية التي عاش بها المجتمع المصري الفرعوني القديم. وهكذا تغيرت التنشئة الاجتماعية للطفل المصري عبر الأجيال المتعاقبة نتيجة لتغير المتطلبات الثقافية للمجتمع القائم، ومعنى المتطلبات الثقافية: اللغة، والدين، والخلق، والعادات، والتقاليد، وكل ما يميز مجتمعاً عن مجتمع آخر في بيئتين مختلفتين، أو يميز المجتمع عن نفسه في عصور متباينة متباعدة.

ثالثاً - مظاهر التنشئة الاجتماعية

كان علماء النفس الاجتماعي حتى السنتين من هذا القرن يقحمون مفاهيم مختلفة ومتعددة على مظاهر التنشئة الاجتماعية. وقد تعرضت أغلب تلك المفاهيم وما تعتمد عليه من نظريات إلى النقد العلمي القائم على البحث التجاري. ولم يقف الناقدون موقفاً سلبياً من تلك المفاهيم بل صاغوا بدائلها العملية الصحيحة. ومثال ذلك

(1) Elkin, F. The Child and Society: The Process of Socialization N. Y. Random House, 1960.

مفهوم التبعية الذي بدأ يختفى من الدراسات المعاصرة لفسح المجال لمفهوم التعلق. ويرجع الفضل في أغلب هذا النقد إلى بولبي Bowlby وشافر Schaffer وإنزورث Ainsworth وغيرهم من الذين عكروا على الدراسات الميدانية وتسجيل الملاحظات العملية الدقيقة وتبعوا مظاهر التنشئة الاجتماعية خلال مراحل النمو المختلفة.

وكما ضعف الاهتمام بمفهوم التبعية لخطأ إطاره النظري، ضعف الاهتمام أيضاً بكثير من المفاهيم التي كانت تُحسب خطأً من مظاهر التنشئة الاجتماعية مثل الاستقلال، ودافع الإنجاز، واستقر الأمر بتلك المظاهر على مفهومين رئيسين هما: التعلق، والعدوان.

وسيبين فيما يلى خصائصهما الرئيسية وطرق دراستهما:

(١) التعلق:

كان مصطلح التبعية هو المصطلح السائد في أبحاث ودراسات التنشئة الاجتماعية حتى نهاية الخمسينيات من هذا القرن. وترجع نشأة هذا المصطلح إلى موارى^(١) Murray الذي عرفه سنة ١٩٣٨ على أنه اعتماد الفرد على مساعدة الآخرين إلى الحد الذي يصبح فيه هذا الاعتماد هدفاً يسعى الفرد لتحقيقه. ولذلك فغالباً ما تؤدي التبعية إلى ضعف ثقة الفرد بنفسه. والتبعية من هذه الوجهة صفة مهينة.

وتنشأ التبعية من تطور اعتماد الفرد على غيره في تحقيق حاجاته الفسيولوجية إلى اعتماد الفرد على غيره في تحقيق حاجاته النفسية. ولذا تعد حافزاً ثانوياً. ولقد أثبتت الأبحاث بعد ذلك خطأً هذه الفكرة وأن اعتماد الفرد على فرد آخر في إشباع حاجاته الفسيولوجية لا يتتطور، في الأغلب والأعم، إلى الاعتماد على نفس الفرد السابق في إشباع الحاجات النفسية.

ويرجع الفضل إلى بولبي^(٢). Bowbly سنة ١٩٥٨ في نقهء لمصطلح التبعية، وفي دعوته إلى استخدام مصطلح التعلق^(٣) بدلاً منه. وذلك لأن الأساس النظري لمصطلح التبعية أساس خاطئ. وأن التعلق يعتمد على مفهوم العلاقات المتبادلة. وهو مفهوم رئيسي ومن أهم مفاهيم علم النفس الاجتماعي. وأنه كما يتعلق الطفل بأمه فإن الأم أيضاً تتعلق بطفلها. والتعلق بهذا المعنى ظاهرة سوية، وعندما نصف أفراد جماعة ما بأن كل فرد منهم يتعلق بالفرد الآخر فإننا بذلك نصف تلك الجماعة بالتماسك

(1) Murray, H. A. Explorations in Personality Oxford. Oxford Univ. Press. 1938.

(2) BOwlby, J. The nature of the child's tie to his mother. Int. J. Psycho Anal. 1958, 39, 350 - 73.

(3) Dependency

التبغة Attachment

التعلق

والألفة والتعاطف. ويقرر بولبي أن الفرد خلال مراحل نموه من طفولته إلى رشده يتعلّق ببعض الأفراد، أى يسعى دائمًا لأن يكون بمقربة منهم، وينفصل أيضًا عن أفراد آخرين أى يتبعُهم حتى تتحذّل تنشّتها وجهتها السوية.

١- معنى التعلق:

التعلق من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية. ويعرف بأنه السعي للتقارب من شخص آخر والميل للمحافظة على هذا الجوار عندما يتحقق. ويتعلق الطفل بأمه ليتلقى بذلك المخاطر، وليحصل على الطمأنينة التي يحتاجها والأمن الذي يرجوه.

وكما يتعلّق الطفل الإنساني بأمه تتعلّق أيضًا صغار الرئيسيات أو الثدييات العليا بأمها، ويختلف تعلّقها عن تعلّق الإنسان في أنه يبدأ مبكرًا جداً في حياة تلك الصغار. ومن أهم مظاهر التعلق عند الحيوانات ميل الصغار إلى تتبع أمها وخاصّة عند أفراد البط حيث تسير في خط وراء أمها، والميل إلى الالتصاق بالآم كما يبدو ذلك عند القردة.

ويدل التعلق على علاقات اجتماعية متباينة بين الطفل وأمه في بدء حياة الطفل. وكما يتعلّق الطفل بأمه تعلق الأم أيضًا بطفلها، كما يسعى لجوارها تسعى هي لجواره، أى أن العلاقة بينهما علاقة متباينة. وينطوي التبادل على تفاعل ودينامية. ثم يتّسّع التعلق وتنفتح آفاقه خلال مراحل الحياة ويصبح في كثير من نواحيه الدعامة الأولى لكتير من مظاهر الجماعة الصغيرة، ومثال ذلك التماست الجماعي. وأغلب ما تسرّف عن ديناميات التفاعل الجماعي. من أجل هذا أصبح التعلق من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية.

ومن أهم التجارب التي تؤكّد دور القرب والجوار في التعلق البحث^(١) الذي أجري على مظاهر سلوك حمل صغير فصل عن أمه لمدة ستة أسابيع ووضع بجوار جهاز للتليفزيون ظل يبث برامجه طوال الوقت. وبعد مضي تسعة أسابيع على انفصال الحمل عن أمه أبعد جهاز التليفزيون من جوار الحمل، فاصطبغ نشاطه بعد إبعاد التليفزيون بسلوك الباحث عن شيء ما. وعندما وجد الحمل التليفزيون أقرب منه في رضا. وفي تجربة أخرى عاشت جماعة من الحملان بالقرب من كلب يفصلها عنه شبكة حديدة حتى لا ينشأ بينهما تفاعل نتيجة للاتصال البدني. وبذلك أصبح الكلب موضوع التعلق. وقد أصبحت علاقة الحملان بالكلب قوية بحيث إن الحملان كانت تتبعه بعد ذلك في أي مكان يرتحل إليه.

(1) Danziger, K. Socialization. Harmondsworth, Penguin, 1971, 104 - 105.

وقد لاحظ الباحثون أيضاً أن الحملان الصغيرة اليتيمة التي تنشأ مع الراعي تتبعه أين يذهب ولا تختلط بالحملان الأخرى إن وجدت معها بعد ذلك.

٢- أنماط التعلق،

سبق أن بينا أن أهم أنماط التعلق عند الحيوانات هما السير وراء الأم كما يحدث ذلك عند أفراس البط، والالتصاق كما يحدث ذلك عند القردة.

وقامت إينزورث^(١) Ainsworth سنة ١٩٦٧ بدراسة ميدانية لعينة من الأطفال الأوغنديين منذ ولادتهم حتى بلغ عمرهم خمسة عشر شهراً. وكانت الباحثة تزور العائلات التي اختارتها بحثها كل أسبوعين. وأعدت قوائم الملاحظة لتسجيل المظاهر المختلفة للتعلق. وانتهت الباحثة بعد تسجيلها للاحظاتها ومقابلاتها إلى تحديد ستة عشر نمطاً للتعلق نبينها فيما يلى:

- ١ - الصراخ الفارق - يصبح الطفل عندما يحمله شخص آخر غير أمه ويكتف عن صياحه عندما تحمله أمه.
- ٢ - الابتسام الفارق - يتسم الطفل لأمه في تفاعله معها أسرع وأكثر مما يتسم للأخرين في تفاعله معهم.
- ٣ - المناومة الفارقة - يناغى الطفل أمه في تفاعله معها وأسرع وأكثر مما يناغى الآخرين في تفاعله معهم.
- ٤ - التوجيه البصري الحركي - عندما يتبع الطفل عن أمه ويبقى في مكان يمكن أن يراها منه فإنه يتوجه ببصره، باستمرار نحوها.
- ٥ - استجابات الترحيب - عندما تعود الأم بعد غيابها فإن الطفل يتسم مرحاً بها في نشوة.
- ٦ - رفع الذراعين للترحيب - يرفع الطفل ذراعيه تجاه أمه مرحاً بها بعد عودتها من غيابها.
- ٧ - التصفيق باليدين للترحيب - قد يصفق الطفل بيديه بدل أن يرفع ذراعيه.
- ٨ - الصراخ عند رحيل الأم - يصرخ الطفل في احتجاج عندما ترحل الأم من مجاله البصري.

(1) Ainsworth, M. D. S. Infancy in Uganda: Infant care and the Growth of Attachment. Baltimore, md: The Johns Hopkins Press.

- ٩ - التسلق على الأم – يتسلق الطفل على أمه ويحافظ على التصاقه بها وهو يتسلقها ليكتشف خصائص جسمها وملابسها.
- ١٠ - الاتباع – عندما يستطيع الطفل أن يزحف فإنه لا يصرخ فقط عندما ترحل أمه عنه بل يحاول أن يتبعها.
- ١١ - إخفاء الوجه في حجر الأم – يخفي الطفل وجهه في حجر أمه وهو يتلتصق بها متسلقاً أو عندما يعود إليها من مكان قريب أو بعيد.
- ١٢ - الالتصاق – عندما يجد الطفل نفسه بين ذراعي أمه فإنه يتلتصق بها في شدة عندما تنظر إليه وتتلدله.
- ١٣ - التحرك للاقتراب – عندما يستطيع الطفل أن يزحف، فإنه يصل بترحبيه بها إلى نهايته وذلك بإسراعه نحوها زاحفاً ليلقاها.
- ١٤ - الاحتضان والتقبيل – يقابل الطفل ترحب الكبار به باحتضانهم وتقبيلهم.
- ١٥ - اكتشاف البيئة من قاعدة الأم الآمنة – عندما يستطيع الطفل أن يزحف فإنه ينطلق ليكتشف ما حوله ثم يعود إلى أمه بين الحين والآخر.
- ١٦ - الهروب إلى الأم طلباً للأمن والنجاة – عندما يتعرض الطفل لما يثير في نفسه الخوف فإنه يسرع إلى أمه.

هذا، بالرغم من أن نتائج هذا البحث قد لا تصلح للتعميم من بيئه لأخرى إلا أنها تدل بوضوح على مدى تعدد وتباع استجابات التعلق.

ولا شك في أهمية هذا البحث كمثال يحتذى في البيئات الأخرى وكمؤشر لأهم خصائص ظاهرة التعلق وخاصة أن سلوك الطفل الإنساني أكثر مرونة من سلوك أطفال الحيوانات المختلفة، ولهذا فهو أكثرها قابلية للتغير تبعاً لزيادة السن وتبعاً لاختلاف البيئات.

هذا، وبالرغم من اختلاف مسالك هذه الأنماط وتعددتها إلا أنها جميعاً تهدف إلى غاية واحدة هي تحقيق الجوار على أنه أهم وظائف التعلق. وهذا يعني أن التعلق قد يتخد أي صورة من الصور السابقة وقد يتجاوزها إلى صور أخرى جديدة لتحقيق الجوار.

٣- مراحل التعلق،

يميز الطفل منذ بدء حياته بين المثيرات البيئية المختلفة المحيطة به. ويعد هذا النوع من التمييز الأساس الأول لتطور التعلق خلال مراحله المتتابعة. ويستجيب الطفل بصفة خاصة للمثيرات التي تصدر عن الأفراد الآخرين أكثر مما يستجيب للمثيرات التي تصدر

عن الأشياء الأخرى فيستجيب مثلاً للمثيرات السمعية التي تصدر عن أقوال وأصوات الآخرين، ويستجيب للمثيرات البصرية التي يشعر بها وهو ينظر لأوجه الناس، ويستجيب للمثيرات الحركية التي يحس بها عندما يلمس أيدي وأذرع وأجسام الكبار. ومن هذه المثيرات والاستجابات البسيطة تبدأ عمليات التمييز الفارق المعقّد التي تتطور بعد ذلك إلى مراحل متتابعة للتعلق.

ويعد البحث الذي أجراه شيفر Emerson وأميرسون Schaffer سنة ١٩٦٥ من أهم الابحاث التجريبية التي تصدّت للكشف عن مراحل التعلق. ولقد قام الباحثان بدراسة طولية تتبعاً فيها تغير مظاهر سلوك التعلق للأطفال من الأسبوع الاولى للميلاد إلى ١٨ شهراً. وكانت الأداة التي استخدماها هي قياس استجابة الطفل متدرجة من لا تعلق إلى تعلق حاد بالنسبة لسبعة مواقف اتفصال مثل ترك الطفل وحده في الحجرة. وكان الباحثان يهتمان بالأعمرار التي تحدد التعلق الاجتماعي، وشدة هذا التعلق وموضوعه، والمتغيرات التي تتصل بالفارق الفردية. وأكدت نتائجهما أهمية النمو الإدراكي في تغيير مظاهر التعلق خلال مراحله المتتابعة. وأن بعض الأطفال يتلقون بفرد واحد، وبعض الآخر يتلقن بأفراد متعددين.

وقد توصل الباحثان إلى علاقة واضحة بين سرعة استجابة الأم لبكاء الطفل وشدة تعلقه بها، وخاصة في سن ١٨ شهراً. وأن التعلق يرتبط ارتباطاً موجباً بنوع المبادرة التي تصدر عن الأم في تعاملها مع الطفل. ومن أغرب ما كشفت عنه هذه التجربة أن ٣٩٪ من الحالات كان تعلقها بشخص آخر غير الذي يقوم بالغذاء والعناية بالأطفال. وأن ٢٢٪ منها لا ترتبط بتحقيق الرغبات المادية البدنية.

وتشير نتائج هذا البحث والدراسات التي قم بها بولبي Bowlby ونتائج الأبحاث الأخرى على أن للتعلق أربع مراحل أساسية تتلخص فيما يلى :

١ - المرحلة الأولى: وتعد هذه المرحلة مقدمة للتعلق وإرهاصاً له، وتمثل في التوجه العام للآخرين دون أي تمييز فارق، حيث يتفاعل الطفل مع الآخرين دون أن يفرق في تعامله بين فرد وآخر. ويعتمد الطفل في توجهه نحوهم على المثيرات السمعية، وتستمر هذه المرحلة منذ بدء الحياة حتى ما يقرب من نهاية الأسبوع الثاني عشر.

٢ - المرحلة الثانية: وتميّز بالتوجه نحو شخص بالذات. وفي هذه المرحلة يظل اهتمام الطفل بمن حوله كما كان في المرحلة الأولى ولكنه يهتم أكثر بأمه. وتبدأ هذه المرحلة في الأغلب والأعم بعد الأسبوع الثاني عشر، وتستمر هذه المرحلة حتى نهاية الشهر السادس.

٣ - المرحلة الثالثة: مرحلة الجوار من الأم والتقارب لها والاستعانة بها كقاعدة للتحرك منها والعودة إليها. وبذلك تقوى علاقة الطفل بأمه وتضعف علاقته بالآخرين، فيصبح عندما تبعد عنه ويرحب بها عندما تعود إليه. وينظر الطفل إلى الأغرب بانتهى الحيطة والحرص بل والخوف أحياناً. غالباً ما تبدأ هذه المرحلة فيما بين الشهر السادس والسابع من عمر الطفل، وقد تتأخر في بعض الحالات إلى نهاية السنة الأولى في حياة الطفل. غالباً ما تستمر هذه المرحلة خلال السنة الثانية والستة الثالثة.

٤ - المرحلة الرابعة: مرحلة تكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتبدأ بنظره الطفل إلى أمه على أنها كائن مستقل عنه، ثم يفهم بالتدريج لماذا تقبل عليه ولماذا تبعد عنه، وبذلك يدرك بطريقة أو بأخرى ما تسعى إليه أمه وكيف تتحقق لنفسها ما ترجوه. أي أنه يعني آخر يفهم عن أمه مشاعرها ودرايتها. وبذلك تتحول علاقته بها إلى علاقة الصاحب. ومن هذا المنطلق تبدأ علاقات الطفل الاجتماعية مع الآخرين تتحذ ووجهتها الصحيحة. وتبدأ هذه المرحلة في الأغلب والأعم في نهاية السنة الثانية، وقد تتأخر عند بعض الأطفال إلى نهاية السنة الثالثة.

وإذا نظرنا إلى التعلق من منظور هذه المراحل فإننا نستطيع أن نقرر أن الطفل في المرحلة الأولى لا يسفر عن مظاهر التعلق، ويسفر عن هذا التعلق في المرحلة الثالثة أما عن المرحلة الثانية فهي مزيج من التعلق والانفصال.

٤- عوامل شدة التعلق،

تواردت نتائج الأبحاث المختلفة على أن من أهم العوامل التي تحدد مدى شدة تعلق الطفل بالأفراد الآخرين: درجة إحساس الأم بمسؤولياتها كما يظهر هذا الإحساس في سرعة تلبيتها لصياغ الطفل بحمله والاهتمام به، وطول الزمن الذي يقضيه الكبار مع الطفل ومدى اهتمامهم به، وملامسة جسم الطفل لجسم أمه وخاصة ما يتصل منه ومنها بالرضاعة، وبعد وجه الأم بل وحتى وجودها بالقرب منه من أهم العوامل التي تؤثر في شدة التعلق، حتى أن مجرد ظهورها أمام طفلها يهدئ من روعه ويطمئن خاطره، وعندما ينفصل الطفل عن أمه يبكي ويصبح في احتجاج واضح، ثم يتتحول سلوكه عندما تطول مدة انفصاله عنها إلى السلبية والانسحاب والتبعيد عن الأفراد الآخرين. وتدل الأبحاث التي أجريت على الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم أو فصلوا عنهم لأمر ما مثل الطلاق أو الموت أو لاي سبب آخر على أن مثل هؤلاء الأطفال يصابون بالكتابة وتضعف صحتهم وتنهي إلى حد الموت في بعض الحالات.

٥- طرق قياس التعلق:

بعد البحث الميداني أنساب الأبحاث لدراسة التعلق. ويعتمد البحث الميداني على طريقة الملاحظة:

وقد أعد بولبي^(١). Bowlby قائمة تصلح لتسجيل ملاحظات الباحثين وذلك تمهيداً لدراسة أنماط التعلق. وتشتمل هذه القائمة على أهم المواقف التي تحدد صور وأشكال السلوك الذي يدل على التعلق.

وسنین فيما يلى أهم المواقف الخاصة وال العامة التي تصلح للتسجيل. فأما المواقف الخاصة فتتلخص فيما يلى:

١ - ترحيب الطفل بأمه – وذلك عندما يقترب منها، ويحضنها، ويسلق عليها، ويختفي وجه في حجرها، ويناديها، ويحادثها لتتكلمها، ويلوح لها بيده، ويبتسم.

٢ - استجابة الطفل لترحيب أمه به – وتشتمل هذه الاستجابة على كل المظاهر السابقة لسلوك التعلق وذلك علاوة على مرافقة الطفل لأمه في سكانتها وحركاتها.

٣ - تجنب الطفل الانفصال عن أمه – وذلك عندما يتبع الطفل أمه، ويمسك بها، ويصيح، ويبكي.

٤ - النشاط الاستكشافي – وذلك في بحث الطفل عن أمه.

٥ - النشاط الهروبي – وذلك عندما يخاف الطفل ويسرع نحو أمه.

ويقترح بولبي أيضاً أن تشتمل عملية الملاحظة على المواقف العامة التي تبين سلوك الطفل لوجود الأم وتحركاتها، ولو وجود أو غياب الأفراد الآخرين، ولدى الفتى بالأشياء المادية المحيطة به، وبحالته.

والقائمة التالية تبين طائفه من تلك المواقف العامة التي تساعد الباحث على دراسة التعلق:

١ - وجود الأم وتحركاتها:

- الأم موجودة.

- الأم ترحل.

(1) Bowlby, J. Attachment. Harmondsworth, Penguin, 1978, 396 - 398.

– الأم غير موجودة.

– الأم تعود.

٢ – موقف الطفل من الأفراد الآخرين:

– وجود أو غياب الأفراد المألوفين للطفل.

– وجود أو غياب الأفراد غير المألوفين للطفل.

٣ – الأشياء المادية المحيطة بالطفل:

– مألوفة.

– غريبة إلى حد ما.

– غريبة جداً.

٤ – حالة الطفل:

– سليم، مريض، متألم.

– نشيط، أو مرهق.

– جائع، أو شبعان.

وقد استعانت إينزورث Ainsworth بالقائمتين السابقتين في دراستها لأنماط التعلق عند الأطفال الأوغنديين.

ويستطيع الباحث أن يستكمل أيضا القائمتين السابقتين وذلك بتسجيل سلوك الأم بما في ذلك استجاباتها المختلفة لأنماط تعلق الطفل بها، ومتى وكيف تستجيب هي لسلوك الطفل في تعلقه بها، ومتى وكيف تثير هي سلوك التعلق عند الطفل.

(ب) العدوان:

لا يكاد يختلف اثنان في أن الإنسان كائن عدواني – ويقاد يكون هو الكائن الحي الوحيد الذي يعتدى على بنى جنسه حيث يقتل غيره ويجد متعة في مثل هذا القتل.

ومن المألوف أن نصف قسوة الإنسان بأنها عمل وحشى، والواقع أن قسوة الإنسان على الإنسان لا ميل لها عند الحيوانات. والحقيقة التي يجب أن نعرف بها أنها كبشر أقسى وأشرس من عاش ويعيش على وجه هذه الأرض.

ولكل منا ميوله العدوانية التي تظهر في القتل والضرب والسب والإيذاء.

وعندما يصبح العدوان سلوكاً مرضياً فإنه يكتب وينحول إلى الفرد ذاته فيعتدى على نفسه، وقد يتنهى به هذا الاعتداء إلى الانتحار. وقد ينسب الفرد العدوان إلى الآخرين ويبرىء نفسه من عدوانه عليهم. وقد يعود الفرد إلى مظاهر غضب الطفولة فينفجر في صيحات وصرخ وكأنه طفل غاضب ويعدى على ما حوله في بيته. ومثل هؤلاء الأفراد يسفرون بعدهم المرضى عند عجزهم عن أن يسلكوا بهذا العدوان سلوكاً إيجابياً سوياً متكاملًا مع البناء العام لشخصيتهم.

ولهذا يعد العدوان من أهم موضوعات التنشئة الاجتماعية، لأن هذه التنشئة من أهم وسائل التحكم في العدوان منذ نشأته الأولى في الطفولة المبكرة، وفي تحديد مساره السوي.

ولكن ماذا نعني بالعدوان؟ متى يصبح العدوان سوياً إيجابياً نافعاً، ومتى يصبح لا سوياً مخرجاً مدمرًا حتى نستطيع أن نعلم كيف توجه طاقة العدوان اللاسوى إلى العدوان السوى.

١-تعريف العدوان:

من الصعب تعريف العدوان لأن أي التعريف يستخدم في مجالات متعددة، ويدل في كل مجال من المجالات على معنى مختلف عن معانى المجالات الأخرى.

فالطفل الذي يصبح في غضب ليحصل على الحلوي، يدل بذلك الصياغ على سلوك عدواني لأنه يشعر بالإحباط الذي يحول بينه وبين إشباع رغباته. والقاضي الذي يغضب فيحكم على المذنب بأقصى وأقسى العقوبة يمكن أن يدل بذلك أيضاً على سلوك عدواني يتصرف بالانتقام والغيظ.

هذا وقد ترجع بعض مشكلات تعريف العدوان إلى أنها لا نستطيع أن نضع خططاً فاصلاً بين العدوان الذي يمكن أن نتحمله ونجاوز عنه، وبين العدوان الضروري لبقاءنا واستمرار حياتنا، والعدوان المدمر والمدمر.

فعندما يثور الطفل على السلطة القائمة فإنه يصبح عدوانياً، لكن هذا العدوان يمثل ميله إلى الاستقلال ورغباته في الحرية. وهذا الميل أو تلك الرغبة إحدى مظاهر نموه، ومن أهم مطالبه الحيوية لاكتمال هذا النمو.

والرغبة في القوة والسيطرة ظاهرة سيئة لا نقرها ولا نرضاها. لكن سيطرة الفرد على المشكلات التي تواجهه ظاهرة طيبة نقرها ونرضاها لأنها وسيلة الإنسان لمواجهة المجهول والانتصار على الصعب والتحكم في البيئة المحيطة به.

وهكذا يصل بنا هذا التحليل إلى تعريف العدوان بأنه الاستجابة التي تعقب الأحباط ويراد بها إلحاق الأذى بفرد آخر أو حتى بالفرد نفسه. ومثال ذلك الانتحار فهو سلوك عدواني على الذات.

٢- المظاهر الفسيولوجية المصاحبة للعدوان:

يوجد في الحيوان والإنسان ميكانيزم فسيولوجي ينمو به عندما يثار إلى الشعور بالغضب وإلى تغيرات فسيولوجية تعد الفرد لقتال.

إذ عندما يغضب الفرد تسرع ضربات قلبه ويزداد ضغط دمه، وتزداد نسبة الجلوكوز في الدم، ويزداد معدل تنفسه في شهيقه وزفيره، وتنكمش عضلات أطرافه وتتوتر لمقاومة التعب والإرهاق، وتزداد سرعة الدورة الدموية وخاصة في الأطراف.

ويغضب الفرد على أنيابه، وتصدر عنه أصوات لا إرادية، ويقل إدراكه الحسي حتى إنه قد لا يشعر بالألم في معركته مع غريمه.

وقد أدت التجارب التي أجرتها بيركوفيتز^(١) Berkowitz على بعض الحيوانات، وتلك التي أجرتها هس^(٢) Hess على القطة وهولست^(٣) Holst على الدجاج إلى معرفة الميكانيزمات الفسيولوجية التي تؤدي إلى العدوان. فعندما تستثار الغدة الhippocampal Hypothalamus الموجودة في قاع المخ بالتيار الكهربائي المناسب فإن الحيوان يغضب وتبعد عليه جميع أعراض السلوك العدواني مع عدم وجود الغريم الذي يثير مثل هذا السلوك.

وتختضع هذه الغدة في عملها للكف المفروض عليها من القشرة المخية الذي يحول بينها وبين دفعها الفرد إلى السلوك العدواني. وعندما تصل أية إشارة من العالم الخارجي بما قد يؤدي إلى تهديد حياة الفرد أو يؤدي به إلى الإحباط فإن القشرة المخية تحرر الغدة الhippocampal Hypothalamus من قيودها فتبدأ عملها، فيغضب الفرد ويسلك سلوكه العدواني.

وتدل نتائج التجارب^(٤). التي أجريت على علاقة القشرة المخية بالغدة الhippocampal Hypothalamus أنه عند قطع الاتصال العضوي القائم بين القشرة المخية وهذه الغدة فإن الكائن الحي يصبح عصبياً عدوانياً.

(1) Berkowitz, L. Aggression: A Social Psychological Analysis. N. Y. Mc Graw - Hill 1962.

(2) Hess, E. A. Imprinting in animals. Sci. Am. March 1958.

(3) Holst, V. E. Electrically controlled behaviour, Sci. Am. 1962, 206, pp. 943 - 944.

(4) Milner, P. M. The Role of the Brain in Motivation. In Foss, B. M. (Ed). New Horizons in Psychology. London. Pelican. 1977. p. 249.

ويقابل الغدة الهميوبولامية في عملها جسم يسمى الأميجدالا Amygdala وعندما يستثار هذا الجسم في الحيوان والإنسان بالتيار الكهربائي المناسب، فإن الفرد يخاف ويهرب إلى أقرب مأوى، وكأنه يحتمن من شيء مخيف يهدد حياته. والمرضى الذين يتعرضون لاستشارة الأميجدالا أثناء إجراء العمليات الجراحية بالمخ يصابون بالقلق، وأحياناً يتابهم خوف شديد فيصيحون في فزع شديد. وعندما يستأصل الجسم الأميجدالا عند بعض الحيوانات المتوحشة بعملية جراحية فإنها تصبح أليفة، وتقترب من الإنسان دون أن تعرضه لأى أذى.

٣- وظيفة العداون وأهميته:

يتصل العداون اتصالاً مباشرـاً بالجذور الأساسية للتقدم البشري. ولقد حقق الإنسان مكانـته في البيئة المحيطة به عن طريق سلوكـه العداوني. ولو لا هذا السلوك لما أصبح الإنسان هو بحق سيد هذه الأرض التي يحيا عليها مسيطرـاً على ما بها من قوى حتى أخضعـها لإرادـته وتحقيقـ آمالـه ورغباتـه. ولو لا ذلك العداون لانفرض النوع الإنسـاني من عـهدـ سـحقـ.

ولذا فلا يقتصر العداون فقط على التـخـريب والتـدمـير لأن هـدـفـهـ الأسـاسـيـ هو مـسـاعـدةـ الفـردـ عـلـىـ النـمـوـ وـعـلـىـ تـحـقـيقـ سـيـادـتـهـ فـيـ الـحـيـاةـ التـيـ يـحـيـاـهـاـ. وـعـنـدـمـاـ يـحـالـ بـيـنـ الفـردـ وـبـيـنـ تـحـقـيقـ أـهـدـافـهـ فـإـنـهـ غالـباـ مـاـ يـثـورـ وـيـغـضـبـ وـيـعـتـدـىـ عـلـىـ كـلـ مـاـ يـحـولـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ تـحـقـيقـ أـهـدـافـهـ^(١). لأن هـدـفـ العـداـونـ استـمـرـارـ حـيـاةـ الـكـائـنـ الـحـيـ فـيـ مـواجهـةـ الـبيـئةـ الـخـارـجـيةـ الـمـحـيـطةـ بـهـ، وـالـتـيـ تـحـمـلـ بـيـنـ طـيـاتـهـ مـاـ يـهـدـدـ استـمـرـارـ هـذـهـ الـحـيـاةـ وـمـاـ يـؤـدـيـ بـالـفـردـ إـلـىـ الإـبـاطـ.

بهـذـاـ يـمـتـنـدـ مـجـالـ العـداـونـ لـتـهـيـةـ الـفـردـ لـتـغلـبـ عـلـىـ الصـعـابـ وـلـتـأـكـيدـ مـكانـتـهـ حتـىـ يـصـبـحـ كـائـنـاـ مـتـمـاـيزـاـ بـشـخصـيـتـهـ عـنـ الـآخـرـينـ. وـالـعـداـونـ بـهـذـاـ الـعـنـىـ ضـرـورـةـ مـنـ ضـرـورـاتـ الـبقاءـ بـشـرـطـ أـنـ يـتـمـكـنـ إـلـيـنـ إـنـ تـرـوـيـضـهـ وـتـطـوـيـعـهـ لـفـائـدـةـ الـبـشـرـيـةـ لـاـ لـتـدـمـيرـهـاـ.

٤- العلاقة بين التـعـلـقـ وـالـانـفـصالـ وـالـعـداـونـ:

عـنـدـمـاـ يـتـحـولـ الـفـردـ مـنـ طـفـلـ يـتـعلـقـ بـأـمـهـ إـلـىـ رـاشـدـ يـسـتـقـلـ بـذـاتهـ وـيـدـركـ حـقـوقـهـ وـوـاجـبـاتـهـ، فـإـنـهـ يـتـخفـفـ بـالـتـدـريـجـ مـنـ التـعـلـقـ إـلـىـ الـانـفـصالـ وـقـدـ يـتـطـورـ الـانـفـصالـ إـلـىـ الـعـداـونـ. وـالـفـردـ فـيـ انـفـصالـهـ وـفـيـ عـداـونـهـ يـؤـكـدـ وـجـودـهـ وـاسـتـقلـالـهـ.

(1) Thompson, C. M. Interpersonal Psycho - Analysis. N. Y. Basic Book. 1964, P. 179.

ومن أهم التجارب التي توضح العلاقة بين التعلق والانفصال والعدوان وخاصة عندما يتخذ الانفصال والعدوان مظهراً اكتشاف البيئة المحيطة بالفرد والسيطرة على متغيراتها تجربة هارلو H. F. Harlow و هارلو⁽¹⁾. M. K. حيث قام الباحثان بتربية قرد صغير مع دمية صناعية كبديل للأم، وترك القرد وحده مع أمه الصناعية وبعض اللعب والأحجار والكور وما شابه ذلك. وفي البدء بدت الحيرة على وجه القرد وأسرع في خوف إلى أمه الصناعية ليتطرق بها ليخفي نفسه من خطر هذا المجهول.

ثم بدأ بعد ذلك يتحوال بالتدريج وفي استحياء إلى ملاحظة ما في الحجرة من لعب وأشياء. ثم تشجع وترك أمه وسار نحو الكرة. ووضع يده عليها فتحركت، ففرز وأسرع نحو أمه الصناعية ليتطرق بها. وتكررت هذه المخاطرات حتى تناقصت مرات التصاقه بأمه وزادت مرات عبته بما في الحجرة من ألعاب وأشياء.

هذا وكثيراً ما نلاحظ مثل هذا السلوك في أطفالنا وخاصة عندما يواجهون الأمور الجديدة عليهم. وبذلك يتخفف الطفل من التعلق ويتجه إلى اكتشاف البيئة المحيطة به والسيطرة عليها وهو في محاولته للسيطرة عليها يسلك سلوك العدواني.

والطفل الذي يت ساع له أبوه لعبة جديدة يقترب منها باحتراس وخوف أحياناً ثم يهرع إلى أحضان أمه ويعود ليكتشف هذه اللعبة حتى يألفها ويتعلم كيف يلعب بها، بل وكيف يعتدى عليها ويضربها أحياناً وخاصة إذا رأى أحد الكبار يضرب تلك اللعبة.

وهكذا تصبح العلاقة بين التعلق من ناحية والانفصال والعدوان من ناحية أخرى علاقة عكسية، أي كلما زاد التعلق نقص الانفصال والعدوان، وكلما نقص التعلق زاد الانفصال والعدوان.

٥- العوامل التي تؤثر على السلوك العدواني:

يتأثر السلوك العدواني في نشأته، وفي ضعفه وقوته بعوامل متعددة تلخص أهمها في : التقليد الذي يمارسه الطفل وهو يتعلم من الكبار أسلوبهم العدواني، وفي البيئة العدوانية التي تؤدي بالطفل إلى الإحباط الذي يدفعه إلى العدوان، وفي الفروق الجنسية بين الذكور والإناث التي تؤدي بدورها إلى فروق في مثبات العدوان وأنواع استجاباته، وفي العزلة التي تزيد من حدة العدوان عند الحيوانات وعند الإنسان.

وسنبيان فيما يلى أثر كل عامل من تلك العوامل على السوك العدواني :

(1) Harlow, H. F., and Harlow, M. K. Social Deprivations. Scientific American. 1962.

(٥-١) أثر التقليد على العدوان،

للتقليل أثره المباشر والرئيسي في السلوك العدواني. وهو وسيلة من وسائل التعلم عن طريق الملاحظة التي تسبق التقليد.

ومن أهم الدراسات التي أجريت في هذا الميدان تجربة باندورا^(١) سنة ١٩٦١ عن أثر التقليد في تكوين السلوك العدواني لدى أطفال الرياض. وتتلخص فكرة هذه التجربة في تقسيم عينة من أطفال الرياض إلى مجموعتين، إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة. وقد شاهدت المجموعة التجريبية أحد الباحثين في سلوكه العدواني تجاه إحدى الدمى حيث أخذ يضربها ويذوس عليها بقدمه ويركلها برجله، ولم تشاهد المجموعة الضابطة هذه العملية. ثم تركت كل مجموعة لتعمل ببعض الدمى الشبيهة بالدمية التي أذيت. وقد سجل الباحثون سلوك أطفال المجموعتين دون أن يرى الأطفال الباحثين الذي يرصدون أثناء لعبهم

وذلك نتائج هذه التجربة على أن سلوك أطفال المجموعة التجريبية أصبح عدوانيا نحو تلك الدمى، ولم يتغير سلوك أطفال المجموعة الضابطة إلى هذا السلوك العدواني. وبذلك يبرهن هذا البحث على أثر التقليد في اكتساب السلوك العدواني، وفي مسار التنشئة الاجتماعية وما تتصف به من مكونات سلوكيات مختلفة.

(٥-٢) أثر البيئة العدوانية،

للبيئة العدوانية أثراها المباشر على السلوك العدواني أو المسالم للطفل ثم على سلوكه بعد ذلك في رشدته واتمام نضجه، ولذا يهتم العلماء بدراسة خصائص تلك البيئة العدوانية حتى يكتشفوا مظاهرها ليحكموا فيها ويجعلوها إلى بيئة مسلمة ليتحقق السلام الذي نشده جميعا.

والبيئة العدوانية هي البيئة التي تؤدي بالفرد إلى الإحباط، والإحباط قد يؤدي به إلى العداون. ويختلف مدى الإحباط من بيئه لأخرى لأنه يقترن بمدى ما لا يتحقق من رغبات الطفل، وليس في استطاعة أية بيئه أن تحقق جميع رغبات الطفل، لكن في استطاعة البيئة أن تعد الطفل ليتعلم ما يمكن أن يتحقق من رغباته وما لا يمكن أن يتحقق دون أن تشعره بالإحباط.

(١) Bandura, A., and others. Transmission of aggression through imitation of aggressive models. J. Abnorm. Soc. Psychol. 1961, 63, 575 - 582.

(٣-٥) أثر الفروق الجنسية على العدواني

يختلف السلوك العدواني عند الإناث عنه عند الذكور من الحيوانات وخاصة الثدييات العليا والإنسان، ولذا يعد الجنس سبباً من أسباب تباين مظاهر العدواني بين الجنسين.

فالعدوان عند أنثى الحيوان يستثار عندما يتعرض أطفالها لخطر يهدد حياتها، بينما يستثار العدواني عند الذكور في حالات التنافس على الأنثى والإغارة على رقعة الأرض التي يعيش عليها الحيوان وعائلته والتظاهر بمظهر القوة للسيطرة على الآخرين.

وعندما تتحقق أطفال الحيوانات بالهرمونات الذكرية فإنها تصبح أكثر عدواناً من الأخرى التي لم تتحقق بتلك الهرمونات.

وما يؤكد هذه الفكرة عند الإنسان أن البنين أكبر عدوانية من البنات. وتستمر هذه الظاهرة خلال مراحل النمو من الطفولة إلى الرشد واتكمال النضج.

وللطمأنينة الانفعالية أثراًها على الفروق الجنسية في العدواني. فالرجال الذين لا يشعرون بالطمأنينة الانفعالية يصيّبون أقل عدوانية وسيطرة من الذين يشعرون بها. والنساء الأقل شعوراً بالطمأنينة الانفعالية أكثر عدوانية وتنافساً من اللاتي يشعرن بها^(١).

(٤-٥) أثر العزلة على السلوك العدواني:

تعد العزلة سبباً رئيسياً من أسباب نشأة السلوك العدواني لأنها تؤدي إلى الإحباط. وتدل نتائج البحث الذي أجراه ماسون^(٢) Mason سنة ١٩٦٠ على أن عزل القردة منذ طفولتها المبكرة عن القردة الأخرى يزيد من حدة عدوانها.

وقد دلت نتائج الأبحاث المختلفة بعد ذلك على أن هذه الظاهرة ليست مقصورة على القردة بل هي موجودة أيضاً عند الكلاب والفنيران وأغلب الحيوانات الأخرى، بل عند الإنسان أيضاً كما تدل على ذلك نتائج هارتب^(٣) Hartup و هيمنو Himeno التي نشرتها سنة ١٩٥٩ حيث بينا بوضوح السلوك العدواني للإنسان بعد عزله عن

(1) Storr, A. Human Aggression. Hormondsworth, Pengiun, 1970, 94.

(2) Mason, W. A. The effect of Social restrictions on the behaviour of Rhens Monkeys. J. Comp. Phych. 1960, 53, pp. 582 - 589.

(3) Hartup, W. W., and Himono, Y. Social isolation VS. interaction with adults in relation to aggression in preschool children. J. Aln. Soc. Psych. 1959, 59, pp. 17 - 12.

الآخرين لمدة زمنية طويلة. ويفسر الباحثون ظاهرة العدوان بعد العزلة بأن العزلة تؤدي إلى الإحباط، والإحباط يؤدي إلى العدوان.

وتؤكد كذلك نتائج التجربة التي قام بها إيل إيبسفلدت^(١). سنة ١٩٦٣ على أن الفثran التي تربى معاً في قفص واحد في عزلة عن الفثran الأخرى تسلك مسلكاً عدوانياً مع الفثran الأخرى التي لم ترب معها عندما تقترب منها، وعندما وضع الباحث فأرا معها في قفصها اعتدت عليه الفثran في ضراوة وقسوة شديدة.

٦- قياس العدوان:

قياس العدوان ليس بالأمر السهل البسيط لأن الشخص العدوانى في حياته العملية قد يكون شخصاً مسالماً في حياته العائلية. وأن ما يعده بعض الناس سلوكاً عدوانياً قد لا يراه الفرد نفسه الذي يصدر عنه هذا السلوك عملاً عدوانياً، ومن ناحية أخرى فإن الفرد يستطيع أن يخفى سلوكه العدوانى حتى لا يدري أمام الآخرين عدوانياً. وبالمثل فإن السلوك العدوانى عند فرد ما لا يصدر عن نفس دوافع السلوك العدوانى عند فرد آخر. ولا شك أن هناك فرقاً شاسعاً بين سلوك عدوانياً لفرد يريد أن يؤكد رجولته بهذا السلوك، وبين سلوك عدوانياً لفرد آخر يت frem لنفسه بهذه السلوك من إساءة فرد آخر.

وبالرغم من صعوبة بحث العدوان كمظاهر رئيسى من مظاهر التنشئة الاجتماعية، إلا أن بعض الباحثين قد تمكنا من قياس السلوك العدوانى، ونخص بالذكر البحث الذى قام به ماكورد^(٢) Mc Cord و هواردى Howard على العدوانية الحادة عند الأسواء والجانحين. واعتمد الباحثان فى اختيارهما للحالات الشاذة للعدوانية على المدرسين والإخصائيين الاجتماعيين و رجال الشرطة وغيرهم من لهم صلة مباشرة بتلك الحالات، وقد تمكן الباحثان من اختيار ٢٤ ولداً يصفهم المجتمع وصفاً جازماً بالعدوانية، ثم قارنا هؤلاء الأولاد بآخرين من لا يتصفون بهذه العدوانية الحادة. وقد دلت نتائج هذا البحث على أن الحالات الحادة للعدوانية ترتبط ارتباطاً إحصائياً كبيراً بالبيئة التي تتصف بالأمور التالية:

– التعرض للإيذاء من أحد الوالدين أو من كليهما.

– إحساس الوالدين أنفسهما بالفشل.

(1) Eibl - Eibesfeldt, I. Aggressive Behaviour and Ritualized Fighting in Animals. From Massermann, J. H. (Ed.), Science and Psychoanalysis. N. Y. Grune and Stratton 1963.

(2) Mc Cord, W., Mc Cord, J., and Howard, A. Familial correlates of aggression in nondelinquent mal children. J. Abn. Soc. Psych. 1961, Vol. 62, 79, 79 - 93.

— اختلاف الوالدين وتعارضهما في أسلوب تربية الطفل.
— كره الوالدين لإنجاب الأطفال، وكان الأطفال جاءوا رغمما عنهم.
— قسوة الوالدين إلى الحد الذي لا يتصف به سلوكهما بالعطف والحنان..
وتوارد نتائج هذا البحث، والأبحاث الشبيهة به، أهمية دور الآباء والأمهات في التنشئة الاجتماعية السوية، وأسباب التنشئة الاجتماعية اللاسوية.

ولقد سجلت نتائج الدراسات الطويلة للعدوان نجاحاً أكثر وضوحاً من الدراسات المستعرضة التي لم تلق نجاحاً يذكر في دراسة السلوك العدوانى عند الأسواء، ونجحت في دراستها للجانحين.

ولقد دلت نتائج الدراسات الطويلة التي قام بها كاجان^(١). Moss Kagan سنة ١٩٦٢ على ارتباط مظاهر العدوانية في الطفولة بالعدوانية في الرشد. وقد أتيح لهذين الباحثين أن يحصلوا على سجلات مظاهر نمو جماعة من الشبان والشابات من الميلاد حتى سن الرابعة عشرة. ثم أجريت مقابلات مقتنة على هؤلاء الأفراد عندما بلغوا مرحلة الرشد المبكر، وسجلت نتائج تلك المقابلات وقورنت سجلات نموهم من الطفولة حتى المراهقة. وقد دلت نتائج هذا البحث على أن السلوك العدوانى في الطفولة يصلح للتنبؤ بالسلوك العدوانى في الرشد عند الذكور أكثر مما يصلح عند الإناث.

ويمكن تفسير هذه الظاهرة على أساس مفهوم الدور، واختلاف دور الذكور عن دور الإناث. أي أن الجنس ذكرًا كان أم أنثى يحدد نوع الدور المتوقع من الفرد. وبذلك ترتبط العدوانية بالذكورة أكثر ما ترتبط بالأنوثة.. وتؤكد معاملات ارتباط الدور الذكري في الطفولة بالرشد هذه الفكرة، حيث قيمة الارتباط ٦٣ ، . وبلغت معاملات ارتباط الدور الأنثوي في الطفولة بالرشد ٤٤ ، .

٧- تفسير العدوان:

تلخص أهم الاتجاهات العلمية التي تحاول تفسير السلوك العدوانى في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أولها يعتمد على التعلم، وثانيها يعتمد على التحليل النفسي، وثالثها يعتمد على التحليل العاملى.

(1) Kagan, J., and Moss, H. H. birth to Maturity. N. Y. Wiley, 1962

وقد سبق أن بينا أهمية التعلم الاجتماعي في تحديد معنى التنشئة الاجتماعية. وينقسم دعاة التعلم إلى فنتين: الفتنة الأولى ترجع نشأة العدوان إلى أثر الثواب والعقاب والإحباط على سلوك الفرد وخاصة في طموحه المبكرة، وخلال المراحل الأولى للتنشئة الاجتماعية، والفتنة الثانية ترجع نشأة العدوان إلى التقليد وما يتطلبه هذا التقليد من وجود النموذج المناسب مثل مشاهدة الأطفال لأحد الأفراد الكبار وهو يعتدى على بعض الدمى بالضرب. فعندما يترك الأطفال وحدهم بعد ذلك مع الدمى فإنهم يضربونها كما تعلموا من النموذج الذي كان يمثل أمامهم في ذلك الفرد، كما سبق أن بينا ذلك في دراسة العوامل المؤثرة في العدوان.

وهذا التفسير الذى يعتمد على التعلم يقرر أن السلوك العدواني سلوك مكتسب ومن أكبر دعاء هذا الاتجاه باندورا كما سبق أن أشرنا إلى ذلك بالنسبة لأبحاثها فى ذلك المدaran⁽¹⁾.

وتفسر باندورا أثر التقليد والنموذج على العدوان بأن الطفل يتعلم استجابات جديدة من النموذج، وهذا يؤدي به إلى تقليد ومحاكاة هذا السلوك الجديد. وأن رؤية الطفل للسلوك العدواني للكبار يضعف من أثر الكف الذي يتعرض له الدافع العدواني الكامن في نفسه فينطلق سافرا دون قيد أو عقبة.

أما الاتجاه الثاني فهو على عكس الاتجاه الأول حيث يقرر أن السلوك العدواني سلوك فطري يولد مع الطفل، وذلك هو اتجاه التحليل النفسي كما يتضح ذلك من كتابات فرويد وأدلر.

وقد يبالغ بعض المشتغلين بالتحليل النفسي فيصفون عملية الرضاعة بأنها عملية عدوانية بين الطفل وثدي أمه^(٢).

وأيًّا كان الرأى فى صحة هذا الاتجاه فإن المحللين النفسيين قد يخطئون فى تعميمهم هذا على كل أفراد النوع الإنسانى ، وقد يكون أجدى لهم أن يقتصروا عدوانية الطفولة على الأفراد العصابيين وعلى الذين نشأوا فى بيئه تتصف بالإحباط الذى يحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم .

ولقد بدأ فرويد كتاباته عن العدوان على أنه أحد المكونات الأساسية للغريرة الجنسية، فهو لا يدرسها دراسة مستقلة، بل يدرسها في إطار الدافع الجنسي . وهو يذهب

(1) Bandura, A Social Learning and Personality Development. N. Y. Holt, Rinehart and Winston, 1963.

(2) Siegal, H. Introduction to the Work Of Melanein Klein. Londo Heinemann, 1964, p. 2.

إلى أن الدافع الجنسي يقتربن عند الرجل بالسيطرة والسلط وتلك مظاهر السلوك العدواني .

ولقد غير فرويد رأيه في العدوان بعد ذلك واعتبره عاملاً أساسياً متمايزاً عن الغريزة الجنسية، وذلك عندما نشر بحثه عن غريزة الموت سنة ١٩٢٠ في كتابه ما بعد مبدأ اللذة^(١).

وكان يرى أن العدوان يتوجه نحو الذات ليقضي عليها ولا يتوجه للعالم الخارجي، ويختلف أغلب المشغلين بالتحليل النفسي مع فرويد في فكرته عن غريزة الموت.

ويرى أدلر أن العدوان هو الدافع الأساسي في حياة الفرد والجماعة، وأن الحياة تتجه نحو مظاهر العدوان المختلفة من سيطرة، وسلطة، وقسوة. وأن العدوان هو أساس الرغبة في التمييز والتتفوق، وهذا ما دعاه إلى أن يقرر أن العدوان هو أساس إرادة التامة، وأن إرادة القوة هي أساس الدوافع الإنسانية.

ولقد طور أدلر بعد ذلك فكرته في إرادة القوة بما أسماه بعد ذلك التزعة نحو التمييز، وطور هذه التزعة أخيراً إلى التزعة نحو الكمال أو التزعة للارتفاع. وقد يعبّر عن هذه التسمية الأخيرة أنها غامضة شأنها في ذلك شأن طاقة الحياة عند الفيلسوف الفرنسي بير جسون.

أما الاتجاه الثالث فيعتمد على نتائج التحليل العامل لسمات الشخصية. ومن أكبر دعاء هذا الاتجاه إيزننك^(٢). Eysenck في بحثه الذي نشره سنة ١٩٧٧ والذي انتهى به إلى أن العدوان يمثل القطب الموجب في عامل ثانٍ القطبية شأنه في ذلك شأن بقية عوامل السمات الانفعالية للشخصية وأن القطب السالب في هذا العامل يتمثل في اللاعدوان أو في الحياة والنجاح وأن بين القطبين مدارج من العدوان إلى اللاعدوان تصلح لقياس درجة العدوانية عند مختلف الأفراد.

وأقرب هذه التفسيرات إلى الاتجاه العلمي الحديث هو التفسير الأخير الذي يعتمد على التحليل العامل لاختبارات تقييم السلوك العدواني وتنتهي إلى تحديده تحديداً كمياً موضوعياً.

٨- دور التنشئة الاجتماعية في التحكم في العدوان:

ماذا يجب أن يكون عليه موقف التنشئة الاجتماعية من السلوك العدواني. هل تقضي عليه؟ أم تنميه؟

(1) Beyond the pleasure principle

ما بعد مبدأ اللذة

(2) Eysenck, H. J. Psychology is about People, Pelican. 1977. p. 4.

بقول إنه في القضاء عليه قضاء على حواجز التقدم وتهديد لاستمرار حياة الفرد والجماعة، وفي تدميته دمار وخراب لكل ما في الحياة من سلام وحب وخير وجمال.

لذا يجب أن توجه التنشئة الاجتماعية حياة الفرد لمعرفة المواقف التي يجب أن يثور فيها ليحافظ على نفسه والمواقف التي يجب أن يتتجنبها، والمواقف التي يجب ألا يبدأ فيها سلوكه العدوانى.

ويقرر بعض العلماء أن الكائن الحي، حيوانا كان أم إنسانا، يولد باستعداد يجعله يحتفظ بمثيرات العدوان فتراكم حتى تصل إلى مستوى التوتر الذي يؤدى بها إلى السلوك العدوانى. وإذا صع هذا الرأى، فإن معالجة مثل هذا السلوك العدوانى تتطلب أن نجد مسلكا، بين الحين والأخر لتفریغ تلك الشحنة العدوانية حتى تحول بينها وبين التراكم. وقد تكون بعض ألعاب الأطفال هي المثل المناسب لتفریغ الشحنة العدوانية لو أحسن اختيارها خلال تنشئة الطفل اجتماعيا.

ويقرر البعض الآخر أن الاستجابة العدوانية طاقة كامنة يجب أن تتفادى إثارتها حتى لا تحول إلى طاقة حركية عدوانية.

وبذلك يصبح دور التنشئة الاجتماعية في هذه الحالة هو أن تجنب الأطفال مواجهة المثيرات التي تؤدي إلى العدوان وخاصة ما يهدد حياة الكائن الحي وما يؤدى به إلى الإحباط.

ويستند دعاة هذا الرأى إلى نتائج التجربة التي أجرتها زينج كو⁽¹⁾. Zing Kwo على هرة صغيرة وفار صغير حيث ربى الاثنين معا في قفص واحد فتألفا ولم يعد بينهم العداء التقليدى بين القط والفأر أى أن الفار لم يعد مثيرا للسلوك العدوانى لدى القط

وبذلك تهدف هذه الطرق إلى التحكم في العدوان والتخفف من حدته للحيلولة بينه وبين تحوله إلى تدمير وإيذاء، ولتحويل مساره إلى الأهداف الإيجابية التي تتحقق للفرد المحافظة على حياته، وعلى حياة الجماعة التي يتتمى إليها.

ثالثا - وسائل التنشئة الاجتماعية

عن طريق الوسائل تتم التنشئة الاجتماعية. فالطفل الذى يولد، يولد فى أسرة تعدد الجماعة الأولى التى يتعلم فيها الطفل لغته التى تسمى بحق لغة الأم، وعاداته

(1) Kwo, Zing Yang. Genesis of the Cat's Response to the Rat. From Instinct. Princeton. N. J. Van Nostrand. 1961, p. 24.

وتقاليده وقيمها. عن طريق هذه الأسرة وبين أحضان الأم تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية فيتعلق الطفل بأمه ويطمئن لجوارها ثم تدرج به الحياة فيمتد بتعلقه إلى أبيه وإخوته وذويه، ثم يستقل إلى حد ما عن أسرته ليتظم في مدرسته، وتطور تنشئته الاجتماعية من البيت إلى المجتمع عن طريق تلك المدرسة، وما تهيئه للطفل من جماعات أخرى تسير به قدما في مدارج تلك التنشئة وذلك عندما يتصل بأقرانه ولداته ليصبح معهم عضوا في جماعة النظائر أو لتصبح جماعة النظائر له جماعته المرجعية شأنها في ذلك شأن الأسرة والمدرسة.

وسنبين فيما يلى دور كل وسيلة من تلك الوسائل في تنشئة الطفل اجتماعياً.

(أ) دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية:

الأسرة الحديثة هي الأسرة الصغيرة التي تتكون من الزوجين وأبنائهما، وهي المدرسة الأساسية لكل طفل، لأن ما يتعلمها فيها يبقى معه طول حياته. وعن طريقها يكتسب قيمه الاجتماعية ومعايير سلوكه، ويكتسب ضميره الأمر الناهي الذي يثبيه على خير ما يقوم به ويعاقبه على شر ما يقترفه وذلك عندما يتصل الطفل بسلطة أبيه.

وتعد الأسرة، بلا منازع، الجماعة الأولية التي تكسب النشء الجديد خصائصه الاجتماعية الأساسية. أي أنها الوسيلة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية.

ويتأثر الطفل في تنشئته الاجتماعية بالمستوى الاقتصادي الاجتماعي لأسرته وبتأثير ذلك المستوى على تحقيق مطالبه. ويختلف أثر تلك التنشئة أيضاً تبعاً لاختلاف جنس الطفل فالأسرة لا تعامل الذكور من الأطفال كما تعامل الإناث.

وكما يتأثر الطفل بأسرته يؤثر أيضاً فيها، ولذا يختلف سلوك الأب والأم قبل ولادة الطفل عن سلوكهما بعد ولادته، وبذلك تصبح عملية التنشئة الاجتماعية عملية متبادلة أي عملية تأثير وتتأثر.

وسينأتي بيان جميع تلك الأدوار التي تقوم بها الأسرة في تنشئة الطفل اجتماعياً فيما يلى :

١- دور الأسرة في تكوين المعايير:

عن طريق الأسرة يكتسب الطفل المعايير العامة التي تفرضها أنماط الثقافة السائدة في المجتمع. ويكتسب أيضاً المعايير الخاصة بالأسرة التي تفرضها هي عليه. وبذلك تصبح الأسرة، بهذا المعنى، وسيلة المجتمع للحفاظ على معاييره، وعلى مستوى الأداء المناسب لتلك المعايير.

وتعتمد تلك المعايير في فعاليتها على دور الفرد في الأسرة، وما يقوم به من نشاط، وما يرتبط به من علاقات، وعلى نوع تفاعله الاجتماعي السوى مع بقية أفراد الأسرة، بما في ذلك مدى إمكانية تحقيق مطالبه في مقابل تحقيق متطلبات الأسرة. وبذلك تصبح علاقة الفرد بالأسرة علاقة تبادلية قوامها الأخذ والعطاء، وضوابطها ما يسود بين الأسرة وأفرادها من معايير عامة ومعايير أسرية.

ولهذه المعاير أثرها الفعال في تعديل السلوك الاجتماعي للفرد، وفي تحديد مسار تنشئته الاجتماعية. وعلى سبيل المثال قد يرضي الفرد لنفسه أن يصبح كبش فداء بالنسبة لبقية أفراد الأسرة ليقى الأسرة كلها من المتراعات الداخلية كما تدل على ذلك نتائج بعض البحوث الكنلنكية.

وجمود المعايير التي تحددها الأسرة لأفرادها يجعل بهم نحو السلوك العصبي بل والذهانى أحياناً. وتعارض المعايير بالنسبة للموقف الواحد يعوق عملية تكامل التنشئة الاجتماعية للفرد، كمثل الأب الذى يطالب ابنه بسلوك ما فى أحد المواقف ثم يعود ليطالبه يعكس ذلك السلوك فى نفس الموقف أو فى الموقف الأخرى الشبيهة به.

٢- اثر سطوة أحد الوالدين على التنشئة الاجتماعية:

لسيطرة أحد الوالدين أثراها المباشر على نوع الدور الذى يسلكه الطفل فى حياته الراهنة والمقبلة. فإذا كان الأب مسيطرًا فإن ذلك ينحو بالذكور من الأطفال إلى تقمص دور الأب وبذلك يميلون فى سلوكهم إلى النمط الذكرى الرجالى. وإذا كانت الأم هي المسيدة فإن ذلك يؤدي بالأطفال الذكور، فى الأغلب والأعم، إلى السلوك العصابي بل والذهانى أحياناً، كما تدل على ذلك نتائج أبحاث هيزرنحتون^(١). Hetherington التي نشرها سنة ١٩٦٥.

وعلى عكس ذلك، إلى حد ما، بالنسبة لسلوك الإناث من الأطفال. والابن يقلد الأب لأن الأب هو النموذج الصالح كما يرتضيه له المجتمع، والبنت تقلد الأم لأن الأم هي النموذج الصالح كما يرتضيها لها المجتمع.

وعندما تتعارض سلطة الأب مع سيطرة الأم، يواجه الطفل صراعاً في اختيار الدور الذي يقلده. وقد ينحرف سلوكه إلى مسالك لا سوية، وخير نموذج للعلاقات الوالدية الصالحة للتنشئة الاجتماعية السوية هو الذي يشيم في جو الأسرة نوعاً من

(1) Hetherington, E. M. A developmental study of the effects of sex of the dominant on sex - role reference, identification and imitation and imitation in children. T. Person. Psych. 1963, Vol 2, pp. 188 - 94.

التكامل بين سلوك الأب وسلوك الأم بحيث ينتهي إلى تدعيم المناخ الديمقراطي المناسب لتنشئة أطفال الجيل المقبل.

٣- أثر المستوى الاقتصادي الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية:

يتأثر نموذج الشخصية الذي يقتدي به الطفل في أسرته، والذي تعتمد عليه عملية التنشئة الاجتماعية، باختلاف المستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة.

ويصطبغ سلوك الطفل في باكورة حياته بسلوك أبيه، والأهداف التي يسعى الأب لتحقيقها، وما حققه منها وما فشل في تحقيقه. غالباً ما يفرض الأب على ابنه التنشئة التي تعده لتحقيق الأهداف التي فشل هو فيها كأب في سعيه المتواصل طوال حياته. فالآب الذي كان يطمع أن يكون طيباً ولم ينجح في الوصول لهدفه يدفع ابنه بكل الوسائل لأن يكون طيباً، وكذلك الحال بالنسبة للأم والأب الآخر. ولذلك تتأثر التنشئة الاجتماعية للطفل بالمستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة وما يتصل بتلك المستويات من أهداف تحققت، وأهداف لم تتحقق بعد.

ويبينما تصطبغ التنشئة الاجتماعية في المستويات الاقتصادية الاجتماعية الدنيا بالطاعة التي يبالغ الآب في فرضها على أبنائه، نجد أن تلك التنشئة تصطبغ في المستويات الاجتماعية المتوسطة بالمحافظة على العادات والتقاليد والقيم وتعزيز الأطفال على ضبط النفس كما تدل على ذلك أبحاث كوهن^(١). Kohn التي نشرها سنة ١٩٥٠.

وتؤكد نتائج أغلب الابحاث أن الآباء والأمهات الذين يتمون إلى المستويات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا^(٢). يلجاؤن إلى العقاب البدني في تنشئتهم الاجتماعية لأطفالهم، وخاصة إذا أدى الأطفال إلى إثلاف بعض الأشياء، أما إذا تجنب الطفل ذلك التخريب فإنه غالباً ما ينجو من العقاب البدني.

والآباء الذين يتمون إلى المستويات الاقتصادية الاجتماعية المتوسطة لا يعاقبون بما يتبع عن سلوكهم من نتائج مختلفة بل بالد الواقع التي أدت إلى تلك النتائج. وهذا قد يؤدي بالأب إلى مناقشة أطفاله مناقشة عقلية ليصل منها إلى معرفة دوافع سلوكهم

(١) Kohn, M. L. Social Class and parental values. Amer. J. Sociology, 1959, Vol. 64, pp. 337 - 51.

(٢) Elder, G. H. Jr. Structural variations in the child rearing relationship. Sociometry, 1962, 25, pp. 241 - 262.

- Bayley, N. and Schaefer, E. Relationship between socioeconomic variables and the behaviour of methods toward young children. J. Genet. Psych. 1960, 96, pp. 61 - 77.

وأسبابها حتى يتخذ الأب قراراته ويصدر أحكامه في ضوء تلك المناقشة. ولذلك يكثر الحوار بين آباء وأبناء ذلك المستوى، ويقل في المستويات الدنيا.

وأن الآباء والأمهات الذين يتمون إلى الطبقات المتوسطة ينشئون أولادهم على الأمانة، وضبط النفس، والذين يتمون إلى الطبقات الدنيا ينشئون أولادهم على الطاعة والنظام.

وتدل نتائج الدراسات المختلفة⁽¹⁾. على أن دور الرجل في الطبقات الاجتماعية الاقتصادية العليا أهم من دور المرأة، فهو الذي يتتخذ القرار، أو بمعنى أدق يتتخذ من القرارات أكثر مما تتخذ المرأة. وأن دور المرأة يتكافأ مع دور الرجل في الطبقات الدنيا.

ولهذا الدور في الطبقات الثلاث أثره القوى على تنشئة الطفل لأنه يمثل السلطة السائدة في الأسرة.

٤- دور الأسرة في تحقيق مطالب الطفل،

يتطور التعبير عن المطالب من الإشارات إلى مجرد التعبير اللفظي ثم ينتهي إلى الإقناع العقلى.

وتسمى المرحلة الأولى من مراحل هذا التطور مرحلة ما قبل التعبير اللفظي، وذلك لأن وسائل الطفل لتحقيق مطالبه لا تخرج عن مجرد الإشارات، والصرارخ، والابتسام، وذلك قبل أن يتعلم كيف يتكلم ويقول ما يريد ويرغب.

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التعبير اللفظي. ويتحدد التعبير اللفظي عند الوالدين صورة الأوامر والتواهي الموجزة مثل «افعل هذا». لا تفعل ذلك» والأحكام التي يصدرها الآباء على سلوك أبنائهم مثل «هذا صواب. وهذا خطأ». وعندما يستجيب الطفل لأبيه فإنه إنما يفعل ذلك لعلمه بقدرة شخصية أبيه التي تجعله قادرًا على أن يفرض مطالبه بالقوة. وكذلك تتحذ مطالب الطفل هذه الوسيلة اللفظية لتحقيقها، وذلك لقدرة الطفل على إثارة الضجيج والفوضى أو استعطاف والده إذا لم تتحقق مطالبه.

وتعتمد المرحلة الثالثة على الإقناع وذلك عندما يكبر الطفل ويدرك أن مجرد التعبير اللفظي عن مطالبه لا يجدى ولذلك يتحذ تعبيره اللفظي أسلوبًا للإقناع. ولذلك فهو يتطلب من أبيه أن يكون مقنعًا في مطالبه ولا يمل إليها أو يفرضها عليه باعتبار أنه

(1) Blood, R. O. and Wolfe, D. M., Husbands and Wives, the Dynamic of arried Living. ILL. Glencoe Press. 1960.

- Olsen, M. E. Distribution of family resonabilities and social stratification. Marriage and Family Living, 1960, 22, pp. 60 0 65.

الأب . وبذلك يتعلم الطفل أن يحترم المعايير والقيم والقواعد والنظم والقوانين أكثر مما يحترم الأفراد فلا يستجيب للفرد الآخر باعتبار أنه الأب أو الأم بل باعتبار ما يمثل من قيم ويراعى من قواعد ومدى نجاحه في إقناع الطفل .

وهكذا نرى أن تحقيق المطالب يعد عاملاً رئيسياً من عوامل إنجاح التنشئة الاجتماعية . وأن هذا النجاح يعتمد على التوازن القائم بين مدى استجابة الوالدين لمطالب الطفل ومدى استجابة الأبناء لمطالب آبائهم .

هذا وقد يحول فقر الوالدين دون تحقيق أغلب المطالب المادية لأبنائهم ، وبذلك يستعاض عنها في مثل تلك الأحوال بالطالب غير المادية .

ولعدد أبناء الأسرة أثر الواضح في نوع ودرجة تحقيق مطالب الطفل ، بل وفي الطريقة التي يسلكها الآباء لتحقيق تلك المطالب .

وقد توصل الدر Elder وباورمان⁽¹⁾ Bowerman في بحثهما الذي نشراه سنة ١٩٦٣ عن أثر حجم الأسرة في أنماط التنشئة الاجتماعية للأطفال إلى أن كثرة الأبناء ت نحو الآباء إلى أسلوب السيطرة في تحقيق المطالب . وقلة الأبناء ت نحو الآباء إلى أسلوب الإقناع .

ويمكن أن نصف فئات الآباء بالنسبة لمدى تحقيقهم لمطالب أبنائهم ومدى ما يتطلبونه منهم إلى أربع فئات متمايزة نلخصها فيما يلى⁽²⁾ :

١ – الذين يجيدون تحقيق مطالب أولادهم ولا يفرضون عليهم مطالبيهم ، غالباً ما يؤدي مثل هذا السلوك إلى شدة التعلق ، والأنانية ، وحب الذات .

٢ – الذين يجيدون تحقيق مطالب أولادهم ، ويفرضون عليهم مطالبيهم ، غالباً ما يؤدي هذا السلوك إلى تنشئة اجتماعية متزنة تعلم الفرد كيف يطالب بحقوقه ويؤدي واجباته .

٣ – الذين لا يجيدون تحقيق مطالب أولادهم ولا يفرضون عليهم مطالبيهم ، غالباً ما يؤدي مثل هذا السلوك إلى اللامبالاة .

٤ – الذين لا يجيدون تحقيق مطالب أولادهم ، ويفرضون عليهم مطالبيهم ، غالباً ما يؤدي مثل هذا النوع من السلوك إلى الخنوع .

(1) Elder, G. H., and Bowerman, C. E. Family structure and child rearing patterns. The effect of family size and sex composition Am. Soc. Rev., 1963, Vol. 28, 891 - 905.

(2) Danziger, K. Socialization. Harmondsworth, Penguin, 1971, 64 - 66.

وهكذا نرى الأثر المحتمل لكل علاقة من تلك العلاقات الوالدية.

٥- تأثير دور الأسرة بجنس الطفل:

يختلف مسلك الوالدين مع أطفالهما تبعاً لاختلاف جنس الطفل، ولهذا المسلك أثره في التنشئة الاجتماعية التي تحدد مسار النمو الاجتماعي للطفل.

ومن التجارب التي توضح مدى اختلاف علاقة الأم بأطفالها تبعاً لاختلاف الجنس ذكرها كان أم أنثى، التجربة التي قام بها موس^(١) Moss سنة ١٩٦٧ وخلاصتها أن الباحث سجل سلوك الأمهات مع الأطفال الذين يبلغون من العمر ثلاثة أسابيع، ثم عاد وسجل سلوك نفس الأمهات مع نفس الأطفال عندما بلغت أعمارهم ثلاثة أشهر. وقد لاحظ الباحث أن الطفل ليس هو وحده الذي يغير سلوكه في استجابته لأمه بل إن الأم نفسها تغير سلوكها أيضاً في استجابتها لسلوك أطفالها.

ومن أهم الأمور التي كشف عنها هذا البحث أن الأم لا تستجيب لصراخ وبكاء الذكور من الأطفال كما تستجيب لصراخ وبكاء الإناث. وقد يكون ذلك لأنها تعلم أن تدخلها مع الذكور مع الأطفال لا يجدي لأنهم أكثر عناداً من الإناث، أو لأنها أكثر حزماً مع الذكور منها مع الإناث، أو لأنها تفترض أن على الأطفال الذكور أن يكونوا أكثر احتمالاً من الإناث. وهذه التفرقة في مسلك الأم تحدد مسلكها للتنشئة الاجتماعية للذكور من الأطفال يختلف عن مسلك تلك التنشئة عند الإناث.

وهكذا تتأثر التنشئة الاجتماعية للأطفال بالعلاقات العائلية السائدة في جو الأسرة والتي تصطبغ بمفهوم الأسرة عن تنشئة الذكور ومدى اختلافها عن مفهومها لتنشئة الإناث.

٦- تأثير الطفل بوالديه وتأثيره فيما:

كما يؤثر الوالدان في سلوك طفلهما وفي مسار تنشئته الاجتماعي، كذلك يؤثر الطفل في سلوك والديه بل وفي تعديل مسار تنشئتهما الاجتماعية أيضاً، وذلك لأن الطفل يمتلك وسائل للتحكم في سلوك الكبار وفي تغيير مسار سلوكهم الاجتماعي، وهو الصياغ والابتسام، كما يقرر ذلك رينجولد^(٢).

(1) Moss, H. A. Sex, age and state as determinants of mother infant interaction. Merrill Palmer Q., 1967, Vol. 19, 19 - 36.

(2) Rheingold, H. L. Infancy. In International Encyclopedia of the Social Science. (Ed.). Sills, D. L., N. Y. Macmillan, 1968.

سنة ١٩٦٨ . فعندما يصبح الطفل يسرع إلى الكبار ، وعندما يتسم بفرح به والده . ويشارك هو بابتسامته تلك في تشكيل بعض أنماط الحياة الاجتماعية السائدة حوله وبذلك لا يملك الوالدان وحدهما وسائل الثواب والعقاب ، بل يملكونها الطفل أيضا . وكما تنتقل المعلومات من الوالدين إلى أطفالهما ، كذلك تنتقل معلومات أخرى من الأطفال إلى الوالدين ، وذلك لأن الصراخ والابتسمان يدلان الوالدين على مطالب الطفل . وبذلك يعدل الطفل بدوره مسار التنشئة الاجتماعية للوالدين وذلك لأن سلوكهما الاجتماعي بعد ولادته يختلف عن سلوكهما الاجتماعي قبل ولادته .

(ب) دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية :

بالرغم من أن المظاهر الأولى للتنشئة الاجتماعية تبدأ وترعرع في جو الأسرة إلا أن الأسرة لم تعد تستأثر وحدها بتلك التنشئة ، في عالمنا المعاصر وذلك نتيجة للتصنيع الذي أدى بدوره إلى تحديث المجتمعات وتطويرها حتى أضعف بذلك دور الأسرة .

ويضعف أثر الأسرة في التنشئة الاجتماعية وخاصة بعد مضي سنوات الطفولة المبكرة وذلك عندما لا يرتبط توزيع العمل بتكوين الأسرة ، ولا تبقى الأسرة هي الوحيدة الاقتصادية التي توفر لكل فرد من أفرادها كسب الرزق كما يحدث في العائلات الريفية الكبيرة التي يرتبط عمل أبنائها بكلكيتها الزراعية وأعمالهم في الحقل .

ويضعف أيضاً أثر الأسرة في تلك التنشئة عندما تصبح فرص التعليم متاحة للجميع وتصبح المؤسسات التعليمية المختلفة بما فيها المدرسة والجامعة هي المدخل الطبيعي لكسب الرزق . وهذا ما يحدث الآن في أغلب المجتمعات المعاصرة في البلدان المختلفة ، وخاصة تلك التي تخطط لنفسها لتطور من مجتمعات نامية لمجتمعات متقدمة ، ولتحول من مجتمعات زراعية لمجتمعات صناعية وتكنولوجية . من أجل هذا يتسع مجال التنشئة الاجتماعية ليتجاوز الأسرة إلى المدرسة .

وقد زاد أثر المدرسة في التنشئة الاجتماعية أيضاً بعد أن أصبح محل أثر الوراثة في تحديد المكانة الاجتماعية^(١) ، وأصبحت المكانة الاجتماعية تكتسب عن طريق التعليم . وبذلك أصبح الفرق الأول بين الأسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية هو أن الفرد يكتسب مكانته في الأسرة عن طريق السن والجنس ، وصفاته الخاصة . لكنه يكتسب مكانته الاجتماعية في المدرسة عن طريق المنافسة والامتحانات التي تؤهلة بعد ذلك للمهنة التي يعد نفسه لها في المستقبل وما تتصف به هذه المهنة من مكانة اجتماعية مرموقة أو غير ذلك .

فالمدرسة بهذا المعنى عامل من أهم عوامل الحراك الاجتماعي^(١)، وتعنى بالحراك هنا الحركة الاجتماعية العليا التصاعدية التي ترقى بالفرد إلى المستويات الاجتماعية والمهنية في المجتمع المعاصر. فهي لذلك تثير في الأفراد حافز الإنجاز^(٢) وتنمي، وتحدد الطريق لتعديل نماذج طموح الفرد من تلك التي يتخذها قدوة يهتدى بها في مسيرة نموه إلى نماذج من التخصصات والأعمال والمؤمن التي يطمح لمارستها في مستقبل حياته. وتساير المدرسة الابتدائية هذا التحول عند الطفل في انتقاله من رعاية مدرس الفصل في السنوات الأولى من تلك المدرسة إلى مدرس المادة في السنوات النهائية.

والأطفال الذين لا يتخذون الأب ثم المدرس نموذجا يقتدون به ولا يتظرون إلى نماذج المهن والأعمال يتتحولون إلى نماذج جماعة النظائر وينحرفون بسلوكهم عن جادة الطريق. وهؤلاء في حاجة إلى رعاية وإرشاد حتى تستقيم مسالك نموهم الاجتماعي.

ج- دور الجماعة المرجعية في التنشئة الاجتماعية،

ترجع نشأة مفهوم الجماعة المرجعية^(٣) إلى البحث الذي نشره هايمان^(٤). Hyman سنة ١٩٤٢ عن سيكولوجية المكانة الاجتماعية. وتعنى بالجماعة المرجعية الجماعة التي ينسب إليها الفرد سلوكه الاجتماعي ويقيمه في إطار معاييرها وقيمها واتجاهاتها وأنماط سلوكها المختلفة.

وتتطور أنواع الجماعات المرجعية تبعاً لتنامي وتطور مراحل نمو الفرد، فتبدأ بالأسرة التي تحقق للطفل كل حاجاته البيولوجية والنفسية الاجتماعية ثم تتطور إلى الجماعات الثانوية الأخرى التي تؤثر في حياة الإنسان كلما اتسع لها.

ويختلف تأثير الجماعات المرجعية في التنشئة الاجتماعية للفرد تبعاً لأهمية كل جماعة من تلك الجماعات، وتختلف تلك الأهمية تبعاً لمدى اتمام الفرد للجماعة. ولا شك أن أشد تلك الجماعات تأثيراً في الفرد وخاصة في بدء طفولته هي الأسرة ثم يقل تأثيرها إلى حد ما تبعاً لاتساع دائرة التفاعل الاجتماعي للفرد وتبعاً لمدى اتمامه للجماعات الأخرى مثل المدرسة وجماعة النظائر والنادي وغير ذلك من الجماعات الأخرى. ويمكن أن نمثل اتمام الفرد للجماعات المختلفة. والأثر النسبي لكل منها في

(1) Social Moability

الحراك الاجتماعي

(2) Achievement motivation

حافز الإنجاز

(3) Reference group

الجماعة المرجعية

(4) Hyman H. H. The Psychology of Status. Arch. Psychol. Columbia Univ. Press. 1942. No. 269.

تكوين سلوكه الاجتماعي بدوائر تضيق وتسع وتقترب وتبتعد تبعاً لمدى تأثيرها، بل وتبعد لزيادة أو نقصان شدة هذا التأثير. وهكذا تكتسب مثل هذه التبعية نوعاً من الدينامية التي تحدد الحركة الاجتماعية للفرد في إطار كل منها.

ولمكانة الفرد في كل جماعة من تلك الجماعات التي ينتمي لها أثراً لها في مسار سلوكه الاجتماعي، فقد يكون دور الفرد في الجماعة دوراً رئيسياً وذلك، مثلاً، عندما يتزعمها أو يصحي من أجلها. وقد يكون دوره دوراً ثانوياً، أي مجرد انتماء. فعضوية الفرد في أحد الأندية قد ترقى إلى رئاسة مجلس إدارتها أو عضوية هذا المجلس، أو قد تصبح مجرد مشاركة في أنشطة ذلك النادي أو حتى مجرد قضاء بعض الوقت في النادي بين الحين والآخر.

وقد يتاثر سلوك الفرد بجماعات لا ينتمي لها ولا يتصل بها اتصالاً مباشرًا، لكنه يسلك مسلك أعضائها ليقال عنه أنه منها، وما هو منها، ومن أمثلة ذلك في مصر ارتداء بعض الشبان للقمصان الحمراء ومشابعهم لفريق النادي الأهلي للكرة مع أنهم ليسوا أعضاء في هذا النادي. وقد تندد بهم المنافسة في مناصرتهم لذلك الفريق ضد أنصار فرق الأندية الأخرى حتى إنه يمكن أن يتطور هذا الخلاف إلى خصام واعتداء بالأيدي والعصى.

(د) دور جماعة النظائر في التنشئة الاجتماعية:

تسمى الجماعة التي تكون من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون في أعمارهم وميولهم وهواياتهم جماعة النظائر⁽¹⁾. والطفل الذي يختلف مع أبيه يجد في مثل هذا التنظيم جماعة مرجعية ينسب إليها نشاطه الاجتماعي.

ويجد الطفل في جماعة النظائر منطلقاً لسلوكه العدواني الذي ينشأ لديه نتيجة لصرامة الأب وعقابه وخاصة بين البنين كما تدل على ذلك أبحاث باندورا Bandura ووالترز⁽²⁾ Walters التي نشرتها سنة ١٩٦٠.

ولقد اكتشف الباحثان معاملات للارتباط مرتفعاً بين مدى تقبل الجماعة للفرد وأى شعبيته بينهم، وبين مدى تقبله هو لنفسه كما هي. ولا شك أن مثل تلك الشعبيية تعتمد على ثقة الطفل بنفسه، والعكس ليس صحيحاً.

وغالباً ما تعارض القيم والاتجاهات السائدة بين جماعة النظائر مع قيم واتجاهات الوالدين والمدرسة، حتى شاع حديثاً ما يسمى بثقافة المراهقين⁽³⁾ التي توصف بأنها

(1) Peer group

جماعة النظائر

(2) Bandura, A., and Walters, R. H. Adolescent Aggression. N. Y. Ronald. 1960.

(3) Adolescent culture

ثقافة المراهقين

لاعقلية، ولا ترتبط أنماطها بقيم العمل والإنتاج وإنما ترتبط بالاستمتاع والاستهلاك، ولذا يحاربها لأنهم يدعونها تهدى للقيم التي يحافظون عليها.

وقد استخدمت جماعة النظائر حديثاً في مجال العلاج النفسي فيما أصبح يسمى الآن إعادة التنشئة الاجتماعية^(١). وتعتمد هذه الوظيفة الجديدة لجماعة النظائر على الافتراض الذي يقرر أن الاختلال الوظيفي في المهارات الاجتماعية ينشأ من انحراف مسار التنشئة الاجتماعية عن مسلكها السوي نتيجة للظروف غير السوية التي عانى منها الفرد في نشأته في أسرته، ويعاني منها الآن في مواجهته لمشكلات المجتمع الذي يتبعه إليه. وتتطلب عملية تصحيح مسار نموه الاجتماعي وجوده لبعض الوقت في بيئه جديدة تحميه من صراعات المجتمع الخارجي التي لم يعد يحتملها ويقوى على مواجهتها.

ويعيش الفرد مع أمثاله من المرضى تحت رعاية من يستطيعون أن يوجهوا سلوكه وسلوك زملائه الذين يؤلفون فيما بينهم جماعة النظائر العلاجية للمواجهة التدريجية لمشكلات المجتمع الواقعي، وذلك عن طريق إعادة التنشئة الاجتماعية وتصحيح المعاير والقيم وأنماط السلوك الاجتماعي^(٢).

(ه) دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية:

تعددت الأبحاث التي تحاول اكتشاف أثر وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية. ومن أهم تلك الوسائل التي شملتها الأبحاث المعاصرة: الإذاعة، والتليفزيون، والأفلام السينمائية، والمكتب والمجلات.

وقد دلت نتائج أغلب الأبحاث الحديثة على أن الأطفال يقلدون ما يشاهدون من عنف وعدوان في القصص السينمائية والتليفزيونية. وأن مواقف القلق التي تعتمد عليها أحياناً بعض تلك القصص في جذب انتباه المشاهدين تشير في نفوس الأطفال أنواعاً غريبة من القلق قد يتطور بعضها إلى القلق العصبي المرضي.

ومن الآثار الواضحة لوسائل الإعلام على التنشئة الاجتماعية للأطفال إشاعة سلوك اللامبالاة وتشويهها للقيم التي تعتمد عليها في تربية جيل المستقبل، إذ كثيراً ما نشاهد أبطال القصص السينمائية والتليفزيونية يحتسون الخمر ويدمنون الشراب في مواجهتهم للمواقف العصبية التي تمر بها أحداث القصة أو يعتدون على غيرهم أو

(1) Resocialization

إعادة التنشئة الاجتماعية

(2) Landy, D., and Wechsler, H. Rehabilitation, socialization and pathway organizations. In Biddle, B. J., and Thomas, E. J. Role Theory: N. Y. Wiley. 1966. pp. 367 - 382.

يقتلون الآخرين. وتلك نماذج شريرة وخطيرة نقدمها للناشرة في مواقف العاطفة المتأججة والشهوات المطلقة من عقالها التي تعبر بكل ما يواجهها من قيم ومعايير وتقاليد ومثل عليا.

وهذا ولا شك أنه إذا أحسن توجيه وسائل الإعلام فإنها تستطيع أن تصبح أداة فعالة قوية في إرساء القواعد الأخلاقية والدينية لمجتمع فاضل. وتستطيع أيضاً هذه الوسائل أن تسمو بالعقل لتخرج أحسن ما به من تفكير وابتكار وخيال خصب متوجه.

وهي كما تدل تسميتها عليها مجرد وسائل تصبح خيرة إذا أحسن توجيهها، وشريرة إذا أسيء استخدامها.

رابعاً- الملخص

تدل التنشئة الاجتماعية في معناها العام على العمليات التي يجعل الفرد يستجيب للمؤثرات الاجتماعية حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين. وتدل في معناها الخاص على نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من كائن عضوي إلى شخص اجتماعي. وتبليغ أقصاها في الطفولة لكنها تتدرب بامتداد الحياة. توصف أحياناً بأنها عملية الاندماج الاجتماعي.

والتنشئة الاجتماعية عملية قديمة قدم البشرية. لكن المصطلح العلمي لم ينشأ إلا في أواخر الثلاثينيات. وقد أسهم في نشأته علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثربولوجى.

وتتصبح هذه التنشئة سوية عندما تتزمن ضغوط الجماعة ومطالب الفرد، والإفراط في ضغوط الجماعة يؤدي إلى الجمود والمحافظة. والترابخى يؤدي إلى العصيان والعدوان.

وتتلخص أهم العمليات التي تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية في عملية التعلم الاجتماعي التي تؤدي بالفرد إلى تأكيد مكانته، والحماية، والسيطرة والاستقلال والحب والراحة. وعملية تكوين الأنماط أو الذات الاجتماعية، والأنماط الأعلى أو الضمير. وعملية التوافق الاجتماعي التي تؤدي إلى اتباع العادات والتقاليد. وعملية التثقف التي تحافظ على استمرار مظاهر الثقاقة من لغة ودين وخلق وعادات وتقاليد.

ويعد التعلق والعدوان من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية. ويعني التعلق السعي للتقارب والميل للمحافظة على الجوار عندما يتحقق. وهو يؤدي إلى الطمأنينة والأمن، ويظهر عند الطيور في سير أفراخ البط في خط وراء أمها، وعند الرئيسيات والإنسان في

التصاق صغار القردة بأمه، وكذلك حال الطفل مع أمه. ويسفر التعلق عن علاقات متبادلة فكما يتعلق الطفل بأمه تتعلق الأم بطفلها. ويتطور التعلق في أربع مراحل تعدد الأولى مجرد إرهاص للتعلق وتبدو في الترجمة العام للأخرين دون أي تمييز. وفي الثانية يظهر الطفل اهتمامه بن حوله ويركز على أمه. وفي الثالثة ينشد الطفل جوار أمه، وفي الرابعة يكون علاقات اجتماعية مع الآخرين. وتتأثر شدة التعلق بدرجة إحساس الأم بمسؤوليتها ويطول الزمن الذي يقضيه الكبار مع الطفل، ويمدّي ملامسة جسم الطفل لجسم أمه. ويقيس التعلق عن طريق أهم تماطه مثل ترحيب الطفل بأمه، واستجابته هو بترحيبها، وتجنبه الانفصال عنها، ونشاطه الاستكشافي في ابعاده عنها ثم فيعوده إليها.

المظهر الثاني هو العدوان. ويعرف بأنه الاستجابة التي تعقب الإحباط ويراد بها إلحاق الأذى بفرد آخر أو حتى بالفرد نفسه. ومن أهم المظاهر الفسيولوجية للعدوان سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم، وتتوتر عضلات الأطراف لقاومة التعب والإرهاق، وضعف الإدراك الحسي حتى إن الفرد لا يكاد يشعر بالألم. ويتيجي العدوان عن استثارة الغدة الھيپوسلامية. ونقضيه الخوف والهرب. ويتيجي الخوف فسيولوجيا عن الجسم الأميجدالي. واستئصاله عند الحيوانات المفترسة يتحولها إلى أليفة. ويهدف العدوان إلى تأكيد المكانة وتحقيق السيادة فهو لذلك ضرورة من ضرورات البقاء. وتوصف علاقة العدوان بالتعلق بأنها علاقة عكسية، أي كلما زاد أحدهما نقص الآخر. ومن أهم العوامل التي تؤثر على العدوان التقليدي، والبيئة العدوانية التي تؤدي بالفرد إلى الإحباط، والجنس، وذلك لأن العدوان يستثار عند الإناث عندما تتعرض أطفالها للخطر، وعند الذكور في التنافس. والذكر أشد عدوانية من الإناث. وتؤدي العزلة إلى الإحباط ويعود الإحباط إلى العدوان. ويقسّس العدوان بالطريقة الطولية، وقد ظهر ارتباط بين عدوان الطفولة وعدوان الرشد. ويفسر العدوان بأنه تعلم اجتماعي ينشأ عن التواب والعقاب أو ينشأ عن تقليد النماذج العدوانية. ويفسر عند المشتغلين بالتحليل النفسي على أنه مظهر لغريزة الموت وعلى أنه أيضاً مظهر للسلطة والسيطرة أو الرغبة في التمايز والتزعة للارتقاء. وأقرب التفاسير إلى النواحي الكمية الموضعية هو تفسير التحليل العائلي الذي يعد العدوان الفطب الموجب في عامل ثانٍ القطبية، وقطبه السالب الخجل والحياء. وللتتشاءلة الاجتماعية دورها الرئيسي في تهذيب وتطويع العدوان، وذلك في تعليم الفرد المواقف التي يجب أن يشور فيها، والمواقف التي يجب أن يتجنّبها، والمواقف التي يجب ألا يبدأ فيها سلوكه العدواني. وفي تفريغ الطاقة العدوانية وذلك عن طريق الألعاب الرياضية أو التعود كما ينشأ القطب مع الفار على صداقة ووثام لا يشوبها عدوان.

وتم التنشئة الاجتماعية عن طريق الأسرة، والمدرسة، والجماعة المرجعية، وجماعة النظائر، ووسائل الإعلام.

وعن طريق الأسرة يتعلم الطفل معايير الأسرة ذاتها، وعندما تصبح تلك المعايير جامدة يجذب الطفل إلى السلوك المرضى، وعندما تتعارض معايير الأسرة في الموقف الواحد أو في المواقف المشابهة لا تم عملية التنشئة الاجتماعية على الوجه الصحيح. ولنوع السيطرة في الأسرة أثرها على التنشئة الاجتماعية. فالآب المسيطر يؤثر على الذكور من الأطفال فيينحو بهم نحو النمط الذكري الرجالى . والأم المسيطرة تؤدى بالذكور من الأطفال إلى السلوك المرضى . وتعارض سيطرة الآب مع سيطرة الأم يؤدى بالتنشئة إلى مسارها اللاسوى . وللمستوى الاقتصادي الاجتماعي أثره أيضاً على التنشئة الاجتماعية، وغالباً ما يتعرض أطفال المستويات الدنيا للعقاب . ويؤدى بهم هذا العقاب إلى الطاعة . أما أطفال المستويات المتوسطة فيحافظون على العادات والتقاليد ويتصفون بضبط النفس . ويختلف دور المرأة في المستويات العليا فيصبح دور الرجل أهم ، ويتكافأ دور الرجل والمرأة في المستويات المتوسطة . ويصبح دور المرأة أهم في المستويات الدنيا . وللأسرة أيضاً دورها الرئيسي في تحقيق مطالب الطفل خلال تطورها من مرحلة ما قبل التعبير الفظي إلى مرحلة التعبير اللفظي إلى مرحلة الاقتناع والإقناع ، وينقسم الآباء إلى أربع فئات بالنسبة لتحقيقهم لمطالب الطفل ، فاما الأولى فتحقق للطفل مطالب دون فرض مطالبه وهذا يؤدى بالطفل إلى الأنانية . وأما الثانية فتحقق مطالب الطفل وتطلب منه تحقيق مطالبه وهذا يؤدى بالطفل إلى تنشئة اجتماعية متزنة . وأما الثالثة فلا تتحقق مطالب الطفل ولا تطلب منه تحقيق مطالبه وهذا يؤدى به إلى اللامبالاة . وأما الرابعة فلا تتحقق للطفل مطالبه وتطلب منه تحقيق مطالبه وهذا يؤدى به إلى الخنوع . ويتأثر دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية تبعاً لاختلاف جنس الطفل فلا تستجيب الأم بسرعة لصراخ وبكاء الذكور كما تستجيب بسرعة لصراخ وبكاء الإناث وذلك لأن الذكور أكثر عناداً ، ولأن الأم أكثر حزماً معهم . وتعتمد جميع هذه العلاقات التي تصدر عن الأسرة على التبادل فكما يتأثر الطفل بوالديه فإنه أيضاً يؤثر فيهما .

وعندما تحولت المجتمعات إلى الصناعة ضعف أثر الأسرة وزادت تبعاً لذلك أهمية المدرسة فأصبحت من أهم وسائل التنشئة الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة ، وخاصة بعد أن أصبحت المكانة الاجتماعية تكتسب عن طريق التعلم ، وبعد أن ظهرت أهمية المدرسة في الحراك الاجتماعي الذي يساير مستويات طموح الأفراد ويتحقق عن طريق التعليم والتدريب الأهداف التي يسعى لها الفرد .

وللجماعة المرجعية دورها أيضاً في التنشئة الاجتماعية. ونعني بالجماعة المرجعية كل جماعة ينسب إليها الفرد سلوكه الاجتماعي ويقيمه في إطار معاييرها وقيمها. وبذلك تصبح الأسرة والمدرسة وجماعة النظائر وجماعة النادى جماعات مرجعية في إطار هذا المعنى.

وتعد جماعة النظائر من أهم الجماعات المرجعية التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية في الطفولة المتأخرة وفي المراهقة حتى نشأت عنها ما أصبح يسمى بثقافة المراهقين. وتستخدم جماعة النظائر التي تعتمد في تكوينها على أفراد جيل واحد من الأطفال أو المراهقين في مجال العلاج النفسي فيما أصبح يسمى الآن بإعادة التنشئة الاجتماعية فتؤدي بالطفل إلى العنف والعدوان إذا أساء استخدامها وتؤدي به إلى السلوك الاجتماعي الناضج السوى إذا أحسن استخدامها.

خامساً - المراجع العامة

- (1) Ainsworth, M. D. Infancy in Uganda: Infant Care and the Growth of Love. Baltimore, Johns Hopkins, 1967.
- (2) Bandura, A., and Walters, R. H. Adolescent Aggression. N. Y. Ronald, 1960.
- (3) Becowitz, L. Aggression: A Social Psychological Analysis. N. Y. Mc Graw - Hill, 1962.
- (4) Biehler & Snowman, Psychology applied to teaching, Houghten, 1993.
- (5) Bowlby, J. Attachment, Harmondsworth, Penguin, 1978.
- (6) Bowlby, J. Separation., Harmondsworth, Penguin, 1978.
- (7) Booth, T. Growing Up in Society. London, Methuen, 1975.
- (8) Danziger, K. Socialization., Harmondsworth, Penguin, 1971.
- (9) Dollard, J., and others. Frustration and Aggression., London, Routledge and Kegan, 1944.
- (10) Gerard, H. B. and Jones, E. E. Foundations of Social Psychology. N. Y. Wiley, 1967.
- (11) Goslin, D. A. (Ed.) Handbook of Socialization: Theory and Research. Chicago, Rand Mc Nally, 1969.
- (12) Klausmeier, Educational Psychology Harper, 1989.
- (13) Lorenz, K. on Aggression, London, Methuen, 1966.
- (14) Schaffer, H. R. The Growth of Sociability, Harmondsworth, Penguin, 1976.
- (15) Scott, J. P. Aggression. Chicago, Univ. of Chicago Press, 1958.
- (16) Storr, A. Human Aggression. Harmondsworth, Penguin, 1958.



الفصل الخامس

العلاقات الاجتماعية المتبادلة

أولاً - العلاقات الاجتماعية والتفاعل.

ثانياً - مستويات علاقات التفاعل الاجتماعي.

ثالثاً - أنواع العلاقات المتبادلة.

رابعاً - حجم الجماعة وأثره في العلاقات المتبادلة.

خامساً - أهم مظاهر العلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية.

سادساً - أهم طرق بحث العلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية.

سابعاً - النماذج العلمية التي تفسر العلاقات المتبادلة.

ثامناً - الجماعة الثلاثية وعلاقتها المتبادلة.

تاسعاً - الملخص.

تعد العلاقات الاجتماعية المتبادلة أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي المعاصر لأنها تكاد كلها تصدر عنه وتعود إليه وتدور في فلكه، فهي كما بين روس منذ سنة ١٩٠٨ وما زالت المحور الرئيسي لكل مجالات الدراسات العلمية الحادة في هذا العلم.

ولقد بينا في الفصل السابق من هذا الباب نشأة وتطور هذه العلاقات في حياة الفرد في دراستنا للتنشئة الاجتماعية. وسنبين في هذا الفصل كيف تؤدي تلك العلاقات إلى التفاعل الاجتماعي وكيف تنشأ منه، وكيف تغير تبعاً لما يطرأ على الإدراك الاجتماعي من تطور خلال ما يحدث من تفاعل.

وتعد العلاقات الاجتماعية المتبادلة أرقى أنواع علاقات التفاعل الاجتماعي التي تبدأ بالعلاقات الالاتبالية وتطور إلى علاقات الاتجاه الواحد فالعلاقات شبه المتبادلة فالعلاقات المتوازية ثم تنتهي إلى المتبادلة غير المتناسقة وتصل أخيراً إلى المتبادلة.

ويتطور موضوع هذا الفصل بعد ذلك لبيان أثر حجم الجماعة في عدد العلاقات الاجتماعية المتبادلة ونوعياتها. ويعالج بعد ذلك أهم العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية، وذلك لأن الجماعة الثانية تعد بحق أصغر أنواع الجماعات والمدخل العلمي الأساسي لدراسة خصائص تلك العلاقات في صياغة نماذج علمية لتفسير العلاقات المتبادلة وخاصة في الجماعة الثانية.

وينتهي هذا الفصل بدراسة خصائص العلاقات المتبادلة وخاصة في الجماعة الثانية والثلاثية وذلك تمهيداً لدراسة خصائص الجماعات الأكبر حجماً والأكثر تعقيداً مثل الجماعة الرابعة وما تطوى عليه تلك الجماعات من ديناميات تميز الجماعات الصغيرة عن غيرها من الجماعات الأخرى الكبيرة، والكبيرة جداً.

أولاً، العلاقات الاجتماعية والتفاعل:

العلاقات والتفاعل^(١). مصطلحان يستخدمان بكثرة في كتب علم النفس الاجتماعي المعاصر، وهما مرتبطان ويقاد لا يحدث أحدهما دون الآخر. فأما العلاقة فهي صلة بين شخصين أو أكثر، وأما التفاعل فهو التأثير المتبادل وما ينشأ عنه من تغير.

ويعتمد التفاعل على تحليل السلوك الذي يصدر عن الفرد في الموقف الاجتماعي على أنه استجابة لمثير صدر عن شخص آخر، وهو بعد في نفس الوقت مثيراً

(١) Interpersonal relation

Social interaction

العلاقات الاجتماعية

التفاعل الاجتماعي

للاستجابة المقبلة التي ستصدر عن الشخص الآخر. أي أن المثير يتحول إلى استجابة وتحول الاستجابة إلى مثير، وتتناوب ردود الأفعال بطريقة متلاحقة تدل على التفاعل. فمثلاً عندما ينقد محمد صديقه إسماعيل فإن ما يقوله محمد يثير في نفس إسماعيل استجابة معينة فيغضب من محمد، ويؤدي غضب إسماعيل إلى اعتذار محمد. وعندما يعتذر محمد يتسم إسماعيل. وهكذا يمضي السلوك على هذا النوع من التفاعل.

ويؤدي بنا مثل هذا التفاعل إلى تحليل الموقف الاجتماعي عن طريق دراسة التغيرات التي نظراً على مظاهر السلوك في تحولها من فرد لآخر ومن مثيرات إلى استجابات، ثم تحول الاستجابات نفسها إلى مثيرات جديدة.

ولذا يعرف التفاعل الاجتماعي بالتأثير المتبادل بين فردين بحيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، وتصبح بذلك استجابة أحدهما مثيراً للأخر. ويتوالى التبادل بين المثير والاستجابة إلى أن ينتهي التفاعل القائم بينهما.

والأصل في العلاقات التي تنشأ بين شخصين أو أكثر بالصلة المتبادلة التي تنشأ بينهما نتيجة لتأثير أحدهما في الآخر وتأثره به.

ولذا يعد التفاعل الاجتماعي أساس العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد. فعندما نقرر أن علاقة اجتماعية نشأت بين فردين، فإننا نقرر هذا بعد أن تكون قد شاهدنا مراراً ما يقوم بهما من تفاعل، أي ما يصدر عن كل منهما من سلوك في مواجهته للشخص الآخر، وما ينتج لكل منهما من حصيلة نتيجة لوجود الآخر، وما يقوم بهما من تواصل.

وينطوى التفاعل على أمور متعددة ومختلفة، وذلك لأن لكل فرد رصيداً ضخماً من أنماط السلوك التي يمكن أن تظهر في علاقته بفرد آخر.

ثانياً، مستويات علاقات التفاعل الاجتماعي

الأساس في علاقات التفاعل الاجتماعي تبادل التأثير والتأثير. وبيان ذلك أن (أ) يؤثر في (ب) ويتأثر به. وكذلك الحال بالنسبة لـ (ب) في أنه يؤثر في (أ) ويتأثر به. ويعد التبادل بهذا المعنى أعلى أنواع علاقات التفاعل الاجتماعي.

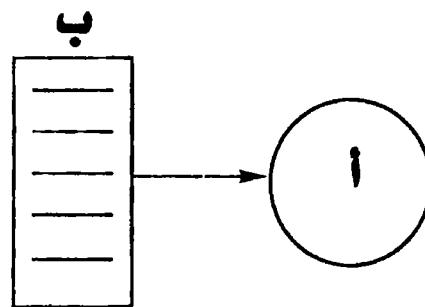
وتتطور العلاقات في مستويات متتابعة. وسنبين فيما يلى أهم مستويات علاقات التفاعل الاجتماعي.

وسنرمز للفرد بدائرة ولل العلاقة بخط، ولاتجاه العلاقة بسهم، وللفرد المقيد في علاقاته بدائرة يحيط بها مرتفع، وذلك في الأشكال المتعددة التي سنوضح بها المستويات المختلفة للعلاقات الاجتماعية. وأى رمز آخر خلا تلك الرموز سنوضحه في موقعه الذي نستخدمه فيه.

(أ) المستوى الأول - العلاقات اللاقبادية:

في هذا النوع من العلاقات اللاقبادية لا يتزامن وجود الفرد (أ) مع وجود الفرد (ب). ولا يؤثر (أ) في (ب) ولا يتأثر به، وكذلك الحال بالنسبة لـ(ب). ومعنى هذا أن يوجد (أ) ويوجد (ب) ولا يوجد بينهما تفاعل اجتماعي حقيقي. أو يوجد (أ) وتوجد بيانات عن (ب) ويطلب من (أ) أن يحكم على سلوك (ب) من تلك البيانات. فكان استجابات (أ) تتأثر في أحکامها بعلماته عن (ب). ولقد كان ذلك هو الأسلوب الذي اتبّعه الباحثون قديماً في دراساتهم عملية الإدراك الاجتماعي. والغريب أن بعض الباحثين ما زالوا يستخدمون هذه الطريقة في أبحاثهم المعاصرة بالرغم من عجزها عن الإحاطة بأى جانب من جوانب التفاعل الاجتماعي التبادلي. وما زلنا نقرأ أبحاثاً يعرض الباحث فيها على أفراد التجربة صوراً لأفراد في مواقف اجتماعية مختلفة. ويطلب من كل منهم أن يسجل نوع إدراكه الاجتماعي لما يراه.. وهكذا.

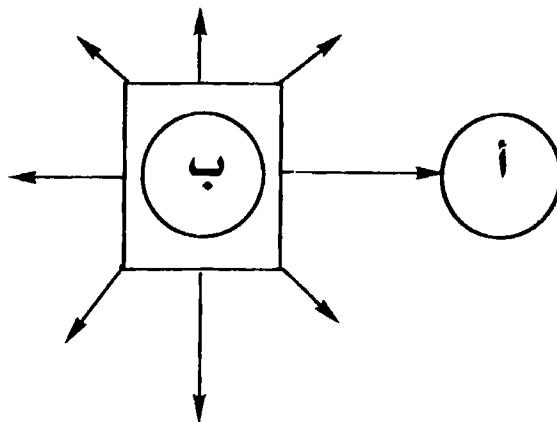
والشكل التالي يبين هذه العلاقات التبادلية حيث يدل المستطيل الأيسر الذي يحتوى على الخطوط القصيرة على حصيلة المعلومات التي تخص (ب) والتي يزود بها (أ) ليرى بها على سلوك (ب). وحيث تدل الدائرة ويدل الخط والسهيم على الفرد (أ) والعلاقة واتجاهها كما سبق أن بينا ذلك في شرح مستويات علاقات التفاعل الاجتماعي.



العلاقات اللاقبادية التي تدل على تأثير (أ)
بيانات خاصة بالفرد (ب)

(ب) المستوى الثاني - علاقات الاتجاه الواحد:

في هذا النوع من علاقات الاتجاه الواحد لا يتزامن وجود (أ) مع وجود (ب) ويتأثر (أ) في سلوكه بسلوك (ب) ولا يتأثر (ب) بسلوك (أ) وذلك عندما يكون سلوك (ب) نظرياً لا يستهدف بطبيعته التأثير ولا يتصل به اتصالاً مباشراً. ومثال ذلك أن يشاهد (أ) برنامجاً في التلفزيون يعده ويقدمه (ب) فيتأثراً (أ) بسلوك (ب) لكنه لا يؤثر فيه ولا يحدث بينهما تفاعل حقيقي.

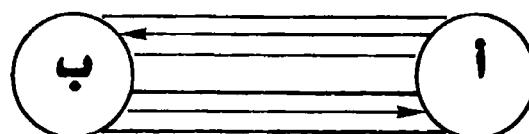


علاقةات الاتجاه الواحد التي تدل على تأثير (أ) وغيره
بـ (ب) وعدم تأثير (ب) بـ (أ)

والشكل السابق يوضح تعدد تأثيرات (ب) كما تمثلها الخطوط الصادرة عن الدائرة التي تدل على الشخص (ب) والتي يحيط بها المربع الذي يدل على أن العلاقة ليست مباشرة ولا تبادلية بل مقيدة ومحدودة. وتدل كثرة الخطوط الصادرة عن (ب) وتعدد اتجاهاتها على تأثير (أ) بأحددها وغيره من الأفراد بالخطوط الأخرى وعدم تأثير (ب) بالفرد (أ) ولا بالأفراد الآخرين.

(ج) المستوى الثالث - العلاقات شبه التبادلية:

في هذا النوع من العلاقات يتزامن وجود (أ) مع وجود (ب)، وتم العلاقات بينهما وفق خطة مرسومة أو حوار مكتوب. ومثال ذلك الاستعراضات العسكرية حيث يواجه الفرد (أ) الفرد (ب) ولكن يتخذ سلوك (أ) مسلكاً معيناً محدداً من (ب) وذلك وفق نظام دقيق لا يحيد فيه أى فرد منهما عنه. وكذلك الحال بالنسبة لممثلي المسرح حيث يقوم كل ممثل بدوره في مواجهة الآخر، ولكن كل شيء يقوم به قد حدد له من قبل فهو عندما يغضب على الممثل الذي يواجهه أو يعطف عليه أو يحاوره فإنه يبدو أمام الناس على أنه يتفاعل معه، لكنه في الحقيقة يؤدي دوره وفق خطة مرسومة ووفق حوار مكتوب وتبعاً لتوجيهات مخرج الحوار إلى واقع. والشكل التالي يبين التفاعل وتبادل التأثير بخطين يمتد أحدهما من (أ) إلى (ب) ويمتد الآخر من (ب) إلى (أ)، وفي



الخطوط التي تبين العلاقات شبه التبادلية وتحبّط بها خطوط أخرى
تدل على القيود التي تخضع لها خطوط التأثير

نهاية كل منهما سهم يبين اتجاه التأثير ويحاط كل خط بخطين آخرين، أى بحدفين يدلان على أن التأثير يمتد وفق نظام دقيق لا يجد عنه.

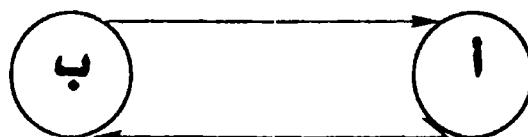
(د) المستوى الرابع - العلاقات المتوازية:

يتزامن في هذا النوع من العلاقات وجود (أ) مع وجود (ب)، ويجمعهما موقف واحد. ويتحدث (أ) إلى (ب) ولا ينصل (ب) إليه، وكذلك الحال بالنسبة لـ (ب) فإنه أيضاً يتحدث إلى (أ) ولا ينصل (أ) إليه.

ومثال ذلك ما يحدث أحياناً بين الأمهات حيث تستغرق كل منهما في حديثها عن طفلها ولا تنتبه إلى حديث الأخرى لأنها إنما تجد متعتها في حديثها عن طفلها لا في حديث الأم الأخرى.

ويحدث مثل هذا التوازي أيضاً في حديث مرضى الشيزوفرانيا حيث يتحدث كل منهما إلى الآخر دون أن يعي ما يقوله الآخر أو يتتأثر به، وإنما هو يتحدث عن عالمه هو الذي يصوّره له مرضه ويظن أنه عالم راقعٍ وهو عالم غير واقعٍ، وكذلك حال الشخص الآخر.

والشكل التالي يوضح فكرة توازى العلاقات بخطين أحدهما يمتد من (أ) إلى (ب) وثانيهما يمتد من (ب) إلى (أ). ويتجه كل خط يمثل علاقة إلى الدائرة المقابلة ولا يلتقي بها بل يجاوزها إلى ما بعدها.



العلاقات المتوازية كما تدل عليها الخطوط الممتدة بينهما

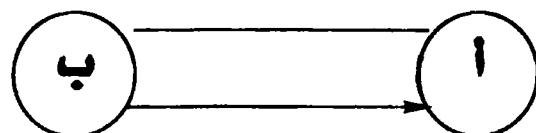
(هـ) المستوى الخامس - العلاقات التبادلية غير المتناسقة:

يتزامن وجود (أ) مع وجود (ب) وتعتمد استجابات (أ) على سلوك (ب) ولا تعتمد استجابات (ب) على سلوك (أ).

ومثال ذلك ما يحدث في اختبارات المقابلة وخاصة عندما تكون الأسئلة معدة من قبل ومحددة. وعندما يسأل الباحث (ب) الفرد (أ) فإن استجابات (أ) تتأثر بأسئلة (ب)، لكن أسئلة (ب) لا تتأثر باستجابات (أ)، اللهم إلا إذا كانت المقابلة لا تسير وفق قائمة محددة من الأسئلة، وعندئذ تحول العلاقات إلى شبه متبادلة لأن أسئلة (أ) قد تتأثر إلى حد ما باستجابات (ب)، وذلك في إطار خطة أعم من التحديد السابق.

ومثال ذلك أيضا العلاقات التي تنشأ بين المعلم وتلميذه في سؤال المعلم لتلميذه، وكذلك بين الطبيب والمريض. وبين المعالج النفسي والمريض أيضا، فجميعها علاقات غير متناسقة قد تتحول إلى شبه متبادلة إذا تأثرت أسلحة المعلم والطبيب والمعالج النفسي بالاستجابات التي تصدر عن الفرد الآخر.

ويبين الشكل التالي هذا النوع من العلاقات حيث يدل الخط الذي يمتد من (ب) إلى (أ) على اتجاه التأثير لوجود السهم، أما الخط الآخر فرسم بدون سهم ليدل على أن (أ) لا يؤثر في (ب).



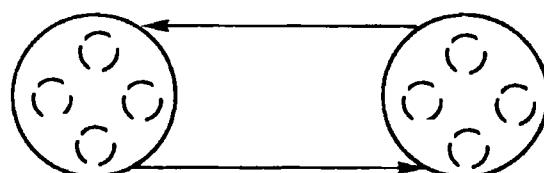
العلاقات غير المتناسقة، ويدل على ذلك خط في نهايةه
سهم وخط دون سهم

والمستوى السادس - العلاقات المتبادلة:

تصل علاقات التفاعل إلى صورتها الاجتماعية الصحيحة عندما تصل إلى مستوى العلاقات المتبادلة.

وفي هذا النوع من العلاقات يتزامن وجود الفردين أو الأفراد أثناء عملية التفاعل الاجتماعي. ويعني التبادل تحول اتجاه التأثير من فرد لآخر، فكما يؤثر فرد ما في غيره فإنه أيضا يتأثر به، ويصبح الفرد بذلك مؤثراً ومستجبياً معاً.

ويدل الشكل التالي على رسم توضيحي لهذا النوع من العلاقات، وسنرمز لهذا النوع بخطين في نهاية كل خط سهم. ويتجه كل سهم في عكس اتجاه السهم الآخر. وسنرمز لمصدر التأثير والتأثر بدائرة كبيرة تدل على الفرد وذلك عندما لا تحتوي على دوائر صغيرة أخرى. وتدل على الجماعة إن احتوت على دوائر صغيرة. ولقد رسمت الدوائر بأقواس صغيرة منفصلة تبين احتمالات وجود الجماعة والفرد.



العلاقات المتبادلة كما تدل على اتجاهاتها الأسهمن، وتدل
الدوائر غير المتصلة على الجماعات والأفراد

ثالثاً - أنواع العلاقات المتبادلة

العلاقات المتبادلة أهم أنواع علاقات التفاعل الاجتماعي. وعليها وبها يقوم صرح علم النفس الاجتماعي.

وتتلخص أهم أنواع العلاقات المتبادلة في التي تنشأ بين فردان حيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، وفي التي تنشأ بين فرد وجماعة وتقوم في جوهرها على تبادل التأثير والتأثير أيضاً، وفي التي تنشأ بين جماعة وجماعة أخرى وهي أيضاً علاقات تأثير وتأثير.

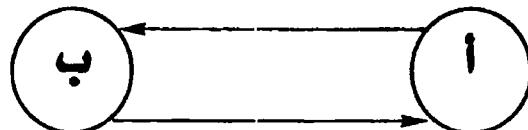
وسنبين فيما يلى كل نوع من هذه الأنواع بالتفصيل:

(أ) العلاقات المتبادلة بين فردين:

تعد العلاقات المتبادلة بين فردين وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي، والموضوع الرئيسي الذي تشق منه الموضوعات الأخرى كيانها وتبعيتها لهذا العلم.

ويحدث هذا النوع من العلاقات عندما يتزامن وجود فردين في موقف تفاعل واحد، فيؤثر (أ) في (ب) ويتأثر به، ومعنى هذا أيضاً أن يؤثر (ب) في (أ) ويتأثر به.

والشكل التالي يوضح هذا النوع من العلاقات حيث تدل الدوائر على الأفراد والأسهم على اتجاهات التأثير والتأثير.



العلاقات المتبادلة بين فردين

ومن أمثلة العلاقات المتبادلة بين فردين، ما ينشأ من علاقات متعددة الحواف والمناحي والخصائص بين زوج وزوجته كما يدل على ذلك الخوار الذي يتصل بينهما، وبين الصديق وصاحبـه، والعدو وخـصيمـه، والطالب وزميلـه في الدراسة، وخاصة عندما يستذكـران دروسـهما معاً فيـتأثـر كلـ منـهـما بمـدىـ فـهمـ الآخـرـ لـماـ يـقـرـأـ وـيـخـارـ الذيـ يـنـشـأـ بينـهـماـ.

ويسمى العلماء الجماعة التي تنشأ من العلاقات المتبادلة بين فردين الجماعة الثنائية وتعـدـ هـذـهـ الجـمـاعـةـ الأـسـاسـ العـلـمـيـ الـحـدـيـثـ لـدـرـاسـةـ الجـمـاعـاتـ الـمـخـلـفـةـ أـىـ الـثـلـاثـيـةـ والـربـاعـيـةـ والـخـمـاسـيـةـ⁽¹⁾. وـغـيرـهـاـ منـ الجـمـاعـاتـ الصـغـيرـةـ، بلـ وـالـكـبـيرـةـ أـيـضاـ.

(1) Dyad

الثنائية Triad

الرباعية Teriad

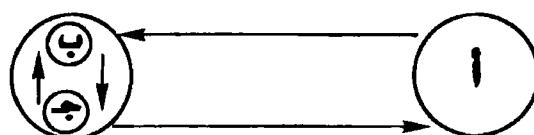
الخمسية Pentad

ولقد بلغت أهمية هذا النوع من العلاقات أن تعددت المحاولات العلمية لصياغة نماذج نظرية لتفسير خصائصها. وقد يرقى بعضها في المستقبل القريب أو البعيد لبناء نظرية توافر لها الشروط العلمية لنجاحها، كما سيأتي بيان ذلك بالتفصيل في دراسة الجماعة الثانية.

وتشتمل الجماعة الثانية في السوسيومتر لقياس مدى تماسك الجماعة وانحلالها. فإذا انقسمت جماعة مكونة من عشرة أفراد إلى خمس جماعات ثنائية اعتبرت الجماعة منحلة، وأن هذا الانحلال وصل إلى نهايته العظمى. وإذا ظلت جماعة العشرة أفراد جماعة واحدة دون أي انقسام إلى جماعات ثنائية أو ثلاثة أو غير ذلك من الجماعات المختلفة، اعتبر التماسك قوياً لأنه بذلك يكون قد وصل إلى نهايته العظمى.

(ب) العلاقات المتبادلة بين فرد وجماعة:

كما يؤثر في فرد آخر ويتأثر به، فإنه أيضاً يؤثر في الجماعة ويتأثر بها. ويختلف دور الفرد في تأثيره في الجماعة وفي تأثيره بها تبعاً لكونه عضواً بها والشكل التالي يوضح أبسط صور علاقة الفرد بالجماعة لأن الجماعة في هذا الشكل التوضيحي جماعة ثنائية وهي بطبيعة الحال متساوية. أبسط صور الجماعة كما سبق أن بيان ذلك، وليس الفرد أيضاً عضواً بالجماعة ولذا لا يقيم بينه وبين كل فرد من فردي الجماعة الثنائية علاقات متبادلة لأن معنى وجود مثل تلك العلاقات تكون جماعات ثنائية أخرى بين (أ، ب) وبين (أ، ج). وهذا يعني عضوية الفرد (أ) في الجماعة التي تصبح عضويته جماعة ثلاثة.



علاقة الفرد بالجماعة عندما لا يكون عضواً فيها

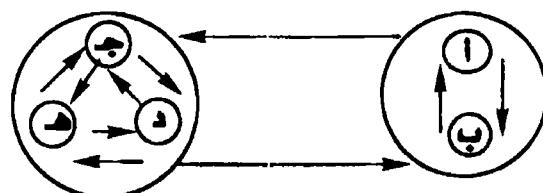
والدائرة الكبرى في الشكل السابق تمثل الجماعة المكونة من بـ، جـ وموقع (أ) خارج هذه الدائرة يمثل عدم عضويته فيها، وبالتالي عدم تفاعلاته مع كل فرد من أفرادها على انفراد. ومثال ذلك علاقة الأب بزميلين من زملاء ابنه ونظرته إليهما كجماعة ثنائية وحواره معهما ليبتعدا عن ابنه لأنه لا يرضي عن صحبتهم له وخاصة إذا كان سلوكهما سلوكاً لا سوياً، وكيف يقعندهما، والطريقة التي يقنعندهما هو بها، وأن تدخله هذا يعد تسلطها وسيطرة ليست في صالح ابنه. وبهذا يؤثر الأب في تلك الجماعة ويتأثر بها. ومثال ذلك أيضاً موقف الابن من أمه وأبيه وخاصة عندما يتخذان منه موقفاً موحداً فيحاول أن يؤثر في وجهة نظرهما له ويحاولان هما معاً أن يؤثراً في وجهة نظره هو ويتطور التفاعل بينهما إلى تأثير وتأثير.

وغالباً ما يجد الفرد مدخلًا إلى أحد أفراد الجماعة ثم إلى بقية الأفراد ويصبح بذلك عضواً في الجماعة. وذلك خلال تفاعله معها. وهكذا تتحول الجماعة الثانية والفرد الذي يؤثر فيها ويتأثر به إلى جماعة ثلاثة - (أ - ب - ج) ويصبح عدد احتمالات تفاعل الفرد مع الجماعة ثلاثة احتمالات فإذاً أن يتفاعل (أ) مع (ب - ج) أو يتفاعل (ب) مع (أ - ج) أو يتفاعل ج مع (أ - ب). ويمكن أن نستخدم الشكل السابق في توضيح هذه الفكرة بحيث ترمز الدائرة الصغرى خارج الدائرة الكبرى مرة لـ (أ) في تفاعله مع الجماعة الثانية (ب - ج)، ومرة لـ (ب) في تفاعله مع الجماعة الثانية (أ - ج) ومرة لـ (ج) في تفاعله مع الجماعة الثانية (أ - ب). ومثال ذلك ما يحدث لتفاعل الابن مع أمه وأبيه في مثالنا السابق فتambil الأم إلى موقف الابن وتقف معه في مواجهة الأب، أو يميل الأب إلى موقف الابن ويقف معه في مواجهة الأم.

وكثيراً ما نلاحظ مثل هذا التحول الذي بناءً في المثال السابق في حياتنا اليومية الواقعية فيصبح تفاعل الفرد خارج الجماعة مع الجماعة تفاعلاً لفرد داخل الجماعة مع بقية أعضاء الجماعة. وسرعان ما تتعكس الصورة فيصبح تفاعل الفرد داخل الجماعة مع بقية أعضاء الجماعة تفاعلاً لفرد خارج الجماعة مع بقية أفراد الجماعة. ويستمر هذا التغير ليسفر بذلك عن القوى التي تحرك الفرد والجماعة، وتوجه التفاعل الاجتماعي وجهه الدينامية.

(ج) العلاقات المتبدلة بين جماعتين:

تؤثر الجماعة في جماعة أخرى وتتأثر بها بطرق مختلفة. فقد يكون تبادل التأثير والتآثر عن طريق الحوار، وذلك مثلاً عندما تنقسم الجماعة الخمسية إلى جماعتين: ثلاثة تمثل الأغلبية وثنائية تمثل الأقلية، ويكون هدف الحوار هو اتخاذ قرار بالنسبة لموضوع ما، وتحاول كل جماعة أن تقنع الجماعة الأخرى بوجهة نظرها. وقد يتحول موقف المعارضة إلى موافقة وتعود الجماعة نتيجة لهذا إلى جماعة خمسية مرت أخرى بالنسبة لوحدة اتجاهها ورأيها.



العلاقات المتبدلة بين جماعة ثنائية وأخرى ثلاثة.

والشكل السابق يبين العلاقات المتبادلة بين جماعتين إحداهما ثنائية والأخرى ثلاثة.

وقد يكون تبادل التأثير والتأثير عن طريق المنافسة في الإنتاج بشرط أن ترى الجماعة الأولى إنتاج الجماعة الثانية أولاً بأول وتأثر به، وترى الجماعة الثانية إنتاج الجماعة الأولى أيضاً أولاً بأول وتأثر به. أي أن تتحقق عملية التغذية المرتدة لكل جماعة من الجماعتين. ومثال ذلك ما يحدث بين فريقى الكرة، أو الكرة الطائرة أو سباق الزوارق بين زورقين متنافسين وهكذا.

وقد يكون تبادل التأثير والتأثير عن طريق المنايدة والعدوان كما يحدث بين عائلتين في خصامهما واعتداء العائلة الأولى على العائلة الثانية، ورد العائلة الثانية على الأولى، وتتابع هذه الأفعال وردود الأفعال بينهما. غالباً ما تنشأ مثل هذه العلاقات المتبادلة العدوانية بين عصابات الأطفال وخاصة في مرحلة الطفولة المتأخرة، وبين العائلات المتنازعة في الريف على حد الأرض المشتركة بين زراعتي حقلين متجاوريين.

رابعاً - حجم الجماعة وأثره في العلاقات المتبادلة:

تتأثر العلاقات المتبادلة إلى حد كبير بعدد أفراد الجماعة. ويرتبط هذا العدد بوظيفة الجماعة وهدفها. فلكل نوع من أنواع الجماعات حجم خاص يناسب بناءها وتكونيتها، فإذا ازداد عدد أفرادها زيادة كبيرة عن المدى الضروري لها انقسمت الجماعة إلى عدة جماعات صغيرة.

وأصغر نوع الجماعات هي الجماعة الثانية، وهي التي تتكون من شخصين مثل الزوج وزوجته، أو الصديقين اللذين تجمعهما مناقشة ما تستمر لفترات متعاقبة.

وعندما يزداد أفراد الجماعة إلى ثلاثة تزداد تبعاً لذلك العلاقات المتبادلة التي تنشأ بين فرد وآخر، وتظهر علاقات أخرى جديدة تربط الفرد بالجماعة، ومثال ذلك الأسرة التي تتكون من أب وأم وابن.

وسنbin فيما يلى شبكة العلاقات الاجتماعية المحتملة للجماعات: الثنائية لأنها وحدة التحليل في دراسة العلاقات المتبادلة، والجماعة الثلاثية لأنها أول حالة من حالات دراسة علاقة الفرد بالجماعة، وبالجماعة الرابعة لأنها أول حالة من حالات دراسة علاقة الجماعة بجماعة أخرى.

ثم نتابع بعد ذلك تغير حجم الجماعة وعلاقاته المتبادلة خلال مراحل الحياة.

(أ) شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة:

تمثل شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة كل الحالات الممكنة لتبادل التأثير والتأثير بين الأفراد، وبين الأفراد والجماعات، وبين الجماعات والجماعات، وتزداد هذه الشبكة تعقیداً كلما زاد عدد أفراد الجماعة.

وتصبح هذه الشبكة مقصورة على الأفراد فقط في الجماعة الثانية، وينحصر عددها في علاقة متبادلة واحدة يمكن أن نرمز لها بـ (أ - ب). وهو نفس الرمز الذي يستخدمه للجماعة الثانية.

وتنقسم العلاقات المتبادلة في الجماعة الثلاثية إلى نوعين: النوع الأول: العلاقات المتبادلة بين كل فرد في الجماعة وعدها ثلاثة علاقات تلخصها الرموز التالية:
أ - ب، أ - ج، ب - ج.

ومثال ذلك في الأسرة المكونة من ثلاثة أفراد: أب، وأم، وابن: العلاقة المتبادلة بين الأب والأم، والعلاقة المتبادلة بين الأب والابن، والعلاقة المتبادلة بين الأم والابن.

النوع الثاني: العلاقات المتبادلة بين كل فرد والجماعة الثانية المكونة من الفردان الآخرين وعدها ثلاثة علاقات تلخصها الرموز التالية:

أ - ب ج، ب - ج أ، ج - أ ب.

ومثال ذلك في الأسرة السابقة علاقة الأب بالجماعة الثانية المكونة من الأم والابن، وعلاقة الأم بالجماعة الثانية المكونة من الابن والأب، وعلاقة الابن بالجماعة الثانية المكونة من الأب والأم.

وكلما ازداد عدد أفراد الجماعة زيادة بسيطة صغيرة، يزداد عدد العلاقات زيادة ضخمة كبيرة. فالعلاقات الاجتماعية في الجماعة الرباعية تتصل إلى 25 علاقة مختلفة. فإذا رمنا إلى أفراد الجماعة بالرموز أ، ب، ج، د، يمكننا أن نوضح هذه العلاقات في الجدول التالي حيث يدل العمود الأول على نوع العلاقات. ويبلغ عدد هذه الأنواع أربعة. النوع الأول وهو علاقة الفرد بفرد آخر موجود في الجماعة الثانية وفي الثلاثية أيضاً لأنه أساس العلاقات الاجتماعية المتبادلة. والنوع الثاني وهو علاقة الفرد بالجماعة الثانية مشترك بين الثلاثية والرباعية ويوجد أيضاً في ما هو أكبر من الرباعية.

شبكة العلاقات التبادلة المحتملة في الجماعة الرباعية

نوع العلاقات	توضيح رمزي للعلاقات	عدد العلاقات
فرد، فرد	أ.ب، أ.ج، أ.د، ب.ج، ب.د، ج.د	٦
فرد، جماعة ثنائية	أ.ب.ج، أ.ج.د، أ.ب.د، ب.ج.د، ب.د.أ، ب.ج.أ، ج.د.أ، ج.أ، ب، ج، ب.د، د.أ، ب، د.ب، ج، د.ج.أ	١٢
فرد، جماعة ثنائية	أ.ب.ج.د، ب.ج.د.أ، ج.د.أ، ب، د.أ، ب، ج	٤
جماعة ثنائية، جماعة ثنائية	أ.ب.ج.د، ب.ج.د.أ، اج.ب، د	٣
المجموع		٢٥

والنوعان الباقيان وهما علاقة الفرد بالجماعة الثلاثية، وعلاقة الجماعة الثنائية بالجماعة الثنائية الأخرى يبدأ ظهوره في الجماعة الرباعية ويوجد أيضاً فيما هو أكثر منها. ويدل العمود الثاني على التوضيح الرمزي للعلاقات المختلفة، ويدل العمود الثالث والأخير على عدد علاقات كل نوع، والمجموع الكلى للعلاقات الاجتماعية في الجماعة الرباعية.

(ب) تغير حجم وخصائص الجماعة خلال مراحل الحياة:

يتأثر عدد العلاقات الاجتماعية المحتملة تأثراً مباشراً بحجم الجماعة كما سبق أن بينا ذلك. وتأثير تلك العلاقات بدورها في حجم الجماعة فإذا ازداد عددها زيادة تحول بين الأفراد والتفاعل الاجتماعي المناسب لتجاوزها النهاية القصوى لقدرة الأفراد على إدراك بعضهم ببعض، انقسمت الجماعة إلى جماعات صغيرة.

ويتأثر حجم الجماعة بأعمار أفرادها وخاصة في مراحل الطفولة، وذلك تبعاً لنموا قدرة هؤلاء الأفراد على الإدراك الاجتماعي.

وتبدأ عملية تكوين الجماعات التي يتنظم فيها الطفل كعضو من أعضائها في مرحلة الطفولة المبكرة التي تمت من السنة الثانية إلى السنة السادسة، ويشعر الطفل في مستهل هذه المرحلة فيما بين السنة الثانية بالضيق عندما تصبح علاقاته الاجتماعية مقصورة على الكبار فقط، ويزداد اهتمامه بالأطفال الآخرين وميله إلى صحبتهم، ويتهلل وجهه فرحا عندما يلقاهم. وبالرغم من أنه لا يشاركون العابهم إلا أنه يهتم بوجودهم إلى جواره، ثم يتطور الأمر بالطفل بعد ذلك فيمارس العابه وحده ولا يجد غصاضة في أن يمارس كل من الأطفال الآخرين العابه أيضا وحده على مرأى ومسمع من الآخرين وبذلك يصبح النشاط الاجتماعي للأطفال هذا الطور متوازيا لا يلتقي أو يتشابه، وإنما يتزامن في مكان مشترك.

ويلي هذا الطور من أطوار التفاعل الاجتماعي طور الألعاب المتناظرة حيث يلعب الطفل للألعاب التي يمارسها كل طفل آخر دون أن يغير دوره ليوازن بين نشاطه ونشاط الآخرين.

وتتطور المشاركة الاجتماعية فيصبح الطفل عضوا في الجماعة التي يستمئ لها ويقوم بدوره الذي قد يختلف إلى حد صغير أو كبير عن أدوار رفاقه، وبذلك يبدأ طور الفريق وخاصة في السنة الرابعة من حياة الطفل، ويستمر هذا الطور إلى أن يهدى إلى جماعة العصابة التي تظهر بوضوح في الطفولة المتأخرة التي تمت من السادسة إلى الثانية عشرة.

وتبدأ العصابة بصداقه تقوم بين اثنين أو ثلاثة، وتجتذب هذه الجماعة الصغيرة أطفالا آخرين فيزداد عدد أفراد الجماعة. وقد تجتذب جماعات أخرى صغيرة. وهكذا تتكون العصابة ويزداد عدد أفرادها تبعا لزيادة أعمار هؤلاء الأفراد حتى تصل إلى أقصى حجم لها في سن التاسعة أو العاشرة، ثم يتناقص حجمها بعد ذلك وتتحول إلى نوع آخر من الجماعات هي جماعات المراهقين.

ويبدو نشاط عصابات الأطفال في اللعب الجماعي مثل كرة القدم أو سباق الدراجات أو العدو السريع أو غير ذلك من النشاط الذي يتطلب مشاركة جماعية إيجابية.

ولكل عصابة من هذه العصابات قوانينها ونظمها. وعلى الطفل الذي يتتمى للعصابة أن يخضع لتلك القوانين وأن يسير وفق نظامها. وهكذا يصل الأطفال في النهاية إلى إنشاء مجتمع لهم يساير خصائصهم النفسية ويلبي مطالب نموهم وكأنهم بذلك ينشئون لأنفسهم دولة صغيرة ليحكموا أنفسهم، بعيدا عن عالم الكبار وأوامره ونواهيه.

وللعصابات مزاياها وعيوبها فهى إن استقامت على جادة الطريق أصبحت، عاملاً رئيسياً من العوامل التي تؤثر في النمو الاجتماعي للطفل. وإن جنحت أصبحت خطراً يهدد نمو الطفل.

وتقوم فكرة العصابات على الفصل الحاد بين البنين والبنات. فلكل جنس عصاباته التي يتميّز بها. وبذلك نجد عصابات للبنين وعصابات للبنات.

ويختلف كل نوع من هذين النوعين الرئيسيين تبعاً لاختلاف طبيعة الذكور وطبيعة الإناث في هذه المرحلة من مراحل الحياة. ولذلك نجد أن عصابات البنين أكثر عدداً وأقوى تنظيماً وأشد تمسكاً من عصابات البنات.

ويدين الطفل – ذكراً كان أم أنثى – بالولاء لعصابة واحدة لا تنافسها عصابة أخرى. وعندما يصل النمو بالطفل إلى نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة فإنه يتخفّف كثيراً من ولائه لعصابته، وبذلك يتناقص عدد أفراد العصابة بالتدرّج حتى تتلاشى تماماً في مرحلة المراهقة لتحل محلها عصابات أخرى تختلف في تكوينها ونشاطها عن عصابات الطفولة التي كانت تهيمن على حياة الطفل وعلى سلوكه الاجتماعي. ولا يدين المراهق بالولاء لعصابة واحدة بل يتميّز إلى عصابات عدة حتى يتحقق لنفسه المظاهر المختلفة لنموه. وذلك لأن النمو في المراهقة نمو فارق تعدد في الميادين وال مجالات وتزداد الفروق الفردية بين المراهقين. وهكذا لا تتحقق العصابة الواحدة جميع مطالب نمو المراهق فيتنسب إلى جماعات عدة ليتحقق تباين سلوكه وخصوصية نموه الاجتماعي.

وبذلك يكثر عدد الجماعات في مرحلة المراهقة ويقل عدد أفرادها وينقص حجمها مما كانت عليه عصابات الطفولة المتأخرة، وذلك لأن المراهق يكون عندئذ قد تعلم كيف يختار أصدقاءه وعارفه. وهكذا يسير نمو العصابات من العمومية إلى الخصوصية، كما يسير أي مظاهر آخر من مظاهر النمو في تطوره من الطفولة إلى المراهقة.

خامساً - أهم مظاهر العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية

العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية علاقات تنشأ بين فردين. وهي أبسط أنواع العلاقات الاجتماعية. ويهم العلماء بفهم وتحليل هذا النوع البسيط من العلاقات لأنها يلقى الضوء على فهم وتحليل العلاقات الأكثر تعقيداً، وخاصة أن كثيراً من خصائص هذا النوع من العلاقات يظهر أيضاً في العلاقات المتبادلة للجماعة الثلاثية والجماعة الخامسة وغيرها من الجماعات الأخرى. لذلك تعد العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية اللبنة الأولى لدراسة العلاقات وما يصاحبها من تفاعل اجتماعي.

وتتخذ العلاقات المتبادلة صيغاً مختلفة في تحقيق التفاعل الاجتماعي الذي يمكن أن يقوم بين فردي الجماعة الثانية. وقد يكون التفاعل لفظياً يقوم في جوهره على الحوار

الذى ينشأ بين المتفاعلين . وقد يكون غير لفظى يقوم على تعابيرات الوجه وإشارات اليدين وإيماءات الرأس . وقد يجمع بين الصورتين فى موقف مشترك فيصبح لفظياً وغير لفظيًّا .

وسبعين فيما يلى المظاهر اللغظية للعلاقات الاجتماعية ومدى اختلاف العلاقات المتبادلة عن التقليد ، ومستوياتها ، واتزانها ، ومدى صحة التنبؤ بمظاهر السلوك فى الجماعة الثانية ، ومحددات الصداقة ، وتدعيم السلوك فى المواجهة الثانية .

(أ) المظاهر اللغظية لعلاقات الجماعة الثانية:

تتلخص أهم المظاهر اللغظية لعلاقات الجماعة الثانية فى صيغة الحوار اللغظى ، وفي محتواه ، وفي توقيته .

وتختلف صيغة الحوار اللغظى المتصل بين الفردان المتفاعلين فى الجماعة الثانية تبعاً لواقف كل منهما من الآخر سائلاً أو مجيباً ، وأمراً أو مطيناً ، وهادياً أو مهدياً . فعندما يسأل أحد الفردين سؤالاً فإنه من المحتمل جداً أن يجيب الفرد الآخر على نفس ذلك السؤال . وعندما يكون السؤال مفتوحاً فإنه من المحتمل جداً أن تكون الإجابة طويلة . وتعد هذه الطريقة من أبغض الطرق التي تستخدم لحمل الشخص الآخر على التكلم كثيراً .

وعندما يلقى أحد الفردين أمراً ، أو يعطى تعليمات فإنه من المحتمل جداً أن ينفذ الفرد الآخر ذلك الأمر أو تلك التعليمات . وإذا لم ينفذ ذلك الأمر أو تلك التعليمات فعليةً لأن يبين سبب ذلك .

ويتغير محتوى الحوار الذى ينشأ بين فردى الجماعة الثانية تبعاً لتغير موقف كل منهما فى تفاعله مع الآخر . فعندما يعلق أحد الفردين على موضوع معين فإن من المحتمل جداً أن يعلق الفرد الآخر على نفس ذلك الموضوع . وإذا لم يتحدث الشخص الثانى عن نفس الموضوع ، ولم يفسر موقفه فى تجنبه لذلك الموضوع فإنه من المحتمل أن يتوقف التفاعل المتصل بين فردى الجماعة الثانية إلى حين .

وتدل نتائج البحث الذى نشره بيلز^(١) سنة ١٩٥٠ على أن نسبة الفكاهة التى تصدر عن أحد الفردين ، إلى الفكاهة التى تصدر عن الفرد الآخر تصل إلى ٦٨٪ وأن نسبة حديث الفرد الأول عن التمسك والصلة إلى حديث الفرد الآخر عن التمسك والصلة أيضاً تصل إلى ٢٨٪ وأن نسبة الآراء التى يدلل بها الفرد الثانى تصل

(١) Bales, R. F. Interaction Process Analysis. Cambridge. Mass, Addison Wesley, 1950.

إلى ١٩٪. وأن نسبة الإرشادات التي يقترحها الفرد الأول إلى الإرشادات التي يقترحها الفرد الثاني تصل إلى ٢٤٪. وأن نسبة الخلاف في الرأي الذي يصدر عن الشخص الأول إلى الخلاف في الرأي الذي يصدر عن الشخص الثاني تصل إلى ٢٤٪.

وللناس خصائص تميز طريقة حديث كل منهم مع الآخر من حيث سرعته وبطئه، وطوله وقصره، وانقطاعه واستمراره، فمثلاً إذا تحدث أحد الفردين طويلاً فإن الفرد الآخر يطيل هو الآخر في حديثه. وإذا لم يتحدث أحدهما طويلاً فإن الآخر يحذو حذوه فلا يطيل حديثه. وقد لوحظ أنه بالرغم من أن المعالج النفسي لا يتكلم إلا خمس أو سدس ما يتكلمه المريض إلا أنه عندما يضاعف من المدى المقرر لكلامه فإن المريض يحذو حذوه فيضاعف قوله.

والمقاطعة تميل بالمتحدث إلى التوقف ثم المقاطعة فمثلاً عندما يقاطع أحد الفردين الآخر، فإن الفرد الآخر يقاطعه أيضاً. ومن القواعد المتبعة أحياناً في اختبارات المقابلة توقف السائل خلال بعض مراحل المقابلة لمدة تقرب من ١٥ ثانية قبل أن يتتابع حديثه مع المسؤول أو مقاطعته باستمرار وبطريقة دورية. وقد لوحظ أن المسؤول كثيراً ما يصمت هو أيضاً ثم يقاطع حديث الآخر ويتحول دون استمراره.

(ب) المظاهر غير اللغوية لعلاقات الجماعة الثانية:

تمكن كثير من الباحثين من دراسة سلسلة المثيرات والاستجابات غير اللغوية. ولقد لاحظوا أن ما يصدر عن أحد الأفراد من إيماءات وإشارات وحركات يشير في الشخص الآخر نفس تلك الاستجابات غير اللغوية، فيوميء أو يشير أو يتحرك، حتى إن بعض العلماء سمي هذه الظاهرة «الرقص الإيقاعي»^(١). وقد قام كوندون Condon وأوجستون^(٢) Ogston سنة ١٩٦٦ وسنة ١٩٦٧ بتحليل تفصيلي للأفلام التي سجلت المواقف العلاجية بين المعالج النفسي والمريض وتوصلاً إلى ما يسمى بتزامن التفاعل بين المتحدث والمستمع بالنسبة لحركة الأيدي، والرأس، والعينين، وهكذا. وأن هذا التزامن يصاحب الجملة التي تقال وأحياناً الكلمة. ومن الطرق التي استخدمت بنجاح في مثل هذا التحليل طريقة كندون^(٣) Kendon التي نشرها سنة ١٩٦٨ وخلاصتها أنه سجل صور التفاعل القائم بين اثنين في أحد الفنادق وذلك بمعدل ٢٤ صورة في الثانية الواحدة ثم قام بتحليل لكل صورة من هذه الصور واكتشف الأنواع التالية:

(1) Arglye, M. Social Interaction. London, Methuen, 1976.

(2) Condon, W. S., and Ogston, W. D. Sound film analysis of normal and pathological behaviour patterns. J. Nerv. Ment. Dis. 1966 - 1967, 143, 388 - 347.

(3) Vide, Argyle, M.. Social Interaction. London, Methuen, 1976, p. 170.

– انعكاسات المرأة، أو التماثل الحركي، ولقد كان هذا النوع من الوضوح بحيث يمكن اكتشافه بالعين المجردة، وقوامه التقليد الحركي، ويقوم به المستمع في تفاعله مع المتحدث.

– السلوك الاستماعي، وقيام هذا النوع ما يصدر عن المستمع من حركات تسفر عن متابعة للحديث مثل إيماء الرأس، أو تعبيرات الوجه التي تدل على الموافقة.

– الحركات المشابهة للحديث، وقيام هذا النوع ما يقوم به المستمع من تقليد حركي لخارج نطق المتحدث دون أن ينطق هو بشيء ما، وأحياناً يبالغ في حركته التي تماثل حركات المتحدث وهو ينطق ببعض الكلمات.

(ج) المظاهر اللغوية - غيراللغوية لعلاقات الجماعة الثنائية:

يحدث أحياناً أن تثير الاستجابة غير الملفظية استجابة لغوية. فالاستجابة اللغوية لإيماء الرأس تكون عادة أطول من الاستجابة اللغوية لعبوس الوجه.

وغالباً ما تختلط الاستجابات اللغوية بالاستجابة غير اللغوية في وحدات من السلوك مت垮مة، وهذا مما يزيد من صعوبة تحليل مثل هذا النوع من الاستجابات.

وأحياناً يشتمل التفاعل الثنائي على أكثر من سلسلة من سلاسل الاستجابات وفي مثل هذه الحالات يكون لكل سلسلة سرعتها التي تختلف بها عن السلاسل الأخرى، وهذا أيضاً مما يزيد من صعوبة تحليل تلك السلاسل. وغالباً ما تكون السلسلة الأسرع هي سلسلة التقليد، وتكون السلسلة الأبطأ هي سلسلة العلاقات المتبادلة.

(د) اختلاف العلاقات المتبادلة عن التقليد:

تختلف العلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية عن التقليد كما تختلف ردود الأفعال المتماثلة عن ردود الأفعال المتكاملة أو المتجاوية أو المتغيرة، حيث يدل التماثل على التقليد، ويدل التكامل أو التجاوب أو التغير على التبادل.

وغالباً ما يتخذ التبادل مسالك مختلفة للشخص أهمها فيما يلى⁽¹⁾:

– لا يشابه الفعل المتبادل الفعل المعاكس عن الشخص الأول ولكن يعادله في مستوى.

– لا يصدر الفعل المتبادل تلقائياً دون تفكير ولكن يصدر عن أناة و töde، وبعد رؤية وتفكير.

(1) Arglye, M. Social Interaction. London, Methuen, 1976, 173.

— الإدراك الوعي لما يحدث يحول دون الفرد والتقليد ويؤدي به إلى السلوك المتبادل.

— تضاءل نسبة التبادل بعما لزيادة مستوى الشخص الآخر وعلو مكانه.

(ه) مستويات العلاقات المتبادلة:

يمكن تصنيف العلاقات المتبادلة إلى ثلاثة مستويات كما تدل على ذلك الأبحاث التي قام بها علماء الأنثربولوجي في المجتمعات البدائية وخاصة بحث ساهلينز⁽¹⁾ الذي نشره سنة ١٩٦٥ والذي انتهى منه إلى المستويات التالية:

— المستوى الأول: مستوى الإيثار العام، وفيه لا يتوقع (أ) من (ب) جزء أو شكورا على ما يقدمه له، أو ما يقوله.

— المستوى الثاني: مستوى الازان الاقتصادي، وفيه يتعادل ما يقدمه (أ) لـ (ب) مع ما يقدمه (ب) لـ (أ).

— المستوى الثالث: مستوى التبادل السالب وفيه يحاول كل فرد من الفردين المتفاعلين أن يحصل على أكثر ما يمكن من الفرد الآخر دون أن يقدم له بديلاً لما يأخذ.

(و) اتزان الجماعة الثانية:

قد تستغرق العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية وقتاً حتى تستقر وتصل إلى مرحلة الازان.

ومن أهم الأبحاث التي تصدت لدراسة اتزان الجماعة الثانية دراسات لينارد⁽²⁾ وبرنشتن Lennard و Bernstein سنة ١٩٦٠ حيث حلل الباحثان عدداً كبيراً من أنماط التفاعل الذي يحدث بين المعالج النفسي والمريض. ولقد دلت نتائج هذا البحث على أن التفاعل يصل إلى مرحلة الازان بعد بعض جلسات يعدل المعالج النفسي فيها سلوكه ليتوافق مع سلوك المريض؛ كما يعدل المريض أيضاً سلوكه ليتوافق مع سلوك المعالج النفسي. ومثال ذلك الاستقرار المدى الزمني الذي يستغرقه المريض في كلامه عن نفسه إلى الحد الذي لا يتذبذب فيه بين النقصان والزيادة. وعندما يقل هذا الزمن عن المدى الذي استقر عليه فإن الذي يحدث هو أن المعالج يصحح هذا الوضع تلقائياً لأن

(1) Sahlins, M. D. On the sociology of primitive exchange, in the relevance of models for Social Anthropology. ASA Monographs 1, London, Tavistock, 1965.

(2) Lernnard, H. L., and Bernstein. The Anatomy of Psychotherapy, Columbia U. P. 1960.

يعلم من جانبه على تخفيف حدة التوتر الذي يحول بين المريض وبين انطلاقه في حديثه إلى أن يصل إلى المدى الذي استقر عليه من قبل.

وأجرى جاف^(١) سنة ١٩٦٤ بحثاً ماثلاً للبحث السابق فحلل
كلمة قيلت أثناء سلسل من الجلسات العلاجية عدد كل منها تسع جلسات. وانتهى إلى اكتشاف تقارب مستمر بين كلام المعالج وكلام المريض حتى إن كلاً منها قد بدأ يستخدم ألفاظ ولغة الآخر. وأن الجمل التي يستخدمها كل فرد منها كانت تتذبذب بين الطول والقصر تبعاً لتذبذب جمل الشخص الآخر، فإذا أطال المعالج من جمله أطال المريض أيضاً من جمله، وأن مدى هذا التذبذب بدأ يتناقص بالتدريج حتى وصل متوسط طول جمل المعالج إلى حوالي ٨،٠ من متوسط طول جمل المريض. وأن الضمائر الشخصية كثيراً ما تظهر في صورة «أنا» عند المريض وكثيراً ما تظهر في صورة «نحن» عند المعالج النفسي.

وخلاصة هذين البحثين أن التفاعل الثنائي يستقر بعد حين في صورة متزنة. وتعد تلك الظاهرة من أهم خصائص الجماعات الثنائية والثلاثية وما بعد الثلاثية كما دلت على ذلك نتائج الأبحاث المختلفة.

وبين جوفمان^(٢)، سنة ١٩٥٥ أن أعضاء الجماعات الصغيرة، ومنها الثنائية، يحافظون على اتزانها عندما يهدد هذا الازان أحد أعضائها. وغالباً ما تهبيء الجماعة لشن هذا الفرد الظروف المناسبة ليصبح مسار سلوكه حتى يعود الازان للجماعة. ومثال ذلك أن يعترف المخطيء بأنه أخطأ ولم يكن جاداً فيما قال أو فعل، وإنما كان يمزح. وبذلك يعود مثل هذا الفرد للجماعة بعد أن يكون قد غير دوره واتخذ لنفسه دوراً آخر لا يغضب رفيقه في الجماعة الثنائية، أو الآخرين في الجماعة المتمدة الأعضاء.

والجماعة وخاصة الثنائية لا تصل إلى اتزانها مباشرةً منذ تكوينها، فغالباً ما يؤدي التفاعل القائم بين الفردين أو بين الأفراد إلى مزيد من التفاعل إلى أن تصل العلاقات إلى حد التشبع، وعندئذ تؤدي التغذية المرتدة إلى النفور الذي ما يلبث أن يتحول إلى الازان، فيستقر الأمر بالجماعة، وتظل في اتزانها. ويعلم كل عضو من أعضائها على

(1) Jaffe, J. Verbal behavioral analysis in psychiatric interviews with the aide of digital computers (1964). Quoted from Arglye, M. Social Interaction, London, Methuen, 1976, p. 203.

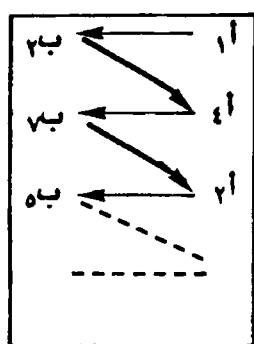
(2) Goffman, e. On face work. Psychiatry, 1955, 18, 213 - 231.

الحفاظ على هذا الاتزان واستمرار فعاليته. وقد يصل النفور إلى الحد الذي يهدد كيان الجماعة. ولذا فعلى أحد الفردين في الجماعة الثانية أن يغير مسلكه مع الشخص الآخر. والفرد الذي يغير مسلكه هو غالباً ما يكون أقرب الفردين نفعاً من تلك الجماعة، وأكثرهم اعتماداً عليها، وأشدّهم مرونة، وأخصبهم خبرة في المهارات الاجتماعية.

(ز) التنبؤ بمحظوظ السلوك في الجماعة الثانية:

استعمل الباحثون في دراساتهم لإمكانية التنبؤ بمحظوظ السلوك في الجماعة الثانية بدراسة خصائص شخصية كل عضو من عضوي الجماعة الثانية، وذلك لأنّ نمط التفاعل يمكن أن يتكرر ظهوره بينهما يعتمد على خصائصهما الشخصية.

ويقوم مثل هذا التنبؤ على افتراض أن سلوك أحد الفردين ولتكن (أ) يعتمد على الخصائص الثابتة لشخصية (ب) مثل الجنس، والعمر، وعلى الخصائص المتغيرة لشخصية (ب) مثل سماته المزاجية، ومدى توافقه مع الموقف الذي يعيش أحدهما. وأن لكل فرد شخصيات فرعية تتطوّر كلها في إطار شخصيته العامة وتختلف فيما بينها كما تختلف ألوان الطيف لمجتمع بعد ذلك في الضوء الأبيض. والشكل التالي يبيّن الشخصية العامة لكل من (أ)، (ب) والشخصيات الطيفية لكل منها. وبذلك تصبح شخصية (أ) في توزيعها الطيفي $A_1, A_2, A_3, \dots, A_n$. وتتصبح أيضاً شخصية (ب) في توزيعها الطيفي $B_1, B_2, B_3, \dots, B_m$. وقد تكون A_1 السيطرة في (أ) وتكون B_2 المخنوع في ب، وتكون A_m التعاون في أ وتكون B_3 النفور في ب، وهكذا، وبذلك قد يسير التفاعل الثنائي وفقاً للتلسلل الذي يبيّنه الشكل الآخر) أي أن A_1 يتفاعل مع B_2 ثم يتفاعل مع B_3 ، A_2 يتفاعل مع B_4 ، \dots ، A_n يتفاعل مع B_m .



يبين هذا الشكل تفاعل الشخصيات
الطيفية A, B

ب	أ
B_1	A_1
B_2	A_2
B_3	A_3
..	..
..	..
B_m	A_n

الشخصية العامة لكل من A, B والشخصيات
الطيفية A, B

وبالرغم مما يبدو من صعوبة التنبؤ لعدد شخصيات كل من أ، ب إلا أن بعض الظواهر أمكن فعلا التنبؤ بها مثل ظاهرة السيطرة والخنوع في الجماعة الثانية، وخاصة إذا أمكن قياس مثل تلك الصفة قبل التفاعل لكل فرد من فردي الجماعة الثانية كما فعل بريير^(١). Breer في بحثه للدكتوراه في جامعة هارفرد الذي انتهى منه سنة ١٩٦٠ عن السيطرة. وافتراض في بناء مقياسه المدرج أن الذكور أكثر سيطرة من الإناث، وأن هذه السيطرة تظهر بوضوح أيضا عند الأكبر عمرا، والأكثر ذكاء، والأعلى في المستوى الاجتماعي الاقتصادي.

واعتمد أيضا في قياسه للسيطرة على استبيان أعد لذلك خصيصا. ولقد نجح بريير فعلا في التنبؤ بالسيطرة والخنوع.

وقد أضافت الأبحاث التي تلت ذلك البحث خصائص تنبؤية جديدة للسيطرة، حيث بينت أن المتسلط أكثر سيطرة من المنطوى، وأكملت أيضا أن الأكثر ذكاء أكثر سيطرة في علاقاته الثانية مع من هو أقل منه ذكاء.

ولا يعتمد التنبؤ فقط على الشخصيات الطيفية لـأ، ب بل يعتمد أيضا على خصائص الموقف مثل طبيعة العمل المشترك الذي يقومان به، ونوع المناقشة التي يستغرق كل منها فيها، وخصائص البيئة الطبيعية المحيطة بهما، ونوع المعاير العامة والأسرية التي تحكم سلوك كل منها.

وهذه، وما شابها هي التي تعمل على نقصان أو زيادة انحراف سلوك كل منها عن السلوك المتوقع، كما تنتهي إليها الدراسات التنبؤية القبلية.

وعندما تقارب الصفات التي تحدد تميز أحد أفراد الجماعة الثانية أ - ب عن الآخر فإن ميزان القوى الذي يفاضل بين أحد الفردين يتعادل ويصعب عندئذ تحديد السيطرة وما تؤدي إليه من زعامة كما يقرر هير^(٢). Hare في كتابه الذي نشره سنة ١٩٦٢ واستعرض فيه أغلب الأبحاث التي تصدت لدراسة الجماعة الصغيرة. ويرى هير أن اختلاف الدور الذي يقوم به كل من فردي الجماعة أ - ب يجعل نشاطهما متكملا فقد يكون دور أحدهما إيجابيا وأكثر مبادأة من قرينه، وبذلك يصبح دور الشخص الثاني أكثر سلبية مع احتفاظه بحق الاعتراض. وهكذا يمثل أولهما القوة المنطلقة، ويمثل الثاني القوة الضابطة. ولذا فالزعامة بينهما غير محددة. ويغيل الفرد الذي يقوم بدور

(1) Breer, P. E. Predicting interpersonal behavior from personality and Role. Harvard PH. D. 1960. Quoted from Argyle, M. Social Interaction. London, Methuen, 1976, p. 206.

(2) Hare, A. P. Handbook of small Group Research. Glence, ILL., Free Press, 1962, 240.

الشخص الأقوى إلى أن يسأل؛ ويبدى رأيه، ويتدح قرينه. ويميل الفرد الذى يقوم بدور الشخص الأضعف إلى أن يوافق، ويعرض، ويعاند.

ج. محددات الصداقة في الجماعة الثانية:

يميل الصديق إلى صديقه في الجماعة الثانية إذا حصل كل منهما على الجزء المناسب الذي يرضيه لنفسه. ويتحقق هذا الجزء من طريقين: أولهما إشباع الحوافز الاجتماعية خلال التفاعل، وثانيهما وجود تعاون يحول بين التعارض الذي يمكن أن ينشأ بين الصديقين و يؤدي إلى التفور.

وتدل نتائج البحث الذي قام به جينجز^(١). Jennings سنة ١٩٥٠ في إصلاحية للبنات على أن أكثر البنات شعيبة بين رفيقاتها هي التي تحقق لهن اكتفاء اجتماعياً مناسباً. فالبنت الأقدر على تكوين صداقات عدّة هي التي تساعد الآخريات وتحميهن، وتشجعن، وتحتفى بهن عند مقدمهن وتحكم في مشاعرها فلا تنقل إليهن القلق الذي يعتريها أحياناً أو الكآبة التي تلازمها.

والبنت الأقل شعيبة والتي لا تنبع في تكوين صداقات حميمة هي المسيطرة، العدوانية، المتعالية، والتي تفرض على الفتيات الآخريات الاهتمام بها، وأن يعملن من أجلها.

والصداقة التي تنشأ بين اثنين لا تعتمد فقط على خصائص إحداهما لكنها تعتمد أيضاً على العلاقة القائمة بينهما، وعلى نمط التفاعل الذي يمكن أن ترضيه في علاقاتهما المشتركة.

ولذا فالخصائص التي انتهت إليها نتائج بحث جينجز في مدى الشعيبة تعوزها نتائج قياس خصائص الفتيات اللاتي اختبرن الأكثر شعيبة. وعندما يتم هذا القياس تضح أغلب الجوانب المجهولة في مكونات الصداقة، ومدى اختلافها تبعاً لاختلاف نوعها، فقد يصادق الفرد فرداً آخر لأنه يشاركه هواياته ثم يصادق فرداً ثالثاً بحكم جواره في مسكنه وكثرة تفاعله نتيجة لهذا الحوار، وفرداً ثالثاً لأنه يشاركه أسلوب تفكيره وهكذا.

وبذلك تختلف خصائص كل جماعة ثانية من هذه الجماعات تبعاً لاختلاف الهدف الذي تسعى إليه، وتبعاً لاختلاف الوظيفة التي تتحققها لكل فرد من أفرادها.

(١) Jennings, H. H. Leadership and Isolation. N. Y. longmans, 1950.

ط- تدعيم السلوك في المواجهة الثنائية،

عندما يواجه فرد آخر في الجماعة الثنائية فإنه يستطيع أن يدعم سلوك الفرد الآخر وينتهي به إلى أداء السلوك الذي يريد منه. ومثال ذلك تدعيم الأب أو الأم لسلوك أحد أطفالهما. وتعزيز المعلم لسلوك أحد تلاميذه. وتشجيع المعالج النفسي لأحد مرضاه لينطلق في حديثه عن ذاته ويكشف بذلك عن دخيلة نفسه.

وتتلخص أهم تلك الوسائل في النواحي التالية⁽¹⁾:

– التشجيع والإثابة غير اللغوية مثل الابتسام، والإيماء بالرأس علامة للرضا، والانحناء للأمام تجاه الشخص الآخر كدليل على الاهتمام، وقد دلت نتائج الأبحاث المختلفة على أن الوسائل غير اللغوية أجدى من الوسائل اللغوية مثل التقرير، والاستحسان وما شابه ذلك.

– للمكانة الاجتماعية للموجه أهميتها في تدعيم السلوك الذي يطلبه الفرد الآخر. ولذلك فمكانة الأب تيسر له طاعة ابن. ومكانة المعلم تؤدي إلى نجاح ما يطلبه من تلميذه، وهكذا.

– يختلف الأفراد في مدى تنفيذهم للتعليمات وفي مدى طاعتهم تبعاً لفروقهم الفردية، وأكثر الناس طواعية في أداء ما يطلب منهم هم الذين يتطلعون إلى تشجيع الآخرين، والذين يعانون من القلق، والذين يسهل التأثير فيهم بالاستهواء.

– ينجح التدعيم مع الأفراد الذين عاشوا من قبل في عزلة عن الآخرين أكثر مما ينجح مع الذين عاشوا مع الناس، ولم ينعزلا عنهم.

سادساً - أهم طرق بحث العلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية،

تطورت طرق بحث العلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية من مجرد اختبار أو استبيان يعود الباحث ليكشف به عن رأي النزد في فرد آخر إلى ملاحظة ما يحدث فعلاً من تفاعل اجتماعي وتسجيله وتحليله.

وتتلخص أهم طرق بحث التفاعل الاجتماعي في الجماعة الثنائية في طريقة أدنى التفاعل التي تعتمد على بحث تأثير الفرد عن بعد بفرد آخر، وطريقة تأثير فرد بفرد آخر عن قرب في موقف ثانٍ يجمع بينهما، وطريقة تأثير فرد بفرد آخر وتأثيره فيه، وبذلك يتم التفاعل الاجتماعي في صورته الواقعية كما يحدث بين فردي الجماعة الثنائية،

(1) Argyle, M. Social Interaction. London, Methuen. 1976, 178 - 179.

وطريقة تحليل سلسلة الاستجابات التي تحدث خلال عينة زمنية قصيرة متتالية. ويتم التسجيل بطريقة مباشرة أو من وراء حجاب، أو عن طريق الدوائر التليفزيونية المغلقة.

(أ) أدنى التفاعل:

في هذا النوع من التصميم التجاربي يؤثر كل فرد في الفرد الآخر وهو معزز عنه دون أن يدرى أنه يؤثر فيه.

ومثال ذلك أن يجلس الفرد الأول معزز عن الفرد الثاني لكن استجابات الفرد الثاني تصل إليه فيوافق عليها أو لا يوافق، وكذلك الحال بالنسبة للفرد الأول وبذلك يتتابع التفاعل من خلال علاقات الإثابة والعقاب.

(ب) أثر سلوك أحد الفرددين على الآخر:

تعد هذه الطريقة من أكثر الطرق شيوعاً. وعلى سبيل المثال يمكن أن تتم التجربة من خلال المقابلة التي تحدث بين الباحث والفرد موضوع التجربة بحيث يقوم الباحث بنقد أو بتشجيع بعض الاستجابات التي تصدر عن الشخص الآخر ثم دراسة ما يحدث من استجابات لاحقة نتيجة لذلك التدخل المثير أو المعاقب.

وفي بعض التجارب الأخرى يقوم الباحث بمجرد التحديق أو إطالة النظر فيما يدرس أثر هذا السلوك على استجابة الشخص الآخر. ويستطيع الباحث أن يردد كلمة ما كلما استمع إلى فكرة أو جملة وذلك بدلاً من مجرد التحديق مثل «غريب» أو «آه» أو غير ذلك من الكلمات المألوفة التي يرددوها الناس وهم يستمعون لأحاديث غيرهم حتى أصبحت مثل تلك الكلمات لازمة عند بعض الأفراد.

ويعبّر على هذه الطريقة أنها لا تدرس التفاعل بين فردین، وإنما تدرس مجرد أثر سلوك فرد على آخر، ولا تدرس رد الفعل الذي يحدث عند ذلك الشخص الآخر وأيا كان الرأي في نقد هذه الطريقة فهي خطوة رئيسية لدراسة العلاقات الثانية ثم تليها خطوات أخرى.

(ج) تأثر فرد بفرد آخر وتأثيره فيه:

نجحت تصميمات تجريبية مختلفة في بحث التفاعل الذي يحدث بين فردین ولم تقتصر مجالها فقط على مجرد تأثير فرد في فرد آخر بل امتد أيضاً إلى بحث مدى تأثيره بالفرد الآخر.

وفي مثل تلك التجارب يصبح المتغير المستقل هو العمل الذي يشترك شخصان في أدائه، أو الدافع الذي تستثيره التعليمات في شخصين وهكذا. ومن التصريحات التجريبية المستخدمة في هذا النوع من التفاعل الثنائي القطبية دراسة المنافسة القائمة بين فردین أو ظاهرة السيطرة، وهكذا.

وعلى الباحث أن يحتاط في تسجيله لنتائج متغيرات هذا النوع من التصميم التجربى لأن المتغير التابع لن يكون مجرد أثر السيطرة أو أي استجابة أخرى بل قد يكون الموقف كله والعلاقات التي تنشأ في إطار ذلك الموقف هي المتغير التابع.

(د) التحليل الإحصائى لسلسلة الاستجابات،

اعتمد بعض الباحثين في تحليلهم الإحصائى لسلسلة الاستجابات على الدقائق الخمس الأولى التي يتلقى فيها فرداً مثل المعالج النفسي والمريض. ويعتمد مثل هذا النوع من البحث على تحليل المحتوى اللغوى وغير اللغوى للتفاعل الاجتماعى وما يتظر إلى خلال مراحله وما ينتهي إليه.

واعتمد بعض الباحثين الآخرين على تسجيل ما يحدث عن طريق الدوائر التليفزيونية المغلقة ثم تحليل محتواه. وفي مثل هذه الحالة لا يتقييد الباحث بالدقائق الخمس الأولى بل يمتد بالمعنى الزمني للتسجيل إلى الحد الذى يصلح لتحليل ظاهرة ما بأكملها خلال امتدادها الزمني.

ويستطيع الباحث أيضاً أن يلاحظ ويسجل ما يحدث من أقوال وأفعال بين فردین في تفاعلهما الثنائى. وتم عملية الملاحظة من وراء حجاب بحيث يرى الباحث ما يحدث ولا يراه أفراد التجربة وذلك خوفاً من أن تتحول العلاقات الثنائية إلى علاقات ثلاثة أو أكثر بين الباحث وأفراد التجربة.

سابعاً - النماذج العلمية التي تفسر العلاقات المتبادلة

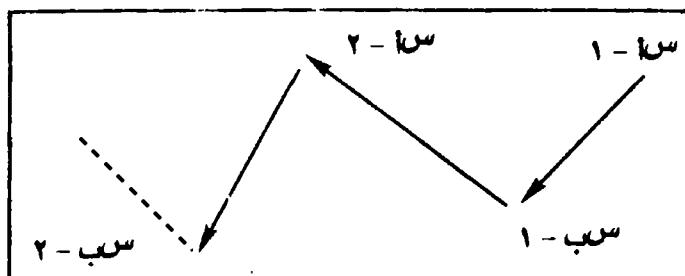
النماذج العلمية محاولات تمهدية لتفسير الظواهر المختلفة. وعندما تؤيد الأبحاث والتجارب صحة هذه النماذج، وعندما يتسع مجال شمولها لجميع أو أغلب أبعاد الظاهرة تتحول النماذج إلى نظريات تصلح للفهم والتفسير، والتنبؤ، والتحكم.

وتنقسم أهم النماذج التي تفسر العلاقات المتبادلة التي تنشأ بين أفراد الجماعة الثنائية إلى نوعين: الأول يفسر تلك العلاقات من وجهة نظر كل فرد من الفردین المتفاعلين حيث ينشئ بينه وبين الفرد الآخر علاقات مختلفة، ويتفاعل معه، ويحاول أن يؤثر فيه. ومن أمثلة النوع الأول نموذج الاستجابات المتتابعة، ونموذج المهارات الاجتماعية.

والثاني يمثل حصيلة التفاعل القائم بين الاثنين كتنظيم له خواصه وميزاته ومن أمثلة النوع الثاني نموذج التكلفة والعائد.

أ- نموذج سلسلة الاستجابات:

عندما بدأت عملية تحليل العلاقات الثنائية، بدأت بنموذج سلسلة الاستجابات. وتدل هذه السلسلة على أن الفرد في علاقاته المتبادلة يتفاعل مع الفرد الآخر فيستجيب لأحداث استجابة اجتماعية صدرت عن الشخص الآخر. والشكل التالي يبين تسلسل هذه الاستجابات. حيث يدل الرمز (أ) على الشخص الأول ويدل الرمز (ب) على الشخص الثاني. حيث يدل الرمز سا - ١ على أحداث استجابات الشخص أ. وتصبح هذه الاستجابة مثيرة لاستجابة ب أي سب - ١ وتؤدي هذه الاستجابة إلى استجابة عند ب هي سا - ٢ وت تلك بدورها تؤدي إلى استجابة عند ب هي سب - ٢ وهكذا تتتابع الاستجابات في سلسلة بحيث يتلو بعضها بعضاً وبذلك تصبح آخر استجابة لـ ب مثيرة يستجيب لها أ.



سلسلة الاستجابات

(ب) نموذج المهارات الاجتماعية:

من أهم الانتقادات التي وجهت إلى نموذج الاستجابات المتتابعة أن العلاقة الثنائية ليست مجرد استجابة تصدر عن أحد الفردين فتصبح مثيرة لاستجابة من الفرد الآخر، بل إن كل فرد من الفردين المتفاعلين في الجماعة الثنائية يهدف من علاقاته بالفرد الآخر لتحقيق هدف معين، وهذا ما حدا بأرجيل^(١) وكندون Kendon سنة ١٩٦٧ إلى اقتراح نموذج المهارات الاجتماعية كبدائل لنموذج الاستجابات المتتابعة.

والمهارة نظام متناسق من النشاط الذي يستهدف تحقيق هدف معين. وتصبح المهارة اجتماعية عندما يتفاعل فرد مع فرد آخر، ويقوم بنشاط اجتماعي يتطلب منه مهارة

(1) Argyle M., and Kendon, A. The experimental analysis of social performance. Advances in Experimental Social Psychology, 1973, 55 - 98.

ليوائم بين ما يقوم به الفرد الآخر وبين ما يفعله هو، وليصحيح مسار نشاطه ليتحقق بذلك هذه المواءمة. فمثلاً عندما ينافش أحد الأفراد زميله في موضوع ما فإنه قد يتوقع من زميله أن يصمت ليتكلم هو، أو يتكلّم ليصمت هو. وعليه ألا يكلّم زميله إلا باللهجة التي يتوقعها منه، فلا ينفعه في المواقف التي لا تتطلب انفعالاً ولا يضحك في المواقف التي تتطلب جدية واتزاننا.

وغالباً ما تختلف المهارات الاجتماعية التي تظهر في التفاعل الثنائي تبعاً لاختلاف الموقف. فقد يتطلب الموقف بين صديقين تعاطفاً واستعاظة ومجاملة، أو سيطرة وخنوعاً واستسلاماً. وقد يتطلب الموقف بين رجلين من رجال الأعمال عقد صفقة وما يتطلبه ذلك من تأكيد أحدهما لمكانته وقدرته على إقناع الآخر ومدى اقتناع الشخص الآخر بوجهة نظره.

وهكذا تختلف تلك المهارات الاجتماعية من موقف لأخر، وتختلف معها أنماط السلوك اللغطي وغير اللغطي الذي يقوم بين المتفاعلين. ويختلف مسارها تبعاً لاختلاف أهدافها أيضاً.

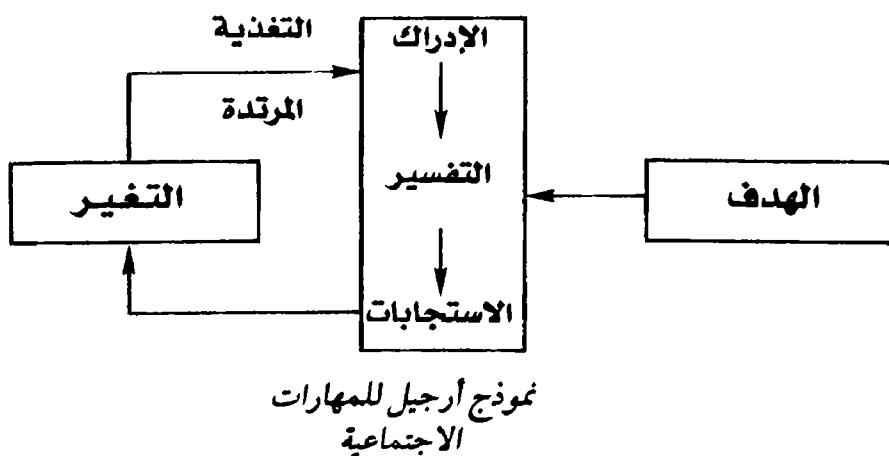
ويفسر نموذج المهارات الاجتماعية ما يحدث من تفاعل اجتماعي بين اثنين يواجه كل منهما الآخر ويقيم معه علاقات مختلفة على أساس أن كل فرد من هذين الفردين يعامل الآخر بالطريقة التي تحقق له هدفه، ويستعين بمهاراته الاجتماعية المختلفة في بلوغ تلك الغاية.

ولا يعني هذا بالضرورة أن يصبح أحد المتفاعلين مستفيداً والآخر خاسراً، بل قد يكون في تحقيق هدف أحدهما خير للفرد الآخر، كالحوار الذي ينشأ بين المعالج النفسي والمريض، أو بين المعلم وأحد تلاميذه، أو بين الأب وابنه وهكذا.

والشكل التالي يمثل نموذج أرجيل للمهارات الاجتماعية كما تظهر في الجماعة الثانية، ويببدأ هذا الشكل التوضيحي بهدف المهارة. وقد يكون الهدف شرح المعلومات كما في التعلم والتعليم، أو المقصول على بيانات كما في المقابلة، أو تغيير الحالة الانفعالية كما في الفكاهة أو العدوان، وهكذا.

ويؤدي الهدف إلى إدراك الموقف عن طريق البيانات السمعية والبصرية التي تصل إلى الفرد من غيره أو من نفسه.

وتتحول هذه المدركات إلى خطة عمل تحدد للفرد مسار نشاطه، أي أنها تترجم إلى الاستجابات المتوقعة.



وتتحول الخطة إلى استجابات تتناسب ومقومات الموقف الذي يشتمل على الفردين .

ويؤدي نجاح الاستجابة أو فشلها إلى تغيير في موقف الفرد الآخر .

وينتقل هذا التغيير إلى الفرد عن طريق التغذية المرتدة وتصحيح المسار .

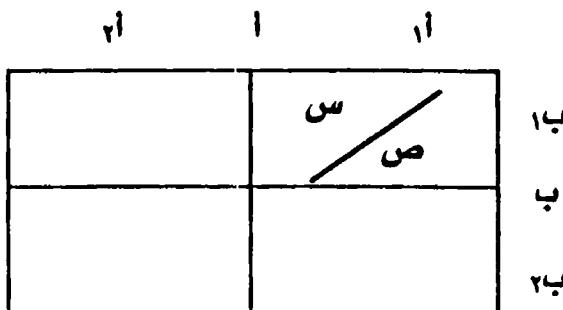
وتبدأ السلسلة من جديد عن طريق إعادة تقييم المدركات في ضوء ما حدث ، وهكذا يستمر التفاعل حتى يتحقق الفرد هدفه .

(ج) نموذج التكلفة والعائد :

عكف كثير من الباحثين منذ الخمسينيات من هذا القرن على تفسير نتائج دراساتهم على أساس العائد الذي يحصل عليه الفرد من تفاعله مع الفرد الآخر ، والتكلفة التي يؤديها للفرد الآخر في مقابل ذلك العائد .

ولقد تمكّن ثيبوت^(١) Kelley وكيلى Thibaut سنة ١٩٥٩ من تحليل الموقف الاجتماعي الذي يشتمل على تفاعل فردين في جماعة ثنائية عن طريق مصفوفة تمثل خلاياها الاحتمالات الممكنة للسلوك الاجتماعي لكل فرد في مواجهة الفرد الآخر على أساس التكلفة والعائد . والشكل التالي يوضح هذه الفكرة ، حيث يدل الرمز (س) على العائد الذي يحصل عليه (أ) ، ويدل الرمز (ص) على العائد الذي يحصل عليه (ب) ، كما تدل على ذلك الخلية أ ، ب . ٢

(1) Thibaut, J. W., and Kelley, H. H, The Social Psychology of Groups. N. Y. Wiley, 1959.



مصفوفة التكاففة والعائد في
الجماعات الثنائية

وبذلك يمكن عن طريق هذا النموذج دراسة عنصر من عناصر المواجهة الاجتماعية التي تحدث بين فردین. وعن طريق دراسة هذا العنصر يمكن دراسة بقية عناصر الموقف الاجتماعي المختلفة للجماعات الثنائية.

ويفترض ثيوبوت وكيللي أن السلوك الاجتماعي للفرد يمكن التنبؤ به عن طريق العائد كما توضحه مصفوفته الذاتية. غالباً ما يعد الباحث مصفوفة العائد الذاتي لأفراد تجربته، ثم يقارن نتائجه بالمستوى الذي يقدره كل فرد لنفسه.

وقد دلت نتائج بعض هذه الابحاث على أن فرداً ما قد يستمر في تفاعله الاجتماعي مع فرد آخر بالرغم من أن العائد من ذلك التفاعل أقل مما يريد ويتوقع. وقد يرجع ذلك إلى أن العائد الذي يحصل عليه مثل ذلك الفرد هو أفضل عائد متاح له بالنسبة لظروفه الراهنة. ولذا فالرغم من تبادل العائد في الجماعة الثنائية إلا أن أحد الفردین قد يحصل على عائد أكبر من الفرد الآخر.

ثامناً: الجماعة الثلاثية وعلاقاتها المتبادلة

تصبح الجماعة ثلاثة عندما يتكرر تفاعل أفرادها الثلاثة في مناسبات متكررة وبصفة دورية كما تدل على ذلك نتائج الملاحظات العلمية لتلك الظاهرة.

وقد يظن أن مجرد تكرار ظهور الأفراد الثلاثة معاً، واحتفائهم معاً، يعد دليلاً كافياً على وجود الجماعة الثلاثية. وقد تكون هذه الصفة إحدى صفات الجماعة الثلاثية لكنها ليست الصفة الفارقة في تعريف الجماعة الثلاثية، وذلك لأن الصفة الضرورية هي لتفاعل الذي يجب أن يصل ما بين الثلاثة بعلاقات دينامية تجعل منهم جماعة ثلاثة⁽¹⁾.

(1) Thibaut, J. W., and Kelley, H. H. *The Social Psychology of Groups*. N. Y. Wiley, 1959, 191 - 192.

ومن أمثلة وجود الثلاثة معا دون وجود الجماعة الثالثية ما يمكن أن يقوم من تفاعل بين أ، ب بمعزل عن ج، وقد يتفاعل ب، ج بمعزل عن أ، ويتفاعل أ، ج عن ب. وعندما يتفاعل الثلاثة معاً، ب، ج تصبح الجماعة الثالثية موجودة فعلا.

وسنتين فيما يلى أهم مظاهر الجماعة الثالثية وعوامل استقرارها وانقسامها:

(ا)- أهم خصائص الجماعة الثالثية:

تعد الجماعة الثالثية أ - ب - ج أبسط حالة من حالات تفاعل الفرد مع الجماعة. وهى لذلك وحدة دراسة هذا النوع من التفاعل. وعن طريق مثل هذه الدراسة يمكن دراسة ظاهرة الأغلبية، والأقلية، حيث الأغلبية فى هذه الحالة هى الجماعة الثانية وتصبح الأقلية هى الفرد الثالث^(١).

وهي أيضا ميدان خصب لدراسة أسلوب فرق تسد، وبحث الاحتمالات المتوقعة لسيطرة الشخص القوى على زميليه، أو أن يتلقى زميلاه عليه. فمثلا قد يقوم الشخص الثالث بين الفردين الآخرين. أو يحافظ على اتزان القوى. أو يهدد التماسک القوى القائم بين الفردين الآخرين ولذلك قد يؤدي الصراع الذى يقوم بين الاثنين إلى خطر التمزق لوجود الشخص الثالث.

ب- عوامل استقرار الجماعة الثالثية وانقسامها:

ما تثبت الجماعة الكبيرة المتعددة الأفراد أن تنقسم إلى جماعات صغيرة ثنائية أو ثلاثة وذلك لأن الفرد لا يجد مجالا كافيا في الجماعات ليتحقق لنفسه التفاعل الاجتماعي المناسب والكافى له. ولأنه يحس حتى عندما تتحذ الجماعة قراراتها أنه لم يقم بدوره الذى يتناسب مع فكرته من مكانته فى اتخاذه لذلك القرار.

وحتى عندما تكون الجماعة الثالثة فإنها كثيرا ما تحول إلى جماعات ثنائية، وهذا مما يشير إلى أن الجماعة الثنائية أكثر استقرار من الجماعة الثالثية.

ويضعف استقرار الجماعة الثنائية أ، ب أو يقوى عندما يتفاعل معها شخص ثالث. ونادرًا جدا ما يظل التفاعل كما هو بين فردي الجماعة أ ب بعد انضمام ذلك الشخص الثالث لهما.

وعندما يكون الشخص الثالث الجديد أقرب إلى أ مثل أ أو أقرب إلى ب مثل ب فإن العلاقات التى كانت تصل أ بقرنه ب تضعف^(٢) وبيان ذلك أن الجماعة الجديدة إما

(1) Mills, T. M. Power relation in three persons group. Am. Sociol. Rev. 1953, 18, 351 - 357.

(2) Heider, F. The Psychology of interpersonal Relations. N. Y. Wiley, 1958, 179.

أن تصبح $A \rightarrow B$ ومعنى هذا اتحاد $A \rightarrow A$ ضد ب لتقاريبيما واما أن تصبح $A \rightarrow B$ معنى هذا اتحاد $B \rightarrow B$ ضد A لتقاريبيما أيضاً . ولكن عندما يختلف الشخص الثالث عن A، B فيصبح مثلاً جـ فإن الجماعة الثلاثية $A \rightarrow B \rightarrow C$ تقوى ولا تضعف لأنها تكوه وحدة جديدة ولا تنقسم على نفسها إلى جزأين كما حدث بالنسبة $A \rightarrow B$ وبالنسبة $C \rightarrow B$.

وبذلك تبدأ الجماعة الثلاثية في الانقسام إلى جماعة ثنائية وفرد عندما تتشابه صفات أى فردين من أفرادها إلى الحد الذى يجعلهما يتآلفان كجماعة فى مواجهة العضو الثالث. كما تدل على ذلك نتائج التجارب التى أجراها ميلز⁽¹⁾. سنة ١٩٥٣ حيث طلب من ٤٨ جماعة ثلاثة أن تؤلف كل منها قصة واحدة من بطاقات اختبار تفهم الموضوع T A T وقد وجد الباحث أن أغلب المناقشات التى قمت فى هذه الجماعات قمت بين أكثر الاثنين فعالية ونشاطاً فى تلك الجماعات الثلاثية، وأن الشخص الثالث أصبح يحكم موقعه السلبي منهم منعزلاً.

ولقد أعاد روبيسون⁽²⁾. سنة ١٩٦٧ تجربة ميلز، وذلك بعد أن كون الجماعات الثلاثية من الجنسين بحيث استغرق كل الاحتمالات الممكنة للجنسين فى تكوينه لتلك الجماعات، ولقد وجد أن الجماعات المختلطة تقسم إلى جماعات ثنائية مكونة من رجلين أو امرأتين وتعزل بذلك الشخص الثالث الذى يختلف عنهما جنسياً. وأن الجماعات التى تتكون من ثلات نسوة أكثر استقراراً من الجماعات التى تتكون من ثلاثة رجال.

وتنشأ هذه الظاهرة كما تدل على ذلك نتائج الأبحاث المختلفة لأن جماعات النساء أكثر تعاطفاً من جماعات الرجال وأقل تنافساً ولذا أصبحت جماعاتهن الثلاثية أكثر استقراراً من جماعات الرجال الثلاثية.

تاسعاً - الملخص

تطور موضوعات هذا الفصل من تعريف العلاقات الاجتماعية المتبادلة، والتفاعل، والإدراك الاجتماعي، إلى تحديد مستويات تلك العلاقات، وتخلص من ذلك إلى وصف أهم أنواعها، ومدى تأثيرها بحجم الجماعة، ثم تحلل أهم مظاهرها كما

(1) Mills, T. M. Power relation in three persons groups. Amer. Soc. Rev. 1953, 18, 351 - 357.

(2) Robson, K. S. The effects of different group sex compositions on support rates and coalition formation. Canada. Sociol. Anthropol. Assoc. 1967. Quoted from Argyle, M. Social Interaction. London, methuen, 1976, 238.

تضجع في الجماعة الثانية وطرق بحثها والنماذج التي تستهدف تفسيرها وتنتهي إلى خصائص العلاقات المتبادلة في الجماعة الثالثة كخطوة لفهم خصائصها في الجماعات الأكثر عدداً مثل الرابعة والخامسة.

وتدل العلاقة الاجتماعية على الصلة التي تقوم بين شخصين أو أكثر، ويدل التفاعل على التأثير المتبدل وما ينشأ عنه من تغيير. ويدل الإدراك الاجتماعي على ما يراه الفرد في الفرد الآخر وما يسمعه منه، وعلى خصائص الموقف، وعلى نوع العلاقات، وعلى فكرة الفرد عن إدراك زميله له.

وتتطور مدارج علاقات التفاعل الاجتماعي في ستة مستويات: **الأول:** مستوى العلاقات الالاتبادلية ويدل على تزامن وجود الفردين معاً ولا يوجد بينهما تفاعل اجتماعي حقيقي أو يوجد أحد الفردين ويزود بمعلومات عن الفرد الآخر ويطلب منه أن يحكم عليه عن طريق تلك المعلومات. **والثاني:** مستوى علاقات الاتجاه الواحد وفيه لا يتزامن وجود الفردين معاً ويتأثر أحدهما فقط بسلوك الآخر مثل تأثير المستمع بالذيع التليفزيوني، وبذلك لا يحدث بين الفردين تفاعل من تبادل التأثير. **والثالث:** مستوى العلاقات شبه التبادلية ويدل على تزامن وجود الفردين ويتم التفاعل بطريقة نمطية وفق خطة مرسومة أو حوار مكتوب مثل مثلى المسرح. **والرابع:** مستوى العلاقات المتوازية وفيه يتزامن وجود الفردين ويجمعهما موقف واحد ويتحدث كل منهما مع الآخر دون أن ينصت أحدهما للأخر. **والخامس:** مستوى العلاقات المتبادلة غير المتناسقة وفيه يتزامن وجود الفردين، وتعتمد استجابات أحدهما على الآخر مثل اختبارات المقابلة. **والسادس:** مستوى العلاقات المتبادلة وهو نهاية تلك المدارج وفيه يتزامن وجود الفرد ويتم التفاعل الاجتماعي نتيجة لتبادل التأثير ويصبح الفرد مؤثراً ومستجيباً.

وتنقسم العلاقات المتبادلة إلى ثلاثة أنواع: **الأول:** العلاقات المتبادلة بين فردين، ويعد هذا النوع بحق وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي وفيه يتزامن وجود الفردين المتفاعلين في موقف واحد ويؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، مثل الزوج وزوجته، والعدو خصيمه. **والثاني:** العلاقات المتبادلة بين فرد وجماعة، وفيه يختلف دور الفرد في تأثيره في الجماعة وفي تأثيره بها تبعاً لكونه عضواً فيها أو ليس عضواً بها مثل علاقة الأب بالجامعة المكونة من الأم والابن، **والثالث:** العلاقات المتبادلة بين جماعتين، وفيه تؤثر الجماعة في جماعة أخرى وتتأثر بها بطرق مختلفة، وقد يكون تبادل التأثير عن طريق الحوار، وذلك عندما تنقسم الجماعة الخامسة إلى ثانية وثلاثية، وتحاول كل منهما إقناع الأخرى بوجهة نظرها، وقد يكون تبادل التأثير عن طريق المنافسة

في الإنتاج مثل ما يحدث من علاقات بين طريقى كرة القدم أو في الصناعة، وقد يكون تبادل التأثير والتآثر عن طريق المنابذة والعدوان مثل ما يحدث من علاقات نتيجة للخصومة القائمة بين عائلتين.

ولحجم الجماعة أثره في العلاقات المتبادلة، ويبدو ذلك بوضوح في شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة ويتغير هذا الحجم نفسه وتتغير تبعاً لذلك خصائص الجماعة خلال مراحل النمو. وتمثل شبكة العلاقات المتبادلة المحتملة كل الحالات الممكنة لتبادل التأثير والتآثر بين الأفراد، وبين الأفراد والجماعات، وبين الجماعات والجماعات، وتتصبح العلاقات المتبادلة المحتملة علاقة واحدة في الجماعة الثنائية. وتنقسم العلاقات المتبادلة في الجماعة الثلاثية إلى نوعين: الأول: العلاقات المتبادلة بين كل فردین، وعدددها ثلاث علاقات، والثاني: العلاقات المتبادلة بين كل فرد والجماعة الثانية المكونة من الفردین الآخرين وعدددها ثلاث علاقات، وتنقسم العلاقات المتبادلة في الجماعة الرباعية إلى أربعة أنواع: الأول: العلاقات المتبادلة بين كل فردین وعدددها ست علاقات. والثاني: العلاقات المتبادلة بين كل فردین والجماعة الثنائية وعدددها اثنتا عشرة علاقة، والثالث: العلاقات المتبادلة بين الفرد والجماعة الثلاثية وعدددها أربع علاقات، والرابع: العلاقات المتبادلة بين كل جماعتين وعدددها ثلاث علاقات. وبذلك يصبح مجموع عدد العلاقات المختلفة خمساً وعشرين علاقة.

وتنقسم الجماعة إلى جماعات أصغر عندما يزداد حجمها إلى الحد الذي يعيق التفاعل الاجتماعي المناسب. ويتأثر هذا التفاعل في مداره بمراحل العمر المختلفة. ولذا يتأثر حجم الجماعة بأعمار الأفراد وخاصة في مراحل الطفولة وتبداً عملية تكوين الجماعات في الطفولة المبكرة التي تمت من السنة الثانية إلى السنة السادسة حيث يمارس كل طفل ألعابه وحده على مرأى ومسمع من الآخرين. ويصبح النشاط الاجتماعي متوازياً، لا يلتقى أو يتتشابه وإنما يتزامن في مكان مشترك. ويتطور النشاط الاجتماعي المتوازي إلى النشاط الاجتماعي المتناظر حيث يقوم الطفل بنفس النشاط الذي يقوم به الآخرون دون أن يغير دوره ليوائم بينه وبينهم. وتطور المشاركة الاجتماعية فيصبح الطفل عضواً في الجماعة ويقوم بدوره وبذلك يبدأ طور الفريق. وتبداً العصابة في الطفولة المتأخرة التي تمت من السادسة إلى الثانية عشرة، وتقوم في أساسها على الصداقات التي تجمع بين اثنين أو ثلاثة ثم تجذب هذه الجماعة الصغيرة أطفالاً آخرين فيزداد عدد أفراد العصابة، وتصل إلى أقصى حجم لها في التاسعة أو العاشرة، ثم يتناقص حجمها بعد ذلك وتتحول بعد ذلك إلى جماعات المراهقين. وتقوم فكرة العصابات على الفصل الحاد بين البنين والبنات. ويكثر عدد الجماعات في مرحلة المراهقة، ويقل عدد أفرادها وينقص حجمها

وللعلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية مظاهر مختلفة أهمها اللفظية وغير اللفظية، واللتفظية – غير اللفظية ومدى اختلافها عن التقاليد ومستوياتها واتزانها ومدى التنبؤ بها ودورها في محددات الصدقة وفي تدعيم السلوك.

فأما اللفظية فتبدو في صيغة الحوار، وفي محتواه: وفي توقيته. وتختلف صيغة الحوار بعما لوقف كل فرد من الآخر سائلاً أو مجيباً، أمراً أو مطيناً، هادياً أو مهتدياً. ويتغير محتوى الحوار بعما لوجهة نظر كل فرد من الفردين المتفاعلين، فإذا علق أحدهما على موضوع فإن الآخر إما أن يعلق على نفس الموضوع أو يتوقف الموضوع أو يتوقف التفاعل. وللناس خصائص تميز طريقة حديث كل منهم مع الآخر من حيث سرعته وبطيئه، وطوله وقصره، وانقطاعه واستمراره. ويميل كل فرد من فردي الجماعة الثنائية إلى أن يحدو حذو الآخر في توقيته لحديثه. فإذا أسرع أحدهما أسرع الآخر. وإذا أطال أحدهما حديثه أطال الآخر أيضاً.

وأما غير اللفظية فتضيع في ما يصدر عن أحد الأفراد من إيماءات وإشارات وحركات. وغالباً ما يثير الشخص الآخر نفس تلك الاستجابات غير اللفظية. وقد دلت نتائج تحليل المواقف العلاجية بين المعالج النفسي والمريض على تزامن التفاعل بين المتحدث والمستمع بالنسبة لحركة الأيدي والرأس والعينين. وأهم أنواع المظاهر غير اللفظية هي انعكاسات المرأة أو التقليد الحركي، والسلوك الاستماعي أو الحركات التي تصدر عن المستمع ليشجع بها المتحدث على الاستمرار في حديثه، والحركات المشابهة للحديث أو التقليد الحركي لخارج نطاق المتحدث دون النطق بها.

أما المظاهر اللفظية – غير اللفظية فسميت كذلك لأنها عندما تستثار الاستجابة غير اللفظية تستثار معها الاستجابة اللفظية، وقد يشتمل التفاعل الثنائي على سلسلتين إحداهما لفظية والأخرى غير لفظية.

ويختلف التبادل عن التقليد في أن استجابة أحد الفردين تختلف عن المثير الذي يصدر عن الفرد الآخر وأن التبادل لا يصدر تلقائياً كالتقليد، وأنه ينطوي على الإدراك الوعي لما يحدث، وأن نسبة تتضاءل ويحل محلها تبعاً لزيادة مكانة الشخص الآخر.

وتصنف مستويات العلاقات المتبادلة إلى ثلاثة مستويات: الأول: مستوى الإشار العام حيث لا يتوقع أحد الفردين جزءاً على ما يقدمه للفرد الآخر من عمل وقول. والثاني: مستوى الازان الاقتصادي حيث يتزن الأخذ والعطاء بين الفردين. والثالث: مستوى التبادل السالب حيث يحاول كل فرد أن يستغل الآخر دون أن يعطي بمقدار ما يأخذ.

ويعني الاتزان التسافق الذي يتم بين الفردين المتفاعلين بعد تعديل كل منهما لسلوكه نتيجة للتفاعل القائم بينهما. ومن أمثلة الاتزان استقرار المدى الزمني الذي يستغرقه كل فرد في حديثه وخاصة ما يتم بين المعالج النفسي والمريض، والتقارب الذي يحدث بين لغة كل فرد من الفردين المتفاعلين. وتصل الجماعة إلى اتزانها خلال مراحل تبدأ بالتفاعل الاجتماعي الذي يؤدي إلى مزيد من التفاعل ثم تؤدي التغذية المرتدة إلى النفور الذي ما يلبث أن يتحول إلى الاتزان.

ويعتمد التنبؤ على الشخصيات الطينية لكل فرد بما تتطوى عليه كل شخصية من خصائص ثابتة ومن خصائص متغيرة مثل تفاعل مظهر السيطرة عند أحد الفردين مع مظهر الخنوع عند الفرد الآخر. وتدل نتائج الأبحاث على أن الأكثر سيطرة هم الذكور، والأكبر عمراً والأكثر ذكاءً، والأعلى في المستوى الاجتماعي الاقتصادي، والأكثر انبساطاً.

ويتضح دور الصداقة في الجماعة الثنائية في ميل الصديق إلى صديقه نتيجة لإشباع الحواجز الاجتماعية، ونتيجة للتعاون الذي يحول بين التعارض وبين ما يؤدي إلى النفور.

ويعتمد تدعيم السلوك في الجماعة الثنائية على تشجيع أحد الفردين للأخر، وقد يتخذ مثل هذا التشجيع الإثابة غير اللفظية مثل الابتسام والإيماء بالرأس. ولعل المكانة الاجتماعية لأحد الفردين أهميتها في تدعيم سلوك الفرد الآخر.

وقد اتخذ البحث العلمي للعلاقات المتبادلة في الجماعة الثنائية طرقاً مختلفة أهمها طريقة أدنى التفاعل، وبحث أثر سلوك أحد الفردين على الفرد الآخر، ودراسة تأثير فرد بفرد آخر وتأثيره فيه، والتحليل الإحصائي لسلة الاستجابات.

فأما طريقة أدنى التفاعل فتبحث تأثير كل فرد في الفرد الآخر وهو معزز عنه دون أن يدرى أنه يؤثر فيه.

وأما طريقة أثر سلوك أحد الفردين على الآخر فإنها لا تدرس التفاعل الذي يحدث بين فردين وإنما تدرس مجرد أثر سلوك فرد على الآخر.

وتعتمد طريقة تأثير فرد بفرد آخر وتأثيره فيه على بحث التفاعل الحقيقي الذي يحدث بين فردي الجماعة الثنائية، ويصبح المتغير المستقل أو التجربى في هذه الطريقة هو العمل الذي يشترك فيه الفردان المتفاعلان أو الدافع مثل التنافس أو السيطرة. ويصبح المتغير التابع أثر العمل أو المنافسة على نوعية العلاقات التي تظهر.

ويعتمد التحليل الإحصائي لسلة الاستجابات على الدقائق الخمس الأولى وما يظهر خلالها من أفعال وأقوال. وقد يعتمد التحليل على الدوائر التليفزيونية المغلقة. وقد تتم عملية الملاحظة من وراء حجاب حيث يرى الباحث ما يحدث ولا يراه أفراد الجماعة الثانية.

ولقد حاود العلماء تفسير هذه المظاهر عن طريق نماذج عملية تقترب من النظريات ولا ترقى إليها وأهم تلك النماذج سلسلة الاستجابات، أو نموذج المهارات الاجتماعية، ونموذج التكلفة والعائد.

ويفسر نموذج سلسلة الاستجابات التجاوب الذي يحدث بين فرد الجماعة الثانية باستجابة أحد الفردين لأحداث استجابة اجتماعية تصدر عن الفرد الآخر ويتبع تلك الاستجابات بحيث يتلو بعضها بعضاً.

ويعتمد نموذج المهارات الاجتماعية في تفسيره للعلاقات المتبادلة على أن المهارة نظام متناسق من النشاط يستهدف تحقيق هدف معين. وأن المهارة الاجتماعية هي النشاط الاجتماعي الذي يوازن به الفرد وبين ما يقوم به الفرد الآخر وما يفعله هو. وتحتفل المهارة الاجتماعية بعدها لاختلاف الموقف. ويفسر نموذج المهارات الاجتماعية ما يحدث من تفاعل لتحقيق الهدف، وذلك بإدراك الموقف عن طريق البيانات السمعية والبصرية. وتتحول المدركات إلى خطة، وتتحول الخطة إلى استجابات، ويزدوي نجاح الاستجابة أو فشلها إلى تغيير موقف الفرد، وينتقل هذا التغيير إلى الفرد عن طريق التغذية المرتدة وتبعد السلسلة من جديد.

ويحلل نموذج التكلفة والعائد تفاعل فرد الجماعة الثانية عن طريق مصفوفة تمثل خلاياها الاحتمالات الممكنة للسلوك الاجتماعي على أساس التكلفة والعائد.

وتعد الجماعة الثلاثية أول خطوة لتعزيز مظاهر ونماذج العلاقات المتبادلة في الجماعة الثانية. وتصبح الجماعة الثلاثية عندما يتكرر تفاعل أفرادها في مناسبات متكررة وبصفة دورية، وهي أبسط حالة من حالات تفاعل الفرد مع الجماعة وتصلح لدراسة ظاهرة الأغلبية والأقلية وتعد مجالاً خصباً لدراسة اتزان القوى والتماسك. والجماعة الثانية أكثر استقراراً من الجماعة الثلاثية. ولذا ف غالباً ما تنقسم الثلاثية ثنائية وفرداً، وذلك عندما تتشابه صفات أي فردين من أعضائها.

المراجع العامة

- 1 - Argyle, M. Social Interaction. London, Methuen, 1976.
- 2 - Argyle, M. The Psychology of Interpersonal Behaviour. Harmondsworth, Penguin, 1973.
- 3 - Bieri, J. Changes in interpersonal perception following social interaction. J. Abnorm. Soc. Psychol. 1953. 48, 61 - 66.
- 4 - Bott, E. Family and Social Net work. London, Tavistock, 1957.
- 5 - Hare, A. P. Handbook of Small Group Research. Glence. I L L. Free Press. 1962.
- 6 - Heider, F. The Psychology of Interpersonal Relations. N. Y. Wiley. 1958.
- 7 - Laing, R. D. Self and Otheris. Harmondsworth, Penguin. 1977.
- 8 - Muber, M. Elements of the inter - human contact. Psychiatry, 1957, 20.
- 9 - Park, R. E., and Buurgess, E. W. Introduction to the Seince of Sociology. Chicago, Univ. of Chicago Press. 1921.
- 10 - Smith, H. C. Sensitivity to People. N. Y. Mv Graw - Hill. 1967.
- 11 - Tagiuri, R. Person perception In Liindzey, G. and Arnoson. E. (Eds.). Handbook of Social Psychology. Reading Mass. Addison Wesley. 1969. Vol.
- 12 - Thibaut, J. W. and Kelley. H. H. The Social Psychology of Group. N. Y. Wiley. 1959.



الفصل السادس

قياس العلاقات الاجتماعية

- أولا - قياس العلاقات الاجتماعية بالطريقة السوسيومترية.
- ثانيا - الاختبار السوسيومترى وطرق تسجيل نتائجه.
- ثالثا - الشبكة الاجتماعية وعلاقاتها السوسيومترية.
- رابعا - مصفوفات العلاقات السوسيومترية.
- خامسا - المؤشرات الإحصائية للاستجابات السوسيومترية.
- سادسا - المعاملات السوسيومترية.
- سابعا - الملخص.

موضوع هذا الفصل هو قياس العلاقات الاجتماعية التي سبق أن بينا نموها في الفصل الخاص بالتنشئة الاجتماعية، وأهم أنواعها وخاصة المبادلة منها.

ويعتمد القياس على الطريقة السوسيومترية التي اهتمى إليها مورينو في الثلث الأول من هذا القرن، ثم عكف بعد ذلك على تعميقها هو وطائفة من معه حتى أنشأوا لها دورية علمية خاصة بها. واتسعوا بميدانها حتى كاد أن يستغرق أغلب نواحي القياس في علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع.

وتتطور موضوعات هذا الفصل من شرح لمعنى الطريقة السوسيومترية كما تستخدم في القياس الاجتماعي إلى أهم مجالات استخدامها إلى الصياغة المناسبة لأسئلة اختباراتها والشبكة الاجتماعية التي تستخدم في تسجيل نتائجها ومصفوفات العلاقات الاجتماعية التي تترجم الشبكة إلى نماذج رياضية صالحة للدراسة والتحليل، والمؤشرات الإحصائية التي تحسب من هذه المصفوفات والمعاملات السوسيومترية التي تنتهي إليها نتائج القياس الاجتماعي للعلاقات في صورتها السوسيومترية.

أولاً: قياس العلاقات الاجتماعية بالطريقة السوسيومترية

(١) معنى مصطلح السوسيومترية ونشاته:

يعنى السوسيومترى Sociometry القياس الاجتماعي. والمصطلح بهذه الصورة تعريب للمصطلح الإنجليزى الذى يعني مقطعه الأول Socio اجتماعى، ويعنى مقطعيه الثاني Metry القياس. وبذلك تصبح الترجمة العربية لهذا المصطلح هي القياس الاجتماعى. من أجل ذلك يصبح استخدام أى المصطلحين، المعرف أو المترجم، مكان الآخر وهذا هو ما ستتبعه في هذا الفصل.

وقد ظهرت المحاولات الأولى لاستخدام الاختبار السوسيومترى سنة ١٩١٦ حيث كان يطلب إلى كل ممثل أن يختار زميله الذى يشتراك معه في الحوار الثنائى. وتطور هذا الاختبار سنة ١٩٢٣ إلى سؤال الأطفال أن يختاروا آباء غير آبائهم^(١). لكن النشأة الحديثة للقياس الاجتماعي أو السوسيومترى ترجع في حقيقتها إلى الكتاب الذي نشره

(١) Nehenvajsa, J. Sociometry: decades of growth. In Moreno, J. L. (ed.) The Sociometry Reader. Glencoe, Illinois, The Free Press, 1960, pp. 707 - 753.

مورينو Moreno⁽¹⁾. سنة ١٩٣٤ بعنوان «من الذي سيبقى؟» وإلى الابحاث الرائدة التي طور بها مورينو طريقته السوسيومترية في قياس العلاقات الاجتماعية حتى أصدر لها دورية علمية سنة ١٩٣٦.

وترجع سرعة انتشار طريقة السوسيومترى إلى بساطتها وخصوصية وعمق النتائج التي يحصل عليها الباحث.

وتعتمد تلك الطريقة على طلب الباحث من كل فرد من أفراد الجماعة الصغيرة أن يختار فردا آخر بالنسبة لصفة ما. ثم يترجم الباحث نتائج هذا الاختيار إلى شبكة للعلاقات الاجتماعية يرمز فيها كل فرد بدائرة ولاتجاه الاختيار بسهم يتوجه من الفرد الذي يختار إلى من يختاره. ويمكنه أيضا أن يسجل نتائجه في مصفوفة تبين خلاياها ذلك الاختيار.

ومن أهم أهداف هذه الطريقة قياس مظاهر الألفة والنفور التي تنشط وتسفر عن نفسها في اجتماع الناس بعضهم مع البعض الآخر. ويكاد يقتصر ميدانها على دراسة الجماعات الصغيرة التي يعرف كل فرد من أفرادها بقية أعضاء الجماعة معرفة واضحة أصلية تمكنه من اختيار من يصاحبه ومن لا يصاحبه ومن يستعين به ومن لا يستعين به.

ومن أهم ما يميز القياس الاجتماعي أنه طريقة في البحث أكثر منه نظرية في العلم. ولقد أدت الطريقة السوسيومترية إلى اكتشاف حقائق علمية تصلح لتفسير بعض مظاهر الحياة النفسية في آفاقها الاجتماعية. وأدت أيضا إلى دراسة حياتنا اليومية وإلى إمكان تنظيم هذه الحياة على أسس علمية قوية تقوم على التاليف والتآزر والتواجد، وسعادة الفرد وتماسك الجماعة. فهي بذلك تحقق لعلم النفس الاجتماعي بعض أهدافه التي سعى وما زال يسعى لبلوغها.

وأهم ما تستخدم فيه الطريقة السوسيومترية، دراسة التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين أفراد أي جماعة صغيرة، وبين الجماعات الأصغر التي تشتمل عليها تلك الجماعة الصغيرة، وبين الأفراد والجماعات الأصغر.

وبذلك تصبح الطريقة السوسيومترية هي الوسيلة العملية لقياس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين فرد وفرد آخر، وبين فرد وجماعة أو بين جماعة وجماعة أخرى. ولقياس مكانة الفرد في الجماعة، والزعامة، ومدى تماسك الجماعة وانحلالها، ومدى

(1) Moreno, J. L. Who Shall Survive? Washington. Nervous and Mental Disease Pub. Co., 1934.

استمرارها، وغير ذلك من الخصائص المختلفة للجماعة الصغيرة، ومدى تأثير الفرد بتلك الخصائص في تفاعله معها أو مع غيره من الأفراد.

وتعتمد الطريقة السوسيومترية في قياسها للتفاعل الاجتماعي على تسجيل وتحليل رغبة الأفراد في صحبة الآخرين وفي رفقتهم وذلك عن طريق اختبار أو استبيان يعد لذلك ويجب عليه الأفراد إجابة مكتوبة، أو عن طريق تسجيل الباحث للاحظاته عما يحدث فعلاً من تجمعات بين الأفراد في تفاعلهم الاجتماعي وما ينشأ عن هذه التجمعات من علاقات ألفة ونفور.

(ب) أهم مجالات استخدام الطريقة السوسيومترية:

يستخدم السوسيومتر أو القياس الاجتماعي في تحليل البنية الداخلية للجماعة الصغيرة، وذلك عن طريق الكشف عن مظاهر الألفة والنفور؛ والحب والكره، وغير ذلك من المظاهر النفسية الاجتماعية المختلفة التي تحدد نوع العلاقة بين كل فرد من أفراد الجماعة الصغيرة التي يتمثل لها الفرد.

ولذا تصاغ أسئلة السوسيومتر لملأها المظاهر وذلك بأن يطلب إلى كل فرد من أفراد الجماعة أن يذكر أسماء من يريد أن يصاحبوه ومن لا يريد أن يصاحبوه، ومن لا يريد أن يكونوا معه في مخيم صيفي بأحد المصايف. وفي رفقاء العمل كأن يطلب إلى الفرد أن يحدد من يريد ومن لا يريد أن يزامنه في عمله على إحدى ماقینات النسيج إن كان عاملاً. وفي الرعامة كأن يختار كل فرد من أفراد الجماعة من يصلح لتزعيم تلك الجماعة.

والاختيار الاجتماعي الانفعالي الذي يتمثل في الكشف عن من يريد الفرد معه في الهوايات التي يمارسها، أو عن من يشاركه مقعده الذي يجلس عليه في حجرة الدراسة يتحقق إشباع الحاجة إلى التواد^(١) أو الحب، وال حاجات التي تنشأ من العلاقات الاجتماعية البنية المتبادلة.

وال اختيار رفقاء العمل يتحقق الإنجاز و دوافعه^(٢)، ويكشف عن متطلبات العمل الجماعي، والوصول بهذا العمل إلى نتائجه المرجوة.

ويذهب سورين إلى أن الاختبارات السوسيومترية وما تؤدي إليه من شبكة للعلاقات الاجتماعية البنية هي الوسيلة القوية التي تكشف عن مدى تنظيم الجماعة وتكونيتها الداخلي. وهو لا يكتفى أحياناً بدراسة تلك الشبكة مرة واحدة بل يعيد

(1) Affiliative need

المحتاجة إلى التواد

(2) Achievement motive

دافع الإنجاز

اختباره السوسيومترى على فترات زمنية متعددة وعلى نفس الجماعة ليكتشف بذلك تطور البنية الداخلية للجماعة من التكوين البسيط غير المتكامل حتى تصل إلى التكوين المتكامل المشابك.

وقد أثبتت أبحاث الاختبارات السوسيومترية نظرية الكمون الجنسي كما صاغها فرويد. وتدل هذه الأبحاث على أن اختيار الأطفال الذين تزيد أعمارهم من ٨ إلى ١٣ سنة يتجه نحو اختيار الجنس المائل ويعزف عن اختيار الجنس المضاد. وأن اختيار الذين تزيد أعمارهم عن ١٣ سنة لا يتقييد بالفروق الجنسية القائمة.

وقام لنديبرج Lundberg^(١). سنة ١٩٣٧ بدراسة واسعة شملت ٩٤٠ فرداً من سكان إحدى القرى الأمريكية، وسلك في دراسته تلك مسلكاً جديداً في بحث درجة ارتباط الأنواع المختلفة للعلاقات الاجتماعية السوسيومترية بأعمار الأفراد، وبعوبيهم الجسمية، وبمستوياتهم الاقتصادية، وبطبيعة أعمالهم، وبمكانتهم الاجتماعية، وبغير ذلك من الفروق القائمة. واستطاع الباحث بذلك تفسير أنواع التجمعات المختلفة بالنسبة لتلك الأسس. وأدت به دراسته إلى تعريف الجماعة على أنها طاقة مرتبة متطرفة بطريقة محددة، تفيض في مسالك متشابكة متداخلة، وتشتمل على الفرد ومجاله النفسي، وتنفذ إلى أعماق الشخصيات بدرجات مختلفة، وتبين في سعتها وشدة اتجاهها ومداها الزمني.

واهتم بعض العلماء بدراسة البنية الداخلية للجماعة. فرصدوا العلاقات الاجتماعية السوسيومترية في تفاعلها المباشر. وتتلخص هذه الطريقة في تسجيل تلك العلاقات تسجيلاً لا يعتمد في جوهره على سؤال الأفراد، بل يعتمد على دراسة شخص آخر، لا يتمى إلى الجماعة، حيث يقوم بمراقبة تجمعها وأحاديث أفرادها وما تقسام إليه من جماعات ثنائية وثلاثية وغير ذلك من التجمعات الجزئية، وكيف تقاد لأحد أفرادها وتجعله بذلك زعيمًا لها في نشاطها الذي تمارسه. والباحث، وبهذه الطريقة، يرصد ما يحدث فعلاً من اختيار ولا يعتمد على مجرد سؤال كل فرد عنمن يختار. هذا ويمكن أن تستطرد بهذا النوع من التجارب فنطلب فعلاً من كل فرد أن يحدد اختياره للأفراد الآخرين. ونقارن نتائج ما يحدث فعلاً من علاقات سوسيومترية بتتابع ما نحصل عليه من استجابات الأفراد على تلك الأسئلة السوسيومترية.

(1) Lundberg, G. A. Social Attraction: Patterns in a rural village Sociometry. 1937. I, pp. 77 - 81.

واعتمد أيضا هوait⁽¹⁾. Whyte في دراسته للعصابات على رصده لما يحدث بين أفرادها من علاقات اجتماعية دون أن يسأل أى فرد منها أن يختار من يريد أن يصاحبه ويزامله وذلك في بحثه الذي نشره سنة ١٩٤٣ . واستخدم لوميس⁽²⁾. Davidson نفس الطريقة في بحثهما الذي نشراه سنة ١٩٣٩ عما ينشأ من علاقات اجتماعية بين سكان بعض القرى بأمريكا، وتتلخص دراستهما في استكشاف تكرار ونوع الزيارات العائلية المختلفة، ومدى التعاون في الأعمال الزراعية، ومسار الثروة المحلية كالقروض المالية المتبادلة بين أفراد الأسر المختلفة.

واعتمدت أغلب الدراسات التجريبية للزعامة على طريقة القياس الاجتماعي. وأسفرت هذه الدراسات عن الأنواع المختلفة للزعامة. فاختيار الأفراد للزعيم الذي يكفي في سبيل تحقيق مطالبهم الاقتصادية، يختلف عن اختيارهم للزعيم الذي ينظم مناقشاتهم. ويختلف أيضا عن ذلك الذي يتزعمهم في هوایاته. وهكذا يختلف الاختيار تبعا لاختلاف الوظيفة التي يقوم بها الزعيم.

وتؤكد جميع هذه الدراسات أهمية الجماعة في نمو شخصية الفرد. فالجماعة في تأثيرها على الفرد تسير به قدما نحو معرفته لنفسه ونحو معرفة الآخرين له. ولقد صدق يونج Jung في فكرته التي تقرر أن الشخصية لا تكمل أبدا، بل تستمر في إقامة دعائمها كلما تفاعلت مع الآخرين، وتظل في مدارج التكامل ما بقي في الفرد رقم من حياة.

(ج) أهم خصائص الأنواع المختلفة للأختيار،

يتسم الاختيار في بدء تكوين الجماعة بالعمومية، فيختار الفرد نفس الأفراد الآخرين لكل نوع من أنواع الأنشطة التي يبحث لها عن زميل يشاركه فيها. ومعنى هذا أن الفرد يختار نفس الأفراد لمشاركته في هوایاته، وفي عمله، وفي مقعده.

وعندما تزداد معرفة الفرد لأفراد جماعته الصغيرة التي يتمي لها فإنه يصبح بعد ذلك قادرا على أن يميز بين من يصلح لصاحبه في هوایات أوقات الفراغ، ومن يصلح لتعاونه معه في عمله، ومن يأنس لرفقته إذا شاركه مقعده الذي يجلس فيه في حجرة الدراسة.

وقد دلت نتائج الأبحاث المختلفة على أن نسبة علاقات التبادل تصل إلى ٧٠٪ في الاختيار الذي يستهدف تحديد رفقاء هوایات أوقات الفراغ، وأنها تهبط إلى ٣٥٪.

(1) Whyte, W. F. Street Corner Society: The Social Structure of an Italian Slum. Chicago, Univ. of Chicago Press, 1943.

(2) Loomis, C. P. and Davidson, D. D. Sociometrics and the study of new rural communities Sociometry. 1939. 2. pp. 56 - 76.

في الاختيار الذي يستهدف تحديد زملاء العمل. وأن التوزيع الإحصائي لاختيار رفقاء الهوايات يميل إلى الانتشار بانتظام بين جميع أفراد الجماعة^(١).

وتكثر العلاقات المتبادلة أيضاً بين اختيار المشاركة في مقاعد الجلوس أكثر مما تشير بين اختيار من يصلح لزعامة الجماعة^(٢).

ثانياً - الاختبار السوسيومترى وطرق تسجيل نتائجه:

(١) الأسئلة السوسيومترية:

صيغت أسئلة الاختبار السوسيومترى منذ نشأته الأولى لتكتشف عن خصائص الفرد والجماعة التي يتمتع بها من حيث العمل الذي تؤديه، والوظيفة التي تتحققها، والنشاط الذي تمارسه.

وعلى سبيل المثال أصبحت الصيغة الشائعة للسؤال في الدراسات السوسيومترية للفصل المدرسي هي «من تريد أن يجلس إلى جوارك». «ومن لا تريد أن يجلس إلى جوارك في معدك».

وقد يتسع مجال السؤال في الاختيار المتعدد ليكشف عن الإدراك الاجتماعي للفرد فيطلب من كل طالب أن يكتب أسماء من يظن أنهم يميلون إليه، وأسماء من يظن أنهم لا يميلون إليه^(٣).

وبذلك يمكن أن نلخص هذا النوع من الأسئلة فيما يلى:

- اذكر أسماء من تميل إليهم.
- اذكر أسماء من لا تميل إليهم.
- اذكر أسماء من تظن أنهم يميلون إليك.
- اذكر أسماء من تظن أنهم لا يميلون إليك.

وللفرد في هذا النوع من الاختيار المتعدد أن يذكر أي عدد من الأسماء. ومن حق الباحث أن يحصر هذا العدد في واحد أو اثنين أو ثلاثة أو ما يزيد على ذلك، إن أراد الحصول على بيانات أوفى وأشمل عن البنية الداخلية للجماعة وعن الإدراك الاجتماعي لكل فرد من أفرادها.

(1) Jennings, H. H. Leadership and Isolation. N. Y. Longmans, Green. 1950.

(2) Griswell, J. H. Sociometric methods in personnel administration Sociometry, 1949, 12, 287 - 300.

(3) Taguiri, R. Relational analysis; an extension of sociometric method with emphasis upon social perception. Sociometry 1952, X V, PP. 91 - 10.

(ب) شروط الاختبار السوسيومترى:

يحدد مورينو الشروط التي يجب اسراعاتها عند استخدام الاختبار السوسيومترى في التواحى التالية:

- ١ - أن يتم الاختبار في جماعة صغيرة محددة (تحديد الجماعة).
- ٢ - أن يختار الفرد أو يرفض من يشاء من أفراد جماعته دون التقييد بعدد محدود، وإن كان المتبع والشائع الآن هو أن يكون عدد الأفراد المختارين أو المرفوضين من فرد واحد إلى ثلاثة، وقد يمتد هذا العدد في بعض الحالات إلى خمسة (حرية الاختيار).
- ٣ - أن يكون الاختيار والرفض بالنسبة لصفة محددة مثل المشاركة في رحلة أو في عمل أو في غير ذلك من الأنشطة المختلفة (تحديد الموقف).
- ٤ - أن نستخدم نتائج القياس الاجتماعي في إعادة تنظيم الجماعة بما يحقق لأفرادها أعلى مستوى من التوافق (إعادة بناء الجماعة).
- ٥ - أن تتحقق سرية الاختيار لتتحقق بذلك حرية كل فرد في إبداء رأيه وإصدار حكمه (سرية الإجابة).
- ٦ - أن يكون الموقف الذي يتم فيه الاختيار أو الرفض موقفاً واقعياً (واقعية الموقف).

ثالثاً - الشبكة الاجتماعية وعلاقاتها السوسيومترية:

(أ) الشبكة الاجتماعية:

المتابع في الاختبار السوسيومترى أنه لا يقيد حرية الفرد في اختياره لمن يشاء. والشائع أن يكون حد الاختيار ٣ وقد يمتد إلى ٥. لكن هذا لا يمنع مطلقاً من تحديد الاختيار بفرد واحد وخاصة إذا كان الهدف هو تبسيط عملية الاختيار في أول تطبيق للاختبار السوسيومترى على جماعة صغيرة حديثة التكوين لم يعرف أفرادها بعضهم البعض المعرفة الكافية. أو إذا كان الهدف هو شرح بعض خصائص الطريقة السوسيومترية كما هو الحال في تحليلنا التالي لأنواع العلاقات السوسيومترية كما تتضمن في شبكة العلاقات الاجتماعية، والمصفوفة التي تلخص تلك العلاقات تلخيصاً رقمياً.

والمثال التالي يوضح العلاقات السوسيومترية لجماعة صغيرة مكونة من ١٥ طالباً من طلاب كلية التربية بجامعة عين شمس حيث طلب من كل طالب أن يختار أقرب الأصدقاء إلى نفسه من بين أفراد تلك الجماعة.

والجدول التالي يبين نتائج الاختيار حيث تدل بيانات العددية على أن الطالب رقم ١ اختار الطالب رقم ٨ وأن الطالب رقم ٥ اختار الطالب رقم ١٢ وهكذا تتابع بيانات هذا الجدول حتى تصل إلى نهايته عندما يختار الطالب رقم ١٥ الطالب رقم ١٠ .

رقم الطالب	الاختيار	رقم الطالب	الاختيار	رقم الطالب	الاختيار
١	٨	٦	٩	١١	١٣
٢	٥	٧	١٠	١٢	١٠
٣	٨	٨	١٠	١٣	٨
٤	٨	٩	٦	١٤	٨
٥	١٢	١٠	١٠	١٥	١٠

اختيار كل طالب لأقرب الأصدقاء إلى نفسه

فإذا رمزنا لكل طالب بدائرة تحمل رقمه، ورمزنا للاختيار بخط يصل ما بين كل طالبين ورمزنا لاتجاه الاختيار بسهم في نهاية كل خط ثم سجلنا هذه الرموز المختلفة تسجيلاً يوضح تكوينها فإننا نصل بذلك إلى الشبكة الاجتماعية لجماعة الطلبة كما يبدو ذلك في الشكل التالي .

وتكون هذه الشبكة من ذرات اجتماعية^(١)، ويتوسط كل ذرة فرد يعد بمثابة نواة لها ويحيط بها أفراد آخرون . ومن أمثلة هذه الذرات الاجتماعية الطالب رقم ٨ والأرقام التي تدور في فلكه مؤثرة فيه أو متأثرة به . وهذا يعني الأرقام ١ ، ١٣ ، ٤ ، ٣ ، ١٤ . ١٠ . وتتصل كل ذرة بالذرات الأخرى اتصالاً يؤلف منها تنظيماً متناسقاً يسمى الشبكة الاجتماعية^(٢) . ويطلق على التكوين الكلى الذى يشتمل على الذرة بعلاقاتها المباشرة، وعلاقاتها البعيدة اسم حجم المعرف^(٣) . ومن أمثلته فى هذه التجربة التنظيم الذى يشتمل على الذرة الاجتماعية للطالب رقم ٨ فى علاقاته المباشرة السابقة، وفي علاقته غير المباشرة بالطالب رقم ١١ الذى يرتبط به عن طريق الطالب رقم ١٣ .

Social atom

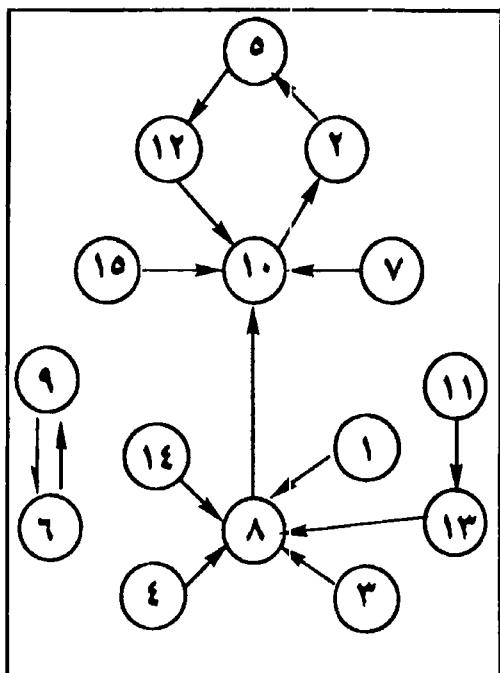
Social network

Acquaintance volume

(١) الذرة الاجتماعية

(٢) الشبكة الاجتماعية

(٣) حجم المعرف



الشبكة الاجتماعية بجامعة مؤلفة من ١٥ طالبا

(ب) أهم أنواع العلاقات السوسيومترية:

تكشف الشبكة الاجتماعية عن أهم أنواع العلاقات السوسيومترية. وسنبين فيما يلى خصائص تلك العلاقات وأنواعها الرئيسية التى تتلخص فى المتبادلة، والمركزية، والمتابعة، والدائمة، والمفردة.

١- العلاقات المتبادلة (المزدوجة):

وتبدو فى تبادل التأثير والتأثر وتبادل الاختيار مثل العلاقة المتعددة بين ٦ ، ٩ ، ٦ ولقد رمزنا لهذا التبادل بخطين فى نهاية كل خط سهم يتوجه مرة من ٩ إلى ٦ ويتجه مرة أخرى من ٦ إلى ٩ وقد سبق أن بينا هذا النوع من العلاقات بالتفصيل فى الفصل السابق وهو فصل العلاقات الاجتماعية المتبادلة.

وانتشار هذا النوع من العلاقات يؤدى إلى ضعف التماسك الداخلى للجامعة، ويصل مثل هذا التماسك إلى نهايته الصغرى عندما تنحلّ الجامعة كلها إلى جماعات ثنائية.

وتعد العلاقات الثنائية المتبادلة الركن الرئيسي فى دراسات علم النفس الاجتماعى لأنها وحدة التحليل، وأبسط وأصغر صور الجماعات.

٢- العلاقات المركزية:

تبعد العلاقات المركزية في اختيار الجماعة لفرد واحد منها، كمثل اتجاه علاقات ١، ١٣، ٣، ٤، ١٤ نحو ٨ واتجاه علاقات ٨، ٧، ١٢، ١٥ نحو ١٠. وتسفر هذه العلاقات عن زعامة ٨ وزعامة ١٠. وتسفر أيضاً عن احتمال تفوق ٨ على ١٠ لأن العلاقات التي تتجه نحو ٨ تزيد على العلاقات التي تتجه نحو ١٠. لكن ٨ يتأثر بـ ١٠ وبيدو ذلك في اختيار ٨ لـ ١٠. ولهذا فإن زعامة ٨ تستمد بعض قوتها من ١٠.

ولهذه العلاقات أهميتها البالغة في معرفة التجمعات الداخلية للجماعة، واكتشاف أنواع الجماعات الفرعية التي تنقسم لها الجماعة، وذلك لأن ١، ١٣، ٣، ٤، ١٤، جماعة فرعية يتزعمها ٨. وقس على ذلك الجماعات الفرعية الأخرى.

٣- العلاقات المتابعة:

تبعد العلاقات المتابعة في تتابع اختيار الأفراد. ومثال ذلك ١١، ٨، ١٣، ١٠، ويساعد هذا التتابع على انتشار الإشاعات بسرعة داخل الجماعة. ولذلك يصلح هذا النوع من العلاقات لدراسة الإشاعات دراسة علمية تسفر عن العوامل التي تساعد على الانتشار والعوامل التي تعوقه، وذلك لأن ١١ ينقل أخباره إلى ١٣ وهذا ينقلها بدوره إلى ٨ وهكذا يستمر سريران الإشاعة.

٤- العلاقات الدائرية:

مثل العلاقات الدائرية كمثل العلاقات المتابعة، تبدأ من فرد وتنتقل إلى فرد آخر، وتظل في انتقالها، لكنها تختلف عن العلاقات المتابعة في أنها تعود ثانية لنفس الفرد الذي منه بدأت. ومثال ذلك ١٠، ٢، ٥، ١٢، ١٠.

ويساعد مثل هذا النوع من العلاقات على قياس نسبة المبالغات التي يضيفها كل فرد أثناء انتشار الإشاعة، وذلك لأن مصدر الإشاعة يصبح بعد انتشارها هدفاً لها لأنها تعود إليه مرة أخرى بعد اكمال دورتها.

٥- العلاقات المنفردة:

يبعد هذا النوع من العلاقات في فشل الفرد في اجتذاب الأفراد الآخرين نحوه في آية صورة كانت. ومثال ذلك ١، ٣، ٤، ٧، ١١ وهؤلاء الأفراد يعيشون على هامش الجماعة يختارون الآخرين ولا يختارهم أو يرغب فيهم أحد. وهم لذلك يسخرون عن قصور ونقص في التكيف الاجتماعي وقد يؤدي هذا الفشل إلى السلوك اللاسوسي.

رابعاً - مصروفات العلاقات السوسيومترية

بالرغم من بساطة الشبكة الاجتماعية وسهولة رصد نتائجها ووضوح علاقتها، إلا أنها لا تصلح في كثير من نواحيها للتحليل الإحصائي لنتائج الاستجابات السوسيومترية. من أجل ذلك ظهرت الحاجة لرصد النتائج السوسيومترية في مصروفه بين عمودها الرأسى الأول أسماء الأفراد وبين سطراها الأفقي الأول اختيار هؤلاء الأفراد، وتسجل خلاياها نوعية اختيار كل فرد من أفراد الجماعة لغيره من الأفراد الآخرين.

وسبعين فيما يلى أهم تلك المصروفات وخصائص كل مصروفه:

(أ) مصروفه البھي:

يقترح فؤاد البھي طريقة جديدة في القياس الاجتماعي تعتمد في جوهرها على تسجيل اختيار الأفراد بعضهم البعض في مصروفه توضح هذا الاختيار. وت تكون المصروفه من أعمدة رأسية طولية وسطر آخرى أفقي مستعرضة. ويوضع العمود الرأسى الأول الأرقام التي تدل على الأفراد؛ ويوضع السطر الأفقي الأول أرقام الاختيار.

وتدل المربعات التي تتكون من تقاطع الأعمدة الرأسية والسطور الأفقيه على توزيع الاختيار كما في الشكل التالي. وتدل أرقام السطر الأفقي الأخير على مجموع الأفراد الذين اختاروا فردا ما.

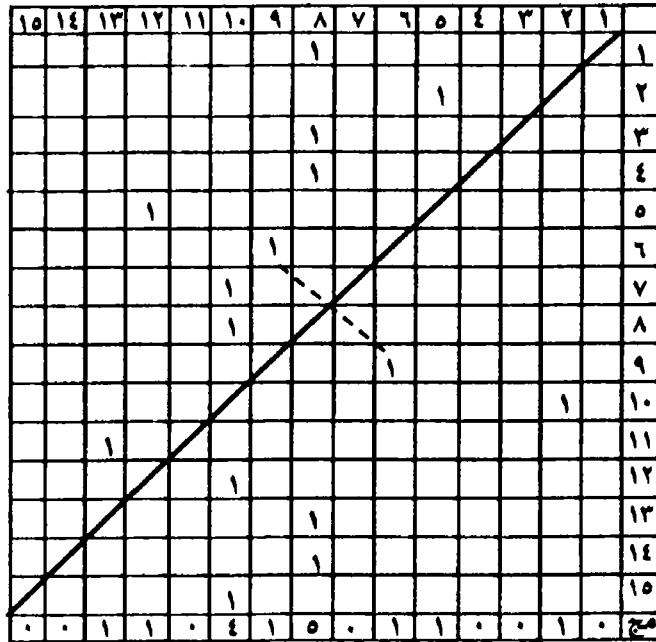
ويمتاز هذه المصروفه عن شبكة العلاقات الاجتماعية في أنها:

- أسرع من الشبكة في تسجيل العلاقات الاجتماعية.
- تلخص العلاقات في صورة رياضية تصلح للتحليل الدقيق.
- تصلح لتسجيل استجابات الجماعات الكبيرة نسبيا.

ويمتاز أيضا عن طريقة كاتز Katz وطريقة فستنجر (1) Festinger في بساطتها ووضوحها وشمولها.

ويتكون البناء الداخلى لمصروفه العلاقات الاجتماعية من مربعات شاغرة، ومربعات أخرى تحمل رقم 1. فأما الشاغرة فلا تدل على أية علاقة مباشرة. فالربيع

(1) سيأتى بيان هذه المصروفات فيما بعد.



مصفوفة البھی للعلاقات السوسيومترية

الناتئ من تقاطع رقم ٢ رأسى ورقم ٤ أفقى لا يدل على علاقة مباشرة تحدد اختيار ٢ لـ ٤ . وأما المربعات الداخلية التي تحمل رقم ١ فتدل على اختيار فرد لفرد آخر . فالمربع الناتئ من تقاطع رقم ٣ رأسى ورقم ٥ أفقى على اختيار ٢ لـ ٥ .

وتدل مربعات قطر المصفوفة الذى يبدأ من ركnya العلوى الأيمن ويتنهى عند ركnya السفلى الأيسر ، على اختيار الفرد لنفسه ، كمثل المربع الناتئ من تقاطع رقم ٢ رأسى ورقم ٢ أفقى . وتبقى هذه المربعات دائمًا شاغرة ما دامت لا تسمع للفرد باختيار نفسه .

(ب) مجالات استخدام مصفوفة البھی:

يمكن الإفادة من مصفوفة البھی فى دراسة بعض النواحي الهامة للعلاقات السوسيومترية وللبنيّة الداخلية للجامعة . وتتلخص أهم تلك المجالات فيما يلى :

- تحليل مجموع العلاقات كما يبدو ذلك في السطر الأخير للمصفوفة .
- دراسة تناسق توزيع الاختيار حول قطر المصفوفة .
- دراسة العلاقات الموجبة وال العلاقات السالبة .

وسنبين فيما يلى كل ناحية من هذه النواحي بالتفصيل .

١- تحليل مجموع العلاقات.

تدل الدراسة الدقيقة للأرقام ١، ٣، ٤، ٧، ١١، ١٤، ١٥ على أنها تمثل علاقات متفرقة كما يتضح ذلك من شكل الشبكة الاجتماعية. أي أن أحدا لم يختر أي فرد من هؤلاء الأفراد. ولذلك أصبح مجموع العلاقات التي تتجه نحوها مساويا للصفر كما تدل على المصفوفة.

فإذا كان مجموع الاختيار مساويا للصفر دل ذلك على علاقة منفردة.

ويدل المجموع على أن أكبر اختيار يساوى ٥ ويقترب هذا العدد برقم ٨. أي أن عدد الأفراد الذين اختاروا رقم ٨ يساوى ٥. وأن مجموع الأفراد الذين اختاروا رقم ١٠ يساوى ٤. فزعماء ٨ تفوق زعامة ١٠. وبما أن ٨ اختار ١٠ كما يدل على ذلك الواحد الصحيح الموجود في المربع الناشئ من تقاطع ١٠ الرأسى و ٨ الأفقى. إذن فزعماء ٨ تعتمد على ١٠.

وهكذا تسفر المصفوفة بتكونها هذا عن الزعامات المختلفة.

وهي تسفر أيضا عن تكوين الجماعات الفرعية الداخلية. برقم ٨ يمثل جماعة فرعية تتكون منه ومن ١، ٣، ٤، ١٣، ١٤ كما تدل على ذلك المربعات الناشئة من تقاطع ٨ الرأسى مع الأرقام الأفقية السابقة.

ويؤدي بناء هذا التحليل إلى الجدول التالي الذي بين مجموع العلاقات السوسيومترية في المصفوفة وأنواعها ومعناها.

معناها	نوعها	مجموع علاقات
قد تؤدى إلى السلوك اللاسوسي	منفردة	صفر
نقط ارتكاز التماسك الجماعي	اختيار فرد لفرد آخر	١
جماعة فرعية مكونة من هردين وزعيم	اختيار هردين لفرد ما	٢
..
جماعة فرعية مكونة من ن من الأفراد وزعيم	اختيار من الأفراد لفرد واحد	ن

مجموع العلاقات السوسيومترية في المصفوفة وأنواعها ومعناها

٢- تناسق توزيع الاختيار

إذا رمزاً لأى فردٍ في جماعة ما بالرمزين (أ)، (ب) وإذا كان (ب) هو اختيار (أ) وكان (أ) هو اختيار (ب) فإننا نحصل بذلك على علاقة متبادلة. وإذا افترضنا أن جميع علاقات الجماعة التي ندرسها تدور كلها حول هذا النوع من العلاقات فإننا نحصل بذلك على مصفوفة متتناسبة بالنسبة للقطر. وبذلك يدل التناسب على تبادل العلاقات، وترتبط درجة تناسب الجماعات بقلة أو بكثرة العلاقات المتبادلة. ويمكننا توضيح اكتمال التناسب بالمصفوفة المبينة في الشكل التالي. ويبدو تناسقها في انتظام توزيع الاختيار حول القطر ويسمى هذا النوع بالتناسب المزدوج لأنه يقوم على تبادل علاقات شكل فردين.

وتؤدي كثرة العلاقات المتبادلة إلى انحلال الجماعة. ذلك لأنها تدل دلالة واضحة على انعدام التماسك الجماعي العام.

وهكذا تستطرد بنا هذه الدراسة وتنمو إلى تحليل مصفوفة العلاقات الاجتماعية للبحث عن التناسب الدال على التبادل. ويسفر هذا البحث عن وجود علاقات متبادلة بين ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ والشكل التالي يؤكد صحة هذه النتيجة.

٦	٥	٤	٣	٢	١	
				١	١	
					١	٢
			١			٣
				١		٤
						٥
١						٦
	١					

مصفوفة تناسب توزيع الاختيار

٣- العلاقات الموجبة والعلاقات السلبية

تصلح مصفوفات العلاقات الاجتماعية لدراسة التفوري كما صلحت لدراسة الألفة، وذلك بأن ترمز لاختيار التفوري بـ (-1) كما رمزاً لاختيار الألفة بـ (+1) وهكذا يتغير الواحد الصحيح الوجب المترشح في المربعات الداخلية للمصفوفة إلى الواحد الصحيح السالب.

هذا وقد تجمع بين الناحيتين في مصفوفة واحدة لمهد بذلك لدراسة نواحي الألفة والنفور معاً.

(ج) مصفوفة فورسيث وكاتز:

يقترح فورسيث⁽¹⁾ Katz إعادة ترتيب أرقام الأفراد بحيث يسفر الترتيب الجديد عن الجماعات الفرعية التي يمكن أن تنقسم إليها الجماعة.

ويعتمد هذا الترتيب الجديد على محاولة تجميع المربعات الدالة على الاختيار حول قطر المصفوفة. وهذا يعني، من الناحية الرياضية إعادة ترقيم وترتيب الأفراد لتصغير مربعات الانحرافات العمودية لتلك المربعات من قطر المصفوفة.

ويعيّب هذه الطريقة المشقة والعناد والخطوات الرياضية المعقدة التي تستلزمها للوصول إلى نتائج لا تبلغ قيمتها الأهمية التي تضطر الباحث إلى تحمل تلك الصعوبات.

ولهذا نكتفى هنا بالإشارة إليها، وعلى الراغبين في دراستها دراسة عميقة أن يرجعوا إلى بحث فورسيث وكاتز.

(د) مصفوفة فستنجر:

يعتمد فستنجر⁽²⁾ في مصفوفته السوسيومترية على تربع المصفوفة، وتكتبيها، ورفعها إلى الأس الرابع والخامس وهكذا.

ويدل مربع المصفوفة على العلاقات المتتابعة الثنائية غير المباشرة. ومثال ذلك اختيار (أ) لـ (ب) ثم اختيار (ب) لـ (ج). فعلاقة (أ) بـ (ب) علاقة متتابعة ثنائية غير مباشرة.

ويدل مكعب المصفوفة على العلاقات المتتابعة الثلاثية غير المباشرة. مثل اختيار (أ) لـ (ب) ثم اختيار (ب) لـ (ج) ثم اختيار (ج) لـ (د). فعلاقة (أ) بـ (ب) علاقة متتابعة ثلاثة.

ويستطرد بنا التحليل لنصل إلى أن رفع المصفوفة للأس الرابع يسفر عن العلاقات المتتابعة الخمسية غير المباشرة. وهكذا تستمر الدراسة حتى تصل إلى تحليل أبعد علاقة متتابعة موجودة.

(1) Forsyth, E., and Katz, L. A matrix approach to the analysis of sociometric data, preliminary report Sociometry, 1946, 9, pp. 240 - 347.

(2) Festinger, L. The analysis of sociograms using matrix algebra. Human Relations, 1949, 2, pp. 153 - 158.

وهكذا نرى أن أهمية هذه الطريقة تلخص في اكتشاف العلاقات المتتابعة، وتلك بدورها تؤدي إلى دراسة مسار الإشعاعات.

وباستخدام طريقة فستنجر في دراسة نتائج التجربة التي أجريت على جماعة طلبة كلية التربية نحصل على مربع مصفوفة العلاقات الاجتماعية كما في الشكل التالي :

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
															١
															٢
															٣
															٤
															٥
															٦
															٧
															٨
															٩
															١٠
															١١
															١٢
															١٣
															١٤
															١٥
															مج
٠	٠	٠	١	٠	٦	١	١	٠	١	١	٠	٠	٤	٠	٥

مصفوفة فستنجر

وتدل دراسة هذه المصفوفة على أن رقم ١ رأسى لا يسفر عن أية علاقة متتابعة غير مباشرة ثنائية تتجه نحوه. وأن رقم ٢ رأسى يسفر عن أربع علاقات ثنائية غير مباشرة تتجه إليه. فهو إذن يتصل اتصالاً ثنائياً بالأرقام ٧، ٨، ١٢، ١٥ ويمكن التأكيد من صحة هذه النتيجة بالرجوع إلى شبكة العلاقات السوسيومترية لجامعة طلبة كلية التربية كما يبدو ذلك في الشكل السابق.

وهكذا يستطرد بنا التحليل حتى نكتشف كل العلاقات المتتابعة كما تبدو في مربع المصفوفة.

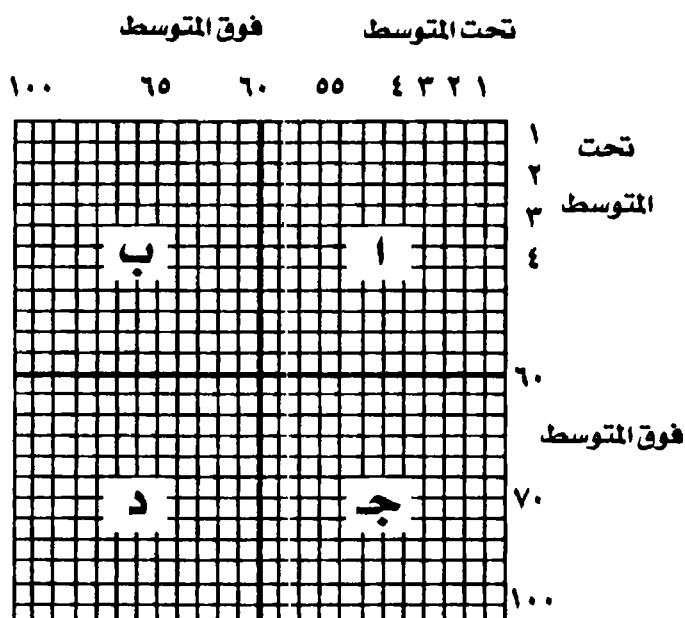
هذا ويجب أن يحترس الباحث من قطر مربع المصفوفة، فهو لم يعد شاغراً كما كان سابقاً. فوجود الواحد الصحيح في تقاطع ٦ رأسى مع أفقى لا يعني علاقة ثنائية متتابعة وإنما يعني أن رقم ٦ يرتبط ارتباطاً ازدواجياً تبادلياً مع رقم آخر. وجود الواحد في تقاطع ٩ رأسى مع ٩ أفقى يدل على نفس الظاهرة. ولقد نشأت هذه الظاهرة من العلاقة المتبادلة بين ٦ - ٩ وذلك لأن ٦ يختار ٩ وهذا يعود بدوره ليختار ٦. ولهذا تبدو هذه العلاقة وكأنها ثنائية متتابعة.

Criterion Socio matrix

المصفوفة السوسيومترية ذات المحك

اقرحت هذه المصفوفة في دراسة سابقة (سعد عبد الرحمن سنة ١٩٦٣) وتحتفل عن المصفوفات السابقة في أنها تأخذ في اعتبارها المتغيرات الشخصية، التي تؤدي إلى الاختيار السوسيومترى وذلك بالإضافة إلى اتجاه الاختبارات والبناء الداخلى للجماعة.

وتعتمد هذه المصفوفة على فكرة ترتيب أفراد الجماعة حسب درجاتهم في (محك) معين مثل درجات الذكاء أو أي سمة من سمات الشخصية وذلك على قمة المصفوفة وعلى حافتها اليمنى بحيث يبدأ بالدرجة الأقل (رقم ١) وتنتهي بالدرجة الأعلى رقم (١٠٠) على سبيل المثال ثم تحسب الدرجة المتوسطة وتقسم المصفوفة إلى أربع مساحات كما يلى:



لنفرض أن الفرد رقم (٦٠) هو صاحب الدرجة المتوسطة وذلك بوضع خط أفقى وأخر رأسى بعد هذا الفرد.

لاحظ أن الجماعة على الحافة اليمنى للمصفوفة حيث يعطون الاختبارات وهم أنفسهم أى الجماعة على قمة المصفوفة حيث يتلقون الاختبارات. فلو أن هناك نقطة في المربع المحصور بين الفرد (١) على اليمين والفرد (٤) على قمة المصفوفة فإن هذا يعني أن الفرد (١) اختار الفرد (٤) وكلاهما تحت المتوسط في المحك أو المعيار.

ولو كانت هناك نقطة في المربع المحصور بين الفرد رقم (٣) على اليمين والفرد رقم (٦٥) على قيمة المصفوفة فإن هذا يعني أن الفرد رقم (٣) تحت المتوسط قد اختار الفرد رقم (٦٥) فوق المتوسط، ولو كانت هناك نقطة في المربع المحصور بين الفرد رقم (٧٠) على اليمين والفرد رقم (٥٥) على قيمة المصفوفة بهذا يعني أن الفرد رقم (٧٠) فوق المتوسط قد اختار الفرد رقم (٥٥) تحت المتوسط.

ولو كانت هناك نقطة في المربع المحصور بين الفرد رقم (٧٥) على اليمين والفرد رقم (٨٥) على قيمة المصفوفة فإن هذا يعني أن الفرد (٧٥) قد اختار الفرد رقم (٨٥) وكلاهما فوق المتوسط.

وبهذا تكون المنطقة (أ) حيث يختار الأفراد تحت المتوسط فيما بينهم، والمنطقة (ب) حيث يختار الأفراد دون المتوسط من الأفراد فوق المتوسط، والمنطقة (ج) حيث يختار الأفراد فوق المتوسط دون المتوسط، والمنطقة (د) حيث يختار الأفراد فوق المتوسط فيما بينهم.

ولتحليل نتائج هذه المصفوفة تحسب تكرارات الاختيارات كما في المثال التالي:

		تحت المتوسط	فوق المتوسط	
		تحت المتوسط	فوق المتوسط	
تحت المتوسط	تحت المتوسط	١٥	٤٠	
	فوق المتوسط	٢٥	١٠	
	١٠٠			

ثم نستخدم إحصاء (كا٢)

$$\text{لحساب التكرارات المتوقعة في المنطقة } A = \frac{n^2}{n}$$

حيث $n_1 = \text{عدد الأفراد دون المتوسط} = ٦٠$

$n = \text{نوع عدد الجماعة الكلية} = ١٠٠$

(التكرارات الملاحظة هي ٤٠).

$$\therefore ٦٠ \times \frac{٦٠}{١٠٠} = ٣٦$$

$$\text{والتكرارات المتوقعة في المساحة ب} = \frac{n_1 \times n_2}{n}$$

حيث $n =$ عدد الأفراد فوق المتوسط = 40

(التكرارات الملاحظة هي 15)

$$\therefore \frac{24}{100} = 0.24$$

وعليه يصبح كا٢ كما يلى:

$$Ka^2 = \frac{\frac{2(15 - 24)}{24}}{36} + \frac{\frac{2(40 - 36)}{36}}{36}$$

هذا بالنسبة لفئة دون المتوسط.

ونعود ونحسب الآن كا٢ لفئة فوق المتوسط كما يلى:

$$\text{التكرارات المتوقعة في المساحة (ج) } = \frac{n}{N} \times 25$$

$$= \frac{60 \times 40}{100} = 24 \quad (\text{التكرارات الملاحظة هي 10})$$

$$\text{التكرارات المتوقعة في المساحة (د) } = \frac{25}{N}$$

$$= \frac{40 \times 40}{100} = 16 \quad (\text{التكرارات الملاحظة هي 25})$$

$$\therefore Ka^2 = \frac{\frac{2(25 - 16)}{16}}{24} + \frac{\frac{2(10 - 24)}{24}}{24}$$

ومن هذه النتائج يتضح أن هناك علاقة أكيدة بين الاختيارات الاجتماعية (السوسيومترية) وبين المحك الذي تم ترتيب الجماعة بناء عليه (لاحظ الدالة الإحصائية لعامل كا٢).

خامساً: المؤشرات الإحصائية للاستجابات السوسيومترية:

تعنى المؤشرات الإحصائية المقاييس التي تبين مدى صلاحية نتائج القياس للتحليل والدراسة. ومن أهم تلك المؤشرات الأوزان، ومدى اختلاف الاختيار المقصود عن الاختيار العشوائي وثبات الاستجابات السوسيومترية وصدقها.

وسنبين فيما يلى كل مؤشر من هذه المؤشرات وطريقة حسابه ومجالات استخدامه في البحث العلمي السوسيومترى.

(أ) أوزان الاختيار المتعدد:

الاختيار المتعدد هو الاختيار الشائع في الطريقة السوسيومترية. وتصاغ الأسئلة السوسيومترية لهذا النوع من الاختيار ب بحيث توضح ترتيب الاختيار، وذلك بأن يطلب

من كل فرد من أفراد الجماعة أن يكتب أكثر ثلاثة أفراد يميل إليهم وأن يبدأ بكتابه أقربهم إلى نفسه، ويعقب ذلك بن ميل إليه في درجة الميل ثم يتبعه إلى أقلهم ميلاً إليه. والمتبوع والشائع أن تحسب أوزان هذا الترتيب بحيث يصبح وزن الاختيار الأول ٣ وزن الاختيار الثاني ٢ وزن الاختيار الثالث ١.

لكن كامبل^(١) يعتقد هذه الطريقة على أساس أن الفرق بين الاختيار والاختيار الثالث يساوى الفرق بين الاختيار الثالث والثاني، وبين الثاني والأول، وأن هذا الافتراض خطأ لأن الأوزان هنا حسبت بطريقة الانتخاب، والأصح أن تحسب هذه الأوزان بحسبها للمنحنى الاعتدالى المعيارى حتى يصبح الفرق بين الاختيار والاختيار معنى له دلاته الإحصائية. ولذلك يفترض كامبل أن توزيع الصفة التى يختار الفرد على أساسها زملاءه توزيعاً اعتدالياً. ويستند إلى القيم الوزنية التالية للاختيار.

- الاختيار = صفر
- الاختيار الثالث = ٥
- الاختيار الثاني = ٧
- الاختيار الأول = ١٠

كما تدل على ذلك مصفوفة الاختيار المتعدد المبينة في الشكل التالي وتلخص هذه المصفوفة نتائج اختيار ١٠ أفراد من المشتركين بأحد مراكز الشباب بالقاهرة سنة ١٩٧١ وكانت أعمارهم تمتد من ١٢ سنة إلى ١٥ سنة.

ويدل السطر الأول في هذه المصفوفة على نتائج اختيار الفرد رقم ١ لبقية أفراد جماعته حيث كان الاختيار الأول للفرد رقم ٤ والاختيار الثاني للفرد رقم ٨ والاختيار الثالث للفرد رقم ٧. وتدل الأعمدة على ما حصل عليه كل فرد من اختيار زملائه له، فمثلاً حصل الفرد رقم ١ على الاختيارات التالية:

- اختياره رقم ٤ اختياراً ثانياً.
- و اختياره رقم ٧ اختياراً أولاً.
- و اختياره رقم ٨ اختياراً ثانياً.

وبذلك يصبح عدد الاختيار الأول له مساوياً للواحد الصحيح كما يدل على ذلك السطر الخاص بالاختيار الأول وهو السطر الخامس من نهاية المصفوفة. ويصبح الاختيار الثاني له مساوياً لـ ٢ كما يدل على ذلك السطر الخاص بالاختيار الثاني وهو السطر

(1) Campbell, D. T. A rational for weighing first, second and third sociometric choicea. In Moreno, J. L. The Sociometry Reader, Glenco, Illinois, 960, pp. 137 - 138.

الرابع من نهاية المصفوفة يصبح الاختيار الثالث له مساويا للصفر كما يدل على ذلك السطر الخاص بالاختيار الثالث، وهو السطر الثالث من نهاية المصفوفة. ويصبح مجموع الأفراد الذين اختاروا الفرد الأول ٣ أفراد، كما يدل على ذلك السطر الخاص بالمجموع وهو السطر الثاني من نهاية المصفوفة. وبما أن أوزان الاختبار هي ١٠ للأول، ٧ للثاني، ٥ للثالث. إذن المجموع الوزني لما حصل عليه الفرد الأول من اختيار زملائه له هو $(10 \times 1) + (7 \times 2) + (5 \times 0) = 24$

كما يدل على ذلك السطر الخاص بالمجموع الوزني، وهو السطر الأخير في المصفوفة.

الفرد المختار											الفرد الذي يختار
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١		
١	٣	٢	٣		٢	١					١
	١	٢		٣	١	٢	٣				٢
		٦			٢	١	٢	٣	١		٣
					٣	١	٢	٣	٢		٤
					٢						٥
											٦
											٧
											٨
											٩
											١٠
٢	١	١	-	١	-	٣	-	١	١		الاختيار الأول
-	-	٢	-	١	١	١	٣	-	٢		الاختيار الثاني
-	١	-	٢	١	٤	١	-	١	-		الاختيار الثالث
٢	٢	٣	٢	٣	٥	٥	٣	٢	٣		المجموع
٢٠	١٥	٢٤	١٠	٢٢	٢٧	٤٢	٢١	١٥	٢٤		المجموع الوزني

(مصفوفة الاختيار المتعدد)

(ب) الاختيار المقصود والاختيار العشوائى:

قام موريينو^(١) وجتنجز Jennings بتجربة طريقة تهدف إلى تبيان الفرق بين الاختيار المقصود والاختيار العشوائى، فطلب الباحثان من كل فتاة في جماعة مؤلفة من 21 فتاة أن تختار كل واحدة منها ثلاثة فتيات يلازمنها كرفقات لها على المائدة. ثم أعيدت نفس التجربة على 6 جماعات مماثلة للجماعة الأولى. ثم رصد الباحثان متوسط اختيار أفراد الجماعات السبع بالترتيب التالي: صفر، ١، ٢، ... بحيث يدل الصفر على فشل الفتاة في استشارة رفيقاتها لاختيارها، ويدل الواحد الصحيح على الفتيات اللائي اخترن مرة واحدة، وهكذا.

ثم أعيدت التجربة بعد ذلك على نفس الفتيات وطلب من كل منهن أن تختار زميلاتها بطريقة عشوائية، وذلك بأن تختار ثلاثة بطاقات من مجموعة البطاقات المقلدة المطلوبة حيث تدل كل بطاقة من تلك البطاقات على فتاة من فتيات الجماعة.

ولقد وضعت هذه البطاقة في حقيقة خاصة بطريقة عشوائية، وحذفت بطاقة الفتاة التي تختار رفيقاتها. ثم رصدت نتائج هذه التجربة بنفس طريقة المتوسطات التي رصدت بها التجربة السابقة. والجدول التالي يوضح بعض نتائج هذه التجربة.

نوع العلاقات الفردية	الاختيار المقصود	الاختيار العشوائى
منفردة	٥	١,٤
متبدلة	١٣,٤	٤,٣
متتابعة	٢,٣	٠,٩
دائرية	١	صفر
مركزية	٦,٦	٤,٧

الفرق بين الاختيار المقصود والاختيار العشوائى

(1) Moreno, J. I., and Jennings, H. H. Statistics of social configurations. Sociometry. 1983. 1. pp. 342 - 347.

وهكذا تدل نتائج هذه التجربة على أن الاختيار المقصود ليس اختياراً عشوائياً. هذا ويمكن أيضاً حساب الاختيار العشوائي بطريقة إحصائية وذلك عن طريق الاحتمالات ثم مقارنة الاختيار المقصود بالاختيار العشوائي.

(ج) العوامل التي تؤثر في ثبات الاستجابات السوسيومترية:

عكف موتون⁽¹⁾ وبليك Blake وفروشتر Fruchter على تحليل نتائج ٥٣ بحثاً سوسيومترياً للكشف عن العوامل التي تؤثر في ثبات الاستجابات السوسيومترية، وذلك باعتبار أن الثبات يقاس بمدى تقارب نتائج الاختيار إذا طبق الاختبار السوسيومترى مرتين على نفس جماعة الأفراد، وتحت نفس الظروف والشروط التي طبق بها في المرة الأولى. ويحسب الثبات عن طريق معامل ارتباط نتائج القياس الأول بنتائج القياس الثاني.

وقد انتهى الباحثون إلى تلخيص أهم نتائج تحليلهم فيما يلى:

- ١ - كلما زاد طول الفترة الزمنية بين التطبيق الأول لل اختيار، والتطبيق الثاني نقصت تبعاً لذلك القيمة العددية لمعامل الثبات.
- ٢ - كلما اقتربت أعمار أفراد الجماعة من سن الرشد، أي من ٢١ سنة، زادت تبعاً لذلك القيمة العددية لمعامل الثبات.
- ٣ - كلما طالت معرفة أفراد التجربة بعضهم البعض الآخر قبل تطبيق الاختبار السوسيومترى زادت تبعاً لذلك القيمة العددية لمعامل الثبات.
- ٤ - كلما زادت صلة موضوع الاختيار بما تمارسه الجماعة من نشاط، وما تقوم به من أفعال وأعمال زاد تبعاً لذلك معامل الثبات.
- ٥ - يزداد معامل الثبات تبعاً لزيادة دقة أسلوب التمييز. فمثلاً المقارنة الازدواجية أكثر دقة في الاختيار من مجرد الترتيب. وتتطلب عملية المقارنة الازدواجية إعداد قوائم بجميع أسماء أفراد الجماعة بحيث يشتمل كل سطر من سطور هذه القوائم على اسمين من أسماء أفراد الجماعة، وتشتمل قائمة أي فرد على اسمه. ويطلب من كل فرد أن يفضل بين كل اثنين فيختار أحدهما إليه أو من يريد أن يصاحب منها، وغير ذلك من أسس الاختيار. ثم يحسب ترتيب اختيار الفرد للأفراد الآخرين من تلك المقارنة الازدواجية.

(1) Mouton, J. S., Blake, R. R., and Fruchter, B. The reliability of sociometric measures. *Sociometry*. 1955, 1, 6 - 48.

- ٦ – كلما زاد عدد أفراد الجماعة زاد تبعاً لذلك معامل الثبات.
- ٧ – الاختيار الأول أكثر ثباتاً من الاختيار الثاني، والاختيار الثاني أكثر ثباتاً من الاختيار الثالث.
- ٨ – كلما زاد اعتماد الاختيار على الخصائص النفسية الاجتماعية للسلوك زاد تبعاً لذلك معامل الثبات.

(د) مدى صدق نتائج الاستجابات السوسيومترية:

تقاس درجة الصدق بمقدار ما يقيسه الاختبار من الصفة التي صمم لقياسها. فالمرة صادق في قياسه للأطوال وغير صادق في قياسه للأوزان.

والطريقة الإحصائية المتبعة في قياس صدق الاختبار بالنسبة لصفة معينة هي حساب معامل ارتباط نتائج ذلك الاختبار بنتائج اختبار آخر يقيس تلك الصفة. فإذا كان الارتباط مرتفعاً كان الصدق مرتفعاً والعكس صحيح.

وبما أن الاختبار السوسيومترى يقيس ما يمكن أن يتصل بين الناس من علاقات ويحدث بينهم من تفاعل، إذن تصبح عملية قياس الصدق واضحة وذلك عندما نستطيع أن نسجل ما يحدث فعلاً من تجمعات بين الأفراد وعلاقات وتفاعل، وأن تسجل أيضاً استجابات نفس هؤلاء الأفراد في ميلهم لأصدقائهم واحتيازهم لزمائهم. ثم نقارن نتائج الاختبار السوسيومترى بالتجمعات التي تحدث وما تنتهي عليه من علاقات وتفاعل. وتنتهي مثل تلك المقارنة إلى حساب الارتباط بين الألفة كما يريدها الفرد والألفة كما تحدث فعلاً، فإذا كان الارتباط مرتفعاً كان الصدق عالياً والعكس صحيح.

وتعد التجربة التي أجرتها بيرد^(١) سنة ١٩٤٦ من أهم التجارب الرائدة التي بينت بوضوح مدى ثبات الاستجابات السوسيومترية ومدى صدقها. ولقد قام الباحث بتطبيق اختبار سوسيومترى على أطفال تبلغ أعمارهم ٩ سنوات وسألهم سؤالاً واحداً هو بالتحديد «مع من تحب أن تلعب؟» وقد طلب الباحث بعد ذلك من كل طفل أن يلعب فعلاً مع من يحب ويميل إليه. وقد سجل الباحث تجمعات الأطفال في العابهم، ثم عاد وطبق الاختبار السوسيومترى بعد ذلك على نفس الأطفال بعد مضي ثمانية أسابيع. وقد حسب بيرد بعد ذلك معامل ارتباط نتائج الاختبار السوسيومترى الأول مع نتائج ملاحظاته التي سجلها عن تجمعات الأطفال أثناء لعبهم فحصل بذلك على معامل ارتباط يساوى ٠٧٦، وهذا الارتباط يدل على مدى صدق الاستجابات السوسيومترية وهو صدق مرتفع جداً فعلاً.

(١) Byrd, E. A study of validity and constancy of choices in a sociometric test Sociometry, 1946, IX, No. 2 - 3, 21.

وبحسب أيضاً معامل ارتباط نتائج الاختبار الثاني السوسيومترى مع نتائج ملاحظاته التي سجلها عن تجمعات الأطفال أثناء لعبها فحصل بذلك على ارتباط يساوى .٨٠ . ويدل هذا الارتباط على صدق الاستجابات السوسيومترية أيضاً وهو ارتباط مرتفع أيضاً، وبحسب الباحث أيضاً معامل ارتباط نتائج الاختبار السوسيومترى الأول مع نتائج الاختبار السوسيومترى الثاني فوجد أنه يساوى .٨٩ . وهذا يدل على مدى ثبات نتائج الاستجابات السوسيومترية، وهو ثبات مرتفع أيضاً.

وتواترت بعد ذلك نتائج الأبحاث السوسيومترية المتعددة والمختلفة لتأكيد صدق نتائج الاستجابات السوسيومترية في المدى القريب والمدى البعيد. وأصبح لهذا الصدق أهميته في التنبؤ بأهم المظاهر النفسية الاجتماعية للجماعات الصغيرة مثل مستوى الإنتاج، والروح المعنوية، والزعامة، والتماسك الجماعي.

طريقة جاردنر وتومسون في القياس السوسيومترى:

أشرنا بالتفصيل فيما سبق إلى طريقة مورينو ومعاونيه في القياس السوسيومترى، والآن نستعرض طريقة أخرى تعتبر أكثر دقة وقرباً إلى المعايير السوسيومترية والإحصائية.

لقد وصف جاردنر وتومسون هذه الطريقة سنة ١٩٥٦ وقد مهدا لها في كتاب صدر لهما في نفس السنة انتقاداً فيها طريقة مورينو وما ترتب عليها من بحوث ودراسات.

يقول الباحثان إن الدرجات السوسيومترية التي نحصل عليها من طريقة مورينو لا تكون موزعة توزيعاً اعتدالياً يقود إلى المعاجلة الإحصائية الصحيحة. وهذا أمر طبيعي إذ أنه من المتوقع أن يحصل البعض على درجات سوسيومترية عالية، والبعض الآخر على درجات أقل. ولكن فكرة الباحثين فيها الكثير من الصواب، وخاصة بعد وصف هذه الطريقة الجديدة.

ويقول الباحثان أيضاً أن معامل ثبات الدرجات السوسيومترية المشتقة من طريقة مورينو معامل قليل إذ يتراوح من .٣٧ ، .٣٩ . والحقيقة أن هذه هي طبيعة الاختبار السوسيومترى حيث إن الاختبارات تتغير من موقف إلى آخر شأنها في ذلك شأن مقاييس الاتجاهات، ويقول الباحثان أيضاً أن طريقة مورينو لا تصلح للجماعات الصغيرة حيث تصبح الاختيارات في هذه الحالة متراكمة مما يؤدي إلى الشك في صحتها.

ويخلص جاردنر وتومسون آراءهما بالنسبة لهذه الطريقة كما يلى:

١ - لابد أن يكون هناك إطار مرجعي يحدد الفرد عضواً في الجماعة اختياراً له بالرجوع إليه. وهذا في الحقيقة أمر صحيح لا يتوافر في طريقة مورينو.

٢ - يجب أن يتعلّق الإطار المرجعي بحاجة نفسية للفرد لا يمكن إثباتها إلا في موقف من مواقف التفاعل الاجتماعي وبمعنى آخر يجب أن يكون موقف الاختيار أو الرفض محدداً من الناحية النفسية بحيث تكون استجابة الفرد ذات دلالة فعلية.

٣ - يجب أن يكون مدى الاختيار محدداً في بدايته ونهايته بالنسبة لمجموعة أكبر من المجموعة التي يتبعها الفرد بشرط أن تكون المجموعة الكبيرة (المجموعة المرجعية) تتشابه في خصائصها مع المجموعة الصغيرة التي يختار منها الفرد.

٤ - يجب أن يختار كل عضو من أعضاء الجماعة الصغيرة أفراداً من الجماعة المرجعية لكن تحدد معاييره من الاختيار قبل أن يبدأ بالاختيار الفعلي من جماعته الصغيرة.

وللتخلص فإن جاردنر وتومسون يعتقدان أن الطريقة المثلث لقياس سوسومترية الجماعات الصغيرة هي استخدام جماعة مرجعية كبيرة لصناعة المقياس السوسومترى التي يتم بها الاختيار في الجماعة الصغيرة.

ويمكن إجراء طريقة جاردنر وتومسون كما يلى:

(أ) يعرض الباحث على الفحوص (غالباً ما يكون ذلك في مقابلة شخصية رسمياً) يوضح المنهج الاعتدالى، ويشرح له بالتبسيط معنى هذا المنهج حيث يكون طرفاً الظاهرة عند نهايتي المنهج ومتوسطها عند قمته.

(ب) يطلب الفاحص من المفحوص أن يحدد اسم الشخص الذي يحب أن يختاره كرفيق في رحلة علمية على سبيل المثال على أن يكون هذا الشخص من بين جميع الناس الذين قابلتهم في حياته سواء في جماعته الصغيرة هذه أو في جماعة أخرى، ويقوم بكتابة اسمه في أقصى اليمين من خط مستقيم يمثل المقياس المفروض عمله ولتكن الفرد (أ) ثم يطلب الفاحص من المفحوص أن يحدد اسم الشخص الذي لا يحب إطلاقاً أن يصاحبه في تلك الرحلة ، على أن يكون ذلك الشخص من بين أى جماعة قابلها في حياته ول يكن (ب) ويكتب اسمه عند أقصى اليسار.

وعلى نفس المنوال يطلب الفاحص تحديد اسم الفرد الذي يتوسط أ، ب ول يكن (ج) ثم الشخص الذي يأتي بين أ، ج ول يكن (س) وكذلك اسم الفرد الذي يأتي بين ج، ب ول يكن (ص).

بهذا يعتقد جاردنر وتومسون أن المقياس السوسيومترى قد تم بناؤه فعلاً وعلى ذلك يقوم الباحث بأن يطلب من المفحوص أن يضع أسماء جماعته الصغيرة فى الأمكنة المناسبة على هذا المقياس. ويرى الباحثان أن الدرجات السوسيومترية المشتقة تكون أكثر دقة من تلك المشتقة من طريقة مورينو، إذ أن هذه الدرجات تمحسب من المحنن الاعتدالى بطرق إحصائية متقدمة.

تعديل طريقة جاردنر وتومسون:

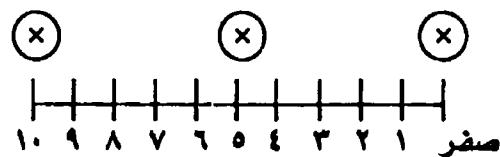
هناك ما يمنع هذه الطريقة من أن تكون مثالياً:

- فهي تعتمد على أسلوب المقابلة الشخصية وهذا يستهلك الكثير من الوقت والجهد لأن أسلوبها فردي في حين أن طريقة مورينو طريقة جماعية سهلة التطبيق.
 - تعليمات هذه الطريقة معقدة وصعبة بالنسبة للمفحوص العادى، إذ إنه ليس من المفروض أن يكون على درجة من الخبرة تمكنه من فهم خصائص المحنن الاعتدالى.
 - الدرجات المشتقة من هذه الطريقة دقيقة إحصائياً ولكنها تحتاج في حسابها إلى جهد رياضي خاص قد لا يكون في متناول الباحث العادى.
- وعلى ذلك تم تعديل هذه الطريقة (سعد عبد الرحمن ١٩٦٤) ويختلخص التعديل فيما يلى:

١ - استغنى نهائياً عن المحنن الاعتدالى وموضوع المقابلة الشخصية، وبذلك أمكن إجراء الطريقة المعدلة بصورة جماعية دون جهد يذكر.

٢ - بناء على ذلك تعدلت التعليمات فأصبح الاختبار السوسيومترى كما يلى:
أمامك خط مستقيم مقسم من صفر إلى ١٠ وعليك أن تتذكرة اسم الشخص الذى قابلته فى حياتك كلها وفي أي مكان والذى لا تحب أن تتعاون معه إطلاقاً. اكتب اسمه عند الرقم (صفر). ثم تذكرة اسم الشخص الذى قابله فى حياتك كلها وفي أي مكان وتحب جداً أن تتعاون معه واكتب اسمه عند الرقم (١٠) وبينما الطريقة اكتب اسم الشخص الذى يتوسط هذين الفردین عند الرقم (٥).

بعد ذلك اكتب اختياراتك من جماعتك الصغيرة فى المكان المناسب على نفس المقياس.



ثم يتم حساب الدرجة السوسيومترية لكل فرد على أساسأخذ الرتبة المتوسطة التي حصل عليها، ثم تحويلها إلى نسبة مئوية معيارية، ثم إلى درجة على مقاييس عشرى (جداول Hull)^(١).

سادساً - المعاملات السوسيومترية

تلخص المعاملات السوسيومترية نتائج قياس علاقة الفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالفرد، وما ينشأ بين الأفراد في الجماعة الصغيرة من تفاعل نفسى اجتماعى . وتحسب تلك المعاملات من المصفوفات السوسيومترية . وقد يتطلب حساب بعض تلك المعاملات إعداد مصفوفات ذات خواص معينة، مثل مصفوفة العلاقات الموجبة، والعلاقات السالبة، والعلاقات المحايدة .

وسنبين فيما يلى أهم تلك المعاملات كما تلخص فى : معامل انتشار العلاقات الاجتماعية، ومعامل استمرار الجماعة؛ ومعامل التماسك الداخلى، ومعامل توافق الفرد مع الجماعة ومعامل توافق الجماعة مع الفرد ومعامل جاذبية الجماعة .

(أ) معامل انتشار العلاقات الاجتماعية:

كلما ازداد عدد العلاقات الاجتماعية المنتشرة داخل الجماعة، ازداد تبعاً لذلك اتصال الأفراد بعضهم البعض الآخر، وزدادات دينامية التفاعل . ولذلك يمكن أن يستخدم معامل انتشار العلاقات الاجتماعية للكشف عن مدى خصوبية التفاعل النفسي الاجتماعي .

إذا طلب من كل فرد من أفراد الجماعة أن يختار من يشاء من زملائه دون أن يتقييد بعدد ما في اختياره هذا، أمكننا أن نعرف بطريقة إحصائية النسبة المئوية للانتشار وذلك بقسمة مجموع العلاقات الواقعية على النهاية العظمى لتلك العلاقات ثم ضرب الناتج في مائة .

وتختلف النهاية العظمى للعلاقات تبعاً لاختلاف عدد أفراد الجماعة . فالنهاية العظمى لمجموع علاقات الجماعة المؤلفة من فردین تساوى علاقتين فردتين . والنهاية العظمى لمجموع العلاقات الفردية للجماعة المؤلفة من ٣ أفراد تساوى ٦ علاقات . والنهاية العظمى لمجموع العلاقات الفردية للجماعة المؤلفة من ٤ أفراد تساوى ١٢ علاقة . وهكذا يستطرد بنا هذا التحليل إلى أن نصل إلى أن النهاية العظمى لمجموع العلاقات الفردية في الجماعة المؤلفة من n من الأفراد تساوى $[n(n - 1)]$ علاقة .

$$\text{إذن فمعامل انتشار العلاقات الاجتماعية} = \frac{\text{مجموع العلاقات الواقعية}}{n(n - 1)} \times 100$$

(١) سعد عبد الرحمن القياس النفسي: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي ١٩٩٨ .

فإذا دلت النتائج على أن المجموع الواقعي للعلاقات الفردية في جماعة رباعية هو
٩ علاقات فإن:

$$\text{معامل انتشار العلاقات الاجتماعية} = \frac{9}{\frac{75}{100} \times \frac{4}{(4-1)}}$$

ولهذا المعامل أهميته وفائدة في مقارنة الجماعات على أساس التفاعل النفسي الاجتماعي.

(أ) معامل استمرار الجماعة:

يقيس استمرار الجماعة باستمرار عضوية أفرادها، فكلما كثُرَ تغيير أعضائها، واستبدل بالأفراد القدامى أفراد جدد، ضعف استمرار الجماعة.

ويقترح هارتشون^(١). Hartshorne ميادلة للاستمرارية تقوم على معرفة عدد أفراد الجماعة قبل التغيير وبعده، وعدد الأفراد الذين قاوموا هذا التغيير.

فإذا رمزنا لعدد الأفراد قبل التغيير بالرمز (ق).

ورمزنا لعدد الأفراد بعد التغيير بالرمز (ب).

ورمزنا لعدد الأفراد الذين قاوموا التغيير بالرمز (س).

$$\text{إذن فمعامل استمرار الجماعة} = \frac{س}{ق + ب} \times 100$$

فإذا كان عدد الأفراد قبل التغيير ق = ٦

ثم فقدت الجماعة = ٢ من أفرادها.

فأصبح الباقى الذى قاوم التغيير س = ٤

ثم انضم للجماعة = ٦ أفراد

فأصبح عدد أفراد الجماعة ب = ١٠

$$\text{إذن فمعامل استمرار هذه الجماعة} = \frac{٤ \times ٢}{٦ + ١٠} \times 100 = ٥٠ \%$$

وعندما تتغير الجماعة تغيراً تاماً فلا يبقى فرد واحد من أفرادها القدماء، فإن معامل استمرار الجماعة يصبح مساوياً للصفر لأن س تساوى صفرًا.

(١) Hartshorne, E. Y. Metabolism and the annexation of Austria: A note on method. Amer. J. Social., 1940, 45, pp. 899 - 947.

(ج) معامل التماسك الداخلى:

تنقسم الجماعات بالنسبة لتماسكها الداخلى⁽¹⁾ إلى نوعين: جماعة داخلية، وجماعة خارجية. فكلما ازدادت العلاقات الموجبة التى تدور فى المحيط الداخلى للجماعة، ازداد التماسك الداخلى للجماعة. وكلما تشتت هذه العلاقات واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلى. وكلما كثرت العلاقات الموجبة التى تصدر من أفراد الجماعة الخارجية وتتجه صوب أفراد الجماعة الداخلية، ازدادت سعة هذا التماسك⁽²⁾.

فهناك، إذن، ثلاثة أنواع من العلاقات الموجبة التى تؤثر تأثيراً مباشراً فى تماسك الجماعة: داخلية - داخلية، داخلية - خارجية، خارجية - داخلية.

إذا رمزنا للعلاقات الداخلية بالرمز (د).

وللعلاقات الداخلية - الخارجية بالرمز (ه).

وللعلاقات الخارجية - الداخلية بالرمز (ل).

ولعدد أفراد الجماعة الداخلية بالرمز (ن).

ولأفراد الجماعة الخارجية الذين يستأثرون بالعلاقات الداخلية - الخارجية

بالرمز (م).

$$\text{إذن معامل التماسك الداخلى} = \frac{\frac{d + l}{n}}{\frac{h}{m}} = \frac{m(d + l)}{n h}$$

إذا كان عدد أفراد الجماعة الخارجية $m = 1$

وعدد العلاقات الداخلية - الداخلية $d = 17$

وعدد العلاقات الخارجية - الداخلية $l = 12$

وعدد أفراد الجماعة الداخلية $n = 6$

التماسك الداخلى

(1) Internal Cohesion

(2) Moreno, J. L., and Jennings, H. H. Statistics of Social configurations, Sociometry, 1938. pp. 367 - 374.

وعدد العلاقات الداخلية – الخارجية

هـ = ٦

$$\text{إذن معامل التماسك الداخلى} = \frac{\frac{29}{(12 + 17)}}{6 \times 6} = \frac{1}{36} = ,8$$

وتدل القيمة العددية لهذا المعامل على تماسك ضعيف لأن قيمته العددية تقل عن الواحد الصحيح. وتدل أيضاً على أن الفرد الخارجي الذي تتوجه نحوه العلاقات الداخلية – الخارجية قد يصبح بوضعه هذا منطقة قوية داخل المجال.

ويكفي أن نستطرد بهذا التحليل حتى نصل إلى الحدود العامة للجماعة، وإلى مناطق الجذب القوية، داخلية كانت أم خارجية، في ضوء هذه الدراسة.

(د) معامل توافق الفرد مع الجماعة

يدل معامل توافق الفرد مع بقية أفراد الجماعة على مدى إقباله عليهم أو نفوره منهم أو موقفه منهم موقفه الحياد. وتنطوي عملية حساب مثل هذا المعامل إعادة صياغة أسئلة الاختبار السوسيومترى لتسجيل إيجابية الألفة بـ + ١ وسلبية النفور بـ - ١ والحياد بصفر^(١).

وتلخص نتائج تلك الأسئلة في مصفوفة تبين أسطرها اختيار الفرد لبقية أفراد الجماعة إيجاباً وسلباً وحياداً صافرياً. وتبيّن أعمدة مثل تلك المصفوفة اختيار أفراد الجماعة لكل فرد منها إيجاباً وسلباً وحياداً صافرياً.

والمصفوفة التي يبيّنها الشكل التالي تدل على نتائج إجراء مثل تلك التجربة على جماعة مؤلفة من خمسة أفراد. وقد طلب إلى كل فرد من أفراد تلك الجماعة أن يكتب أمام أسماء الأفراد الآخرين نوع علاقته بهم: ألفة أو نفوراً أو حياداً.

وتدل الأسطر الأفقية على اتجاه علاقات الفرد نحو بقية أفراد الجماعة ألفة موجبة، ونفوراً سالباً، وحياداً صافرياً.

وتدل الأعمدة الرئيسية على اتجاه علاقات أفراد الجماعة نحو فرد منها ألفة موجبة ونفوراً سالباً، وحياداً صافرياً أيضاً.

ولحساب معامل توافق أي فرد من الجماعة مع بقية الأفراد الآخرين نقسم المجموع الجبّري لعلاقات السطر الدال على من يختارهم الفرد على بقية عدد أفراد الجماعة.

(1) Zeleny, L. D. Measurement of social status. Amer. J. Sociology, 1940, 45, 576 - 582.

المجموع						الفرد الذي يختار
	٥	٤	٣	٢	١	
٢	١+	١+	١-	١+	-	١
١	١-	صفر	١+	-	١+	٢
٣	١+	١+	-	١+	صفر	٣
٢	١+	-	١+	١+	١-	٤
٤		١+	١+	١+	١+	٥
١٢	٢	٣	٢	٤	١	المجموع

مصفوفة تبين اتجاه علاقه كل فرد ببقية أفراد
الجماعة إيجاباً وسلباً وحياداً صفرياً

إذا رزنا لعدد أفراد الجماعة بالرمز n . فإن عدد الخلايا الدال على بقية أفراد
الجماعة يصبح مساوياً لـ $n - 1$. وبذلك يحسب معامل توافق الفرد مع بقية أفراد
الجماعة باستخدام المعادلة التالية:

$$\text{معامل توافق الفرد مع بقية أفراد الجماعة} =$$

المجموع الجبرى لعلاقات السطر الدال على الفرد
 $n - 1$

وبذلك يصبح معامل توافق الفرد رقم ٤ مع بقية أفراد الجماعة = $\frac{٢}{١ - ٥}$ = ٥٪ . أي ٥٪ إذا حولناه لنسبة مئوية بضرب الناتج في مائة.

(ه) معامل توافق الجماعة مع الفرد:

يدل توافق الجماعة مع الفرد على مدى تقبل أو نفور الجماعة من أحد أفرادها أو
موقفها الحيادي منه كما سبق أن بيننا ذلك من قبل.

ويحسب هذا المعامل باستخدام أعمدة المصفوفة السابقة بدلاً من استخدام
سطورها، وذلك لأن كل فرد من أفراد الجماعة نحو أي فرد من أفرادها. فمثلاً يدل
العمود الرابع على موقف كل فرد من أفراد الجماعة نحوه، فمثلاً يألفه الفرد رقم واحد
كما يدل على ذلك رمز الخلية الأولى + ١ ويحايده الفرد رقم ٢ ورمز خليته هو الصفر،
ويألفه الفرد رقم ٣ ورمز خليته + ١ ويألفه الفرد رقم ٥ ورمز خليته + ١.

وبذلك يحسب معامل توافق أفراد الجماعة مع الفرد رقم ٤ بالطريقة التالية:

$$\text{معامل توافق أفراد الجماعة مع الفرد رقم } 4 = \frac{\frac{3}{4}}{\frac{3}{5}} = \frac{3}{5} = 0.75$$
 أي ٧٥٪ إذا حولناه لنسبة مئوية بضرب الناتج في مائة.

معامل التأثير

ويستخدم هذا المعامل في مقارنة أفراد الجماعة سوسيومتريا حيث يمكن معرفة تأثير كل فرد من أفرادها في الجماعة، ويمكن حساب هذا المعامل على النحو التالي:

$$\text{معامل التأثير} = \frac{n}{n - 1}$$

حيث n هي عدد الاختيارات التي حصل عليها الفرد
 n عدد أفراد الجماعة.

وتتراوح قيمة هذا المعامل بين الصفر والوحدة حيث إنه إذا لم يتلق الفرد أي اختيار أصبح المعامل $= \frac{0}{n - 1} = 0$ صفر
 وإذا حصل على اختيارات بقية أفراد الجماعة أصبح المعامل $= \frac{1}{n - 1} = 1$
معامل جاذبية الجماعة^(١)

ويحدد هذا المعامل مدى جاذبية الجماعة لأعضائها أو لأعضاء جماعة خارجية ويكون حسابها كما يلى:

$$\text{معامل الجاذبية} = \frac{n_{\text{ص}} + n_{\text{ن}}}{n_{\text{ن}}}$$

حيث ص هو عدد الاختيارات داخل الجماعة

ن عدد أعضاء الجماعة الداخلية (لاحظ أن الاختيار المسموح به للفرد هو ١)
 ص عدد الاختيارات الآتية من الجماعة الخارجية إلى الجماعة الداخلية.
 ن عدد أعضاء الجماعة الخارجية (لاحظ أن الاختيار المسموح به للفرد هو ١).

سابعاً - الملخص

موضوع هذا الفصل هو قياس العلاقات الاجتماعية التي سبق أن بينا ثبوتها في الفصل الرابع الخاص بالتنشئة الاجتماعية، وأهم أنواعها في الفصل الخامس وخاصة المبادلة منها.

ويعتمد القياس على الطريقة السوسيومترية وما تتطلبه من اختبارات تعد أسئلتها بطريقة خاصة وما تنتهي إليه نتائج تلك الاختبارات من شبكة اجتماعية تعداد صياغتها في

(١) سعد عبد الرحمن القياس النفسي: دار الفكر العربي ١٩٩٨.

صورة مصفوفة سوسيومترية تصلح لدراسة المؤشرات الإحصائية للعلاقات الاجتماعية وتدى إلى معاملات سوسيومترية لها أهميتها في دراسة الجماعات الصغيرة.

ويعني السوسيومترى القياس الاجتماعى لأن المقطع الأول يعنى اجتماعى والمقطع الثاني يعنى قياس . والبدء والحقيقة للسوسيومترى كان فى سنة ١٩٣٤ على يد مورينو . وتعتمد الطريقة السوسيومترية على اختيار الفرد فى الجماعة الصغيرة لفرد آخر بالنسبة لصفة محددة وتسجل نتائج الاختبار فى شبكة للعلاقات أو فى مصفوفة . وتستخدم الطريقة السوسيومترية لتحليل البنية الداخلية للجماعة الصغيرة والكشف عن مظاهر الألفة والنفور وخصائص تجمعات الأفراد دراسة ظواهر الزعامة .

والصورة الشائعة للأسئلة السوسيومترية التي تصلح لقياس الإدراك الاجتماعى هي التي تتطلب من الفرد ذكر أسماء من يميل إليهم ، ومن لا يميل إليهم ومن يظن أنهم يميلون إليه ومن يظن أنهم لا يميلون إليه .

ويحدد مورينو شروط الاختبار السوسيومترى في صغر حجم الجماعة ، وإطلاق حرية الفرد في اختيار من يميل إليه ومن لا يميل إليه ، وقصر الاختيار على صفة واحدة ، واستخدام نتائج للقياس في إعادة تنظيم الجماعة لتحقيق أعلى مستوى من التوافق . كما أشرنا أيضا إلى طريقة أخرى في القياس السوسيومترى هي طريقة جاردنر وتومسون .

وتسجل الشبكة الاجتماعية اتجاه اختيار الأفراد بعضهم البعض ، وت تكون الشبكة من ذرات اجتماعية ويتوسط كل ذرة فرد يعد نواتها ويحيط به أفراد آخرون . وتنقسم علاقات الشبكة إلى أنواع أهمها المتبادلة وهي تعنى اختيار فرد ما لفرد آخر واختيار الفرد الآخر له ، والمتتابعة وتبدو في تتابع اختيار الفرد لفرد آخر ، واختيار الآخر لآخر وهكذا . والدائيرية وهي نوع من المتتابعة لكنها تعود من حيث بدأت ، والمنفردة وتمثل في الأفراد الذين يختارون غيرهم ولا يختارهم أحد .

وغالبا ما تحول الشبكة الاجتماعية إلى مصفوفة بحيث يبين العمود الأول أسماء الأفراد الذين يختارون وبين السطر الأول اختيارهم . وأهم المصفوفات المستخدمة في التحليل السوسيومترى مصفوفة البھي ، ومصفوفة فورسيث وكائز ، ومصفوفة فستنجر والمصفوفة ذات المحك ، وتميز مصفوفة البھي بأنها أسرع من الشبكة في تسجيل العلاقات الاجتماعية ، وتلخص العلاقات في صورة رياضية تصلح للتحليل وتصفح أ يصل لتسجيل استجابات الجماعات الكبيرة نسبيا ، وأنها أبسط من المصفوفات الأخرى . ويرمز للاختيار بالرقم ١ في الخلايا التي تدل على الفرد ومن يختار ، أما الخلايا الشاغرة فتنقسم إلى نوعين : اختيار الفرد لنفسه وهذه ستبقى شاغرة ، وأخرى شاغرة لا تدل على علاقة مباشرة تحدد الاختيار . وتستخدم مصفوفة البھي لتحليل مجموع العلاقات

ولدراسة تناسق توزيع الاختيار ولدراسة العلاقات الموجبة والسلبية. وتعتمد مصفوفة فورسيث وكاتز على إعادة ترقيم الأفراد لسفر الترتيب الجديد عن الجماعات الفرعية. ويؤدي الترتيب الجديد إلى تجميع المربعات الدالة على الاختيار حول قطر المصفوفة. وتتلخص فكرة مصفوفة فستنجر في ترتيب المصفوفة للكشف عن العلاقات المتتابعة الثنائية غير المباشرة. ويؤدي التكعيب إلى الكشف عن العلاقات المتتابعة الثلاثية وهكذا. وتتلخص أهم المنشرات الإحصائية لاستجابات السوسيومترية في الأوزان، والاختيار المقصد ومدى اختلافه عن الاختيار العشوائي، والثبات، والصدق.

والقيمة العددية لوزن الاختيار الأول ١٠، ولوزن الاختيار الثاني ٧، ولوزن الاختيار الثالث ٥، ويصبح الصفر هو القيمة الفردية لوزن الاختيار.

أما عن الاختيار المقصد والاختيار العشوائي فقد برهن موريتو بطريقة تجريبية على أن الاختيار السوسيومترى ليس اختياراً عشوائياً.

وتتلخص أهم العوامل التي تؤثر في ثبات الاستجابات السوسيومترية في الفترة الزمنية التي تapse بين التطبيق الأول للاختبار والتطبيق الثاني، فإنها كلما طالت نقص تبعاً لذلك ثبات، ويزيد الثبات تبعاً لمدى اقتراب أعمار الأفراد من سن الرشد، وتبعاً لطول الفترة الزمنية التي يعرف أفراد الجماعة بعضهم بعضاً، وتبعاً لزيادة صلة موضوع الاختيار بما تمارسه الجماعة من نشاط، وتبعاً لزيادة دقة أسلوب التمييز، وتبعاً لزيادة عدد أفراد الجماعة. وتدل نتائج التجارب على أن الاختيار الأول أكثر ثباتاً من الاختيار الثاني وهكذا.

ويقاس الصدق بقدر ما يقيسه الاختبار من الصفة التي صمم لقياسها ويحسب عن طريق معامل ارتباط الاختبار بنتائج اختبار آخر يقيس تلك الصفة. وتعقد عملية قياس صدق الاستجابات السوسيومترية على تسجيل ما يحدث فعلاً من تجمعات بين الأفراد ومقارنة تلك التجمعات بنتائج استجابات الاختبار السوسيومترية.

ويتهى تحليل المصفوفة إلى معاملات سوسيومترية تكشف عن البنية الداخلية للجماعة الصغيرة وتبين أهم خصائصها. ومن أهم تلك المعاملات معامل انتشار العلاقات الاجتماعية. ويحسب هذا المعامل بقسمة مجموع العلاقات الواقعية على النهاية العظمى لتلك العلاقات ثم ضرب الناتج في مائة. ولهذا المعامل أهميته وفائدة في مقارنة الجماعات على أساس التفاعل النفسي الاجتماعي.

ومعامل استمرار الجماعة. ويقاس باستمرار عضوية أفرادها. ولذا تعتمد معادلة حساب هذا المعامل على قسمة ضعف عدد الأفراد الذين يقاومون التغيير على مجموع الأفراد قبل التغيير وبعده وضرب الناتج في مائة.

ومعامل التماسك الداخلى بنسبة العلاقات الداخلية، والخارجية الداخلية إلى الداخلية الخارجية .

ومعامل توافق الفرد مع الجماعة وهو يدل على مدى إقبال الفرد على بقية أفراد الجماعة أو نفوره منهم أو موقفه منهم موقف الحياد. وحساب معامل توافق أي فرد من الجماعة مع بقية الأفراد الآخرين نقسم المجموع الجبrij لعلاقات السطر الدال على من يختارهم الفرد على بقية عدد أفراد الجماعة، وذلك باعتبار أن الرمز + 1 يدل على الألفة والرمز - 1 يدل على النفور، والرمز صفر يدل على الحياد.

دل معامل توافق الجماعة مع الفرد على تقبل أو نفور الجماعة من أحد أفرادها أو موقفها الحيادى منه. ويحسب هذا المعامل بقسمة المجموع الجبrij لعلامات العسود الدال على موقف كل فرد من أفراد الجماعة مع الفرد الذى نحسب توافقهم معه، على بقية أفراد الجماعة ومعامل التأثير ومعامل حادية الجماعة.

ثامناً-المراجع العامة

- 1 - Arglye. M. Social Interaction. London, Tavistock, Melhuen, 1976.
- 2 - Criswell. J. H The measurment of group integration. Sociometry, 1947, 10, 259 - 267.
- 3 - Festinger. L. The analysis of sociograms using matrix algebra. Human Relations. 1949, 2, 153 - 158.
- 4 - Forsyth. E., and Katz, L. A matrix approach to the analysis of socio-metric data: preliminary report. sociometry, 1946, 9, 340 - 347.
- 5 - Gardener & Thompson, Sociometry of small groups, Harper, 1956.
- 6 - Gronlund, N. E Sociometric status and sociometric perception, 1955, 2, 122 - 128.
- 7 - Gronlund, N. E. Sociometry in the classroom N. Y. Harper. 1959.
- 8 - Jennings. H. H. Leadrship and Isolation, N. Y. Longmans, Green and company, 1943.
- 9 - Jennings, H. H. Sociometry in Group Relations. Washington. D. C. American Council on Education, 1959.

- 10 - Katz, L. On the matric analysis of sociometric data. *Sociometry*, 1974, 10, 233 - 241.
- 11 - Mouton, J. S., Blake, R. R., and Fruchter, B. The reliability of socio-metric measures. *Sociometry*, 1955, 1, 7 - 48.
- 12 - Mouton, J. S., Blake, R. R., and Fruchter, B. The validity of socio-metric responses. *Sociometry*, 1955, 3, 181 - 206.
- 13 - Northway, M. L. *A Primer of Sociometry*. Toronto, Univ. of Toronto Press, 1952.
- 14 - Northway, M. L., and Weld L. *Sociometric Testing*. Toronto, Univ. of Toronto Press, 1957.
- 15 - Pepinsky, P. N. The meaning of validity and reliability as applied to sociometric tests. *Educational and Psychological Measurement*, 1949, IX, 39 - 49.
- 16 - Tagiuri, R. Relational analysis: an extension of sociometric method with emphasis upon social perception. *Sociometry*. 1952, X V, 91 - 104.
- 17 - Zeleny, L. D. Sociometry in the classroom. *Sociometry*, 1940, 3, 102 - 104.

المراجع العربية

- ١ - سعد عبد الرحمن : السلوك الإنساني: تحليل وقياس المتغيرات ط ١٩٨٣ م.
- ٢ - سعد عبد الرحمن: القياس النفسي النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي ١٩٩٨ م.



الفصل السابع

الإدراك الاجتماعي Social Perception

- . فهم عملية الإدراك الاجتماعي . مفهوم عملية الإدراك الاجتماعي.
- . دقة عملية الإدراك الاجتماعي .
- . حساب درجات الإدراك الاجتماعي .
- . تفسير درجات الإدراك الاجتماعي .
- . دليل الإدراك الاجتماعي .
- . عملية الإدراك الاجتماعي ومتغيرات أخرى .
- . إنتاجية الجماعة . صورة الذات .
- . المتغيرات السوسيومترية .

كما سبق وقدمنا في هذا الكتاب نقول إن الفرد يعيش في جماعة لأنه اجتماعي بطبيعة ولأنه يبحث عن إشباع حاجته إلى الأمان والطمأنينة والانتفاء.

والفرد الإنسان يدرك الأشياء والماديات بمساعدة حواسه الظاهرة مثل البصر والسمع والشم واللمس والتذوق، ولكنه يدرك الإنسان الآخر بأكثر من هذه الحواس وبما هو أبعد منها.

الإنسان الآخر يشترك مع الإنسان المدرك (الذي يدركه) في كثير من الصفات والخصائص ويتشابه معه بل ويتمثل معه أحياناً.. ومن هنا كان من الصعوبة إيجاد نظرية واحدة متكاملة تفسر عملية الإدراك الاجتماعي.

بدأت الدراسة في هذا المجال في نهاية النصف الأول من هذا القرن حيث يناقش كانتريل Cantrill معنى الإدراك الاجتماعي فيميز بين الإدراك الاجتماعي والإدراك غير الاجتماعي، ويقول إن إدراك القلم الرصاص عملية إدراك غير اجتماعي ذلك لأننا نستطيع أن نفعل كل شيء وأي شيء بالقلم الرصاص بينما لا يستطيع القلم الرصاص أن يفعل بنا شيئاً ما.

وبناء على هذه الملاحظة نقول إن عملية إدراك الفرد الآخر أو عملية الإدراك الاجتماعي تدخل فيها عوامل جديدة تختلف من حيث النوع والدرجة عن تلك العوامل التي تضبط عملية الإدراك الحسي البصري أو غير ذلك.

ولكن يمكن أن نقول شيئاً ما إضافة إلى ما سبق حيث إن بعض الأشياء والماديات مثل الكتاب مثلاً يمكن أن يدركها الفرد إدراكاً اجتماعياً عندما يعطيها الفرد صفة الحياة والحركة، ويتخيل أنه يمكن أن يكون هناك تفاعل بينه وبين هذا الكتاب.

وبذلك فإن هذا الرأي يعتمد على معنى الفعالية الوظيفية أو النشاط الوظيفي للمدركات (مثل الكتاب) بغض النظر عن الطبيعة البنائية لهذه المدركات.

ونستطرد فنقول إن عملية الإدراك الحسي للألوان تعتمد على طبيعة بناء اللون أو تركيبه وكذلك الروائح وما إلى ذلك، أما إدراك بعض الأشياء إدراكاً اجتماعياً فإنه لا يعتمد على طبيعتها وجوهرها بقدر ما يعتمد على موقف الفرد الذي يقوم بعملية الإدراك من هذه المدركات.

وقد آمن بهذه الفكرة كثير من المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي، ولكن كانت هناك قلة قامت بعمليات بحث وتجريب في هذا المجال حيث ظهر الكثير من التغيرات التي أدت بنا إلى فهم عمله الإدراك الاجتماعي من منظور آخر.

كما أن هناك مجموعة من الحقائق تساعدنا على فهم عملية الإدراك عامة وعملية الإدراك الاجتماعي على وجه الخصوص، ونستعرضها فيما يلى:

١ - عملية الإدراك تساعد على تكامل الخبرة عند الفرد:

نحن نعلم أن عملية الإدراك تتكون من عمليتين متاليتين مترابطتين هما الإحساس والتفسيير. ونجد أن عملية الإحساس تبدأ بالثيرات والمواقوف التي تنتشر في البيئة المحيطة بالفرد حيث يؤثر الشير على عضو الإحساس الخاص مثل الصوت عندما يؤثر على الأذن والضوء عندما يؤثر على العين ثم ينتقل الإحساس إلى المنطقة الماناظرة في المخ حيث تبدأ العملية الثانية وهي عملية التفسير أو التعرف على طبيعة الشير وتسميتها وبذلك تتم عملية الإدراك.

و واضح أيضاً أن عملية التفسير تعتمد على الخبرة السابقة للفرد أو الإطار المرجعى Frame of reference وبذلك تنمو خبرة الفرد وتتكامل نتيجة إدراكه لمثيرات وعناصر جديدة.

٢ - عملية الإدراك والإطار المرجعى:

الفرد يدرك ما تعرف عليه من مثيرات لأنه سبق أن تعرف عليها واعتادها وألفها فالفرد يدرك أن هذا طائر لأنه سبق أن رأى هذا الطائر أو ما يشبهه، وعليه فإن هناك عملية مقارنة ضمنية بين ما يراه وما يحسه الفرد الآن وبين المدرك الذي سبق له أن كونه في خبرته الماضية.

ولهذا فإن إدراك الفرد لمثير جديد يعتمد على عملية المقارنة هذه بين ما يحس به الآن وبين أقرب المدارات شبهها بذلك المثير مستخدماً إياه كإطار مرجعي .

٣ - عملية الإدراك الاجتماعي تحتاج إلى إطار مرجعي من نوع خاص:

وهنا نقول إن عملية الإدراك الاجتماعي هي عملية الإدراك التي تحدث تحت ظروف ومتغيرات اجتماعية تؤثر فيها. وللتوضيح فإننا نعود ونقول إن عملية الإدراك الاجتماعي هي عملية الإدراك التي يتخذ فيها الفرد من نفسه أو صورة ذاتية – أو من ذات أخرى مماثلة – إطاراً مرجعياً يقارن به تلك المدارات أو المثيرات الاجتماعية

الأخرى. وبذلك فإن عملية إدراك الفرد لفرد آخر هي عملية إدراك تحتاج إلى إطار مرجعي من نوع خاص أى أن يكون هذا الإطار هو ذات الفرد المدرك أو ذات أخرى مماثلة.

مفهوم عملية الإدراك الاجتماعي:

من المعروف أنه لا يمكن الوصول إلى مفهوم العمليات السلوكية إلا بعد دراسة واستعراض الآراء والمفاهيم التي يمكن أن تقربنا إلى تحديد مفهوم صحيح لهذه العملية أو تلك – عملية الإدراك الاجتماعي عملية سلوكية، ومن المعروف أيضاً أن الدراسات التي أجريت بهدف استكشاف طبيعة عملية الإدراك بدأت في وقت متأخر نوعاً ما بالنسبة لدراسات علم النفس الاجتماعي الأخرى.

فقد كان هناك تمييز بدراستين متاليتين (دايموند ٤٨ ، ٤٩). حيث ناقش الباحث العلاقة بين البصيرة وقدرة الفرد على أن يشعر بإحساسات الآخرين في المواقف الاجتماعية (الاستشفاف الوجداني Empathic ability).

وقد توصل الباحث إلى عدة استنتاجات أشارت الطريق أمام الدارسين الذين أتوا من بعده، وأهم هذه الاستنتاجات هي:

- ١ – يتكون مفهوم العلاقة بين الفرد والآخرين بناء على قدرته على الإحساس بشعور هؤلاء الآخرين في المواقف الاجتماعية المختلفة.
- ٢ – تعتمد بصيرة الفرد في علاقته بالآخرين على مدى قدرته على الإحساس بإحساساتهم.

٣ – القدرة على الإحساس بشعور الآخرين تنمو وتطور من خلال العلاقات الاجتماعية التي يتعرض لها الطفل في السنوات الأولى من حياته.

والحقيقة أن مثل هذه النقاط وغيرها قد أدخل عاماً جديداً في عملية الإدراك الاجتماعي وهو عامل الاستشفاف الوجداني أو القدرة على الإحساس بشعور الآخرين Empathic ability وهذا ما يؤكّد ذاتية الإطار المرجعي في عملية الإدراك الاجتماعي. وهذا ما أشرنا إليه سابقاً (أن يتخد الفرد من ذاته إطاراً مرجعياً).

وفي دراسات أخرى (بيتون ٤٩ / ٥٠) ناقش الباحث العوامل التي تؤدي إلى عدم سوء عملية الإدراك الاجتماعي وأجرى تجارب على مجموعة من شباب الجامعة حيث تعرضوا للمواقف التالية:

- موقف الصداقة — العدواة
- موقف الصداقة — الحباد
- موقف الصداقة — التسلط

وسميت هذه المواقف بـ«مواقف الإثارة»، وقام الباحث بتحليل سلوك الأفراد في كل موقف من هذه المواقف معتمداً في تحليله على مفهوم علاقة الإدراك الاجتماعي كعملية ذات علاقة بسلوك الفرد، وانتهى الباحث إلى وجود علاقة مؤكدة بين نوعية الموقف أو المثير ودرجة عدم السواء التي تصيب عملية الإدراك الاجتماعي.

وبعد ذلك بدأت الدراسات الرائدة والأصلية في مجال الإدراك الاجتماعي حيث قام فيدلر ومعاونوه (٥٦ / ٥٢) بدراسة أثر الاتجاهات اللاشعورية على الاختيارات الاجتماعية وقام بدراسته على مجموعة من الشباب حيث طلب من كل منهم أن يعين أحب الأفراد إلى نفسه، وذلك من بين أعضاء الجماعة التي يتمنى إليها كما طلب من كل منهم أيضاً أن يعين أبغض الأفراد إليه.

بعد ذلك طلب الباحث من كل عضو من أعضاء الجماعة أن يصف صورة الذات المثلثي الذي يحب أن يكون إليها ثم طلب من كل عضو أيضاً أن يتبنّأ بوصف الفردين الآخرين (الأحب والأبغض) لهذه الذات المثلثي.

وبهذا يمكن الباحث من أن يحصل على مجموعة من البيانات عن عملية الإدراك الاجتماعي حيث يقول إن هذه العملية هي نتاج فهم الناس لذواتهم وفهمهم لذوات الآخرين. كما أشار أيضاً إلى ما يلى:

١ - يدرك الفرد الآخرين من يحبهم ويفضلهم كما لو كانوا أكثر شبهاً به وبصورة ذاته والعكس صحيح. ذلك لأن الفرد يميل دائماً إلى إعطاء صورة ذاته أبعاداً مشتقة من الذات المثلثي التي يحبها ويعجب بها، وكذلك فإنه يعطي نفس الأبعاد تقريباً للفرد الذي يدركه حيث يحبه ويفضله.

٢ - يدرك الفرد الآخرين من يحبهم ويفضلهم كما لو كانوا أكثر شبهاً بذاته المثلالية أو كما يحب هو أن يكون والعكس صحيح بالنسبة لمن لا يفضلهم.

٣ - ليس هناك دليل على أن الخصائص الشخصية للأفراد تتشابه مع الخصائص الشخصية لمن يختارونهم ويفضلونهم وليس هناك دليل على العكس. وهذا يقودنا إلى القول بأن هناك فرقاً بين التشابه الحقيقي وبين الخصائص الشخصية للأفراد وبين التشابه غير الحقيقي بين هذه الخصائص وقد سماه فيدلر التشابه المفترض.

٤ – ليس هناك دليل على أن الأشخاص المفضلين يدركون الآخرين بطريقة تختلف عن إدراك الأشخاص الذين يرفضهم الآخرون.

بعد ذلك عاود فيدلر دراسته إذ أنه أول من اقترح مسمى (التشابه المفترض Assumed Similarity) وأراد أن يبحث في علاقة هذا التشابه المفترض بإنجابية الجماعات حيث يقول إن إنجابية أي جماعة هي دالة عملية الإدراك الاجتماعي وقام بحساب معاملات الارتباط بين نتائج عدة مقاييس صممت من أجل تقدير هذه المتغيرات:

أ – وصف الفرد لذاته.

ب – تنبؤ الفرد بوصف أفضل معاونيه لذاته.

ج – تنبؤ الفرد بوصف أبعد معاونيه لذاته.

وأثبت فيدلر صحة ما ذهب إليه من علاقة التشابه المفترض كمتعلق من متعلقات الإدراك الاجتماعي بإنتاجية جماعات رياضية هي فرق كرة السلة في مدينة إلينوي الأمريكية.

بعد ذلك درس دافيتز ١٩٥٥ العلاقة بين عملية الإدراك الاجتماعي عند الأطفال وبين اختيارتهم السوسيومترية حيث يصل إلى عدة نقاط هي:

١ – الطفل يميل إلى أن يدرك من يفضلهم سوسيومتريا كما لو كانوا أكثر شبهًا بذاته والعكس صحيح.

٢ – الطفل يميل إلى أن يدرك من يفضلهم سوسيومتريا أكثر شبهًا بصورة ذاته مما هم في الحقيقة فعلًا.

وقام لاندي ١٩٥٥ بدراسة مشابهة من حيث الهدف والطريقة ووصل إلى عدة استنتاجات هي:

١ – يميل الفرد إلى أن يدرك أصدقاءه أكثر شبهًا بالصورة المثلث لذاته وأقل شبهًا بالذات غير المرغوبة.

٢ – يميل الفرد إلى أن يدرك غير الأصدقاء أكثر شبهًا بالذات غير المرغوبة وأقل شبهًا بصفات الذات المثلث.

ويقول ني كمب ١٩٥٦ أن إدراك التشابه أو الاختلاف بين الفرد والفرد الآخر هو أساس عملية الإدراك الاجتماعي، ورفض مسمى (التشابه المفترض) واقتصر مسمى آخر هو التشابه المدرك Perceived Similarity.

وحاول روجرز ١٩٥٩ اكتشاف العلاقة بين التشابه الحقيقي أو حقيقة التشابه أو الاختلاف بين شخصية فرد وشخصية فرد آخر، وبين التشابه المفترض أو ذلك التشابه الذي يفترضه أحد الأفراد بينه وبين فرد آخر يدركه.

ولخص الباحث هذه العلاقة في أن الأفراد الذين لهم خصائص شخصية مشتركة مع فرد آخر يحتل مكانة واضحة في التنظيم السوسيومترى للجماعة يميلون إلى افتراض الشبه بينهم وبينه في حين أن الأفراد الذين ليس لهم هذه الخصائص المشتركة – رغم إعجابهم بهذا الفرد – لا يميلون إلى افتراض مثل هذا التشابه أو أن العامل الأساسي في تحديد عملية افتراض الشبه هو وجود العوامل أو الخصائص المشتركة بين الأفراد.

وحاول روزويل بعد روجرز ١٩٦٠ محاولة مشابهة حيث أراد أن يختبر أثر لون البشرة أو العنصر (العرق) كعوامل مشتركة على التشابه المفترض بين مجموعات من البيض والزنوج ولكنه وصل إلى ما وصل إليه روجرز.

وببناء على ذلك يمكن أن نقول إن هذين المتغيرين (التشابه الحقيقي والمفترض) مستقلان عن بعضهما البعض ومن المحتمل وجود متغير ثالث يربط بينهما.

وعاد فيدلر ١٩٦١ من جديد ليدرس أثر العمر الزمني والفرق الجنسي على عملية الإدراك الاجتماعي ووجد ما يلى :

- ١ – تأثير عملية الإدراك الاجتماعي بالاختلافات الجنسية في حين أن العمر الزمني يؤثر فقط على إدراك صورة الذات.
- ٢ – تزيد دقة الإدراك الاجتماعي بزيادة العمر الزمني.
- ٣ – تميل الإناث إلى إدراك الآخرين بصورة أفضل مما هي عليه فعلاً، بينما الذكور يميلون إلى عكس ذلك.

وببناء على كل ما سبق أن عرضناه من دراسات نقول إن تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعي يتطلب بالضرورة دراسة التشابه والاختلاف بين الأفراد سواء كان هذا التشابه حقيقياً أو مفترضاً أو مدركاً، وذلك لأن هذا التشابه أو الاختلاف هو أساس عملية المقارنة التي تتم على أساسها عملية الإدراك الاجتماعي.

ولهذا سوف نبدأ من البداية ونناقش معنى التشابه وما تواتر فيه من آراء، وهذا سوف يساعدنا على تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعي.

التشابه الحقيقي Actual Similarity بين فردين هو الفرق بين صورة الذات عند كل من الفردين في موقف ما. وللحذقة فإننا نعرف التشابه الحقيقي على أنه دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه وبين وصف الفرد (ب) لنفسه.

و واضح أنه كلما زادت هذه المسافة أو الفرق؛ قل التشابه الحقيقي بين الفردین . وكلما قلت المسافة زاد التشابه الحقيقي بينهما .

أما التشابه المفترض Assumed أو التشابه المدرك Percieved أو التشابه الوصفي فهى جمیعا تقترب من بعضها البعض كسمیات إذ أنه (أى منها) دالة المسافة بين صورة الذات عند الفرد و مفهومه عن ذات فرد آخر .

و كان فيدلر أول من استخدم لفظ التشابه المفترض ، و تيوكمب أول من استخدم لفظ التشابه المدرك أما لفظ التشابه الوصفي فقد استخدمه سعد عبد الرحمن (١٩٦٣ - ١٩٧٨) للدلالة على المسافة بين وصف الفرد لذاته ووصفه لذات الفرد الآخر .

و من المفيد أن نعرض بعض الملاحظات على الدراسات السابق الإشارة إليها وهي :

١ - حاولت هذه الدراسات اكتشاف العلاقة بين التشابه المفترض أو التشابه المدرك وبين بعض التغيرات الاجتماعية أو السوسيومترية دون أن تعطى الأهمية الكافية لتفسير معنى و مفهوم هذا التشابه .

٢ - اعتمدت هذه الدراسات على وصف الفرد لنفسه ووصفه لغيره ومن الفرق بينهما تمكنت هذه الدراسات من الحصول بطريقة أو بأخرى على درجة تدل على التشابه أو الفرق بينهما .

و حيث إن وصف الفرد لنفسه يعتمد على مفهومه عن ذاته و مفهومه عن غيره ومثل هذا المفهوم قد يكون له علاقة بالحقيقة والواقع ولكنه من المسلم به لا يطابق الحقيقة والواقع تماما وهذا يؤكّد ذاتية الفرد عند بنائه لصورة ذاته أو تكوينه لمفهوم عن ذات غيره . ومن هنا تصبح موضوعية الدرجة المشتبة لتدل على التشابه أو الاختلاف موضوع شك واحتمالات متباعدة .

٣ - نحن نعلم كما سبق أن أشرنا أن حساب درجة التشابه المدرك أو التشابه المفترض يعتمد على أن يقوم الفرد بوصف نفسه ثم التبؤ بوصف الغير لنفسه وهذا التشابه أو هذا الاختلاف قد يكون مصدره إحدى هذه النقاط الآتية :

أ - عملية التوحد حيث يقوم الفرد بوصف نفسه بناء على مفهومه لصورة ذات فرد آخر يحبه ويعجب به (Vroom ١٩٦١) .

ب - عملية الإسقاط أي أن يقوم الفرد بوصف غيره أو التبؤ بوصف هذا الغير لنفسه مستخدما في ذلك صورة ذاته وبمعنى آخر يسقط الفرد صفاته الطيبة وأنماط سلوكه

الحسنة على شخص آخر يحبه ويعجب به أو أن يسقط صفاته غير الطيبة وأنماط سلوكه غير الحسنة على فرد آخر لا يحبه.

ج - عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية وهذه تبدو عندما يقوم الفرد بوصف صورة ذاته التي كونها عند تفاعلها مع المجتمع بقيمه ومعاييره وضغوطه فهو إذ يصف صورة ذاته هذه فإنما يميل إلى أن يرضي ما هو قائم من معايير وقيم وبذلك نجد أن صورة ذات الفرد كما يصفها هو تقترب كثيراً من هذه المعايير.

وعندما يقوم الفرد بوصف صورة ذات فرد آخر يحبه ويعجب به فإنه يصف هذه الصورة بأقرب ما تكون إلى تلك القيم والمعايير ومن هنا نلاحظ التشابه بين صورة ذات الفرد وصورة ذات الفرد الآخر. والعكس صحيح في حالة فرد ليس موضع حب أو إعجاب.

د - طريقة استخلاص درجة الإدراك الاجتماعي تتلخص في إيجاد الفرق بين وصف الفرد لنفسه وبين تنبؤه بوصف الفرد الآخر لنفسه وهنا نقول: لنفرض أن في الموقف فردين هما (أ)، (ب):

الفرد (أ) يعتقد أن الفرد (ب) شخصية غير مسؤولة أى أن قدرة (ب) على تحمل المسئولية قليلة، والفرد (أ) يعلم في نفس الوقت أن الفرد (ب) يعتقد في نفسه أنه على قدر عالٍ من تحمل المسئولية لذلك إذا قام الفرد (أ) بوصف الفرد (ب) من وجهة نظره هو أى من وجهة نظر (أ) فإن النتيجة سوف تختلف تماماً عما إذا قام (أ) بالتبؤ بوصف (ب) لنفسه.

ومن هنا فإن درجة التشابه المفترض أو المدرك تعتمد - من ناحية صدقها - على التعليمات التي تعطى للمفحوص: هل سوف يصف فرداً آخر أم أنه سوف يتبنّى بوصف هذا الفرد الآخر لنفسه.

لذلك وبناء على الملاحظات السابقة نقترح كما ورد في مجموعة من الدراسات بين ١٩٦٣ - ١٩٨٠^(١) تحديد عملية الإدراك الاجتماعي على النحو التالي:

(أ) عملية الإدراك الاجتماعي عملية تم في موقف يتالف من ثلاثة أفراد على الأقل (أ، ب، ج) حتى يتوافر كلا الاحتمالين: استخدام الفرد صورة ذاته أو مفهومه عن ذات غيره كإطار مرجعي في عملية الإدراك الاجتماعي. وليس بالضرورة أن يكون الفرد الثالث حقيقياً ففي بعض الأحيان يكون افتراضياً.

(١) سعد عبد الرحمن: دراسات في الإدراك الاجتماعي.

(٢) في هذه العملية يقوم الفرد بوصف ذاته هو (أ أو ب أو ج).

(٣) يقوم الفرد (أ، ب، ج) بوصف الفرد الآخر من وجهة نظره هو لا أن يتبنّى بوصف هذا الفرد الآخر لنفسه.

وعندما نبدأ من الفرد (أ) بحيث يكون (ب) أقرب الاختيارات إلى (أ)، (ج) أبعد الاختيارات عنه فإن محددات عملية الإدراك الاجتماعي تصبح كما يلى:

١ - بعد الحقيقى أ / ب وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه ووصف الفرد (ب) لنفسه: (التشابه الحقيقى).

٢ - بعد الحقيقى أ / ج وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه ووصف الفرد (ج) لنفسه: (التشابه الحقيقى).

٣ - بعد الوصفي أ / ب وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه وبين وصف الفرد (أ) للفرد (ب) (التشابه الوصفي).

٤ - بعد الوصفي أ / ج وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) لنفسه وبين وصف الفرد (أ) للفرد (ج) (التشابه الوصفي).

٥ - بعد التراسلى أ / ب وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) للفرد (ب) ووصف الفرد (ب) لنفسه (التراسل).

٦ - بعد التراسلى أ / ج وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (أ) للفرد (ج) ووصف الفرد (ج) لنفسه (التراسل).

٧ - بعد المقارن: وهو دالة المسافة بين وصف (أ) للفرد (ب) ووصف (أ) للفرد (ج) (الفرق المقارن).

وعلى ذلك فإن عملية الإدراك الاجتماعي ليست عملية بسيطة الأبعاد وليس عمليّة مسطحة ولكنها عملية مركبة ذات بعد ثالث وأبسط تصور لها هو ذلك الموقف الذي يتّالّف من أ، ب، ج وتكون نقطة البداية عند (أ)، كما يمكن أيضاً أن تكون نقطة البداية عند (ب) أو (ج).

و واضح أيضاً أنه ستكون هناك ٧ درجات هي:

درجة التشابة الحقيقى أ / ب درجة التشابة الحقيقى أ / ج.

و درجة التشابة الوصفي أ / ب درجة التشابة الوصفي أ / ج.

ودرجة التراسل أ / ب

ودرجة بعد المقارن .

دقة الإدراك الاجتماعي:

تم اقتراح معامل لتحديد دقة الإدراك الاجتماعي (سعد عبد الرحمن ١٩٨٦) واستخدم فيما بعد في دراسات عديدة (ثناء النجيفي ١٩٩١) حيث كان خلفية جيدة لمقارنة الأطفال بعضهم البعض في مجموعات عمرية متتابعة. ويأتي هذا المعامل بعد التأكيد من صحة درجات الإدراك الاجتماعي.

وتعتمد فكرة هذا المعامل على المقارنة بين درجة بعد المقارن للفرد (أ) والبعد الحقيقي ب / ج (أى الفرق بين وصف (ب) لنفسه ووصف (ج) لنفسه. أى أن

معامل دقة الإدراك الاجتماعي للفرد (أ) =

$$= \frac{\text{البعد المقارن (أ)}}{\text{وصف (ب) لنفسه - وصف (ج) لنفسه}} = \frac{\text{البعد المقارن (أ)}}{\text{البعد الحقيقي ب / ج}}$$

فإن درجة الفرق المقارن تدل على قدرة الفرد (أ) على التمييز بين خصائص كل من الفردين (ب)، (ج)، كما أن الفرق بين وصف كل من (ب) لنفسه، (ج) لنفسه يعتبر بعدها يدل على الفرق بين صورة ذات كل منهما.

وعند حساب هذا المعامل واقتربت قيمته من الواحد الصحيح أى تساوى البسط والمقام دل ذلك على أن الفرد (أ) استطاع أن يصف (ب) وصفا يقترب من وصف الفرد (ب) لنفسه وكذلك بالنسبة للفرد (ج) أو بمعنى آخر استطاع الفرد (أ) أن يكون دقيقا في تحديد الفرق بين كل من (ب)، (ج) كما يرى كل منهما نفسه.

وإذا زادت قيمة المعامل عن الواحد الصحيح أو قلت فإن ذلك يشير إلى قلة دقة درجة الإدراك الاجتماعي للفرد (أ).

حساب درجات الإدراك الاجتماعي:

تعتمد فكرة حساب درجات الإدراك الاجتماعي على أساس المقارنة واستخدام الفروق، وقد سبق أن أشرنا إلى سبعة أبعاد مختلفة وهذا يعني أننا سوف نحسب سبع درجات اثنتان منها: درجتا البعد الحقيقي عبارة عن تقدير لصورة الذات والخمس الباقية تمحس بطريقة الفروق التي سوف نوضّحها فيما يلى:

وتعطى المثال التالي : (استفتاء قياس المسئولية الاجتماعية) :

ضع علامة (✓) تحت الرقم الذي يناسب مدى موافقتك : الرقم (٤) يدل على الموافقة الكاملة ، (صفر) يدل على الرفض العام المحتوى للعبارة :

- | | |
|------------------------|---|
| ٤ ٣ ٢ ١ | ١ - أحب أن أكمل عملي إلى النهاية |
| | ٢ - أحب أن أحمل كل المسئولية دون معونة |
| | ٣ - لا أحب التعاون مع الآخرين |
| | ٤ -أشعر بالضيق إذا جلست بمفردي |
| | ٥ - أميل دائماً إلى احترام القانون |
| | ٦ -أشعر برغبة دائمة في العزلة |
| | ٧ - يمكنني أن أكسب ثقة الناس بسهولة |
| | ٨ - لابد من وجود حدود لحرية الفرد |
| | ٩ - أفضل العمل السهل دائماً |
| | ١٠ - العمل الجماعي أكثر إنتاجاً من العمل الفردي |

وهنا يطلب من الفرد أن يصف نفسه على هذا المقياس المكون من (١٠) بنود ثم يطلب منه أن يصف الفرد الآخر (ب أو ج) على نفس المقياس ولنفرض أن النتيجة كانت كما يلى :

وصف الفرد لنفسه (أو ج)	وصف الفرد لنفسه (١)	درجة العبارة
٢	٤	١
١	٣	٢
٣	١	٣
٣	٤	٤
صفر	٣	٥
٢	٢	٦
٤	١	٧
٢	٣	٨
٣	٣	٩
١	٤	١٠

بعد الحصول على هذه النتائج يكون أمامنا ثلاث طرق لحساب درجة البعد الوصفي أ / ب أو أ / ج:

الطريقة الأولى، طريقة الفرق البسيط:

وتلخص هذه الطريقة في حساب الفرق بين الدرجة المعلقة للعبارة عند وصف الفرد لنفسه والدرجة المعلقة لنفس العبارة عند وصف الفرد للفرد الآخر. وذلك مع إهمال الإشارة الجذرية (+ أو -) عند إيجاد هذا الفرق. وبذلك تكون درجة البعد الوصفي في مثالنا هذا هي (١٧) وهي مجموع الفروق البسيطة بين درجتي العبارات بعض النظر عن اتجاه الفرق.

الطريقة الثانية، طريقة معامل الارتباط

وفي هذه الطريقة يحسب معامل التوافق المستقى من كا٢١ باعتبار أن هناك درجات فوق المتوسط ودرجات دون المتوسط حيث نجد أن $كا = \frac{3+4}{5}$ تقريرياً ومعامل التوافق = ٠، وذلك في مثالنا السابق كما يمكن أيضاً حساب معامل ارتباط الرتب (سبيرمان) وذلك عن طريق ترتيب الدرجات في الحالتين ثم حساب المعامل.

وهنا يدل معامل الارتباط (الرتب أو التوافق) على درجة البعد الوصفي وكلما زاد المعامل دل على زيادة أو قرب المسافة بين الوصفين في حين أنه في حالة الفرق البسيط يكون العكس صحيحاً: أي كلما زاد الفرق قل بعد الوصفي أ / ب أو أ / ج.

والطريقة الثالثة، طريقة الجذر التربيعي لمجموع مربع الفروق، مج ف^٢

وتعتبر هذه الطريقة أفضل الطرق لحساب درجات الإدراك الاجتماعي وأسلتمها من الناحية الإحصائية ونحن نميل إلى استخدامها دائماً حيث أن فيدلر وكرورنباخ قد استخدما هذه الطريقة بعد مناقشة رياضية وإحصائية شاملة توضح العيوب المحتملة في الطريقتين السابقتين.

وتنلخص هذه الطريقة في إيجاد الفرق بين درجات العبارات في الحالتين (وصف الفرد لنفسه ووصفه لغيره) ثم تربيع كل فرق ثم إيجاد الجذر التربيعي لمجموع هذه المربعات وذلك كما يلى:

٦. درجة البعد الوصفي (التشابه الوصفي) = ٤

ويجب أن نلاحظ أنه كلما زادت هذه الدرجة قل التباين من حيث المعنى

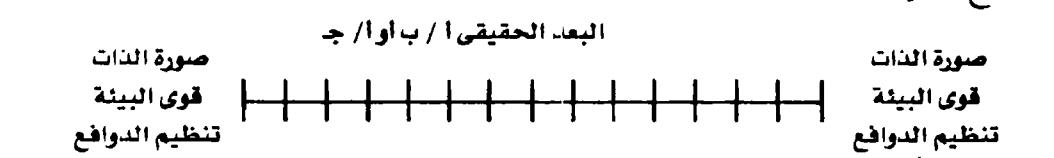
تفسير درجات الادراك الاجتماعي:

من المناقشة السابقة أمكن لنا أن نكون مفهوماً واضحاً عن عملية الإدراك الاجتماعي في إطار مجموعة الدراسة المتأخرة التي أجريت ومنها ظهرت هذه الأبعاد السبعة لهذه العملية و جاء الآن وقت تفسير هذه الدرجات المشتقة من هذه الأبعاد.

أ- تفسير درجات التشابه الحقيقي:

نـحن دائمـاً نفترض وجود ثلاثة أفراد في الموقف الاجتماعي الذي تم فيه عملية الإدراك: ونبـداً من الفرد (أ) وهو الذي يحدد أقرب الاختيارات إليه (ب) وأبعد الاختيارات عنه (ج). ونـعود ونقول إن درجة البعد الحـقـيقـي - وهي الفـرقـ بين صورـتـي الذـاتـ - إـنـما تـدلـ عـلـى مـدىـ التـشـابـهـ الحـقـيقـيـ بين الصـورـةـ التـيـ يـدرـكـهاـ (أ)ـ عـنـ نفسـهـ وـتـلكـ الصـورـةـ التـيـ يـدرـكـهاـ (ب)ـ عـنـ نفسـهـ، ولـهـذاـ فـإـنـهـ كـلـمـاـ زـادـتـ هـذـهـ المسـافـةـ زـادـتـ الـدـرـجـةـ وـكـانـ الخـلـافـ كـبـيرـاـ بـيـنـ كـلـاـ المـدـركـينـ.

كما يمكن أن نقول إن درجات التشابه الحقيقى إنما تمثل بعدها نفسيا اجتماعيا يحكمه عند كلا طرفيه صورة الذات بما فيها من خصائص وسمات وقوى البنية وتنظيم الدوافع وطرق إشباعها أى أن:



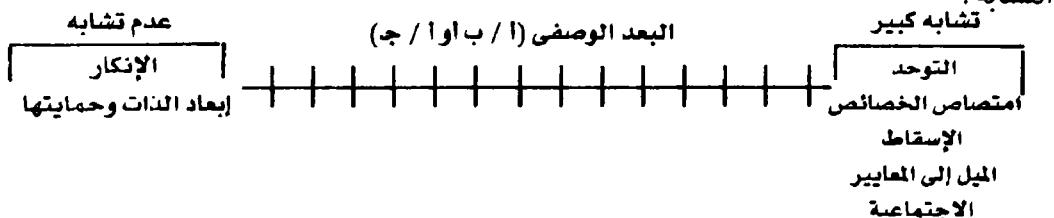
تفسير درجات التشابه الوصفي:

تدل درجة التشابه الوصفي على مدى تطابق فكرة الفرد عن نفسه وصورة ذاته مع فكرته عن أقرب الاختيارات إليه (أ / ب) أو مع فكرته عن أبعد الاختيارات عنه (أ / ج).

وكلما قلت القيمة العددية لهذه الدرجة زاد التطابق بين الفكرتين فكرة (أ) عن نفسه وفكرة (أ) عن (ب) وزاد بذلك التشابه الوصفي بين الفردتين والعكس صحيح.

ولو عدنا إلى ما سبق أن قلناه حول تأصيل معنى التشابه الوصفي حيث تعرضنا للتوحد والإسقاط والميل إلى المعايير الاجتماعية كأسباب محتملة لإنتاج هذا التشابه وكذلك لعملية الإنكار كسب محتمل لعدم التشابه.

لو عدنا إلى ذلك لأمكن لنا أن نقول إن درجة التشابه الوصفي أ / ب أو أ / ج إنما تدل على بعد نفسى اجتماعى من نوع خاص يحكم إحدى نهاياته العمليات المحتملة التي تؤدى إلى ظهور التشابه بينما تحكم النهاية الأخرى العمليات التي تؤدى إلى عدم التشابه.



تفسير درجات التراسل:

التراسل Correspondence هو مدى تطابق وصف (أ) للفرد (ب) ووصف الفرد (ب) لنفسه وبمعنى آخر كلما قلت درجة التراسل هذه زاد التطابق بين هذين الوصفين.

هذا التطابق يؤدى ضمن عوامل أخرى إلى النجاح الاجتماعى من خلال التفاعل الإيجابى بين الأفراد ويبدو ذلك فى التنظيم السوسنومترى للجماعة.

وللتوضيح نقول إن درجة التراسل هذه تمثل نقطة على مقياس نفسى اجتماعى أو بمعنى آخر يصبح بعد التراسل دالا على بعد نفسى اجتماعى يحكم إحدى نهاياته القبول الاجتماعى Social acceptance والقدرة على التعبير العاطفى الموجب بينما تحكم النهاية الأخرى الانعزالية والانطواء وعدم الأمان والطمأنينة الاجتماعية. أو بصورة أخرى تكون النهاية الأولى للمقياس هي التعاطف الاجتماعى والإحساس بشعور الآخرين بينما تكون النهاية الأخرى هي التسلط والسيطرة الاجتماعية أو الموضوعية المتطرفة. وبذلك

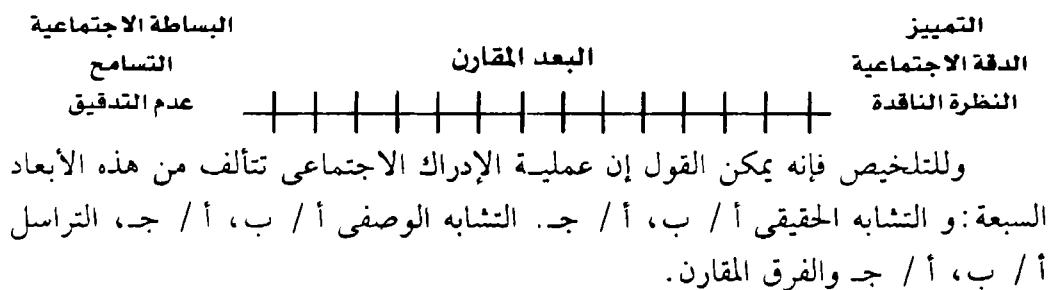
يكون بعد التراسل كما يلى:



تفسير درجات الفرق المقارن:

تدل هذه الدرجات على قدرة الفرد على التمييز بين خصائص فردين مختلفين يقعان في متسعه النفسي الاجتماعي، وعليه فإن هذا بعد يمثل مسافة نفسية اجتماعية تبدأ من التمييز والدقة الاجتماعية والنظرة الناقدة وتنتهي بالبساطة الاجتماعية والتسامح وعدم التدقير في عملية الاختيار السوسيومترى.

ويكن تمثيل هذا بعد كما يلى



دليل الإدراك الاجتماعي Index of Social Perception

في كثير من دراسة ديناميات الجماعات يدخل الإدراك الاجتماعي كمتغير خاص مع متغيرات أخرى مثل إنتاجية الجماعة أو البناء والتنظيم السوسيومترى لها ويهدف الباحث إلى مقارنة جماعة بجماعة أخرى، وهنا يمكن اقتراح معامل خاص يسمى دليل الإدراك الاجتماعي يمثل رقما مع الأرقام الأخرى التي تكون موضوع الدراسة والتحليل الإحصائي.

ويعتمد فكرة هذا المعامل على حساب درجات الإدراك الاجتماعي ثم إيجاد العلاقة بين متوسط هذه الدرجات وبين عدد أفراد الجماعة وذلك من القانون التالي:

$$\frac{\text{مجـ (س - م)}}{\text{٧ (ن - ١)}} = \text{I. S. P}$$

حيث (س) هي مجموع درجات كل فرد (العمود الرأسى)، (م) هي المتوسط العام (ن) عدد أفراد الجماعة.

وللأخذ المثال التالى:

لنفرض أن عدد المجموعة = (١٠) وحسبت درجات الإدراك الاجتماعي السبعة لكل أفرادها وتحصل بذلك على الجدول التالي:

الإدراك												المقدار الإدراكية الأصلية
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١			
٣	٢	١	١	٤	١	٠	١	٠	٠			التشابه الحقيقي / ب
٣	٢	٦	٢	٢	٤	٥	٤	٤	٧			التشابه الحقيقي / ج
٤	٢	٦	١	٢	٤	٣	٣	٤	٧			التشابه الوصفي / ب
٢	٤	٥	١	١	٢	٢	٢	٣	٤			التشابه الوصفي / ج
٢	٣	٣	٢	٣	٣	٣	١	١	٢			التراسل / ب
٢	١	٢	٤	٣	٢	١	١	٤	٣			التراسل / ج
٥	٢	١	١	٢	٥	١	٢	٢	٤			الطرق المقارنة
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-			
٢١	١٦	٢٤	١٢	١٧	٢١	١٥	١٤	١٨	٢٧	٣		س

$$م = \frac{\text{مج س}}{ن}$$

(٦٥) ٢ (٨,٥) ٢ (٥,٥) ٢ (٤,٥) ٢ (٣,٥) ٢ (٢,٥) ٢ (١,٥) ٢ (٥,٥) ٢ (٢,٥) ٢ (٢,٥)
٦,٢٥ ٦,٢٥ ٣٠,٢٥ ٤٢,٢٥ ٢,٢٥ ٦,٢٥ ١٢,٢٥ ٢٠,٢٥ ,٢٥ ٧٢,٢٥

$$\text{مج (س - م)} = ١٩٨,٥$$

$$\text{وينطبق القانون السابق } ISP = \frac{١٩٨,٥}{٩ \times ٧}$$

ويجب أن نشير هنا إلى أنه عند مقارنة الجماعات باستخدام هذا الدليل يجب أن نأخذ في الاعتبار الطبيعة الرقمية لهذه الدرجات وتفسيرها كما سبق وأسلفنا.

عملية الإدراك الاجتماعي ومتغيرات أخرى

(١) الإدراك الاجتماعي وانتاجية الجماعة:

إنتاجية الجماعة Group Productivity هي قدرة الجماعة – أي جماعة – بشرط أن تكون منظمة متمازية التركيب على تحقيق الهدف من قيامها وتكونها سواء كانت هذه الأهداف مادية أو اجتماعية.

وكما هو واضح فإن من السهل تقدير وقياس الإنتاجية المادية للجماعة فعلى سبيل المثال لو قامت جماعة وتكونت من أجل إنتاج نوع معين من الأقمشة فإنه يمكن القول بأن الجماعة عندما تنتج ألف متر من هذا القماش تكون أكثر إنتاجية من جماعة أخرى أنتجت خمسمائة متر من نفس هذا النوع من القماش.

ومعنى ذلك أن الإنتاج المادي يمكن قياسه وتحديد عناصره والعوامل المادية التي تؤثر في هذا النوع من الإنتاجية.

ولكن هل يمكن لنا أن نقل هذا القياس وهذه المقارنة إلى الإنتاجية الاجتماعية.

بداية نقول إن عملية قياس الإنتاجية الاجتماعية عملية يتدخل فيها مجموعة من العوامل مثل حجم المجموعة ونوعية التفاعل القائم بين أفرادها، ونسق القيم السائد في هذه الجماعة وطبيعة شبكة العلاقات الاجتماعية بها ووجود جماعات خارجية ضاغطة... الخ.

كما نقول أيضا إننا في حاجة إلى تعريف للإنتاجية الاجتماعية حتى نستطيع أن نستطرد في المناقشة حولها كمفهوم من مفاهيم نحو الجماعة.

«الإنتاجية الاجتماعية هي درجة التغيير في القيم السائدة في هذه الجماعة بناء على أداء وتوقعات أفراد الجماعة» وكذلك يمكن أن نضيف أنها أيضاً درجة التغيير في الأداء والتوقعات من حيث النوعية.

وبناء على هذا التعريف نرى أن أي تغيير في عملية إدراك الفرد لبقية أعضاء الجماعة (إدراكا اجتماعيا) يحدث تغييرا فيما يتوقعه هذا الفرد من الآخرين وبالتالي يحدث تغييرا في القيم القائمة على هذا التوقع.

وللتوسيع ذلك نفرض أن جماعة مؤلفة من عدد من الأفراد يناقشون موضوعاً أو قضية من القضايا ولو أن الفرد (أ) تغير إدراكه لبقية أفراد المجموعة بمعنى أن كان يدركهم

على أنهم موضوعيون ولكن تغير هذا الإدراك إلى أنهم ذاتيون متحاملون وبالتالي فهو أى الفرد (أ) لا يتوقع منهم الموضوعية في المناقشة والحكم ومن ثم تغير قيمة التعاون وتقدير الرأى المعارض وهي القيمة التي كانت قائمة على توقعه الأول من أفراد الجماعة.

وهناك عامل آخر يتصل بإنتاجية الجماعة - غير عامل مدى التغير في توقعات الأفراد - وهو عامل تكامل الجماعة Group Integration ومعنى هذا التكامل كما نعرفه هو عبارة عن مدى مقاومة بناء الجماعة وتنظيمها للضغط الخارجي التي تهدف إلى تحطيم هذا البناء وهذا التنظيم.

وهناك كذلك عامل ثالث يتدخل مع العامل السابق ويتصل بإنتاجية الجماعة ذلك هو عامل الروح المعنوية ويمكن تعريفها على أنها درجة الطلافة أو الحرية التي تتحرك بها الجماعة نحو أهدافها في وجود العوائق والعوامل المعطلة لحركتها.

و واضح أن هذه العوامل الثلاثة إنما تعتمد في أصولها على عملية تكوين الفرد لذاته أو صورة ذاته وإدراكه لذوات الآخرين، وعليه تصبح عملية الإدراك الاجتماعي هي المتغير المستقل في هذه المنظومة من التغيرات.

أجرى دارلى ومارتن في الخمسينيات دراسة للتمييز بين إنتاجية الجماعة ونشاط الجماعة حيث وجدا أن معامل الارتباط بين معدل نشاط الجماعة وإنتاجية الجماعة (في بعض الجماعات) لا يزيد عن ٢ ، . حيث كانت وحدات نشاط الجماعة هي وحدات التفاعل العام خارج المواقف الإنتاجية، وذلك مثل الأنشطة الاجتماعية والتربوية المختلفة .

في حين أن وحدات إنتاجية الجماعة كانت هي وحدات إنتاج الجماعات في المعامل العلمية مثل معامل الكيمياء التطبيقية والورش الهندسية والتي يحتاج العمل فيها إلى جماعات صغيرة بالإضافة إلى وحدات التكامل الاجتماعي الذي لاحظه الباحثان في تفاعل الجماعة أثناء الموقف الإنتاجي .

ودراسة أخرى أجراها هورسفول وأرنزبرج على مجموعة من العمال في مصنع من مصانع الأحذية .

وخرج الباحثان من هذه الدراسة أنه لا توجد علاقة بين كمية ومعدل التفاعل الاجتماعي بين أعضاء الجماعات وبين الطاقة الإنتاجية لهذه الجماعات .

ولكن في دراسة لاحقة قام بها هيمفيل أثبت أن نشاط الجماعة وتفاعل أعضائها مع بعضهم البعض مثلاً في اشتراكهم في حل بعض المشاكل له علاقة موجبة بإنتاجيتها .

وفي دراسة أخرى قام بها لودج وآخرون وجد أن الطاقة الإنتاجية للمجموعات الكبيرة تفوق نظيرتها في المجموعات الصغيرة، وذلك في معالجة المشاكل التجريبية، أما في حالة مشكلات العمل والأداء فإن الجماعات الصغيرة تفوق على الجماعات الكبيرة وهذا تأكيد على علاقة حجم المجموعة بإنتاجيتها.

يؤكد ماريوت ٥٣، ١٩٦١ على أن إنتاجية بعض الجماعات الصناعية تقل كلما زاد عدد العمال، كما أن كفاءة الجماعة وإنتاجيتها لا تعتمد فقط على حجمها ولكنها تعتمد كذلك على نوع وطبيعة المشكلة التي تواجهها الجماعة.

يقرر فرنس في بعض دراساته المتأخرة ١٩٦١ أن هناك تناسبًا طرديًا (موجباً) بين تنظيم الجماعات وطاقتها الإنتاجية سواء من الناحية المادية أو من الناحية الاجتماعية.

ويقول سميث وهول بناء على مجموعة من التجارب التي قاما بها ١٩٦٧ أن إنتاجية الجماعة تزيد كلما اتضحت دور كل فرد فيها نتيجة لتمايز الأوضاع النسبية بين الأفراد وتقل كلما كان تركيب الجماعة بسيطاً.

وهذه الإشارة تحمل في ثناياها أن إنتاجية الجماعة دالة مباشرة لعملية الإدراك الاجتماعي حيث إن هذه العملية تقوم على وضوح دور كل فرد في الجماعة (١٩٧١).

ويقترح بنبيكى وبافليك نظرية لتفسير دوافع الإنتاج في الجماعة على أساس أن كل أداء له بعدان رئيسان:

(١) بعد يعتمد على القيمة النظرية التي يهدف الأداء إلى تحقيقها.

(٢) بعد يعتمد على عملية الأداء من حيث المهارة والتطبيق.

يقرر فيدلر وكر ونباخ (١٩٧٢) أن هناك علاقة مباشرة بين عملية الإدراك الاجتماعي كمتغير مستقل وإنتاجية الجماعة كمتغير تابع.

ففي دراسات بدأت منذ ١٩٦٠ على بعض الفرق في البحرية الأمريكية وكذلك بعض النوادي الرياضية وخاصة نوادي كرة السلة أجاب فريق البحث على سؤالين: أولهما: إلى أي مدى تختلف الجماعات المنتجة عن الجماعات غير المنتجة من حيث كونها جماعات نفسية؟.

وثانيهما: أي الخصائص الرعائية والمرفقية تساعد الجماعة لتكون جماعة منتجة؟.

ويعتقد فيدلر وكر ونباخ أن إنتاجية الجماعة هي المحك الذي يمكن على أساسه قياس قدرة القائد على توجيه أعضاء الجماعة. وبمعنى آخر لا يعتبر الزعيم أو القائد ناجحاً إذا عجزت جماعته عن تحقيق الهدف من قيامها وتكوينها.

ووجد الباحثان أن قادة الفرق المنتجة يجب أن يتميزوا بالخصائص التالية:

(١) المكانة السوسيومترية العالية التي تجعل القائد دائماً في بؤرة اهتمام واختيارات أفراد الجماعة وهدفاً شعورياً لهم أثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض.

(٢) القدرة على الاحتفاظ ببعد نفسى اجتماعى مناسب بين الذات وبين المعاونين حتى يضمن القائد استمرار انتقال التعليمات من مستوى إلى مستوى آخر وحتى يمكنه أن يغير في الأوضاع النسبية للمعاونين كلما دعت ظروف التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة.

(٣) القدرة الواضحة على تقدير الفرق بين سمات شخصية أقرب المعاونين إليهم وأبعد المعاونين عنهم.

كما وجد الباحثان أن عملية الإدراك الاجتماعي في الجماعات المنتجة تختلف عنها في الجماعات غير المنتجة حيث افترض الباحثان أنه يمكن قياس عملية الإدراك الاجتماعي عن طريقين هما:

١ - درجات المكانة السوسيومترية.

٢ - درجات التشابه المفترض بين الأفراد.

والحقيقة أن هذين البعدين لا يمثلان كل عملية الإدراك الاجتماعي وهذا نقد يمكن أن يوجه إلى هذه الدراسات الرائدة في مجال الإنتاجية الاجتماعية.

وهنا نستعرض إحدى الدراسات التي أجريت في إطار نظرية الإدراك الاجتماعي التي سبق الإشارة إليها وتحدثنا فيها عن الأبعاد السبعة لهذه العملية^(١):

أجريت هذه الدراسة في أحد معسكرات العمل في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٦٦ وكان الهدف منها هو إيجاد العلاقة بين أبعاد عملية الإدراك الاجتماعي وبين إنتاجية الجماعات الصغيرة.

وكانت الأعمال الرئيسية التي يقوم بها أفراد المعسكر هي أعمال الرى وغرس الأشجار والزراعة ورصف وتعبيد الطرق، وكما هو واضح من وصف هذه الأعمال فإنها جميعاً تحتاج إلى روح الفريق وجهد التعاون بين أعضاء جماعات صغيرة نسبياً لا يزيد حجمها عن سبعة أفراد.

(١) سعد عبد الرحمن: الإدراك الاجتماعي وإنتجاه الجماعات الصغيرة ١٩٦٩ م.

وكانت عينة الدراسة ٣٣ مجموعة تتالف كل مجموعة من ٧ أفراد في المتوسط بالإضافة إلى رائد سبق تدريبه على كثیر من المهارات الاجتماعية وخاصّة مهارة القيادة والتعاون والتوجيه.

وكان جميع أفراد الجماعة يقضون كل الوقت متلازمين سواء في العمل اليومي أو في النوم في خيام المعسكر، وبذلك يمكن القول بأن عملية التفاعل الاجتماعي المباشر بين أعضاء الجماعة كانت تتم وتستمر بدرجة كافية تسمح بقياسها وتقديرها من الناحية السوسيومترية.

وللتلخيص فإن النشاط اليومي لكل جماعة من هذه الجماعات الثلاثة والثلاثين يتالف من ثلاثة أنواع من المواقف يمكن على أساسها تقدير إنتاجية كل جماعة، وهذه الأنواع الثلاثة هي:

١ - مواقف العمل والأداء وتشمل النشاط الفعلى في ميادين العمل مثل غرس الأشجار والشتالات والری وتبديد الطرق، وفي هذا النوع من المواقف يمكن استخدام عدد الوحدات العملية كمؤشر ودليل للإنتاجية المادية للجماعة (عدد الأشجار...).

٢ - مواقف التفاعل الحر التي تشمل تفاعل الأفراد أثناء فترات الرياضة: المباريات الودية، وفترة الراحة وخلافات السمر.

وهذا النوع من المواقف يعتبر حجر الزاوية في بناء التنظيم السوسيومترى للجماعة

٣ - مواقف الحوار والمناقشة وهذه تمثل في الحلقات الدراسية التي كانت تعقد لمناقشة بعض المشكلات الاجتماعية وتعقدها كل جماعة على حدة وهذه الحلقات يمكن أن تكون أساسا لحساب إنتاجية الجماعة من الناحية الاجتماعية.

هذا وقد اعتبر الإنتاج في كل جماعة مكونا من نوعين هما:

(أ) الإنتاج المادي ويقدر بعدد الوحدات التي تم إنجازها مثل عدد الأشجار أو مسافات تبديد الطرق... الخ.

(ب) الإنتاج الاجتماعي وهو حصيلة التفوق في التحليل اليومي لمحنوي تفاعل المجموعة أو بمعنى آخر مقدار التغير اليومي في قيم التفاعل.

وبناء على ما سبق تم تقسيم المجموعات كلها إلى ثلاثة أنواع:

- ١ – مجموعات فائقة الإنتاج.
 - ٢ – مجموعات متوسطة الإنتاج.
 - ٣ – مجموعات دون المتوسط في الإنتاج.
- وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ١ – عند مقارنة الجماعات فائقة الإنتاج بالجماعات دون المتوسط إنتاجياً وجد أن عدد الروابط السوسيومترية المزدوجة والأفراد الذين لم يوجه لهم أى اختيار والأفراد المنعزلين يرتبط بقلة الإنتاج في حين أن العلاقات المتسلسلة والمركزية وكثافة الاختيار السوسيومترى ترتبط بالمعدل الأعلى للإنتاج.
- ٢ – في حالة الجماعات فائقة الإنتاج نجد أن عدد مراكز الاختيار الاجتماعي (الزعamas السوسيومترية) وكذلك مراكز الرفض السوسيومترى أقل بصورة واضحة عن نظيرتها في الجماعات قليلة الإنتاج، ويمكن تعليل ذلك بأن التفاعل الناجع يقود إلى زعامة يتلقى عليها بقية أفراد الجماعة والعكس في حالة التفاعل الفاشل الذي يؤدي إلى زعamas كثيرة متنازعة أو زعamas ضعيفة متناثرة.
- ٣ – في الجماعات فائقة الإنتاج تقل المسافة بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرته عن أقرب معاونيه إذا قورنت بنفس المسافة في حالة الجماعات قليلة الإنتاج، وكذلك يكون متوسط درجات التشابه الوصفي أ / ج (بين الفرد وأبعد المعاونين عنه) في حالة الجماعات فائقة الإنتاج أعلى بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر في حالة الجماعات قليلة الإنتاج.
- ٤ – في حالة الجماعات فائقة الإنتاج يكون متوسط درجات الفرق المقارن أعلى بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر في حالة الجماعات قليلة الإنتاج.
- ٥ – في الجماعات فائقة الإنتاج يكون متوسط درجات التراسل أقل بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المقابل في حالة الجماعات قليلة الإنتاج.
- ٦ – الحالة المثلى للإدراك الاجتماعي التي ترتبط بأعلى درجات الإنتاجية الاجتماعية يمكن وصفها كما يلى:
 - درجة التشابه الحقيقي أ / ب تقترب من درجة التشابه الوصفي أ / ب يقترب من درجة التراسل ب / أ.
 - تكون درجة الفرق المقارن أعلى ما يمكن.
 - تكون درجة التراسل بين أ، ب أقل ما يمكن بمعنى أن التراسل أو التطابق هو أعلى ما يمكن.

ولتلخيص فقد أمكن تحقيق ما يلى:

- ١ - التنظيم السوسيومترى الأمثل يميز الجماعات فائقة الإنتاج.
- ٢ - المركزية فى البناء السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة.
- ٣ - كثافة الاشتراك السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة.
- ٤ - هناك علاقة موجبة بين التراسل والإنتاجية.
- ٥ - هناك تناوب طردى بين درجات الفرق المقارن والإنتاجية.
- ٦ - هناك حالة مثلى لدرجات الإدراك الاجتماعى تبلغ إنتاجية الجماعة عندها أقصى حالاتها.

(٢) الإدراك الاجتماعى وصورة الذات (ووصف الذات):

ما نقصده بوصف الذات هنا أو وصف صورة الذات هو وصف الفرد لنفسه وصفا موضوعيا ما أمكن ذلك لأن هناك عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية (إدواردز) Edward - Social Desirability الذي يؤثر على وصف الإنسان لنفسه.

أما الإدراك الاجتماعى كما سبق وصفه فهو عملية مؤلفة من سبعة أبعاد منها الحقيقى والوصفى والتراсли والفرق المقارن.

هناك دراستان رائدينان في هذا المجال ثم أجراؤها بين ١٩٦٣، ١٩٦٧، ١٩٧٥،
ويمكن تلخيصهما كما يلى^(١):

تم إجراء اختبار سوسيومترى على المجموعات المطلوب دراستها حيث يطلب من المفحوص أن يعين أفضل الأفراد الذى يحب أن يتعامل معه، كما يطلب منه أيضاً أن يعين الفرد الذى لا يجب أن يتعامل معه ثم طبق اختبار فى الشخصية يقيس أربعة أبعاد هى الميل إلى التسلط والسيطرة، الثبات الانفعالي، القدرة على تحمل المسئولية والقدرة الاجتماعية، وذلك على نفس المجموعات التي طبق عليها الاختبار السوسيومترى.

بعد ذلك حسبت درجة الفرد (الحقيقة) في كل بعد من هذه الأبعاد الأربع وهذه الدرجة عبارة عن الدرجة التي يعطيها الاختبار مباشرة. ثم كانت الخطوة التالية هي حساب درجات الإدراك الاجتماعى الخمسة (الوصفى أ / ب، أ / ج ، التراсли أ / ج ، الفرق المقارن) بالنسبة لكل بعد من أبعاد الشخصية الأربع.

ويصبح بذلك أمامنا مجموعة الدرجات التي تقيس صورة الذات وهي الدرجات التي يعطيها الاختبار مباشرة ودرجات الإدراك الاجتماعى التي حسبت بطريقة الجذر

(١) سعد عبد الرحمن الإدراك الاجتماعى والبناء السوسيومترى للجماعات.

التربيعي لمجموع مربع الفروق ثم حسبت معاملات الارتباطات بين هاتين المجموعتين من الدرجات وكانت النتائج كما يلى :

- ١ – كلما زاد أو ارتفع مفهوم الذات عند الفرد زاد التشابه الوصفي بينه وبين وصفه لذات أقرب المعاونين إليه . (معاملات الارتباط دالة عند مستوى ١ ، ، ٠ ، ٠) .
- ٢ – الأفراد الذين لديهم فكرة عالية أو رفيعة عن صورة ذاتهم يصفون أبعد المعاونين عنهم أقل شبهًا بهم . (معاملات الارتباط دالة عن ٥ ، ، ١ ، ٠ ، ٠) .
- ٣ – الترابط بين درجات التراسل وصورة الذات ترابط (موجب) أي أن ارتفاع صورة الذات يؤدي إلى تراسل أقل وبذلك نقول إن الفرد الذي يحمل صورة عالية لذاته أقل قدرة على وصف أقرب معاونيه كما يصف هذا المعاون نفسه والعكس صحيح بالنسبة للفرد الذي لا يحمل هذه الصورة الرفيعة لذاته .
- ٤ – هناك ارتباط إيجابي بين صورة الذات وبين القدرة على التفرقة بين خصائص وسمات أقرب المعاونين إلى الفرد وأبعدهم عنه .

(٣) عملية الإدراك الاجتماعي وبعض التغيرات السوسيومترية :

كانت الدراسات في مجال العلاقة بين عملية الإدراك الاجتماعي والبناء السوسيومترى للجماعات قليلة نوعاً، ولكن كانت هناك مجموعة من الدراسات التي أجريت في بيوت عربية وأجنبية مختلفة أوضحت مجموعة من النتائج ذات أهمية خاصة :

متغير المكانة السوسيومترية :

أ- البعد الوصفي A / ب والمكانة السوسيومترية :

تمت مقارنة ثلاثة مكائنات سوسيومترية مختلفة هي الزعامات السوسيومترية أو بؤرة الاختيار السوسيومترى ، واللامشترون فى التنظيم السوسيومترى أى لم يوجه إليهم أى اختيار والمرفوضون أو بؤرة الرفض السوسيومترى ، بعد المقارنة حصلنا على :

– هناك فرق ذو دلالة إحصائية (١ ، ، ٠) بين درجات التشابه الوصفي للزعamas السوسيومترية ، ودرجات بؤرة الرفض السوسيومترى حيث كان متوسط درجات التشابه الوصفي للأفراد الذين يمثلون بؤرة الرفض أقل بكثير من درجات الزعامات السوسيومترية ، وهذا يعني أن الشخص المرفوض سوسيومتريا يميل إلى وصف أقرب معاونيه كأقرب ما يكون شبهًا بذاته وذلك أكثر من ميل الفرد الذي يمثل زعامة سوسيومترية .

بـ-البعد الوصفي أ / جــ والمكانة السوسيومترية:

عند مقارنة متوسط درجات الأفراد الذين يمثلون بؤرة الاختيار (الزعamas السوسيومترية) بمتوسط درجات الأفراد الذين يمثلون عدم الاشتراك السوسيومترى أو أفراد بؤرة الرفض نجد دائماً أن متوسط درجات أفراد بؤرة الاختيار أعلى بصورة ذات دلالة إحصائية (١ . .) من متوسط التوعين الآخرين ومعنى هذا أن الفرد الذي يمثل بؤرة الاختيار السوسيومترى لا يميل إلى وصف أبعد معاونيه بسمات أو صفات تقترب من صورة ذاته بينما العكس قد يكون صحيحاً في الحالتين الآخرين.

جــ-البعد التراصلي أ / بــ والمكانة السوسيومترية:

أشارت النتائج في هذه الحالة إلى أن الأفراد الذين يمثلون بؤرة الاختيار السوسيومترى يصفون أقرب معاونיהם بطريقة تقترب من تلك التي يحب هؤلاء الآخرون وصف أنفسهم بها، وذلك عند مقارنتهم بالأفراد غير المشتركين في التنظيم السوسيومترى أو هؤلاء الذين يمثلون بؤرة الرفض.

دــ-البعد التراصلي أ / جـــ والمكانة السوسيومترية:

لم تكتمل الصورة في هذه الفقرة والنتائج لم تشر إلى شيء ما. وهذه نقطة تحتاج إلى دراسات أخرى لتوضيحها.

هــ-الفرق المقارن والمكانة السوسيومترية:

وقد أشارت النتائج هنا إلى أن الأفراد الذين يمثلون بؤرة الرفض وكذلك الذين لم يوجه إليهم أي اختيار هم أقدر على التمييز بين أقرب المعاونين وأبعدهم.

متغير الروابط السوسيومترية:

أــ-التشابه الوصفي والروابط السوسيومترية:

يجب أن يكون واضحاً أن المقارنة هنا سوف تعقد بين (كم) الرابطة السوسيومترية وليس (نوع) هذه الرابطة. لذلك سوف نقارن بين الرابطة المزدوجة التي تدل على الاختيار المتبادل، وبين الرابطة المزدوجة التي تدل على الرفض المتبادل أي بين خ \longleftrightarrow خ، ر $\longrightarrow \longleftarrow$ ر. وذلك من ناحية (كم) درجات التشابه الوصفي كبعد من أبعاد عملية الإدراك الاجتماعي.

لذلك سوف نقارن بين درجات التشابه الوصفي أ / بــ بدرجات التشابه الوصفي أ / جــ من أجل الإجابة على هذا السؤال أيهما أقوى؛ رابطة الاختيار أم رابطة الرفض؟.

عند المقارنة حصلنا على النتائج التالية: متوسط الفرق

درجة التشابه الوصفي أ / ب (خ \longleftrightarrow خ) ٣,٤

درجة التشابه الوصفي أ / ج (ر \longleftrightarrow ر) ٢,١

ت = ٢,٢١ دالة عن مستوى ٥,٠,٠.

من هنا ترى أن متوسط الفرق في رابطة الاختيار أكبر صورة دالة إحصائية من متوسط الفرق في رابطة الرفض، وبمعنى آخر تقول إن رابطة الرفض أقوى من الناحية الكمية من رابطة الاختيار وذلك لأن أخذنا في حسابنا طبيعة درجات التشابه الوصفي.

ولهذا فإننا نلاحظ أن رابطة الاختيار قابلة للتغير أسرع من رابطة الرفض.

ب- درجات التراسل والرابطة السوسيومترية:

تمت المقارنة كما سبق وكانت النتائج كما يلى:

م
التراسل أ / ب (خ \longleftrightarrow خ) ١,٩

التراسل أ / ج (ر \longleftrightarrow ر) ٣,٥

ت = ٢,١٧ دالة مستوى ٥,٠,٠.

ينتضح أن في رابطة الاختيار المتبادل يكون التراسل بين الرفيقين أكبر (لاحظ طبيعة الدرجات) بصورة دالة إحصائية من التراسل الموجود بين الشريكين في رابطة الرفض.

ج- درجات الفرق المقارن والرابطة السوسيومترية:

كانت نتيجة المقارنة كما يلى: م

فرق المقارن (خ \longleftrightarrow خ) ١,٣

فرق المقارن (ر \longleftrightarrow ر) ٣,٢

ت = ٢,٨٤ دالة إحصائية عند ١,٠,٠.

ومن هنا نستدل على أن الاتفاق بين الرفيقين في رابطة الاختيار على التمييز بين خصائص وسمات أقرب وأبعد المعونين أكثر من الاتفاق بين الشريكين في رابطة الرفض.

المراجع

المراجع الأجنبية:

- 1 - Abdel Rahman, S, Personality traits and Sociometric Choices, Ph. D Th. London Univ. 1963.
- 2 - - Abdel Rahman, S, Group Sociometric Structure. J. mod. Educ. 1970.
- 3 - Abdel Rahman, S, the Sociometric Correlates of Social Perception Scores, 1972. Jn of Hum. Studies.
- 4 - Toch H, Smith R, Social Perception 1986. Van Nostrand.

المراجع العربية:

- ٥ - سعد عبد الرحمن: أساس القياس النفسي الاجتماعي القاهرة الجديدة ١٩٦٧ .
- ٦ - سعد عبد الرحمن: خطائص الشخصية وأبعاد الإدراك الاجتماعي ١٩٦٦ .
- ٧ - سعد عبد الرحمن: الإدراك الاجتماعي وإنتاجية الجماعات الصغيرة صحيفة التربية ١٩٦٧ .
- ٨ - سعد عبد الرحمن: السلوك الإنساني تحليل وقياس التغيرات ط ٣ ١٩٨٣ .



الفصل الثامن

الاتجاهات النفسية

- معنى الاتجاه النفسي . مكونات الاتجاه النفسي .
- طبيعة الاتجاه النفسي . الاتجاه النفسي والعقيدة .
- الاتجاه النفسي والرأي . الاتجاه النفسي والقيمة .
- أنواع الاتجاهات النفسية . تفسير الاتجاهات النفسية
- تغيير الاتجاهات النفسية . قياس الاتجاهات النفسية .
- وجهة نظر أخرى في قياس الاتجاهات .

لم ينل موضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعي ذلك الاهتمام والدراسة والبحث الذي ناله موضوع الاتجاهات النفسية لدرجة أن كثيراً من المشغلين في ميدان علم النفس رأوا أن المحور الأساسي لعلم النفس الاجتماعي هو الاتجاهات النفسية.

وبذلك كان – وما زال – الاتجاه النفسي مجالاً خصباً للدراسات والبحوث على جميع المستويات ذلك لأن هذا الموضوع له من الأهمية التطبيقية ماله من الأهمية الأكاديمية البحثة.

وعند النظر إلى سلوك الفرد في محاولة للدراسة والتحليل فإننا نجد العلاقة الصريحة بين اتجاهات الفرد نحو الأحداث التي تكون عناصر البيئة وبين سلوكه في أي موقف من المواقف التي يتعرض لها في حياته اليومية، بل لنذهب أبعد من هذا ونقول إنه عند قياس شخصية الفرد مستخدمين في ذلك أي أداة من أدوات القياس لتقدير سمة الثبات الانفعالي أو التسلط والسيطرة على سبيل المثال فإننا في الحقيقة نقيس اتجاه الفرد نحو المواقف التي تتضمنها أداة القياس والتي تمثل سمة الثبات الانفعالي أو السيطرة. وهناك وجهة نظر أخرى تزعم بأن الاتجاه النفسي هو الدافعية وهو القيمة إذ أنه المحرك الأصلي للإنسان نحو الهدف أو الغرض وكذلك تزعم وجهة النظر هذه بأن الاتجاه النفسي هو المحك الذي يستخدمه الفرد في الحكم على مفردات تفاعله مع الآخرين.

ولكن لنا تعليق على وجهة النظر هذه وهي أن هناك بناء على الدراسات الحديثة في العلوم السلوكية – إمكانية أكبر لوضع حدود ثاقبة بين اتجاهات والدافع والقيم وبقية التغيرات الأخرى.

وهناك وجهة نظر أخرى ترى أن الاتجاه النفسي هو الأساس الحركي للجماعات إذ بدونه لا يمكن أن تحدث عمليات الاتصال والتواصل بين الأفراد لتكوين جماعات أو بين الجماعات لإحداث نسق القيم والمعايير والنماذج الثقافية المختلفة.

ووجهة النظر هذه فيها الكثير من الإيجابية والوضوح والتوافق مع متطلبات معنى الاتجاه النفسي كما ستعرض له في الفقرات التالية:

معنى الاتجاه النفسي:

بداية نقول إن الاتجاه النفسي تركيب عقلي نفسي أحدثه الخبرة الحادة المتكررة، وهو تركيب يتميز بالثبات والاستقرار النسبي ويوجه سلوك الأفراد قريباً من أو بعيداً عن

عنصر من عناصر البيئة، ومن أمثلة الاتجاه النفسي حب شعب لشعب آخر أو كراهة شعب أو حب فرد لجماعة ما أو كراهيته لجماعة أخرى وهكذا.

بهذا المعنى يصبح الاتجاه النفسي حالة عقلية نفسية لها مقومات وخصائص تميزها عن الحالات العقلية والنفسية الأخرى التي يمر بها الفرد أثناء تفاعله مع أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها.

وهذه الحالة هي حالة (مع) أو (ضد)، حالة حب أو كراهة.

يقول ثرستون «أن الاتجاه النفسي هو تعميم لاستجابات الفرد تعميمًا يدفع بسلوكه بعيداً أو قريباً من مدرك معين».

وهنا نجد أن ثرستون أكد أولوية الدافعية على الاتجاهات، أو بمعنى آخر أصبحت الاتجاهات حصيلة التعميم الموجب أو السالب لاستجابات الفرد، وهي التي تحكم فيها إلى حد كبير قوى الدافعية بدرجاتها المختلفة.

ثم نجد أيضاً أن الاتجاه النفسي من وجهة نظر بوجاردس هو محصلة ضغوط البيئة الاجتماعية والمادية والبشرية على الفرد وذلك من خلال المعاير والعادات والتقاليد التي تمثل هذه القوى وهذه الضغوط.

ثم يصف ألبرت الاتجاه النفسي بأنه حالة من التهديد والتأهب العقلي العصبي التي تنظمها الخبرة وتوجه استجابات الفرد نحو عناصر البيئة.

وواضح أيضاً أن حالة التأهب هذه قد تكون قصيرة المدى أو لحظية أو قد تكون بعيدة المدى أو تستمر لزمن طويل.

ويرى نيوكمب أن مفهوم الاتجاه النفسي يبني على عنصرين هما:

أ - الاتجاه النفسي يمثل (فنظرية إدراكية) بين الحالة النفسية للفرد وبين سلوكه وتفاعلاته مع عناصر البيئة.

ب - يمكن التعرف على ماهية الاتجاه النفسي للفرد من خلال أنماط سلوكه وردود أفعاله.

ويفرق نيوكمب بين الاتجاهات النفسية والدافع فيقول أنه يمكن ملاحظة أثر الدافع في الحالات التي ينشط فيها الفرد ويسعى إلى إشباع حاجاته، بينما يمكن ملاحظة أثر الاتجاهات في حالات النشاط السلوكية وفي الحالات الأخرى التي لا يكون الفرد في حالة نشاط ساعياً إلى هدف ما وبمعنى آخر الدافعية تتعلق بنشاط الفرد ومرتبطة به بينما الاتجاه له صفة الاستمرارية.

كما أن الاتجاهات أكثر شمولاً وعمومية من الدوافع حيث إن هذه الأخيرة أكثر تخصصاً ونوعية.

وهناك إشارة يجب أن تؤخذ في الاعتبار وهي أن الدوافع التي لها صفة الشمول يكون من الصعب تمييزها عن الاتجاهات.

ولنا تعليق آخر فنقول إن الاتجاهات حصيلة تأثر الفرد بالتأثيرات العديدة التي ينجم عن اتصاله بأنماط ونماذج الثقافة السائدة والتراث الحضاري الموروث عن الأجيال السابقة وبهذا تخلص إلى أن الاتجاهات مكتسبة وليس موروثة، وإذا كان هناك شيء من (الوراثة) فهو عملية التلقين والتعلم الاجتماعي التي يمارسها الآباء مع أبنائهم.

وما يؤكد هذا الرزعم التجربة التي أجراها (كو) في الثلث الأول من هذا القرن ١٩٣٠ حيث عالجت موضوع الوراثة والاكتساب في الاتجاهات النفسية.

وقد أخذ (كو) في تجربته النطرف الواضح في الرمز الأبدى (للاتجاهات النفسية) بين القط والفأر وهي التي يشار إليها كمثل ذى دلالة في اتجاهات الكراهة.

استخدم الباحث في تجربته (٦٠) قطة صغيرة حديثة الولادة حيث قسمها إلى مجموعتين كل مجموعة (٣٠) قطة.

المجموعة الأولى: أطعنت منذ البداية اللحم واللبن والسمك المخلوط بالأرز وربست على هذا النوع من الطعام.

المجموعة الثانية: عاشت نباتية أي أطعنت اللبن والخضروات منذ البداية ولم تذوق اللحم أو السمك على الإطلاق.

ثم ثم عاد (كو) وقسم القطط جميعها إلى ثلاثة أقسام في كل قسم عشرون قطة صغيرة منها عشر أكلة لحوم وعشر نباتية وربى الأقسام الثلاثة تحت ظروف مختلفة.

(أ) **القسم الأول:** عاش منعزلاً تماماً عن الفئران والقطط الأخرى.

(ب) **القسم الثاني:** عاش مع أمهاهن لترتها وهي تفترس الفئران.

(ج) **القسم الثالث:** عاش بعد الولادة بأسبوع مع الفئران في قفص واحد دون أن نرى أي قطط أخرى.

وبعد فترة زمنية كافية قام الباحث باختبار العلاقة بين القط والفأر ولخصها كما يلى :

(أ) في حالة الانعزالية الكاملة ٤٥٪ نقتل الفئران.

(ب) في حالة الحياة الطبيعية مع الأم ٨٦٪ تقتل الفئران.

(ج) عاشت مع الفئران ١٧٪ تقتل الفئران.

ورغم ما في هذه التجربة من طرافة علمية فإن ظلال الشك تدور حولها إذ أن السؤال القائم هل للقطط اتجاه نفسى !!! أم أن هذا السلوك سلوك (فطري)... ولكن في جميع الحالات تؤكد هذه التجربة أن التعلم الاجتماعي والتقليد والمحاكاة والتدريب المسبق جميعها تؤدي إلى تكوين ما نسميه بالاتجاه النفسي عند الكائن الحي.

مكونات الاتجاه النفسي:

نقول إن الاتجاه النفسي يتكون من أربعة عناصر أساسية تتفاعل مع بعضها البعض لتعطى الشكل العام للاتجاه النفسي، ونحن نفترض وجود هذه العناصر من أجل توضيح مكونات الاتجاه وخاصة عند محاولة قياسه وتقديره كما أنها – أي هذه العناصر – توضح أيضاً الفرق بين الاتجاه النفسي وبين متغيرات أخرى مثل العقيدة والرأي وما إلى ذلك وسوف نشير إلى هذه المكونات فيما يلى :

١- المكون الإدراكي : Perceptual Component

وهو عبارة عن مجموعة المثيرات التي تساعد الفرد على إدراك الموقف الاجتماعي أو يعني آخر الصيغة الإدراكية التي يحدد الفرد رد فعله في هذا الموقف أو ذاك.

وقد يكون الإدراك حسياً عندما تكون الاتجاهات نحو الماديات أو ما هو ملموس (مثل رائحة طعام ما) وقد يكون الإدراك اجتماعياً – وهو الصيغة الغالية – عندما تكون الاتجاهات نحو المثيرات الاجتماعية والأمور المعنوية الأخرى (مثل إدراك الفرد الآخر في موقف صدقة أو غير ذلك) ولذلك وبناء على مفاهيم الإدراك الاجتماعي تتدخل مجموعة كبيرة من المتغيرات في هذا المكون الإدراكي مثل صورة الذات ومفهوم الفرد عن الآخرين وأبعاد التشابه والتطابق والتمييز.

والملون الإدراكي بهذه الصورة من أهم مكونات الاتجاه النفسي إذ أنه يمثل الأساس العام لبقية المكونات.

٢- المكون المعرفي : Cognitive Comp .

وهو عبارة عن مجموعة المعلومات والخبرات والمعرف التي تتصل بموضوع الاتجاه والتي انتقلت إلى الفرد عن طريق التلقين أو عن طريق الممارسة المباشرة، ذلك بالإضافة إلى رصيد المعتقدات والتوقعات. وعلى ذلك فإن قنوات التواصل الثقافية والحضارية

تكون مصدرا رئسيا في تحديد هذا المكون المعرفي بجانب مصدر هام آخر هو مؤسسات التربية والتشئة التي يتعرض من خلالها الفرد للخبرات المباشرة (ومثال ذلك المعلومات التي يتلقاها الفرد عن خصائص شعب من الشعوب).

٣- المكون الانفعالي : Emotional Comp

المكون الانفعالي للاتجاه النفسي هو الصفة المميزة له والتي تفرق بينه وبين الرأي. إذ أن شحنة الانفعال المصاحبة للاتجاه هي ذلك اللون الذي بناء على عمقه ودرجة كثافته يتميز الاتجاه القوى عن الاتجاه الضعيف كما يتميز الاتجاه عموماً عن المفاهيم الأخرى مثل الرأي والعقيدة والميل والاهتمام.

٤- المكون السلوكي : Behavioural Comp

وهو عبارة عن مجموعة التعبيرات والاستجابات الواضحة التي يقدمها الفرد في موقف ما بعد إدراكه ومعرفته وانفعاله في هذا الموقف. إذ عندما تتكامل جوانب الإدراك بالإضافة إلى رصيد الخبرة والمعرفة التي تساعد على تكوين الانفعال وتوجيهه يقوم الفرد بتقديم الاستجابة التي تناسب مع هذا الانفعال وهذه الخبرة وهذا الإدراك.

طبيعة الاتجاه النفسي :

كانت طبيعة الاتجاه النفسي مثار جدل بين الباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي، وخاصة فيما يتصل بقطبية الاتجاه النفسي. وللتوضيح فإن هناك فريقاً من الباحثين يرى أن الاتجاه النفسي ثالثي القطبية شأنه في ذلك شأن السمات الشخصية مثل الانبساط - الانطواء، الثبات الانفعالي والنوتور والقلق وما إلى ذلك.

وقد دفع عن وجهة النظر هذه كل من تشارلى جاد وجيمس كوليك (١٩٨٠) حيث قاما بمجموعة من الدراسات الميدانية ثم تحليلها ليثبت الباحثان أن الفرد يتعامل مع اتجاهه على أنه ثالثي القطبية يعني مع أو ضد، ثم عضد هذا المعنى أيضاً براتكانيس (١٩٨٩ ، ١٩٩٢) .

وتبلور هذا المنحى عن نظرية أساسية في الاتجاهات النفسية تؤكد قطبية هذا الاتجاه وهي نظرية الحكم الاجتماعي Social Judgment theory و التي نادى بها مظفر شريف ١٩٦٥ و تستطرد هذه النظرية وتقول إن استجابات الفرد والتي تؤلف اتجاهه النفسي إنما ينقسم إلى ثلاثة أنواع: هي القبول والرفض وعدم التقييد أو الاهتمام، واستجابة القبول تقع في منطقة العقيدة المقبولة على متصل Continuum، واستجابة الرفض تقع في منطقة العقيدة المرفوضة، واستجابة عدم التقييد أو الاهتمام تقع في منطقة العقائد غير

المقبولة وغير المفروضة ولكن هل معنى هذا أن كل اتجاه (مع) يكون قطب الآخر (ضد) أو أن كل اتجاه موجب يكون قطب الآخر اتجاه سالب؟؟.

هذا السؤال هو الذي دعا فريقا آخر من الباحثين إلى أن يزعموا أن الاتجاه النفسي ليس قطبيا وبمعنى آخر الاتجاه ليس نقطة على متصل بدايته الإيجابية الكاملة ونهايته السلبية التامة.

وقد بدأ كيلرنجر بتحدى هذه النظرية في بحوثه التي ناقش فيها ثنائية قطبية الاتجاه (١٩٨٤) فقال إنه على سبيل المثال لا يمكن تمثيل الاتجاه التحرري Liberalism والاتجاه المحافظ Conservatism على بعد واحد بل يجب أن يمثل كل اتجاه من هذين الاتجاهين على بعد مستقل عن بعد Dimension الآخر. فيكون بعد الأول على سبيل المثال هو عبارة عن تدرج لاتجاه التحرر بينما يكون بعد الثاني تدريجاً لاتجاه المحافظة، ويعزز الباحث وجهة نظره – لرفض فكرة ثنائية القطبية – فيقول إن من يوافق على عبارة في نهاية مقياس يكون عادة غير مهم بمقدار في بداية هذا المقياس.

ويقول كذلك إن المتحررين (التقديميين) لا يرفضون كثيراً من قيم المحافظين والعكس صحيح كذلك.

وخلاله القول أن الاتجاهات النفسية التي اعتبرت أحادية بعد Unidimensional ثنائية القطبية Bipolar هي في حقيقة الأمر – من وجهة نظر كيلرنجر ثنائية بعد - Bidi- mensional أحادية القطبية Unipolar. وأيد هذا بدراسات عاملية – استخدم فيها منهج التحليل العاملی – ليحصل على تنظيم ثانی العاملية Two - Factor مع وجود معامل ارتباط سالب بسيط بين العوامل.

وهناك فريق ثالث يرى أن طبيعة الاتجاهات يمكن أن تمثل مجموعة من النماذج المقترنة والتي ما زالت تحت الدراسة والتمحیص مثل نموذج الشبكة المتراوحة وهو نموذج معرفي، ونموذج العقيدة والاتجاه وهو نموذج معرفي انفعالي.

الاتجاه النفسي والعقيدة:

العقيدة اتجاه نفسي يغلب على تكوينه العناصر المعرفية والفكرية والتي تسمى أحياناً (أيديولوجيات) بالإضافة بطبيعة الحال إلى المكون الانفعالي أو العاطفي الذي يميز الاتجاه النفسي، ولكنه يتخذ صورة أكثر عمقاً ولوناً أكثر كثافة، إذ أن الانفعال المرتبط بتفكير العقيدة يعطي نطاً سلوكياً قد يصل إلى التطرف أو الدوغمائية في بعض الأحيان، وعليه فإن الإنسان عندما يعتقد في نظرية سياسية أو اجتماعية فإنه يدعم اتجاهه نحو هذه

النظيرية بمزيد من الفكر والمعرفة والمعلومات؛ والعقيدة تمثل خلفية صالحة لتكوين مجموعة من الاتجاهات النفسية فعقيدة فرد في حزب سياسي من نوع ما سوف تكون لديه مجموعة من الاتجاهات المضادة نحو فرد آخر يعتقد مبادئ حزب سياسي مضاد، كما تكون لديه مجموعة من الاتجاهات الموجبة نحو فرد آخر يعتقد مبادئ حزبه السياسي.

كما يجب أن نشير كذلك إلى أن هناك مجموعة من الآراء الحديثة تفسر العلاقة بين الاتجاه والعقيدة ولكنها لا تخرج كثيراً عما ذهبنا إليه في الفقرات السابقة، بل تعطى بعض النماذج التي يحسن أن نعرض لتوضيحها:

نموذج قيم التوقع - Expectancy - Value (إيجلي ١٩٩٣).

يدور هذا النموذج حول محور واحد، وهو أن الاتجاه النفسي للفرد دالة عقيدته عندما تمثل هذه العقيدة على أنها مجموع القيم المتوقعة أو المتمنية حول موضوع هذا الاتجاه، وعليه فإنه يمكن تمثيل الاتجاه النفسي على النحو التالي:

$$\text{الاتجاه} = \text{مجموع التوقعات} \times \text{القيم}$$

وهذا ما يجعلنا نقول إنه يمكن التنبؤ بالاتجاه النفسي من العقيدة.

(نموذج تكامل المعلومات) (أندرسون ١٩٩١)،

يدور هذا النموذج حول عملية استدخال المعلومات والأفكار أو بمعنى آخر المكون المعرفي للاتجاه – من أجل تكوين العقيدة وتمر عملية الاستدخال هذه على مرحلتين: مرحلة الدرجة أي اعطاء درجة على مقياس افتراضي لبيان أهمية المعلومة أو الفكرة ثم تأتي المرحلة الثانية وهي إعطاء وزن لهذه المعلومة، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تكامل المعرفة أو بمعنى آخر تناصتها مع مجموعة المعرفة والمعلومات السابقة.

بفى أن نقول إن عملية الدرجة والوزن يشار إليهما بعملية التقييم بينما عملية التناص أو الاتساق يشار إليها بعملية التكامل.

ومن ثم يمكن تمثيل استجابة الفرد المبنية على العقيدة على النحو التالي:

$$\text{الاستجابة} = \text{الدرجة}_1 \times \text{الوزن}_1 + \text{الدرجة}_2 \times \text{الوزن}_2 + \dots + \text{الدرجة}_n \times \text{الوزن}_n$$

حيث $1, 2, \dots, n$ هي عناصر المعرفة أو وحدات المعلومات.

هذا فيما يختص بالعقيدة والاتجاه.. وماذا إذن عن الإيمان وهو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها العاطفة الإنسانية وتميزه عن كثير من خلق الله تعالى.

نقول إن الإيمان اتجاه نفسي مركب يضاف إليه العقيدة العميقه المملوءة بالانفعال وغالباً ما يستخدم لفظ الإيمان للدلالة على عقيدة الفرد في الغيب والروحانيات والمقضيات حيث يقول «إيمان الفرد بالصلوة» وليس اتجاهه نحو الصلاة.

الاتجاه النفسي والرأي:

الرأي هو تنظيم خاص للخبرة المعرفية الإدراكية فقط سواء كانت هذه الخبرة منقولة أو مباشرة، وواضح من هذا أن الرأي يخلو من المكون العاطفي أو الانفعالي الذي يميز الاتجاه النفسي ويعطيه خصائصه الأخرى.

سوف نشير أيضاً إلى علاقة الاتجاه النفسي بالرأي العام فنقول إن هناك الكثير من المحاولات لتعريف ووصف الرأي العام وكان ذلك من خلال وظيفته كضغط اجتماعي. فالبعض يرى أن الرأي العام يعني سيادة قوة المجتمع والتي بدونها لا يكتب قانون أو تقوم حكومة. والبعض الآخر يرى أن الرأي العام هو درجة من الاقتناع السائد في جماعة ما ويكون من القوة بحيث يوجه سلوك أفرادها. ويمكن أن نقترح التعريف التالي وهو يوضح العلاقة بين الاتجاه والرأي العام:

الرأي العام هو المحصلة النهائية للاتجاهات النفسية الاجتماعية ذات الدرجة العالية – سالبة كانت أم موجبة – لأفراد جماعة منظمة متمايزة التركيب تجاه مشكلة محددة تمثل نقطة توتر وعدم اتزان في المجال النفسي الاجتماعي للجماعة.
ومن هذا التعريف نستنتج أن الفرصة لتكوين رأي عام تزيد بزيادة شدة الاتجاهات النفسية (سالبة أم موجبة).

ومن هنا نرى العلاقة الوثيقة بين الرأي العام والاتجاه النفسي، ولابد أن نقول إن الرأي العام له خصائص محصلة لاتجاهات من التوالي الإدراكية والمعرفية والانفعالية والسلوكية.

الاتجاه النفسي والقيمة:

القيمة كما سبق وأشارنا هي عبارة عن تنظيم خاص لخبرة الفرد ينشأ هذا التنظيم في مواقف المفاضلة والاختيار، ويتحول إلى وحدة عيارية على الصعيد الاجتماعي للفرد. وهذا التنظيم أو هذه القيمة توجه سلوك الفرد في مواقف حياته اليومية وتتساعده على الحكم على الأشياء والمثيرات والعناصر المتفاعلة في البيئة، وذلك أثناء سعي الفرد لتحقيق هدف ما.

وإذا نظرنا إلى الاتجاه فإنه أيضاً تنظيم خاص لخبرة حادة ومتكررة وتوجهه أيضاً سلوك الفرد ولكن في منطقة الهدف أو الغرض حيث تكون الأولوية للاتجاه سابقاً في ذلك القيمة التي كانت فعالة في مرحلة البحث أو السعي لتحقيق الغرض أو الهدف.

أنواع الاتجاهات،

يمكن لنا أن نتعرف على عدة أنواع من الاتجاهات النفسية وذلك من الناحية الوصفية والوظيفية.

وهذا التصنيف يساعد الدارس على تحديد نوعية وشدة الاتجاه النفسي مع العلم بأن الاتجاه الواحد قد يقع في أكثر من تصنيف وذلك من حيث صفتة ومن حيث وظيفته.

ومن هذه الأنواع ما يلى:

١- الاتجاه العام والاتجاه النوعي General and Specific

الاتجاه العام هو ذلك الاتجاه الذي يشمل كلية الموضوع الذي يتناوله هذا الاتجاه وذلك بغض النظر عن كونه سالباً أو موجباً مثل اتجاه الفرد نحو بلد معين فهو يعبر عن اتجاهه السالب أو الموجب نحو شعب هذا البلد وطراز المساكن وجوهاً طبيعياً وطرق المواصلات ونوع الأطعمة السائدة، وبذلك يكون الاتجاه عاماً نحو هذا البلد.

(لاحظ الفرق بين الاتجاه العام والرأي العام).

ويتميز هذا النوع من الاتجاهات بأنه أكثر ثباتاً واستقراراً من غيره من أنواع الاتجاهات ويحتاج تغييره إلى تقنية علمية من نوع خاص.

أما الاتجاه النوعي فهو الاتجاه الذي ينصب على جزئية من الموضوع الذي يدور حوله الاتجاه مثل اتجاه الفرد نحو طعام شعب معين حيث يعجب على سبيل المثال بنوعية الطعام (اتجاه موجب) دون بقية جزيئات الموضوع وهو الشعب المعين، وبالتالي فإن سلوكه سوف يتأثر باتجاهه النوعي هذا. وهذا النوع من الاتجاهات يعتبر أقل ثباتاً من الاتجاه العام فهو - أي الاتجاه النوعي - قد يضمحل ويلاشى نتيجة تكوين اتجاهات نوعية أخرى تتنافر فيما بينها وتؤدي إلى ضعفه.

وقد يقوى الاتجاه النوعي وينمو ويشتد ويتفوق على بقية الاتجاهات النوعية الأخرى - إن وجدت - ويتحول تدريجياً إلى اتجاه عام له صفة الثبات والاستقرار النسبي.

٢- الاتجاه الفردي والاتجاه الجماعي؛

الاتجاه الفردي هو ذلك الاتجاه الذي يتبنّاه ويؤكدّه فرد واحد من أفراد الجماعة وهذا من حيث النوعية أو الدرجة، ومعنى ذلك أن الفرد إذا تكون لديه اتجاه خاص نحو مدرّك يكون في بؤرة اهتمامه هو؛ يسمى ذلك اتجاهها فردياً، كذلك إذا كان هذا المدرّك

في مجال الجماعة وكون كل فرد من أفرادها اتجاهها نحوه يختلف عن الفرد الآخر كان ذلك أيضا اتجاهها فرديا، ويمكن أن نلاحظ مثل هذا الاتجاه بين أعضاء الأسرة الواحدة كجماعة اجتماعية حيث تجد اتجاهات فردية نحو أنواع الأطعمة المختلفة على سبيل المثال.

أما الاتجاه الجماعي فهو ذلك الاتجاه الذي يشترك فيه عدد كبير من أعضاء الجماعة مثل اتجاههم نحو نوع خاص من أنواع الرياضيات أو نحو نجم اجتماعي مثل مشهور أو غير ذلك، ولكن من الوارد أيضا أن يختلف أفراد الجماعة في اتجاههم هذا من حيث الدرجة أو الشدة.

وربما كان من المفيد هنا أن نميز بين الرأي العام والاتجاه الجماعي، والرأي العام يشترط لتكوينه حد أدنى من شدة الاتجاهات النفسية والتي لابد أن تتوافر عند جميع أعضاء الجماعة قبل أن يتكون الرأي العام.

ولكن هذا غير ضروري بالنسبة للاتجاه الجماعي إذ أنه ليس هناك درجة دنيا من الشدة يجب أن يشترك فيها جميع أعضاء الجماعة حتى يصبح الاتجاه جماعيا.

الاتجاه العلنى والاتجاه السرى:

الاتجاه المعلن هو ذلك الاتجاه الذي يسلك الفرد بمقتضاه في مواقف حياته اليومية دون حرج أو تحفظ وبهذا يمكن القول بأن مثل هذا الاتجاه غالبا - وليس دائما - يكون متفقا مع معايير الجماعة ونظمها وما يسودها من قيم وضغوط اجتماعية مختلفة، وهذا الاتجاه يكون غالبا - وليس دائما - متوسط الشدة لأنه ليس هناك من الضغوط الاجتماعية ما يحول كنه وكفه وإيقافه ومنع الفرد من أن يعبر عنه سلوكيا.

أما الاتجاه السرى فهو ذلك الاتجاه الذي يحرض الفرد على إخفائه في قراره نفسه ويميل في كثير من الأحيان إلى إنكاره ظاهريا ولا يسلك بما يملئه عليه هذا الاتجاه، وغالبا ما يكون هذا الاتجاه غير منسجم مع قوانين الجماعة وأعرافها وما يسودها من ضغوط ومعايير.

وهذا الاتجاه غالبا ما يكون على الشدة نتيجة المقاومة والممانعة بل والقمع الذي يواجهه من القوى الضاغطة في الجماعة.

ويمكن القول كذلك بأن الاتجاه المعلن قد يكون قد نما وتطور نتيجة الاحتكاك المباشر بعناصر البيئة الخارجية، في حين أن الاتجاه السرى ينمو ويتطور نتيجة الخبرة غير المباشرة، وخاصة الخبرة التي تبنى على عمليات التخيل والتفكير المجرد أو المتألقة بعيدة عن الواقعية.

كما يجب أن نشير أيضاً إلى أن هناك الاتجاه الموجب والاتجاه السالب والاتجاه القوي والاتجاه الضعيف.

تفسير الاتجاهات النفسية:

الاتجاه النفسي كل مركب، وهو تركيب عقلي نفسي تحدثه الخبرة الحادة المتكررة، وبذلك فهو مكتسب مشتق من تفاعل الفرد مع عناصر البيئة الخارجية، سواء كانت مادية أو معنوية أو بشرية، وبهذا فالاتجاه لابد وأن يتميز بالдинامية والتجدد رغم أنه يتميز أيضاً بالثبات والاستقرار النسبي.

وفيما يلى بعض التفسيرات التي يمكن أن تساعد على فهم طبيعة ووظيفة الاتجاه النفسي:

التفسير الدينامي للاتجاهات:

يرى كرتش وكريتشفيلد أن الاتجاه النفسي ما هو إلا وسيط حرکي يساعد على إتمام الرابطة أو التفاعل بين العمليات السيكولوجية الأساسية وبين الفعل أو الأداء الذي يقوم به الفرد.

ومن وجهة النظر هذه يمكن القول بأن الاتجاه يهدف إلى تنظيم الدوافع والإدراك وبقية العوامل النفسية تنظيمياً متكاملاً بحيث يؤدي هذا التنظيم إلى نمط متكامل من سلوك الفرد في موقف ما، ويتناسب هذا النمط مع قدر هذا التنظيم من حيث درجة التوافق والإنقان.

كما يمكن القول أيضاً وفي إطار ما سبق أن الاتجاه النفسي يعمل على تخفيف حدة التوتر وخاصة في مواقف الإحباط والفشل، بل قد يساعد أيضاً على التكيف لمواقف التحدى والصراع.

ومن هنا يمكن أن نلخص وظيفة الاتجاه النفسي – من وجهة النظر هذه – كما يلى:

- ١ – تنظيم الإدراك عند الفرد أثناء تفاعلاته النشطة مع البيئة.
- ٢ – إيجاد الوسيلة المناسبة لتواصل الفرد بمثيرات هذه البيئة.
- ٣ – مساعدة الفرد في محاولاته لتحقيق أهدافه.

وبهذا المعنى تكون الاتجاهات ذات طبيعة دينامية تدفع الفرد إلى تحقيق أهدافه والتكيف مع مفردات وعناصر مواقف حياته اليومية.

التفسير الإدراكي للاتجاهات،

يقول كاتريل في دراسته لعمق الاتجاهات وشتها: أن الإدراك عملية هادفة غرضية ترمي إلى تحقيق بعض أهداف الكائن الحي، بمعنى أن الفرد يدرك الحدث الذي يتصل بأهدافه اتصالاً مباشراً سواء كانت هذه الأهداف حالية قائمة أو مستقبلية ما زالت في مرحلة المعالجة الذهنية، وبذلك يفهم أو يدرك الفرد عناصر البيئة ومقوماتها في ضوء أهدافه وما يرمي إليه وذلك من أجل أن يتكيف لها تكيفاً صحيحاً ويتفاعل معها بأسلوب سلوكى سوى.

وفي أثناء عملية التفهم هذه تكون اتجاهات الفرد ثم تنمو وتتطور متأثرة بإدراك الفرد للأحداث.

وبهذا يمكن تفسير الاتجاه عن طريق عملية الإدراك.

التفسير البنائي للاتجاهات،

تشير معظم نتائج الدراسات التي أجريت من أجل قياس اتجاهات الشعوب على أن الاتجاه وحدة من وحدات بناء الشخصية الإنسانية كما تشير هذه النتائج إلى علاقة الاتجاه النفسي بالقيمة التي يكونها الفرد في مواقف المفاضلة والاختيار، كما تشير هذه الدراسات أيضاً إلى ارتباط الاتجاهات النفسية بحاجات الفرد ودوافعه سواء كانت أولية أساسية أو ثانوية.

وعلى ذلك يصبح الاتجاه وحدة بنائية في الشخصية الإنسانية حضارياً وثقافياً وتصبح وظيفة الاتجاه النفسي هي:

- ١ - التكيف لعناصر البيئة ومكوناتها.
- ٢ - التكيف الاجتماعي داخل إطار الجماعة.
- ٣ - الدفاع عن (الانا).

تغيير الاتجاهات النفسية:

نحدثنا عن تكوين الاتجاه ومكونات الاتجاه، ويأتي الآن دور الحديث عن تغيير هذه الاتجاهات.

قد يتغير الاتجاه من موجب إلى سالب أو العكس أى من سالب إلى موجب وقد يتغير من موجب ضعيف إلى موجب قوى أو العكس.

وقد يتغير من سالب قوى إلى سالب ضعيف أو العكس.

وفي جميع الحالات هناك أربع نظريات توضح عملية التغيير هذه:

١- نظرية التناقض المعرفي؛ المعرفة الطاردة

وهذه نظرية تقوم على فكرة المعرفة الطاردة أو بمعنى آخر مجموعة من المعلومات تطرد مجموعة أخرى من المعلومات لتحل محلها، ومن المعروف أن المكون المعرفي هو أحد مكونات الاتجاه، فعندما يحدث تعديل في هذا المكون المعرفي يبني على ذلك تعديل في المكون الانفعالي ثم السلوكي وهكذا.

ويعتبر هذا المدخل أساساً جيداً لعدليتي الدعاية والإعلام، وهو عمليتان هامتان في التواصل بين الجماعات أو بين الأفراد داخل الجماعة.

فالدعاية تعرف على أنها عملية تعديل الاتجاهات من أجل تعديل السلوك وذلك في ضوء مجموعة من الأساسيات والتي لابد أن نشير إليها وهي:

(١) يتأثر اتجاه الفرد بالمعلومة أو المعرفة التي تقود إلى إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية وهذه صفة من صفات المعلومة الطاردة، إذ يجب أن تأخذ في حسابها حاجات أفراد الجماعة وتطلعاتهم، وكلما كانت درجة إشباع الحاجات عالية كانت المعلومة أشد قدرة على طرد المعلومة الموجودة أو الحالية لتحمل محلها وتحدد التعديل المطلوب في المكون المعرفي للاتجاهات.

(٢) يتأثر اتجاه الفرد بالمعرفة التي تتوافر لها صفات المطافية والموضوعية – من حيث خصائص عمليات الإقناع – وبالتالي تكون المعرفة قادرة على الدخول إلى المكون المعرفي للاتجاه، ومن ثم تحدث التغيير المطلوب.

ولعلنا نلاحظ في كثير من عمليات الدعاية – أو تعديل الاتجاهات – أن المثير الدعائي يعتمد على عدد من الحقائق العلمية أو التجريبية ليحدث الإبهار المطلوب عند الفرد ويتم إقناعه بعد تعديل اتجاهه وكذلك سلوكه.

(٣) يتأثر اتجاه الفرد بالمعرفة التي تقترب من القيم والمعايير التي يؤمن بها الفرد ومن العادات والتقاليد التي يمارسها .. فكلما كانت المعرفة أو المعلومة الطاردة أو الجديدة متناسبة مع نسق القيم والمعايير كانت أكثر تأثيراً في دخول المكون المعرفي للاتجاه لتحول محل معرفة سابقة قد لا تكون لها هذه الصفة، فالمعرفة الدينية على سبيل المثال – أي المعرفة التي تعتمد على العقيدة – تكون أكثر قدرة على أن تحل محل معرفة أخرى في المكون المعرفي للاتجاهات.

نظريّة الإيحاء اللاشعوري:

وتقوم هذه النظرية على فكرة النشاط اللاشعوري عند الفرد وإمكانية استخدام هذا النشاط في تعديل الاتجاه النفسي وخاصة من حيث المكون الانفعالي، وما يحدث في هذه النظرية هو توجيه مجموعة من المثيرات (الهامشية) أى التي تدور من بعيد حول هدف التعديل المطلوب، وتتصف هذه المثيرات بإحداث درجة عالية من الانفعال عند الفرد ومن ثم يحدث تعديل في المكون الانفعالي للفرد بالدرجة الأولى وبلي ذلك بإحداث التعديل المطلوب في الاتجاه النفسي للفرد.

نظريّة القهر السلوكي:

وتقوم هذه النظرية على فكرة قهر سلوك الفرد وتعديلاته قسراً، بمعنى أن يتم التعديل أولاً في المكون السلوكي، للاتجاه وبالتالي يتم التعديل في الاتجاه ذاته.

وقد استخدمت هذه النظرية أو بمعنى أصح كانت نتاج الممارسات اللا إنسانية في معسكرات الاعتقال ومعسكرات أسرى الحرب.

النظريّة الوظيفية:

تقوم هذه النظرية على تعديل المكونات الأربع للاتجاه النفسي بطريقة متوازنة، بحيث تبدأ بتعديل المجال الإدراكي الذي يقع فيه موضوع الاتجاه ومن ثم تتعدل مدركات الفرد وإدراكاته نحو هذا الموضوع ويحدث ذلك بناء على مبدأين: أولهما: انتظام مجال الإدراك بمعنى الوجود المتوازن لعناصر المجال وثانيهما: تكامل المجال بمعنى تناسب الأوضاع بالنسبة لهذه العناصر، وفي ضوء ذلك يتم عرض موضوع الاتجاه بصورةه الإدراكية المعدلة على الفرد، وبجانب ذلك يتم إدخال مجموعة المعرف والمعلومات التي تناسب مع الصيغة الإدراكية الجديدة مع ملاحظة جميع الخصائص التي سبق الإشارة إليها في نظرية التناقض المعرفي، كما يلاحظ أيضاً إحداث درجة متناسبة من الانفعال تصاحب مجموعة المعلومات أو المعرف المقدمة، وعليه فإننا نتوقع تعديل سلوك الفرد نتيجة لما سبق.

وهذه النظرية لا تعتبر أساسية بالنسبة لتعديل الاتجاهات النفسية فقط، ولكن أيضاً لتعديل العقائد والمذاهب كذلك. وواضح من المناقشة السابقة أن المحور الأساسي لهذه النظرية هو المكون الإدراكي للاتجاه النفسي أو بمعنى آخر المجال الذي يقع فيه موضوع الاتجاه.

قياس الاتجاهات النفسية:

قياس الاتجاه النفسي يعني تحويله من صيغته الوصفية (مع) أو (ضد) إلى صيغة كمية يمكن على أساسها مقارنة الأفراد أو الجماعات بعضهم البعض، وقبل أن نبدأ في الحديث عن عملية القياس هناك مجموعة من الحقائق يجب أن نشير إليها:

١ - عملية قياس الاتجاهات النفسية تتطلب أمرين:

أ - إعداد المقياس.

ب - تحليل نتائج هذا المقياس بعد تطبيقه بطريقة علمية.

٢ - عملية قياس الاتجاه النفسي ليست في عمومية قياس الذكاء أو القدرات بل هي أقرب إلى النوعية والخصوصية مثل مقاييس الشخصية، ومن ثم فإن إعداد المقياس يتطلب دراسة خصائص الجماعة التي سوف يطبق عليهم هذا المقياس لتقدير اتجاهاتهم نحو قضية معينة.

٣ - في عملية القياس يجب على الأخصائي إعداد مجموعة كبيرة من البنود (بنك البنود) وذلك عن طريق جميع كل العبارات المتداولة بين أفراد الجماعة والصيغ اللفظية الشائعة والمفردات كثيرة التكرار لأن هذه هي المصادر الحقيقية لإعداد بنك البنود مع ملاحظة ضرورة وجود الشحنة الانفعالية العالية التي تميز البند أو العبارة.

٤ - يمكن الحكم على نجاح المقياس عن طريق دراسة وتحليل استجابات المجموعة، فمثلاً عند كثرة استجابات (لا أدرى، لا أرى، لا أعرف) أو عند افتراض أن أفراد المجموعة تعديل العبارات أو حذف بعضها أو إضافة عبارات أخرى فإن هذا يدل على الضعف البنائي لأداة القياس المقترحة.

٥ - من الطبيعي أن تكون وحدات المقياس أي بنوده حقيقة وليس افتراضية فإن المفحوص يبحث عن العبارة التي تعبّر عن إحساسه الحقيقي، ومن ثم تكون استجاباته أقرب إلى الصحة.

٦ - يجب أن يلاحظ الأخصائي بأنه قد يحدث أحياناً ما يسمى بنسق الاستجابة أي ميل المفحوص لاختيار نمط معين للاستجابة غالباً لا يكون له علاقة بموضوع الاتجاه. مثل اختيار استجابة (موافق) (أو غير موافق) على جميع بنود المقياس.

٧ - ينصح أيضاً بأن يهتم الإخصائي بتجانس الاتجاه بمعنى أن يقيس المقياس بعد واحداً فقط وتسمى هذه الخاصية (أحادية البعد) Unidimensionality وعلى الأخصائي أن يستعين بأدوات إحصائية مناسبة للتأكد من هذه الخاصية.

٨ - يجب أن يلاحظ الإخصائى خاصية (الخطية) Linearity بمعنى تساوى الوحدات أو الفئات وهذا يدل على أن المقياس يتمشى مع النموذج الخطى لتوزيع الوحدات.

٩ - على الإخصائى أن يعني بدرجة خاصة بالمعنى السيكلوجى لكل عبارة من العبارات لأن ذلك سوف يساعدك فى عملية تحليل نتائج المقياس وإعطائها المعنى السيكلوجى.

١٠ - وأخيرا على الإخصائى أن يتأكد من صدق ثبات المقياس المستخدم، ففى حالة الصدق نقول إن أفضل الطرق هى طريقة استطلاع آراء الحكماء باستخدام قانون الوسيط لحساب درجة صدق كل عبارة ($Q = \frac{H + 5}{N} - \frac{M}{N}$)

الدرجة المطلوبة
Q =
مج N = مجموع النسب التى تسبق الفتنة الوسيطية.
نر = نسبة الوسيطة.

أما فى حالة الثبات فأقرب الطرق إلى الإخصائى هى طريقة حساب معامل ألفا (كرونباخ) $\alpha = \frac{N \times \sum_{k=1}^n \frac{1}{2} - \frac{\sum_{k=1}^n \frac{1}{2}}{N}}{N - 1}$

ن = عدد البنود.

$\sum_{k=1}^n \frac{1}{2}$ = تباين المقياس

$\sum_{k=1}^n \frac{1}{2} - n$ = مجموع تباينات البنود.

وفيما يلى سوف نستعرض بعض الطرق الممكنة لقياس الاتجاهات النفسية:

أولا - مقياس التباعد النفسي الاجتماعي Social distance Scale

وهو مقياس له قيمة تاريخية إذ أنه أول محاولة لقياس الاتجاهات حيث وصفها بوجاردس (١٩٢٥) وقد عدل هذا المقياس أكثر من مرة واستخدم فى دراسات عديدة.

ومثال التالى يوضح هذا المقياس:

تعليمات:

بناء على ما تشعر به وللوهلة الأولى صنف هذه المجموعات العنصرية بناء على واحدة أو أكثر من التصنيفات الموضحة أدناه (ضع دائرة حول الرقم الذى يعبر عن إحساسك).

الانجليز	المصاهرة	صديق شخص	جار	زميل عمل	مواطنة هو البلد	زيارة للبلد	طرد من البلد
الفرنسيون	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الألمان	١	٢	٢	٤	٥	٦	٧
الكنديون	١	٢	٢	٤	٥	٦	٧
الهند	١	٢	٢	٤	٥	٦	٧
الصينيون	١	٢	٢	٤	٥	٦	٧

ويتضح من هذا المقياس أنه يقيس اتجاه التتعصب العنصري والتحامل العرقي وهو اتجاه نفسي عالي الشدة و يتميز بمجال إدراكي (قد يكون غير متنظم أو غير متكامل) وبمعرفة (قد تكون خاطئة) وشحنه افعالية عالية الدرجة وسلوك قد يكون ظاهرياً أو غير ذلك.

ويتضح أيضاً أن خصائص هذا المقياس تتناسب مع النقاط العشر التي سبق الإشارة إليها بالإضافة إلى خاصية التراكم التي سوف نشير إليها عند الحديث عن مقياس جوتمان (L. Guitman) لاحظ أيضاً أن الرقم (١) يدل على القرب الكامل والرقم (٧) يدل على البعد الكامل.

ثانياً - مقياس ثروستون:

كان الموضوع الذي عنى به ثروستون عناته باللغة هو موضوع تساوى المسافات بين البنود أو عبارات مقياس الاتجاه، وقد كان اهتمامه هذا مبنياً على التجارب التي أجريت في مجال علم النفس الفيزيائي Psychophysics من أجل إيجاد مقاييس ذات وحدات متساوية لقياس خصائص الأفراد وخاصة الخصائص الفيزيقية، مثل الطول والوزن وما إلى ذلك. وهنا يقول أصحاب هذه الدراسات إنه كلما كان الفرق الحقيقي بين طول شخصين قليلاً كان عدد الأفراد الذين يميزون هذا الفرق ضئيلاً أيضاً، وإذا كان هذا الفرق الحقيقي كبيراً كان عدد من يميز هذا الفرق كبيراً كذلك. وقد بني ثروستون فكرته في إعداد مقاييسه للاتجاهات النفسية على هذه المسلمة، فبدأ محاولته بأن طلب من

مجموعة من الأفراد المفحوصين أن يقوموا بالمقارنة بين عبارات مقياس للاتجاه على هيئة أزواج حيث يقرر الفرد أى العبارتين أكثر إيجابية أو أكثر سلبية في التعبير عن الاتجاه – وهذه الطريقة طريقة المقارنة الزوجية تصادف الكثير من الصعوبات عند التطبيق، ولو كان عدد العبارات (٢٠) فإن الفرد المفحوص سوف يقارن ١٩٠ زوجا من العبارات $\frac{N-1}{2}$
و بذلك طور ثرستون هذه الطريقة إلى طريقة أخرى هي طريقة الفئات المتساوية ظاهريا equal appearing

وتتلخص هذه الطريقة في جمع عند كبير من البنود التي تقيس اتجاهها ما ثم يتم عرضها على مجموعة من الحكماء المدربين وفي نفس الوقت يمثلون الجماعة التي يريد الفاحص أن يقيس اتجاههم نحو هذا الموضوع المعين.

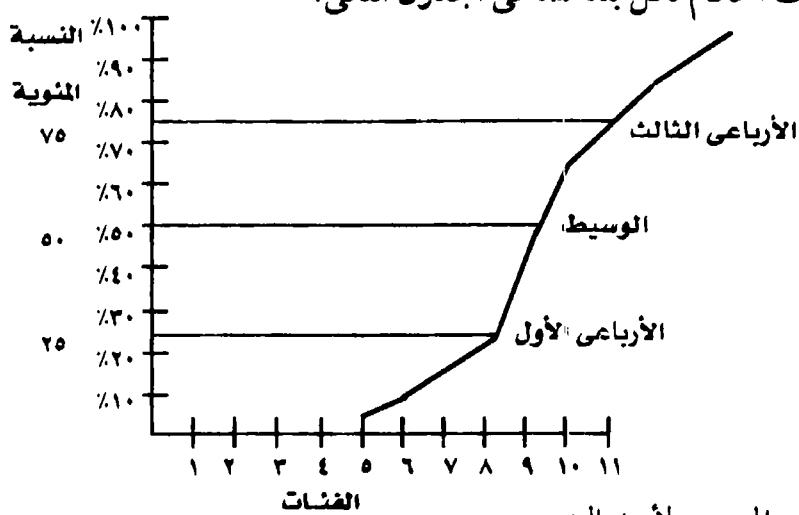
وتجهز العبارات بأن تكتب كل عبارة على بطاقة مستقلة وتكون التعليمات واضحة بالنسبة للحكماء يعني أن هذه العبارات تقيس اتجاهها نفسيا محددا يتكون مقياسه من ١١ نقطة تبدأ من الاتفاق الكامل وتنتهي بالرفض الكامل مرورا بنقطة متوسطة محابدة.

ويطلب من الحكماء تصنيف هذه البطاقات في الفئات من ١ - ١١ حيث (١) يمثل القرب الكامل (الاتفاق الكامل) و(١١) تمثل الرفض الكامل، أي يقوم الحكم بقراءة العبارة ثم وضعها تحت الرقم المناسب بغض النظر عن الرأي الشخصي له بالنسبة لكل بند ولكن يتم التصنيف حسب محتوى العبارة ومعناها وعلاقتها بالاتجاه الذي من المفترض أن تقيسه.

وعند تحليل استجابات الحكماء لابد أن يؤخذ في الاعتبار تشتت الاستجابات حول عبارة ما بحيث إذا زاد هذا التشتت دل ذلك على غموض العبارة وعدم صلاحيتها للمقياس. ويمكن الكشف عن هذا التشتت عن طريق التباين أو الانحراف المعياري أو المدى الأربعاني. ويمكن استنتاج الوسيط والمدى الأربعاني من المنحنى التكراري المتجمع وذلك على النحو التالي :

الاستجابة (الدرجة)	التكرار	النسبة المئوية	النسبة المئوية المجمعة
١	-	%٤	
٢	-	%٤	
٤	-	%٢٠	
٥	-	%٢٢	
٦	٢	%٤	%٤
٧	٢	%٤	%٨
٨	١٠	%٢٠	%٢٨
٩	١١	%٢٢	%٥٠
١٠	١٥	%٣٠	%٨٠
١١	١٠	%٢٠	١٠٠
	٥٠	%١٠٠	

وتمثل ذلك بياناً على النحو التالي:
توضح استجابات الحكام لكل بند كما في الجدول التالي:



المنحنى التكراري للمجتمع لأحد البنود.
الانحراف الأرباعي (المدى الرابع) = $\frac{1}{2} (\text{الأربعاء الثالث} - \text{الأربعاء الأول})$.
ثالثاً، مقياس ليكرت Likert:

هذا المقياس نوع من أنواع التدريج إذ أنه يعتمد على تدريج العبارة الواحدة بدلاً من استخدام العبارات المترتبة كما هو الحال في المقياس السابق.

ويعتبر تدريج ليكرت من المقياسات كثيرة الاستخدام في مجال قياس الاتجاهات النفسية ذلك لأن هذا المقياس لا يستهلك الجهد والوقت الذي تستهلكه طريقة ثرستون

وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد في كثير من الدراسات الميدانية أن هناك ارتباطاً موجباً قوياً بين مقياس ليكرت ومقياس ثريستون (٧، ٠، ٨١، ٠) وبمعنى آخر فإننا سوف نحصل على نفس النتائج تقريباً عند استخدام كلا المقياسين ومن هنا كان مقياس ليكرت أكثر شيوعاً واستخداماً في مجال قياس الاتجاهات.

وأول ما يميز مقياس ليكرت هو الاهتمام بأن جميع وحدات المقياس تقيس نفس الاتجاه، كما أن العبارات ليست في حاجة إلى العرض على الحكماء من أجل إجراء عملية التصنيف كما في حالة مقياس ثريستون بل إن كل عبارة مدرجة ذاتياً تدريجاً خمساً ابتداءً من الموافقة الكاملة إلى الرفض الكامل:

أرفض تماماً	أرفض	غير متأكد	أوافق	أوافق جداً
١	٢	٣	٤	٥
٠	١	٢	٣	٤
٢-	١-	٠	١	٢

وعند إعداد مقياس ليكرت يمكن اتباع الخطوات التالية:

١ - يتم تحليل الاتجاه النفسي نحو قضية ما إلى عناصره ومكوناته لأن عملية التحليل هذه سوف تساعد على اختيار الوحدات أو البنود وذلك في ضوء المعرفة الكاملة لخصائص الجماعة التي سوف يطبق عليهم هذا المقياس.

٢ - يجمع الإحصائي عدداً مناسبًا من العبارات تكون ذات علاقة بعناصر الاتجاه المراد قياسه، ويجب أن يكون الاختيار دقيقاً بالنسبة لبناء كل عبارة إذ أن مهما كانت قدرة الباحث على التحليل الإحصائي فإنه سوف يفشل في تحليل نتائج مقياس اتجاه لم يحسن اختيار وحداته.

يجب أن تكون العبارة تقريرية مثل «المكان الطبيعي للمرأة هو البيت» أو «الاب هو المستول الوحيد عن تربية الأبناء» كما يجب أيضاً أن تقبل العبارة التدريج أى تختلف الآراء حول معناها من الرفض الكامل إلى القبول الكامل.

كما يجب أيضاً أن تمثل العبارة موقفاً أو مثيراً يتحدى الفرد ويتنزع منه الإجابة التي تدل على اتجاهه فعلاً، وذلك عن طريق تكثيف اللون الانفعالي المصاحب للعبارة فمثلاً لو أن العبارة الأولى المشار إليها أصبحت «المكان الطبيعي للمرأة هو المطبخ» ل كانت أكثر إثارة وتحدياً من يطبق عليه هذا المقياس.

٣ - يحسن أن يقوم الباحث بتجربة تمهيدية للتأكد من صلاحية بنود المقياس. وذلك باختيار عينة ليست صغيرة - أكثر من ٣٠ - ويطلب من كل فرد أن يعين الاحتمال الذي يناسبه من الاحتمالات الخمسة وليس فقط مجرد الموافقة أو عدم الموافقة.

يقوم الباحث بعد ذلك بإعطاء الأوزان للاستجابات آخذها في حسابه اتجاه العبارة (موجبة أو سالبة) وذلك بالنسبة للموافقة الكاملة (٥ أو ١) والرفض الكامل (١ أو ٥).

٤ - يتم بناء على ما سبق (رقم ٣) تحليل بنود مقياس الاتجاه بمعنى حساب معامل الارتباط بين درجة كل بند على حدة وبين الدرجة الكلية للمقياس باستثناء درجة هذا البند ولنوضح ذلك بالمثال التالي :

الفرد	الدرجة الكلية	درجة الفرد على البند رقم (٣)	درجة البند على الدرجة الكلية	
	الفرد	الدرجة الكلية	درجة البند رقم (٣)	درجة البند (٣)
١	٤٥	٥	٤٠	
٢	٤٢	٥	٣٧	
٣	٣٥	٤	٣١	
٤	٣٥	٤	٣١	
٥	٢٠	١	١٩	
٦	٣٩	٤	٣٥	
٧	٣٣	٣	٣٠	
٨	٤٠	٤	٣٦	
٩	٢٢	١	٢١	
١٠	٢٧	٢	٢٥	

ويحساب هذا المعامل نجد أنه حوالي ٩٧ . وهذا يدل على ارتباط واضح بين البند رقم (٣) والمقياس ككل ، ولو كررت هذه العملية بالنسبة لبقية البنود وحصلنا على معاملات موجبة عالية دل ذلك على صدق مقياس الاتجاهات المستخدم .

أما فيما يختص بشبات درجات مقياس الاتجاه - لاحظ الطبيعة غير المستقرة والقابلة للتغير للاتجاه - فإن أفضل الطرق هي استخدام معامل α كرونباخ لحساب معامل التناسق الداخلي أو الثبات .

رابعا - مقياس جوتمان:

تأثير جوتمان Guttmann عند اقتراحه لهذا النوع من المقاييس بفكرة التدرج التراكمي أو التدرج المجمع للاستجابات، يعني أنه يمكن لنا أن نعرف من خلال هذه الطريقة – وذلك في حدود ١٠٪ من الخطأ – أي البنود أجاب عليها المفحوص.

ولتوضيح هذه الفكرة لنفرض أنه عند تحديد وزن قطعة من الحديد أشار الميزان إلى الرقم ٥ فهذا يعني أن وزن هذه القطعة هو ٥ كيلو جرام وعند قراءة هذا الرقم نعرف أن وزن هذه القطعة تعددى إلى ٥ رقماً ليصل إلى العلامة ٥٠، وكذلك قطعة الخشب التي طولها ٤ سم لابد وأن تكون قد تعددى طولها العلامات الأربعين الأولى ليصل إلى هذا الرقم.

وكذلك المريض الذي يعاني من مرض ما وظهرت عليه الأعراض رقم (٥) مثلاً فمعنى ذلك أنه ولابد أن تكون قد ظهرت عليه الأعراض ١، ٢، ٣، ٤ قبل ذلك.

ويقوم السؤال: عندما نعرف درجة الفرد على مقياس الاتجاه هل نستطيع أن نحدد وضعه بالنسبة لموضوعه؟ أو يعني آخر هل يمكن أن نعرف أي العبارات التي أجاب عليها الفرد بالإيجاب وأيهما بالرفض؟ هذا ما حاول جوتمان الإجابة عليه باقتراح نموذجه الذي يتعرض له حالياً.

يقول جوتمان أن طريقة التحليل التراكمي المدرج Scalogram analysis سوف تؤدي إلى الحصول على مجموعة من البنود ذات درجة عالية من خاصية التراكم Re-producibility وغالباً ما تكون حوالي ٩٠ أو أعلى من ذلك.

ويمكن توضيح طريقة التحليل التراكمي المدرج كما يلى:

لنفرض أننا قمنا بتطبيق أحد مقاييس الاتجاهات النسبية على مجموعة من (١٥) فرداً مع العلم بأن المقياس مكون من (٨) عبارات ويمثل الجدول التالي استجابات الأفراد حيث وضعت علامة (√) لتدل على موافقة الفرد على محتوى العبارة ويأخذ درجة واحدة والجدول التالي يمثل ذلك:

الدرجة الكلية	العبارات								الأفراد
	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
٦		✓		✓	✓	✓	✓	✓	١
٤	✓	✓		✓				✓	٢
٥	✓	✓		✓			✓	✓	٣
٢		✓		✓					٤
٣		✓		✓				✓	٥
٤	✓	✓		✓				✓	٦
٧	✓	✓	✓	✓	✓		✓	✓	٧
٤	✓		✓	✓				✓	٨
٧	✓	✓	✓	✓	✓		✓	✓	٩
٦	✓	✓		✓	✓		✓	✓	١٠
١	✓								١١
١				✓					١٢
٦	✓	✓		✓	✓		✓	✓	١٣
٤	✓	✓		✓				✓	١٤
٣		✓		✓				✓	١٥
	٩	١٣	٣	١٣	٦	١	٦	١٢	

لاحظ أن درجة الفرد الكلية هي الإجابات (موافق) على عبارات المقياس.
وسوف نقوم الآن بترتيب الأفراد بناء على هذه الدرجة الكلية وذلك كما في الجدول التالي:

الدرجة الكلية	العبارات								الفرد بالترتيب
	٨	٧	٦	٥	٤	٢	٢	١	
٧	✓	✓	✓	✓	✓		✓	✓	٧
٧	✓	✓	✓	✓	✓		✓	✓	٩
٦	✓	✓	✓		✓	✓		✓	١٠
٦		✓		✓	✓	✓	✓	✓	١١
٦	✓	✓		✓	✓		✓	✓	١٢
٥	✓	✓		✓			✓	✓	٣
٤	✓	✓			✓			✓	٢
٤	✓	✓			✓			✓	٦
٤		✓		✓	✓			✓	٨
٤	✓	✓		✓				✓	١٤
٣		✓		✓				✓	٥
٣		✓		✓				✓	١٥
٢		✓		✓					٤
١	✓								١١
١			✓						١٢
	٩	١٣	٣	١٣	٦	١	٦	١٢	

وتأتي بعد ذلك الخطوة التالية، وهي ترتيب البنود أو العبارات حسب مجموع درجاتها، وذلك كما هو موضح في الجدول التالي:

الدرجة الكلية	العبارات								الأفراد بالترتيب
	٢	٦	٤	٢	٨	١	٥	٧	
٧		✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	٧
٧		✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	٩
٦			✓	✓	✓	✓	✓	✓	١٠
٦	✓		✓	✓		✓	✓	✓	١
٦			✓	✓	✓	✓	✓	✓	١٣
٥				✓	✓	✓	✓	✓	٣
٤					✓	✓	✓	✓	٢
٤					✓	✓	✓	✓	٦
٤			✓			✓	✓	✓	٨
٤					✓	✓	✓	✓	١٤
٣						✓	✓	✓	٥
٣						✓	✓	✓	١٥
٢							✓	✓	٤
١						✓			١١
١		✓							١٢
	١	٣	٦	٦	٩	١٢	١٣	١٣	

ومن هذا الجدول يمكن القول بأنه إذا كانت درجة الفرد = ٣ فهذا يعني أنه أجاب بالموافقة على العبارات ٧، ٥، ١ (الفرد ١٥) وليس أي ثلث عبارات أخرى من عبارات المقياس، كما أن الدرجة (٦) تعنى الإجابة بالموافقة على العبارات ٧، ٦، ١، ٤، ٢، ٨ وذلك واضح فى حالة الأفراد ١٠، ١٣، ١، وليس أي ست عبارات أخرى من عبارات المقياس.

وهنا نلاحظ خاصية التدريج التراكمي كما وضح جوتمان ولكن هناك بعض العبارات خرجت على هذا النمط مثل العبارات ٨، ٦، ٤، ٣ ويسمى هذه (الخطاء).

ويكون حساب معامل خاصية التدريج التراكمي من المعادلة التالية:

$$\text{المعامل} = 1 - \frac{\text{عدد الخطاء}}{\text{عدد الاستجابات}}$$

حيث عدد الاستجابات هو حاصل ضرب عدد البنود × عدد الأفراد وفي هذه

الحالة تصبح:

$$\text{المعامل} = 1 - \frac{٤}{١٥ \times ٨} = ٠,٩٧ \text{ . تقريبا}$$

خامساً - وجهة نظر أخرى في قياس الاتجاهات^(١):

تعديل طريقة ليكرت

تقوم هذه الطريقة أساساً على مفهوم الاتجاه النفسي والخروج به من نطاق الأرقام إلى نطاق المعنى والمفهوم، وخاصة من الناحية السينكولوجية. فقد سبق أن أشرنا إلى أن الاتجاه هو حالة من الاستعداد والتهيؤ العقلي النفسي الذي تحدده الخبرة الحادة المتكررة وهذا الاتجاه يوجه سلوك الفرد في المواقف المختلفة سواء كان هذا الاتجاه موجباً أو سالباً. وعليه فإن هذا الاتجاه الموجب أو السالب سوف يعكس سلوك الفرد ولكن إذا كان الفرد لم يهتم بأى عنصر من عناصر البيئة أى أن استجاباته محاباة عدبة اللون فإننا في هذه الحالة نقول إنه ليس لديه اتجاه نحو هذا المثير أو ذاك.

وإذا نظرنا الآن إلى التدريج الذي استخدمه ليكرت نجد إحدى الصور التالية:

أرفض تماماً	أوافق	أوافق	غير متأكد	أرفض	أرفض تماماً
٥	٤	٣	٢	١	
٤	٣	٢	١	--	أو
٢+	١+	صفر	١-	٢-	أو

ولنأخذ المثال التالي من أجل التوضيح والمناقشة:

لو كان المقياس مؤلفاً من (٢٠) عبارة فإن أعلى درجة يحصل عليها الفرد (موافق تماماً) هي ١٠٠ أي (5×20) وأقل درجة يحصل عليها (يرفض تماماً) هي ٢٠ أي (1×20) أما الفرد (غير المتأكد) الذي ليس لديه اتجاه فسوف يحصل على 60 (3×20).

والذى نريد أن نقوله إن الفرد الذى ليس لديه اتجاه قد حصل على درجة أعلى من الفرد الذى لديه اتجاه نشط وفعال ولكنه سالب، وهذا يتعارض مع المفهوم الأساسى للاتجاه النفسي وخاصة من حيث القوة والفعالية، خاصة وأن درجة الفرد الكلية فى

(١) سعد عبد الرحمن: ١٩٩٨، ١٩٩٧.

مقياس الاتجاه سوف تستخدم إما لتفسير سلوكه في موقف ما أو كمتغير من مجموعة أخرى من المتغيرات من أجل الحصول على استنتاج من نوع خاص.

لهذا كان لابد من إعادة النظر في هذا التدريج ونقترح التدريج التالي:

غير متأكد (لا رأي) (لا اتجاه) صفر

يرفض ١

موافق ٢

الرفض الكامل ٣

الموافقة الكاملة ٤

ولننظر الآن إلى المثال السابق (مقياس مؤلف من ٢٠ عبارة) خماسي التدريج:

غير متأكد	صفر	صفر × ٢٠
-----------	-----	----------

يرفض	٢٠	١ × ٢٠
------	----	--------

موافق	٤٠	٢٠ × ٢
-------	----	--------

رفض كامل	٦	٢٠ × ٣
----------	---	--------

موافقة كاملة	٨٠	٢٠ × ٤
--------------	----	--------

وهكذا فإن هذا التدريج المقترن يأخذ في اعتباره شدة الاتجاه ونوعيته.

ويمكن أن نستطرد ونقول إن الدرجة (صفر) في التدريج المقترن تدل على تلاشي أو عدم وجود الاتجاه في حين أن الدرجة (صفر) في تدريج ليكرت (٤ ٣ ٢ ١) تدل على الرفض التام وهو اتجاه نشط وفعال وقوى ولكنه سالب. والدرجة (٢٠) تدل على اتجاه الرفض وهو اتجاه سالب والدرجة (٤٠) تدل على اتجاه الموافقة وهو اتجاه موجب والدرجة (٦٠) تشير إلى الرفض الكامل وهو اتجاه سالب نشط والدرجة (٨٠) تشير إلى الموافقة الكاملة وهو اتجاه موجب نشط وفعال.

المراجع

المراجع العربية:

- ١ - سعد عبد الرحمن: السلوك الإنساني تحليل وقياس المتغيرات ط ٣ ١٩٨٣ .
- ٢ - سعد عبد الرحمن: القياس النفسي الطبعة الثانية مكتبة الفلاح ١٩٩٧ .
- ٣ - سعد عبد الرحمن: القياس النفسي النظرية والتطبيق ط ٣ دار الفكر العربي . ١٩٩٨

المراجع الأجنبية:

- 4 - Bogardus E., Measuring Social distance, 1925.
- 5 - Kuo, The Genesis of the Cat's responses to the rat, 1930.
- 6 - Eagly A., The Psychology of attitudes, Harcourt, 1995.



الفصل التاسع

ظاهرة الزعامة أو القيادة

.تعريفات القيادة . دراسات في القيادة

.اكتشاف القادة

.العلاقة بين عناصر الموقف الزعامي.

عندما نتحدث عن الرعامة والقيادة ينصرف ذهن القارئ مباشرة إلى الزعامات السياسية والقيادات العسكرية، ولكن الزعامة ليست في مجال السياسة فقط ولكن في مجالات أخرى مثل العلوم والفنون، وكذلك القيادة فإنها ليست في الفرق العسكرية فقط ولكنها أيضا في مجموعات العمل المشتركة مثل الفرق الرياضية وما إلى ذلك.

ولم يعرف علم النفس الاجتماعي ظاهرة تابعت عليها الدراسات والبحوث بعمق وغزارة مثل ظاهرة القيادة؛ ولذلك فإنه يصبح من غير السهل أن يضيف الباحث جديداً في هذا المجال.

فقد اهتمت البحوث بدراسة الزعامة كظاهرة اجتماعية من حيث التعريف بها والعمليات والдинاميات المتعلقة بها ولكنها لم تهتم كثيراً بمحتوى عملية القيادة أو الزعامة كعملية سيكولوجية إلا في الثلث الأخير من هذا القرن؛ إذ أن هناك دينامية في القيم والاتجاهات وتوقعات أفراد الجماعة وكذلك معدل التفاعل بينهم.

وقد كان الاهتمام كبيراً حول دراسة العلاقة بين الزعامة كظاهرة اجتماعية وبين بعض التغيرات السيكولوجية مثل خصائص الشخصية معرفية كانت أم مزاجية، كما دار الاهتمام أيضاً حول علاقة هذه التغيرات (الشخصية والفعالية والسلوكية) ببعضها البعض في الموقف الزعامي؛ وربما كان هذا هو المدخل الصحيح لدراسة ظاهرة الزعامة من الناحية السيكولوجية.

كذلك فإنه يصبح من المفيد أن تهتم الدراسات والبحوث بطرق اكتشاف وتدريب القادة في جميع المجالات كما سبق أن قلنا علمية أو فنية أو عملية تطبيقية.

تعريفات القيادة أو الزعامة:

يرى جينكنز أن الزعامة هي ذلك العمل الذي عن طريقه يمكن توجيه سلوك فرد أو أكثر.

أما هوركس فيقول: إن الزعيم هو ذلك الفرد الذي يستطيع أن يحدث أثراً في الآخرين ويختلف عنهم في درجة التأثير التي يحدثها وعدد الأفراد الذين يتأثرون به، وعدد المواقف التي يسيطر عليها والمدة التي تستمر فيها سيطرته على الموقف.

ويقول بيغورس Piogors إن الزعامة مفهوم يطلق على الشخصية الإنسانية بحيث يكون لهذه الشخصية من العزمية والبصرة ما يمكنها توجيه الآخرين.

ويرى بارتريدج Partridge أن الزعيم فرد له من القدرة والإمكانية ما يمكنه من أن يوحى للأخرين بحيث يتصرفون ويفكررون بالطريقة التي يراها.

من هذه التعريفات يتضح ما يلى:

١ - هناك تأكيد على أن الزعيم فرد يؤثر ويوجه ويتحكم في بقية أعضاء الجسم.

٢ - لم يكن هناك الاهتمام الكافى بعملية التفاعل الاجتماعى وдинاميك الجماعة.

وهناك نوع آخر من التعريفات:

يقول تيد Tead إن الزعامة نشاط يؤثر في الآخرين ل يجعلهم يتعاونون من أجل تحقيق هدف يرغبون في تحقيقه.

وأما ستوجديل Stogdill فيرى الزعامة على أنها عملية التأثير في نشاط جماعة منظمة من أجل تحديد الهدف والوصول إليه.

ويرى بيل وهول Bell & Hall أن الزعيم يمتلك بصيرة اجتماعية تمكنه من توقع حاجات الجماعة ويعمل على إشباع أكبر قدر ممكن من هذه الحاجات.

ويتضح مما سبق أن عملية التأثير والتوجيه ما زالت تميز هذه التعريفات إلا أنها أعطت هامشا لا بأس به لتفاعل وتعاون الجماعة وكذلك حاجاتها.

وهناك نوع ثالث من التعريفات:

يقول يونج Jung إن الزعامة وجه من أوجه التنظيم الكلى للشخصية الإنسانية كوحدة متكاملة وليس سمة أو قدرة خاصة.

ويرى جيب Gibb أن الزعامة ليست خاصية فردية ولكنها صفة من صفات دور الفرد في نظام اجتماعى محدد يتمثل في مواقف التفاعل التي تمر بها الجماعة، وكذلك هي أي الزعامة عملية قوامها التأثير والتأثير، أي التفاعل الاجتماعى الذى يتم من خلاله تكوين نسق القيم والاتجاهات والمثل والمبادئ.

ويرى ستوجديل Stogdill أن الزعامة علاقة حية دائمة بين أعضاء الجماعة والتي تؤدى إلى ظهور أحد أفرادها كقائد نتيجة اشتراكه الفعال وتعاونه الواضح مع بقية أفراد الجماعة.

ويصف زيليني Zeleny القائد بأنه الفرد الذى تكون لديه القدرة على انتزاع الاتجاهات الموجبة من أعضاء الجماعة نتيجة تفوقه في تحقيق أهداف الجماعة وإشباع حاجات أفرادها.

وهكذا يمكن أن نقول إن هذه التعريفات اتفقت جميعها على أهمية عملية التفاعل الاجتماعي في إحداث ظاهرة الزعامة أو القيادة، كما نقول أيضاً أن هناك اعترافاً بأهمية الموقف الاجتماعي الذي تم فيه عملية التفاعل هذه.

ولكن ما زالت جميع هذه التعريفات تؤمن بفكرة (الثنائية) أي قائد أو زعيم يقود مجموعة من التابعين. وبطبيعة الحال نحن نقول إن القيادة تختلف عن التبعية ولكنها ليست عكسها أي أن القيادة ليست ثنائية القطب بمعنى أنه لو كان هناك تدرج لقياس القيادة فإنه يبدأ من الصفر إلى أعلى ولكنه لا يجري في الاتجاه السالب.

ومن هنا يمكن أن نعرف الزعيم أو القائد على أنه عضو الجماعة الذي يستطيع أن يقدم أنماطاً محددة من السلوك ناتجة عن خصائصه الشخصية والعقلية والمعرفية بالإضافة إلى عوامل الجماعة والموقف، وذلك من أجل تحقيق أهداف الجماعة.

دراسات في القيادة:

قسم جينكز دراسات الزعامة إلى عدة أنواع:

- أ - دراسات تختص باختيار القادة في مجال الإدارة والإشراف.
- ب - دراسات تختص باختيار القادة الفنيين والمهنيين.
- ج - دراسات تختص بأطفال ما قبل المدرسة أو الموقف المدرسية عموماً.
- د - دراسات تختص بالزعامة الحربية أو العسكرية.

وكان أهم الطرق المستخدمة في هذه الدراسات لتحديد القائد أو الزعيم هي:

- أ - طريقة الملاحظة الشاملة حيث يتم تسجيل تفاعل الفرد مع الجماعة ثم يتم تحليل التسجيل استناداً إلى دليل معين سبق إعداده.
- ب - طريقة الاختيار (الانتخاب) حيث يقوم أفراد الجماعة بطريقة أو بأخرى باختيار زعيم أو قائد للمجموعة.
- ج - طريقة إجراء الاختبارات الخاصة والموقفية للكشف عن القائد.

والطريقة الأولى طريقة الملاحظة سواً كانت شاملة Comprehensive أو رتيبة Systematic فإنها تصلح في الجماعات الصغيرة التي لا يتعدى عدد أفرادها ٧ - ١٠. وكذلك لابد من إعداد دليل للملاحظة ليتم التسجيل بناء عليه، ومن ثم تتم عملية التحليل. وكلما كان هذا الدليل دقيقاً واصحاً كان التسجيل والتحليل أقرب ما يكون إلى الحقيقة.

أما الطريقة الثانية – طريقة الاختيار أو الانتخاب – يمكن أن تستخدم في الجماعات كبيرة الحجم نوعاً أى تلك التي يتعلى عدد أفرادها ٣٠ - ٤٠ وتعتبر هذه الطريقة من أسهل الطرق في اكتشاف القادة، ومن أقل الطرق حاجة إلى مجهد من ناحية الباحث.

أما الطريقة الثالثة وهي طريقة الاختبارات الخاصة وبهذا يعني أنه لابد أن يكون هناك مقياس أو اختبار لاكتشاف القائد أو الرعيم وهذا أمر يحتاج إلى مناقشة وتدقيق لأن صلاحية مثل هذا المقياس تحتمل الكثير من الشك.

ويقول جينكز أيضاً أن الدراسات التي استعرضها تجمع على أن القائد يتتفوق على بقية أفراد المجموعة في البناء الفيزيكي، والذكاء، والاتزان الانفعالي، والقدرة على التعبير، والجرأة.

ثم قام ستوجديل Stogdill بمناقشة أخرى لمجموعة كبيرة من البحوث والدراسات خرج منها مجموعة ملاحظات هي:

١ – يتميز الرعيم عن بقية أفراد الجماعة بالذكاء والإغجاز والقدرة على تحمل المسؤولية والنشاط والمشاركة الاجتماعية.

٢ – يتميز الرعيم أيضاً بالثابرة والميل الاجتماعي وتحديد الهدف والثقة في النفس، والبصرة الاجتماعية، والتعاون، والشعبية والقدرة على التكيف والطلاقة اللغوية، والأصالة والإبداع.

٣ – كانت أنجح الدراسات في مجال الزعامة تلك التي استخدمت أسلوب الملاحظة ثم التسجيل ثم التحليل بناء على دليل سابق الإعداد ثم قام (مان) Mann بعد ذلك باستعراض دراسات العلاقة بين بعض العوامل الشخصية وبين ظاهرة الزعامة وخلص إلى ما يلى:

١ – هناك علاقة بين الذكاء والزعامة في ١٩٦ دراسة، ١٧٣ منها أى ٨٨٪ من هذه الدراسات كان معامل الارتباط بين الزعامة والذكاء حوالي ٥٠ .

ولكن هناك دليل على أن الذكاء اللغوي أكثر ارتباطاً بالزعامة من الذكاء غير اللغوي كالذاكرة والقدرة العددية.

٢ – ٩٦٪ من الدراسات تؤكد أن هناك علاقة موجبة بين الانضباط Adjustment والزعامة وأن معامل الارتباط حوالي ٥٣ .

٣ – وجد ٢٢ باحثاً في العلاقة بين الانبساط الاجتماعي وبين القيادة علاقة موجبة بين المتغيرين حيث كان معامل الارتباط حوالي ٥٠ .

٤ - هناك علاقة بين الميل إلى التسلط والسيطرة وبين السلوك الزعامي أو القيادي وكان معامل الارتباط حوالي ٤، . (يلاحظ هنا أن العلاقة بين هذين المتغيرين ليست علاقة خطية بمعنى طردية العلاقة ولكنها علاقة حيوية Gurvilinear بمعنى أنه إذا زاد معدل التسلط عند نقطة ما قل معدل السلوك الزعامي).

٥ - هناك دليل طفيف على العلاقة بين الذكورة / الأنوثة والسلوك الزعامي .

٦ - هناك ارتباط سالب بين الميل إلى المحافظة Conservatism والزعامة بمعنى أن الزعيم يكون أكثر ميلاً إلى التحرر الفكري والتقدمية في الآراء .

٧ - هناك علاقة موجبة بين الحساسية الاجتماعية والقيادة بمعنى أن القائد أكثر حساسية للمشكلات الاجتماعية التي تتعرض حياة الجماعة من بقية الأفراد .

والآن لنا عدة ملاحظات على هذه الدراسات سواء التي استعرضها جنكيرز أو ستوجديل أو مان نوردها فيما يلى:

١ - هناك مشكلة المصطلحات العلمية التي فرضت نفسها على معظم هذه الدراسات والبحوث ، فما يسمى القدرة الاجتماعية في دراسة ما يسمى شيئاً آخر مثل الميل الاجتماعي أو الانبساط في دراسة أخرى ، وهذا ما يدعو إلى الحذر عند الأخذ بأى من نتائج هذه الدراسات أو تعميماتها .

ولهذا نتفق مع ما قاله آرجاييل (M. Argyle) بأنه قبل الوصول إلى تعميم بالنسبة لظاهرة الزعامة لا بد من دراسة مجموعات مختلفة من الأفراد مستخددين أساساً معيارية واحدة لاختيار القادة وكذلك اختبارات موحدة مقتنة في سمات وخصائص الشخصية .

٢ - هناك مشكلة أخرى وهي أن الكثير من البحوث التي أجريت في مجال الزعامة كانت تسير في خطوط متوازية ولم تكن متنبطة ، ومن ثم فقدت صيغة التراكم ، فكانت تبدأ دائماً من نقطة واحدة وتنتهي إلى إيجاد نوع من العلاقة بين بعض المتغيرات وبين ظاهرة الزعامة .

وربما يفسر ذلك لماذا بقيت هذه المساحة مفتوحة للبحث والدراسة رغم كثرة الإسهامات في هذا الميدان .

٣ - كثير من هذه الدراسات اهتم بإيجاد العلاقة بين الزعامة وبين بعض المتغيرات الأخرى مثل الذكاء والثبات الانفعالي والقدرة اللغوية وما إلى ذلك ولكن القليل منها اهتم بالعلاقة من هذه المتغيرات (تفاعل الذكاء واللغة والثبات الانفعالي . . . الخ) بعضها البعض في الموقف الزعامي أو القيادي .

ويعنى آخر كان من المتوقع أن تتضح العلاقة بين الخصائص الشخصية والعوامل الموقفية فى حالة ظهور القادة والزعماء. أو كيف يتم التفاعل بين الخصائص الشخصية والعوامل الموقفية.

اكتشاف القادة،

ربما كانت الطريقة المناسبة لاكتشاف القادة كما سبق وأشارنا هى طريقة الملاحظة العلمية المنظمة مع تسجيل تفاعل أفراد الجماعة ثم تحليل هذا التسجيل وتفسيره لمعرفة القائد أو الزعيم.

واللاحظة – أيضاً – هى المشاهدة المقصودة التى تعتمد على عدة افتراضات سابقة ويقوم بها الملاحظ فى أي موقف من المواقف – ليجمع فى تسجيل شامل دقيق ذلك الموقف ومكوناته.

أما عن المواقف التى يتحمل فيها ظهور القائد أو الزعيم فهى نوعان:

١ – النوع الأول: المواقف العملية Work task Situations .

٢ – النوع الثاني: مواقف الحوار أو المناقشة Discussion Situations .

وهناك عدة شروط يجب أن تتوفر فى عملية الملاحظة ونقصد بالذات من يقوم باللاحظة فى مواقف الكشف عن القائد.

١ – يجب أن يكون الملاحظ من الشخصيات المعروفة لدى الجماعة، بمعنى أن يكون من المشتركين معهم فى حياتهم اليومية حتى يالفه أعضاء الجماعة ولا يقومون بما يخفى سلوكهم资料的和 انفعالاتهم تجاه المثيرات التي تحدث في البيئة.

٢ – يقوم الملاحظ بفترة من الملاحظة التمهيدية قبل إجراء الملاحظة الحقيقة وذلك ليتعرف عن قرب على أنواع السلوك الذى يمارسها الأعضاء وبناء على هذه الملاحظة التمهيدية يمكنه إعداد دليل الملاحظة.

٣ – يستخدم الملاحظ أدوات مناسبة لتدوين ملاحظات وتسجيلها بحيث لا يلفت نظر أعضاء الجماعة حتى لا يتحرجون من تسجيل ردود أفعال تصدر عنهم فى هذا الموقف أو ذاك.

٤ – يجب أن تستمر الملاحظة فترة زمنية كافية حتى يمكن ملاحظة تكرار أنواع السلوك وأشكاله المختلفة.

٥ – من المستحسن أن يشارك الملاحظ الجماعة أنشطتهم المختلفة مثل الأنشطة الرياضية أو الرحلات أو غير ذلك: وقد قام مظفر شريف بدور حارس فى أحد معسكرات العمل أثناء ملاحظة لمجموعة من الشاب فى مواقف اكتشاف القادة.

وكما سبق أن أوضحنا هناك نوعان من المواقف هما مواقف العمل و مواقف الحوار . وفي النوع الأول: يتركز الاهتمام حول التفاعل الأدائي - Performance Interaction بما فيه من عناصر ومكونات أما في النوع الثاني: فيدور الاهتمام حول فنية أسلوب الحوار والمناقشة .

وكما أسلفنا فإن لكل موقف من هذين الموقفين لابد وأن يكون له دليل لتحليل محتويات التسجيل .

وسوف نلقي الضوء على ذلك :

أولاً، مواقف العمل أو المواقف العملية Work Task Situations

حاول كارتر ونيكسون ١٩٥٩ وضع دليل لتحليل محتوى الملاحظة في الموقف العملية لاكتشاف القادة

وقام الباحثان بتسجيل التفاعل العدى واللفظي بين أعضاء الجماعة في مواقف حل المشكلات العقلية (الألغاز) وهى التي تحتاج إلى مهارة معينة وكذلك مواقف الإدارة والمواقف الميكانيكية وخاصة مواقف الخل والتركيب .

ثم قام الباحثان بتحليل التسجيل بناء على الدليل التالي :

عمل هام Major Performance ٢ درجة .

عمل مساعد Minor Performance ١ درجة .

اقتراح هام Major Suggestion ٢ درجة

اقتراح عادى Minor Suggestion ١ درجة

ثم جمعت أوزان كل نوع من الأنواع الأربع على حدة كنسبة مئوية من مجموع التفاعل الكلى وحولت بعد ذلك إلى مقياس مئوي يبدأ من الصفر ويتنهى عند المائة .

وقد وصل الباحثان إلى القول بأن الرعامة في مواقف المشاكل العقلية والإدارية تتشابه أو تقارب معا في حين أن القيادة في الموقف العملية والميكانيكية تبدو بعيدة عن النوعين السابقين من حيث العناصر والمقومات .

وهنا تبدو مشكلة ضيق مدى دليل التحليل حيث إنه لا يغطي جميع أنماط السلوك بل أنه، أى هذا الدليل، قد حصر جميع الأنماط السلوكية في أربعة أصناف ما بين عمل واقتراح هام أو مساعد .

وتبدو مشكلة أخرى هي مشكلة إعطاء أوزان قريبة من بعضها البعض لعناصر هذا الدليل .

نستعرض بعد ذلك دليلا آخر اقترح سنة ١٩٦١ ونمكن تلخيصه فيما يلى :

(١) يظهر القائد أو الزعيم نشاطا يفوق النشاط العادى فى محاولة حل المشاكل التى يتضمنها الموقف وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ- الأداء الابتكارى Original Performance

أى الأداء الأصيل الذى يقود مباشرة إلى حل المشكلة الموقفية بدرجة تبهر توقعات بقية أفراد الجماعة . وذلك مثل إعادة تنظيم الموقف وترتيب عناصر مجال التفاعل أو إنشاء تركيب جديد يؤدى إلى الحل الأمثل لمواجهة المشكلة .

ب- الاقتراح الابتكارى Original Suggestion

وهو الفكرة الأصلية التى تقود بالضرورة إلى تغيير الأوضاع النسبية لعناصر الموقف وبمعنى آخر هو عملية إعادة الصياغة Redefinition التى تعتبر إحدى مكونات التفكير الابتكارى .

ج- تنظيم الجماعة Organizing the Group

يعنى تقسيم العمل بين أفرادها بما يتفق وإمكانات كل منهم .

د- إرشاد أعضاء الجماعة Group Guidance

يعنى إرشاد الآخرين إلى كيفية القيام بعمل معين فى الموقف الأدائى . ويكون هذا الإرشاد أو التوجيه إما عمليا عن طريق التوضيح الفعلى أو لفظيا عن طريق الشرح والتوضيح .

هـ- مراجعة تقدم الجماعة على الخطة الموضوعة

, Checking Group Progress

ويقصد بهذا بأن يقوم القائد أو الزعيم بمطابقة معدل إنتاجية الجماعة فى لحظة معينة على خطة العمل الموضوع وبهذا يمكن تحديد سرعة حركة الجماعة نحو هدفها .

(٢) يقوم القائد بأداء الجزء الأكبر من محاولة حل المشاكل:

التي يتضمنها الموقف وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ- الأداء الفعال Major Performance

وهو أداء نشط وفعال وإن كانت تتفصّل الفكرة الإبداعية إلا أنه ضروري حل المشكلة التي تتعرض الموقف ويحتاج إلى مهارة فنية معينة تكون على مستوى المشكلة.

ب- الاقتراح الفعال Major Suggestion

اقتراح يقوم أساساً على الجرأة والإقدام وتفصيله كذلك الفكرة الأصلية ولكنه يساعد على تعديل الأوضاع النسبية لعناصر الموقف.

وبمعنى آخر فإن الأداء الفعال والاقتراح الفعال نوعان من السلوك يتفصّلماهما الإبداع والأصالة ويزدانها الجرأة والإقدام.

ج- المحاولة الهدافـة Purposful attempt

وهي المحاولة التي تهدف إلى غرض قد يؤدي إلى حل المشكلة الأساسية وذلك مثل محاولة التغيير أو الإضافة في المجال العام للموقف بهدف اختبار أثر هذا التغيير أو الإضافة على محتوى المشكلة.

د- تقديم أفكار جديدة Offering new ideas

وهي كل أداء أو اقتراح غير النوع الابتكاري الأصيل أو النوع الفعال مثل الأسئلة العديدة أو الأعمال المساعدة الجانبية أو تسهيل حركة أعضاء الجماعة.

(٣) يحاول القائد أن يوجه أعضاء الجماعة ليعملوا كما يرغب وذلك عن طريق إظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ - يوضح للجماعة عملياً أن فكرته أو اقتراحه هو الأفضل والأنسب.

ب - يقنع أفراد الجماعة نظرياً أن فكرته أو اقتراحه هو الأفضل والأنسب.

ج - يقوم بإعادة أعمال الآخرين موضحاً نوعاً خاصاً من المهارة والدقة.

د - يوجه النقد إلى المقترنات التي لا تتفق مع وجهة نظره.

ه - يوجه التشجيع والتقدير إلى الآراء التي تتفق مع وجهه نظره.

و - إعطاء الأوامر وتقديم المعلومات.

ما سبق يتضح أن السلوك القيادي أو الزعامي في أي موقف من المواقف العملية يمكن تحليله إلى ثلاثة أبعاد رئيسية هي :

- (١) إظهار معدل من النشاط يفوق المعدل العادى بشكل ملحوظ ودرجة فائقة .
- (٢) القيام بأداء أكبر قدر ممكن من النشاط الذى تبذل الجماعة .
- (٣) محاولة (دفع) الآخرين للتفاعل فى الاتجاه الذى يرغبه القائد .

هذا بالنسبة للمواقف العملية أو مواقف الأداء ، وماذا إذن عن النوع الآخر وهو مواقف الحوار أو المناقشة وهى مواقف ذات أهمية واضحة فى اكتشاف القادة لأن المهارة اللغوية والقدرة على التعبير بما فيها من عناصر عقلية ومنطقية وإمكانية الحوار والإقناع والتأثير وتوضيح الفكرة وصياغة الاقتراح وتقديم القرار كلها تمثل معيارا جيدا فى عملية الكشف عن القادة .

ومن أهم الدراسات التى أجريت لبناء دليل لتحليل محتوى تسجيل مواقف المناقشة كانت دراسة (باس) ١٩٥٤ حيث اقترح سبع نقاط يقوم عليها التحليل وهى :

- ١ — المبادأة .
- ٢ — القدرة التعبيرية المؤثرة .
- ٣ — القدرة على تحديد المشكلة .
- ٤ — إثارة الآخرين للاشتراك فى المناقشة .
- ٥ — التأثير على آراء الآخرين .
- ٦ — تقديم حلول إيجابية للمشكلة .
- ٧ — قيادة المناقشة .

تم عاد (باس Bass) وأعطى لكل نوع من أنواع السلوك السبعة خمسة أوزان أو درجات حسب تقدير الملاحظ وذلك كما يلى :

قدر واضح (من أي سلوك) ٤ درجات .

قدر كبير (من أي سلوك) ٣ درجات .

إلى حد ما (من أي سلوك) ٢ درجاتان .

إلى حد قليل (من أي سلوك) ١ درجة واحدة .

لا شيء مع الإطلاق (من أي سلوك) صفر .

وهناك بعض الملاحظات حول حاجة هذه النقاط السبعة المقترنة إلى التوضيح والتحليل حتى يستطيع من يقوم بالمشاهدة أن يجد السبيل سهلا فى عملية التسجيل ، ومن ثم التقدير والتحليل . كذلك الأوزان المعطاة فهى أيضا تحتاج إلى معنى يقوم عليه التفسير .

وفي سنة ١٩٦١ اقترح دليل آخر لتحليل محتوى تسجيل موقف الحوار والمناقشة تمكن تلخيصه بما يلى:

(١) يؤثر القائد على الاتجاه العام للمناقشة وذلك عن طريق اظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ - فتح باب المناقشة أى المبادرة بالحديث وتهيئة الجو لآخرين للدخول فى الحوار.

ب - تقديماقتراحات التى تغير من بعض بنود المناقشة بصورة واضحة بمعنى أن يتغير اتجاه المناقشة بعد تقديم أى اقتراح من هذا النوع.

ج - موافقة القائد أو عدم موافقته تغير من اتجاه المناقشة.

(٢) يؤثر القائد على القرار النهائى للجماعة وذلك عن طريق اظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ - تقديم اقتراح ينهى جزءا من المناقشة.

ب - تقديم القرار فى صورة اقتراح

ج - موافقة القائد أو رفضه تؤثر على الوصول إلى القرار النهائى.

(٣) يأخذ القائد دورا فعالا فى المناقشة وذلك عن طريق اظهار أنماط التفاعل الآتية:

أ - تقديم أفكار ومقترنات جديدة.

ب - الموافقة الإيجابية (الفعالة) أو الرفض الفعال لآراء الآخرين.

ج - التعليق على آراء الآخرين.

ما سبق يتضح أن دليل تحليل محتويات تسجيل التفاعل اللغوى يعتمد على أبعاد ثلاثة هي:

١ - توجيه الاتجاه العام للمناقشة.

٢ - التأثير على القرار النهائى للجماعة.

٣ - الإسهام الإيجابى فى المناقشة.

وهناك نوع ثالث من أنواع المواقف غير موقف الأداء والعمل وموافق الحوار والمناقشة، وهذا النوع هو موقف التفاعل الحر مثل الأنشطة المختلفة التى يمارسها الشباب سواء كان نشاطا رياضيا أو اجتماعيا أو غير ذلك.

وفي هذه المواقف تصبح وحدات تحليل محتوى تسجيل الملاحظة كما يلى:

- ١ - تكوين الجماعات الفرعية (الشلل).
- ٢ - المشاركة الاجتماعية.
- ٣ - سرعة الحركة والانتقال.
- ٤ - الاستقطاب الاجتماعي.
- ٥ - الانطواء والعزلة.
- ٦ - المانعة الاجتماعية (مقاومة العلاقات).
- ٧ - المبادأة.
- ٨ - الحساسية الاجتماعية.

وكل نقطة من هذه النقاط تحتاج إلى شرح وتحليل ولكنها صالحة لأن تكون وحدات إرشادية للملاحظة في مواقف التفاعل الحر.

وقد لاحظنا أنه في الأدلة الثلاثة السابقة لم تعط أى وزان بل يكتفى الباحث بحساب تكرارات كل نمط من أنماط السلوك. وفي واقع الأمر أن النظرية التي اعتمدت عليها هذه الأدلة تقول إن الرزامة أو القيادة هي كل جهد يبذله أعضاء الجماعة بالإضافة أو تعديل أو إيدال في عناصر المجال الاجتماعي وذلك عن طريق حركتها نحو الهدف.

العلاقة بين عناصر الموقف الرزامي:

سوف نستعرض فيما يلى دراسة اعتمدت على النظرية التي سبق الإشارة إليها وهي أن ظاهرة الرزامة أو القيادة كظاهرة سلوكية تعنى أنها تفاعل حر بين أفراد الجماعة بقصد إعادة ترتيب المجال للوصول إلى الهدف، وهذا يعني أن كل فرد يمكن أن يقود وأن يشتراك في عملية القيادة بقدر ما تؤهله قدراته وإمكاناته ونستطرد ونقول إن القائد الناجح هو تابع ناجح.

في هذه الدراسة تم قياس تسعه متغيرات بعضها شخصي وبعضها موقفي وكانت كما يلى:

- ١ - الذكاء أو القدرة الفطرية العامة.
- ٢ - القدرة اللغوية وخاصة السيولة اللفظية التعبيرية.
- ٣ - الثبات الانفعالي.
- ٤ - الميل إلى التسلط والسيطرة.

- ٥ — القدرة على اجتذاب حب الآخرين .
- ٦ — القدرة على تحمل المسئولية .
- ٧ — القدرة الاجتماعية (الميل الاجتماعي) .
- ٨ — القدرة على التعاون مع الآخرين .
- ٩ — القدرة الفنية (التكنيكية) .

ثم تمت ملاحظة أربعين مجموعة في مواقف عملية وفي مواقف مناقشة لمدة عشرة أسابيع . وكانت المواقف العملية هي: أعمال التجارة — الحدادة — الطباعة — تجلييد الكتب — السمسكرة — فن تنسيق الخدائق .
 (تمت الملاحظة في إحدى المدارس الفنية في بريطانيا) .

وجميع هذه المواقف تحتاج إلى عمل جماعي ، أما مواقف المناقشة فهي الاجتماعات الأسبوعية التي يعقدها كل فصل دراسي لمناقشة بعض المشاكل الاجتماعية والاستماع إلى عدد من التقارير .

ثم أجري تحليل محتوى الملاحظة باستخدام الأدلة السابق الإشارة إليها وكانت نتائج الدراسة كما يلى :

١ - مقارنة القادة بغيرهم من حيث أنماط السلوك:

تفوق القادة على بقية أعضاء الجماعة في الأنماط السلوكية التالية وذلك في المواقف العملية :

- ١ — الأداء الابتكاري .
- ٢ — الأداء الفعال .
- ٣ — إعطاء الأوامر .
- ٤ — مراجعة تقدم الجماعة .
- ٥ — تنظيم الجماعة وتوزيع العمل .
- ٦ — إرشاد أعضاء الجماعة .
- ٧ — نقد أعمال الآخرين .

أما مواقف المناقشة تفوق القادة على غيرهم في أنماط السلوك التالية:

١ - تقديم القرار في صورة اقتراح.

٢ - فتح باب المناقشة.

٣ - تقديم مقتراحات جديدة.

٤ - تقديم الاقتراح الذي ينهي المناقشة.

٥ - تقديم الاقتراح الذي يغير اتجاه المناقشة.

٦ - مقارنة القادة بغيرهم من حيث الخصائص التسعة،

تفوق القادة على غيرهم في الخصائص التالية:

١ - الذكاء العام.

٢ - القدرة على التعاون.

٣ - القدرة على تحمل المسئولية.

٤ - القدرة الاجتماعية.

٥ - القدرة على اجتذاب الآخرين.

٦ - القدرة التكنولوجية.

ما سبق نستطيع الحديث عن العلاقة بين عناصر الموقف الزعامي بحيث نقول إن هناك (٦) خصائص تميز القادة عن غيرهم وبذلك يمكن أن نستطرد ونقول إن التفاعل بين هذه العناصر ستة يؤدي إلى وضوح ظاهرة القيادة في موقف ما.

و هنا قامت الدراسة بثبيت درجة الذكاء و درست العلاقة بينها وبين الخصائص الخامسة الأخرى ، ثم القدرة على التعاون وهكذا وكانت النتائج كما يلى :

١ - عند ثبيت درجة الذكاء (الفرق بين القادة وغيرهم صفر) تستطيع العناصر الخامسة الأخرى التمييز بين القادة وغير القادة .

٢ - عند ثبيت درجة القدرة على التعاون مع الآخرين نجد أن القدرة على تحمل المسئولية والقدرة التكنولوجية هما الخصائص الوحيدةتان اللتان يمكن أن تميزا بين القادة وغيرهم .

٣ - عند ثبيت القدرة الاجتماعية نجد أن العناصر الدالة في التمييز بين القادة وغيرهم هي: القدرة على التعاون – القدرة التكنولوجية – القدرة على تحمل المسئولية .

- ٤ – عند تثبيت القدرة التكنيكية نجد أن عناصر التميز هي:
 القدرة على التعاون مع الآخرين – القدرة الاجتماعية – القدرة على اجتذاب حب الآخرين.
- ٥ – عند تثبيت القدرة على اجتذاب حب الآخرين نجد أن عناصر التميز هي:
 القدرة على التعاون – القدرة الاجتماعية – القدرة التكنيكية – القدرة على تحمل المسئولية.
- ٦ – عند تثبيت القدرة على تحمل المسئولية لم يظهر غير القدرة التكنيكية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين كعناصر مميزة.

ما سبق نستنتج:

- ١ – القدرة على تحمل المسئولية والندرة على التعاون مع الآخرين هما أكثر العناصر قابلية للتفاعل مع مكونات الموقف الاجتماعي لإظهار القائد وبذلك يمكن أن نسميه عناصر متفاعلة Reactant elements.
- ٢ – القدرة الاجتماعية والقدرة التكنيكية والقدرة على اجتذاب حب الآخرين تأتي في المكان المتوسط بين العناصر المتفاعلة والعامل المساعد Catalytic Factor.
- ٣ – يعتبر الذكاء بصورة قاطعة عاملاً مساعداً Catalytic Factor ضرورياً لإنعام التفاعل بين العناصر السابقة ومكونات الموقف، لإنعام ظاهرة القيادة أو الزعامة.

المراجع

المراجع العربية:

سعد عبد الرحمن: أسس القياس النفسي الاجتماعي القاهرة ١٩٧٩.

المراجع الأجنبية:

2 - Gibb, c, Leadership in Hand book of social psychology 1958.

3 - Stogdill, S, Reiveau of Leadership research, 1952.



الفصل الحاشر

مناهج البحث النفسي الاجتماعي، وطرقه، وأنواعه

أولا . صعوبات البحث في علم النفس الاجتماعي.

ثانيا . مناهج البحث العلمي في علم النفس الاجتماعي.

ثالثا . مفهوم الطريقة العلمية وأسس اختيارها.

رابعا . أهم طرق البحث المستخدمة في علم النفس الاجتماعي.

خامسا . أهم تصنیفات الأبحاث النفسية الاجتماعية.

سادسا . الملخص.

يبدأ هذا الفصل بتحليل موجز للصعوبات التي تواجه البحث النفسي الاجتماعي والتي ينشأ أغلبها من خصائص وطبيعة الظواهر النفسية الاجتماعية.

ثم تتطور موضوعات هذا الفصل لتبيّن كيف أمكن التغلب على مثل تلك الصعوبات وذلك باتباع المنهج العلمي المناسب، وطرق البحث التي تتفق ونوع الدراسة والتي تلائم طبيعة الظاهرة التي يتصدى العلم لها.

ولذلك أصبح من الضروري أن نبين الفروق الجوهرية القائمة بين المنهج والطريقة والنوع، حتى لا يختلط الأمر على الباحثين في هذا العلم والدارسين له. وكثيراً ما يكتب بعض الباحثين عن منهج بحثهم وهم يعنون طريقته، وكثيراً ما يشرحون طريقته وهم في الحقيقة يصفون نوعه.

أولاً - صعوبات البحث في علم النفس الاجتماعي

تواجه الباحث في علم النفس الاجتماعي صعوبات مختلفة، ينشأ أغلبها من موضوع ومادة العلم: فالإنسان نفسه وهو سلوكه الظاهر والباطن الذي هو موضوع علم النفس بجميع فروعه – إذا استثنينا علم النفس الحيواني – مخلوق معقد حول قلب. ولعل ذلك سر مرونته وسر عظمته. ولقد أكسبته هذه المرونة عصرية خاصة سمت به إلى المدرج العليا وأوشكت أن تحجب عنا صلنه الوثيقة يبقي أنواع المملكة الحيوانية.

بهذا تحدى هذا المخلوق الغريب أساليب البحث العلمي بادئ ذي بدء، فانصرف الرواد الأول للنهاية العلمية بمجهوداتهم وأبحاثهم إلى الكون الطبيعي. ثم لانت قناته. ووضحت مسالكه ودرويه. فإذا العقل يبحث العقل، والإنسان يستشف أغوار الإنسان.

ولقد تطور البحث في علم النفس من دراسة سلوك الفرد إلى دراسة سلوك الجماعة، وبذلك بدأت الأبحاث النفسية الاجتماعية تتخذ وجهتها العلمية الصحيحة. ولقد تحولت دراسة سلوك الجماعة إلى دراسة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد وما يتبعها من تفاعل ودينامية.

ولقد واجه البحث العلمي في علم النفس الاجتماعي منذ نشأته الأولى صعوبات متعددة، نلخص أهمها في كثرة عدد الظواهر الجديدة التي يمتد إليها مجال البحث عاماً بعد آخر، وكثرة عدد التغيرات التي قد تحول بين الباحث وبين الضبط التجريبي الصحيح، وتشابك العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد إلى الحد الذي يجعلها

معقدة صعبة المراس، وتأثير الظواهر النفسية الاجتماعية بإجراءات البحث واحتمال تغيرها خلال تلك الإجراءات.

ومهما يكن من أمر هذه الصعوبات فلا يضير العلم أن يتصدى لبحثها مادامت الطريقة التي يعالج بها هذه الصعوبات طريقة علمية صحيحة، ومادامت نتائج هذه الطريقة نتائج علمية موضوعية.

ومن بين فيما يلى أهم هذه الصعوبات حتى يكون الدارس لهذا العلم على وعي بها فلا يتزلق في دروبها الشاقة الوعرة.

(أ) كثرة عدد الظواهر الجديدة:

الظواهر التي يتصدى علم النفس الاجتماعي لدراستها ليست هي كل الظواهر التي يمكن أن يوصف بها السلوك النفسي الاجتماعي، وإنما هي بعض الظواهر التي يمكن تحديدها وقياسها، وذلك لحداثة العهد بعلم النفس الاجتماعي التجاري^(١). إذ بلغ مدى متوسط الأبحاث التجريبية من ٥٠ إلى ١٥٠ حتى سنة ١٩٢٠. وبلغ مداه فيما بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٤٠ من ١١,٢ إلى ٢١ ثم امتد متوسطه إلى ٣١,٢ فيما بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٤ وإلى ٥٥,٢ فيما بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٩ وإلى ١٥٢,٥ فيما بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٥٣. وظلت النسبة في اطراد زیادتها حتى امتد مجال علم النفس الاجتماعي إلى مسالك حياتنا اليومية الواقعية^(٢).

هذا وبالرغم من الزيادة المطردة، فما زال علم النفس الاجتماعي في مشارف ميدانه الواسع الخصب، وما زالت إرهاصات المستقبل كامنة لم يشملها البحث بعد. وعندما يطور هذا العلم مناهج بحثه وطرق دراسته وأدوات قياسه، فإنه قد يستطيع أن يجلو غوامض كثير من الظواهر النفسية الاجتماعية التي ما زال الرأي فيها ضرباً من ضروب الرجم بالغيب.

من أجل هذا اهتم هذا الفصل بدراسة الخطوات التفصيلية لطريقتي الملاحظة والتجريب ليواكب بذلك الزيادة المطردة في عدد الظواهر التي يمتد إليها مجال علم النفس الاجتماعي المعاصر. وليبهيء المجال للبحث الميداني إن كان ذلك يتافق وطبيعة تلك الظواهر الجديدة. أو البحث المعملى إن أمكن ضبط التغيرات والتحكم فيها.

(1) Fraisse, P. and Piaget, J.: *Traite de Psychologie Experimentale*: IX. Psychologie Sociale. Paris Univ. de France. 1965. P. 1.

(2) Swingle, P. G. *Social Psychology in Everyday Life*. London. Penguin. 1973.

(ب) كثرة عدد التغيرات:

كثرة عدد التغيرات من أهم الصعوبات التي تؤثر في البحث النفسي الاجتماعي. ولذا كان لزاماً على الباحث أن يحصي تلك التغيرات وأن يعالجها المعالجة العلمية المناسبة لها.

وتنشأ هذه الكثرة من أن السلوك النفسي الاجتماعي سلوك متبادل، ويحدث هذا التبادل بين الفرد ونفسه وبين الفرد وغيره، فكما أن ما يصدر عن الفرد يؤثر في الشخص الآخر الذي يتفاعل معه، فإنه أيضاً يؤثر في الفرد نفسه فيصبح هو المثير وهو المستجيب، وتحول الاستجابة التي تصدر عنه إلى مثير بالنسبة للاستجابة التي تليها. ولقد فطن أبو حيان التوحيدي^(١): في القرن الرابع الهجري إلى هذه البنونة بين الإنسان ونفسه حيث يقول «... إنني أجد الإنسان ونفسه كجارين متلاصقين يتلاقيان فيتهدنان، ... وهذا يدل على بنونة بين الإنسان ونفسه...».

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فقد كشفت الأبحاث العلمية الخاصة بالعلاقات الثنائية التي تنشأ بين فردين، عن صورة متعددة لتلك العلاقة المتبادلة تزيد من عدد التغيرات إلى الحد الذي تتطلب معه استخدام أساليب تحليل المتغيرات المتعددة. وهي أساليب معروفة في البحث الارتباطي.

(ج) تشابك العلاقات الاجتماعية وتعقيدها:

تصدر المؤثرات الاجتماعية عن فرد أو عن حشد من الأفراد يؤلفون فيما بينهم جماعة. والفرد والجماعة جزء من الموقف الدينامي للمحيط به وبهم، والاستجابة النفسية الاجتماعية مظاهر ذلك الموقف. وتتعدد الصلات القائمة بين المؤثرات والمؤثرات، وبين الاستجابات والاستجابات وبين المؤثرات والاستجابات.

وبالرغم من هذا الكل المعقد المتشابك، فإنه يمكن أن ترتبط الاستجابات بمثيراتها، وبالعوامل الأخرى المؤثرة فيها ارتباطاً يخضع في جوهره لوسائل البحث العلمي، ويهدف إلى اكتشاف العوامل والأسباب التي ينجم عنها ذلك السلوك تميداً لصياغة القوانين والنظريات التي تفسر الجوانب المختلفة للاستجابات الاجتماعية.

ولهذا فعلى الباحث أن يكتشف أنماط الطرق التي تمكنه من رصد تلك الاستجابات رصداً علمياً موضوعياً دقيقاً. وعليه أيضاً أن يفصل الظاهرة التي يهدف إلى

(١) - حسن السندي - أبو حيان التوحيدي: حياته وأثره ومرورياته: القاهرة سنة ١٩٢٩ المقابلة ١٨ ص ١٦١.

دراستها عن غيرها من الظواهر التي لا تعنيه في بحثه حتى لا يختلط عليه الأمر، وحتى لا يضل طريقه بين الظواهر المتشابكة المختلفة.

والظواهر النفسية الاجتماعية ليست ببساطة الظواهر الطبيعية والكميائية فارتفاع الزئبق مثلاً في الترمومتر يرتبط ارتباطاً مباشراً بارتفاع درجة الحرارة. لكن السلوك الاجتماعي لفرد ما في استجابته لمثير ما يختلف يوماً عن يوماً تبعاً لاختلاف الموقف العام المحيط به، والعوامل المؤثرة فيه.

ويستعين علم النفس الاجتماعي بدراسة الفرد في استجاباته المختلفة على أنه جزء من الموقف والإطار العام الذي يحيط به. ولهذا يلجأ الباحثون إلى تحليل المجال الذي يهيمن على الفرد للوصول إلى الحقائق العلمية التي يهدفون إليها.

(د) تأثير الظواهر بعملية البحث:

من أهم مشكلات البحث أيضاً في علم النفس بصفة عامة، وعلم النفس الاجتماعي بصفة خاصة أن السلوك النفسي، والنفسي الاجتماعي يميل إلى أن يتاثر إلى حد ما بعملية البحث نفسها. فإذا عرف شخص ما مثلاً، أنه فرد في تجربة فإنه يميل إلى أن يسلك سلوكاً مختلفاً عن سلوكه العادي في حياته اليومية. وقياس مدى تغير مثل هذا السلوك واختلافه عن السلوك العادي عملية شاقة عسيرة، لأن مثل هذا التغير يختلف تبعاً لاختلاف خصائص الأفراد. فمنهم من يزداد نشاطه عندما يعلم أنه موضوع الملاحظة والتجريب، ومنهم من يرتبك ويتعثر، ومنهم من يسلك المסלك الذي يظن أن الباحث يتوقعه منه، أو ما يمكن أن يسلكه الإنسان العادي الطبيعي أو تعرض لنفس الظروف التي يتعرض لها، وهكذا.

ولذا تتأثر نتائج التجارب المعملية بالقياس القبلي الذي يقوم به الباحث للجماعات التجريبية والضابطة. وسنبين بعد ذلك في دراستنا للتصميمات التجريبية كيف يمكن التغلب على هذه الصعوبة، وذلك عن طريق الاستعانة بأكثر من جماعة ضابطة لقياس أثر هذا القياس القبلي والتخلص منه.

ثانياً - مناهج البحث العلمي في علم النفس الاجتماعي

تفتقر دراسة طرق البحث الشائعة في علم النفس الاجتماعي معرفة المناهج التي تتسمى إليها تلك الطرق. ولذا سنبين فيما يلى معنى النهج ونفرق بينه وبين الطريقة، وخاصة أن بعض الدارسين يجدون صعوبة في هذه التفرقة. وبعد أن ننتهي من التحديد الدقيق لمعنى النهج سنصف المناهج بالنسبة لأساسين رئيسين هما أساس القبلية

والبعدية، وذلك تبعاً لتوقيت حدوث الظاهرة، وتطبيق الطريقة، وأساس الخارجية والداخلية تبعاً لنسبة الظاهرة إلى غيرها أو إلى مكوناتها. ثم نوضح بعد ذلك معايير تقييم المنهج لطرق البحث.

(أ) معنى مناهج البحث:

منهج البحث فرع من فروع علم المنطق، وموضوع دراسته طرق البحث العلمي. أي أنه علم طرق البحث كما تدل على ذلك تسميه الإنجليزية **Methodology**. ويدل المقطع الأول من المصطلح على الطريقة، ويدل المقطع الثاني على العلم. وبذلك يعني منهج البحث، أو علم طرق البحث، الدراسة المنطقية لقواعد وطرق البحث العلمي، وصياغتها صياغة إجرائية تيسر استخدامها.

وتعد أهم موضوعات مناهج البحث دراسة الطرق في ضوء مقوماتها والأسس التي تبني عليها ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها. وهذا يتطلب إعداد نظام علمي دقيق لتقييمها.

(ب) أنواع المناهج:

تصنف مناهج البحث إلى قبلية وبعدية إذا كان أساس التقسيم هو توقيت حدوث الظاهرة وتقويتها طريقة البحث.

وتصنف إلى خارجية وداخلية إذا كان أساس التقسيم هو نسبة الظاهرة لغيرها أو نسبتها لمكوناتها الداخلية.

وسنبين فيما يلى المناهج وطرقها التي تدرج تحت كل نوع منها:

١- المناهج القبلية والبعدية:

يعتمد تصنيف المناهج إلى قبلية وبعدية على موقع طرق المنهج من توقيت حدوث الظواهر. فإذا سبقت الطريقة الظواهر وخططت لخدوثها لضبط قياسها والتحكم في أبعادها سمى منهج البحث منهجاً قبلياً. وإذا سبقت الظواهر طريقة البحث وسجلت الطريقة الظاهرة كما حدثت أو تحدث سمى منهج البحث منهجاً بعدياً. ومن أمثلة الطرق التي تدرج تحت المنهج القبلي الطريقة التجريبية لأنها تحدث التغير للكشف عن العوامل والأسباب، وتعتمد على رصد ما يحدث من تغير في التغيرات التالية نتيجة لإحداث تغير في المتغيرات المستقلة. ومن أمثلة الطرق التي تدرج تحت المنهج البعدي طريقة الملاحظة لأنها تعتمد على تسجيل الظواهر كما تحدث.

٢- المنهج الخارجية الأرسططالي، والداخلية الجاليلية،

تصنيف المنهج إلى خارجية وداخلية أهم من تصنيفها إلى قبلية وبعدية وأكثر شيوعاً بين الباحثين. والمنهج الخارجي ينسب الظاهرة إلى غيرها من الظواهر الأخرى، والمنهج الداخلي ينسبها إلى مكوناتها الداخلية.

ويسمى المنهج الخارجي المنهج الأرسططالي، ويسمى المنهج الداخلي المنهج الجاليلي^(١).

والمنهج الأرسططالي منهج في البحث يؤكّد العلاقات القائمة بين الجنس وأنواعه أو بين الفئة وأفرادها أو بين القاعدة والحالات التي تتميّز إليها.

وهو يستخدم التفكير الاستقرائي في دراسته للظواهر بهدف الكشف عن العلاقات القائمة بينها، للوصول من تلك العلاقات إلى القضايا العامة أو القوانين والنظريات التي تكمن وراء الظاهرة. ولذا فهو يهتم بتنوع الظواهر التي يبحثها واختلافها ليصل من ذلك إلى التعميم المطلوب.

ويستخدم المنهج الأرسططالي التفكير الاستنباطي أيضاً وذلك للكشف عن الظاهرة التي تنطوي تحت قانون عام، أو باستخدام القانون العام لبناء نظام معين من الواقع والظواهر في إطار ذلك القانون. فهو بهذا المعنى تفسير للواقع والظواهر في ضوء القواعد والقوانين.

والمنهج الجاليلي يفسّر الظاهرة في ضوء قوى المجال التي تؤثّر فيها وتتأثّر بها ولا يفسّرها بحسبها إلى الفئة التي تحتويها والجنس الذي تنطوي تحته كما يفعل المنهج الأرسططالي.

ويصل المنهج الجاليلي إلى عموميته بسبر أغوار الظاهرة التي يبحثها، فهو ينظر إليها على أنها كل متكمّل تفاعل قواه المؤثرة فيه، وبعد وجوده نتيجة لهذا التفاعل. فهو لذلك يبحث الظاهرة من حيث كونها محصلة مجموعة من القوى. أى أنه يبحث داخل الظاهرة عن التفاعل والدينامية التي تؤدي إليها وتكتسبها خصائصها وصفاتها.

ويستخدم علم النفس الاجتماعي في طرق بحثه المنهجين: الأرسططالي والجاليلي. فهو يستخدم المنهج الأرسططالي عندما يستخدم الطريقة التجريبية. وعندما يحلل التفاعل القائم بين أفراد الجماعة وما ينشأ عن هذا التفاعل من صفات تميّز

(1) Aristotelian methodology
Galilean methodology

المنهج الأرسططالي
المنهج الجاليلي

جماعة ما عن غيرها من الجماعات الأخرى من حيث تماسكتها ونوع الزعامة التي تنشأ بين أفرادها وдинاميات الجماعة فإنه يستخدم المنهج الجاليلي.

(ج) معايير تقييم المنهج لطرق البحث:

بما أن المنهج هو علم الطرق كما سبق أن بينا ذلك، إذن فمن أهم مجالات المنهج العلمي تقييمه للطرق العلمية المستخدمة في بحث الظواهر التي تتصدى لدراستها.

ولذا يهدف المنهج العلمي في دراسته للطرق العلمية المستخدمة في بحث الظواهر النفسية الاجتماعية إلى تقييمها بالنسبة للأهداف محددة، شأنه في ذلك شأن تقييمه للطرق العلمية المستخدمة في الميادين الأخرى للمعرفة.

وهو يعتمد في تقييمه لتلك الطرق على قياس مدى نجاحها في تحقيق التنبؤ، والفهم، والتحكم^(١). وسنبين فيما يلى أهمية كل هدف من تلك الأهداف في تحقيق المعرفة العلمية، ومستوى تلك المعرفة، ومدى ارتباطه بالأهداف الأخرى.

١- التنبؤ،

يعد التنبؤ بحدوث أي أمر هام وما يتصل به من أمور خطوة أساسية في سبيل إحراز المعرفة العلمية، ومدخلا طبيعيا للفهم والتحكم. وقد يقف مستوى المعرفة عند التنبؤ، وقد يمتد إلى الفهم. لكن الفهم الذي لا يعتمد على التنبؤ أو يؤدي إليه لا يعتمد به علميا ولا يندرج تحت إطار البحث العلمي.

وقد يبدأ الإنسان بالظواهر المختلفة التي تعتمد على الجاذبية، وذلك قبل أن يفهم تلك الجاذبية. وقد بنى الإنسان تنبؤه بتلك الظواهر على ملاحظاته الدقيقة لما يحدث وعلى استنتاجه بأن ما حدث من قبل ويحدث الآن سيحدث في المستقبل. ولم يفهم تلك الجاذبية حتى جاء نيوتن وصاغ قوانينه المشهورة عن الجاذبية. ولقد لاحظ الإنسان الخصائص السامة لبعض الأعشاب والخصائص العلاجية لأعشاب أخرى، وتبنّاً بناء على هذه الملاحظات بآثارها، وذلك قبل أن يفهم تركيبها الكيميائي. ومهما يكن من أمر هذا الفهم فهو يعد مجرد إرهاصات علمية وليس علما صحيحا.

ويشترط لنجاح التنبؤ أمور مختلفة أهمها أن تكون الظاهرة التي تخضعها للتنبؤ واضحة محددة وليس غامضة عامة، وألا تكون جزئية صغيرة إلى الحد الذي يعزّزها عن الظواهر الأخرى المرتبطة بها، ويجعل التنبؤ نفسه أمرا صغيرا تافها.

(١) التنبؤ، الفهم، Prediction، Understanding، التحكم Control

وأن تكون متغيرات الظاهرة التي تنبأ بها قابلة للقياس بحيث يمكن أن نحدد تنبؤنا تحديداً إجرائياً، ثم نرى مدى دقة هذا التنبؤ عندما تحدث الظاهرة في المستقبل، ونقيس ما هو قائم وما كان متوقعه ومدى الفرق بين ما حدث وبين ما كان متوقع حدوثه.

ويرتبط التنبؤ ارتباطاً أساسياً بمعنى الثبات. والثبات صفة من صفات أدوات القياس. فإذا ضعف ثبات تلك الأدوات بحيث لا تعطي نفس النتائج إذا طبقت مرة أخرى على نفس متغيرات الظاهرة تحت نفس الظروف السابقة؛ ضعف تبعاً لذلك مستوى التنبؤ. ونحن نواجه هذه المشكلة في دراستنا لمقاييس الاتجاهات ومدى ثباتها في قدرتها على التنبؤ بما يحدث لتلك الاتجاهات من تغير نتيجة للتحكم في بعض العوامل التي تؤثر فيها. ولذا فمن الأفضل في الأبحاث التنبؤية أن تعتمد على مقاييس ذات ثبات مرتفع.

وقد أصبح للتنبؤ نفسه أدواته الإحصائية البسيطة والمركبة، ومن أمثلة هذه الأدوات معاملات الانحدار التي تستخدم في التنبؤ مقاييساً واحداً للتنبؤ بظاهرة ما، ومعاملات الانحدار المتعدد التي تستخدم في التنبؤ مقاييس متعددة للتنبؤ بظاهرة ما. وهذا الانحدار مشتق من الارتباط، والارتباط يحسب من درجات المقاييس. ولذا يعد القياس مدخلاً رئيسياً للتنبؤ.

والتنبؤ بهذا المعنى، وبذلك الشروط من أهم خصائص النظرية العلمية، وكلما زادت القدرة التنبؤية للنظرية، وامتد شمولها للظواهر المتعددة، زادت تبعاً لذلك أهميتها، وأصالتها العلمية.

ولذلك بعد التنبؤ معياراً من أهم المعايير التي يستعين بها المنهج العلمي في تقييم الطريقة المستخدمة في البحث. ويعد التنبؤ المستوى الأول والطريقة التي تقف بها عملياتها عند حد التنبؤ ولا ترقى إلى الفهم والتحكم تعد أقل من تلك التي تؤدي إلى الفهم أو إلى الفهم والتحكم.

٢- الفهم:

يشتمل الفهم كهدف من أهداف البحث العلمي على معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في حدوث الظاهرة، وعلى معرفة تكوينها الداخلي وعلاقتها وتأثيرها وتأثيرها في الظواهر الأخرى. وعندئذ يمهد الفهم الطريق لصياغة النظرية العلمية.

وغالباً ما يسبق التنبؤ الفهم، وقل أن يسبق الفهم التنبؤ، وأحياناً يتتعاقب الاثنان فيسبق التنبؤ ويؤدي إليه ثم يزداد الفهم بعد حدوث الظاهرة ويؤدي إلى تنبؤ أدق، يعقبه

فهم أعمق وهكذا، ولذا يرتبط مستوى الفهم بمستوى التنبؤ، وكلما زاد مستوى التنبؤ زاد تبعاً لذلك مستوى الفهم، وبالتالي يزداد مستوى التنبؤ تبعاً لزيادة مستوى الفهم. ويؤدي ذلك إلى الهدف الذي يلى الفهم وهو التحكم في إحداث الظاهرة وتغييرها وتعديل مسارها وفقاً لمستوى الفهم الذي توصل إليه العلم.

هذا وقد لا تتجاوز بعض العلوم مستوى الفهم ولا تستطيع أن تمتد إلى مستوى التحكم. ومن أمثلة ذلك علم الفلك. فأهدانه تنبؤ وفهم. ولا يضيره أن يقصر مباحثه على هدفين فقط من أهداف البحث العلمي مادام قادرًا على أن يصوغ نظرياته في ذلك الإطار. وقد كان هذا شأن علم النفس الاجتماعي في نشأته العلمية الحديثة، لكنه استطاع في بعض مباحثه الحديثة أن يتجاوز مستوى الفهم إلى مستوى التحكم.

٣- التحكم:

يعنى التحكم مدى قدرة العلم على تغيير الظاهرة عن طريق توجيه العوامل المؤثرة فيها. ويزداد فهمنا للظاهرة وقدرتنا على التنبؤ بها تبعاً لزيادة قدرتنا على التحكم.

ودقة التنبؤ والفهم والتحكم عمليات نسبية، وتزداد دقة هذه العمليات في العلوم الطبيعية عنها في العلوم الإنسانية بما في ذلك علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي.

ويقتضى نجاح التحكم القدرة على توجيه العوامل المؤثرة في الظاهرة، وتعد هذه العملية عملية شاقة عسيرة في العلوم الإنسانية. وهناك من العوامل ما لا يستطيع العلم التحكم فيها أو توجيهها وخاصة ما قد يؤثر تأثيراً ضاراً على الأفراد، فلا يصبح للعلم مثلاً أن ينشئ جيلاً جانحاً من الأفراد ليبحث مقدار نجاح تحكمه في إحداث ظاهرة ما، وهنا تبرز أهمية التجريب على الحيوانات. وقد نجح العلم إلى حد كبير في إحداث حالات من الذعر والهلع الجماعي في الحيوانات، ودراسة مدى فاعلية العوامل المؤدية إلى تلك الظاهرة ومدى التحكم فيها عن طريق العوامل المؤثرة فيها. وبذلك استطاع العلم فهم الهلع الذي يتتبّع جماعات الأفراد نتيجة للكوارث الطبيعية التي يتعرضون لها.

ثالثاً - مفهوم الطريقة العلمية وأسس اختيارها

سنمدّ لشرح أهم طرق البحث المستخدمة في علم النفس الاجتماعي ببيان موجز عن مفهوم الطريقة العلمية. ويشتمل هذا المفهوم على معناها وتعدد طرقها، وخطواتها العامة. ثم نلخص بعد ذلك الأساس العلمية التي تتبع في اختيار طريقة البحث. ويتمثل الأساس الأول في تحليل أبعاد موضوع البحث لمعرفة الطريقة التي تناسب كل بعد من تلك الأبعاد. ويتمثل الأساس الثاني في تحديد خصائص الموقع

وخصائص الظاهرة، فمثلاً بعض الظواهر يتطلب بحثاً ميدانياً يعتمد على طريقة الملاحظة، وبعض الظواهر الأخرى يتطلب بحثاً عملياً يعتمد على طريقة التجربة.

١- مفهوم الطريقة العلمية:

١- معنى الطريقة العلمية:

تعنى الطريقة فى مفهومها العام كل ما يؤدى إلى النتائج: فهى وسيلة لتحقيق الهدف وبلوغ الغاية.

وتعنى فى مفهومها العلمى الدقيق القاعدة التى تتبَعُ فى ترتيب الإجراءات للتوصُل إلى الإجابة على تساؤلات البحث، وذلك للحصول على المعلومات والحقائق التى تكشف عن العلاقات القائمة بين متغيرات البحث، وما يتبع ذلك من التوصل للقوانين والنظريات التى تؤدى إلى التعميم الصحيح. أو للتوصُل إلى الحلول الناجحة للمشكلات القائمة التى يتصدى لها البحث.

٢- تعدد طرق البحث العلمي:

لا توجد هناك طريقة علمية واحدة للبحث بل هى طرق علمية تختلف تبعاً لاختلاف نوع البحث وتبعاً لاختلاف مهارات الباحثين ومدى ابتكارهم؛ ولذا تختلف أنواع البحوث تبعاً لاختلاف تلك الطرق وما تتصف به من قصور أو شمول^(١).

وبالرغم من تعدد تلك الطرق واختلاف مداخلها فإن هناك شبه اتفاق على الخطوات العامة للبحث. إلا أن الباحث لا يسير عادة في بحثه وفق تلك الخطوات في ترتيب حاد جامد، بل قد تداخل تلك الخطوات وغالباً ما يغير بعضها بعضاً، وقد يعود الباحث إلى مرحلة سابقة وهو يظن أنه انتهى من مرحلة لاحقة ليعد لها في ضوء ما انتهى إليه في مرحلته الراهنة.

وعندما ينتهي الباحث من بحثه ويعد تقريره، فإنه غالباً ما يسير في عرضه لبحثه وفق الترتيب العام للخطوات.

وبذلك قد يختلف سير البحث وتطوره عن التقرير الذى ينشره الباحث عن بحثه.

٣- الخطوات العامة لطرق البحث:

تلخص أهم خطوات طرق البحث في: المشكلة أو الموضوع، والفرض، والاختبار أو التجريب، والنتائج، وتشتمل خطوة المشكلة على التعرف عليها وصياغتها

(1) Travers, R. M. W. An Introduction to Educational Research, N. Y. Macmillan, 1971, p. 2.

وتحديدها وتحليلها وتوضيع أهميتها وأهدافها ثم تتطور الطريقة بعد ذلك إلى تحديد وتعريف المفاهيم والمصطلحات، وغالباً ما تنتهي هذه الخطوة بدراسة متعمقة للأبحاث السابقة وما انتهى إليه الباحثون أو عجزوا عن الوصول إليه حتى يحدد الباحث موقفه تماماً من مشكلة البحث الراهن.

وستهدف الخطوة الثانية - وخاصة في الطريقة التجريبية - صياغة الفرض التي تستغرق كل أبعاد البحث، واستنباط ما يمكن أن يترتب على قبول كل منها، وذلك تمهدًا لاختيار الفرض المناسب. وتلك عملية فكرية تحتاج من الباحث إلى دراسة متأنية متعمقة تنطوي على تفكير جاد وابتكار أصيل من خصب.

ويلى ذلك الخطوة الثالثة وتنتهي إلى وضع التصميم العلمي المناسب لاختبار الفرض وتجربتها، وما يتطلبه ذلك من إعداد أدوات القياس، و اختيار عينة البحث.

وينتهي البحث في خطوته الرابعة إلى تسجيل النتائج وتحليلها وتفسيرها.

بـ-أسس اختيار طريقة البحث:

تعتمد عملية اختيار الطريقة المناسبة لبحث الظواهر النفسية الاجتماعية على خصائص الموضوع وخصائص الموقع الذي يجرى فيه البحث.

فاما خصائص الموضوع فتتطلب تحليلًا علميًا لأبعاده للتوصل إلى الطريقة العلمية لبحثه، أو للطرق التي يلائم كل منها بعدها من أبعاد الموضوع، وخاصة إذا كان موضوع البحث معقدًا متعدد الأبعاد.

وأما خصائص الموقع فتتطلب التفرقة بين ما هو متصل بالموقع الذي يجرى فيه البحث وأيا كان نوعه، أي بين جدران المعلم أو في الميدان، حيث توافر الظروف الطبيعية التي توجد في إطارها الظواهر المختلفة، وبين ما هو متصل بالظواهر التي تبحث مهما كان الموقع الذي توجد فيه تلك الظواهر.

وسنبين فيما يلى هاتين الوسائلتين في اختيار طريقة البحث: تحليل أبعاد الموضوع، وخصائص الموقع وخصائص الظواهر.

١-تحليل أبعاد موضوع البحث:

أغلب الموضوعات التي يتصدى البحث النفسي الاجتماعي لها موضوعات معقدة لأنها بطبيعتها تمثل علاقات بين عدد من الأفراد فلا يقتصر مثلاً بحثها على كل فرد بمفرده، وهذه العلاقات ذاتها تمثل تفاعلاً قوامه الدينامية والحركة والتغير. وبذلك لا يصبح المطلوب نتيجة واحدة لموضوع واحد بسيط، بل نتائج مختلفة

لموضوعات متعددة، ولذا يجب تحليل أبعاد الموضوع لمعرفة ما إذا كان يمكن بحثه بطريقة واحدة أم بطرق متعددة.

وعندما نتمكن من تحليل الموضوع إلى مكوناته البحثية أي إلى الموضوعات التي تنطوي تحته فإننا بذلك نستطيع بحث كل منها. هذا وقد تكون الموضوعات الفرعية التي يحلل إليها الموضوع الرئيسي مرتبطة فيما بينها، ولذا يجب أن ترتبط أيضاً طرق بحثها بحيث تتكامل معاً في بحث الموضوع الرئيسي.

وتعتبر عملية تحليل الموضوع من أهم أركان البحث. وعندما يفشل الباحث في هذا التحليل فإنه يتذرع عليه ببحث الموضوع. والمعروف بين الباحثين أنه لا يوجد موضوع – في الأغلب والأعم – يستعصى على البحث، ولكن يوجد موضوع لم يحلل التحليل المناسب لبحثه، أو يوجد موضوع يستعصى على التحليل.

٢- خصائص الموضع وخصائص الظواهر

على الباحث أن يبين في مطلع بحثه الطريقة التي سيتبعها في بحثه ونوع البحث الذي سيجريه، لأن النتائج ترتبط بالطريقة وبنوع البحث ارتباطاً رئيسياً. وذلك لأن الاختلاف القائم بين ظاهرتين قد يرجع إلى طريقة بحثهما لا إلى فرق حقيقي بينهما، كأن تبحث الظاهرة في العمل بالطريقة التجريبية أو أن تبحث في الميدان بطريقة الملاحظة أو بالطريقة الارتباطية.

وبذلك قد ترجع الفروق التي تنتهي إليها النتائج إلى الفرق بين الطرق المعملية والطرق الميدانية. أو قد ترجع الفروق إلى اختلافات رئيسية بين الظاهرتين، ولا ترجع إلى الفروق القائمة بين الظاهرتين.

ولذا فقد يلجأ الباحث إلى بحث نفس الظواهر التي يتصدى لدراستها في العمل، وفي الميدان، ليصنف النتائج إلى ما هو مشترك وإلى ما هو مختلف. فاما المشترك فيرجع إلى اختلاف الظواهر، وأما المختلف فيرجع إلى فروق قائمة بين طرق البحث.

رابعاً - أهم طرق البحث المستخدمة في علم النفس الاجتماعي

سنوضح فيما يلى أهم طريقتين من الطرق المستخدمة في أغلب ميادين علم النفس الاجتماعي وهما الملاحظة والتجربة. كما أن هناك طرقاً أخرى مثل الطرق المستخدمة في قياس الاتجاهات في دراستنا للاتجاهات النفسية. وطريقة القياس السوسيومترى في دراستنا للعلاقات النفسية الاجتماعية وهكذا.

(أ) الملاحظة العلمية:

١- معنى الملاحظة العلمية:

يعاب على علم النفس الحديث أنه أبعد كثيراً عن أمور حياتنا اليومية. وقد نشأت هذه الظاهرة نتيجة لغالبة في التصميمات التجريبية للأبحاث النفسية المختلفة التي تجري في المختبرات النفسية تحت ظروف مصطنعة مفتعلة لاختبار الفروض.

ولقد بدأ علماء النفس الاجتماعي في السبعينيات من هذا القرن ينظرون بحذر إلى الطريقة التجريبية، وزاد عدد الذين يستخدمون طريقة الملاحظة العلمية للحصول على بيانات صحيحة عن مظاهر حياتنا اليومية كما نواجهها صباح مساء.

وتعنى الملاحظة العلمية المراقبة المنسودة لرصد ما يحدث وتسجيله كما هو. ويبيل بعض المحدثين من العلماء إلى أن يمتد معنى الملاحظة حتى تشتمل على الطرق المستخدمة في استشارة أنواع من السلوك الذي بهم الباحث معرفته ودراسته. لكن هذه الاستشارة تعد خروجاً على المواقف الطبيعية المراد دراستها لأنها افتراض للأحداث وتدخل في مجرى الحياة الطبيعية. وقد يكون لتدخل الباحث بهذه الصورة أثر في اختفاء بعض الظواهر، وظهور ظواهر أخرى تبعد الموقف كله عن الموضوعية المطلوبة لنقاء الظاهرة وخلوها من الشوائب والتحيز.

ولا تعتمد الملاحظة العلمية على طريقة واحدة، بل تعتمد على طرق متعددة. وتختلف هذه الطرق تبعاً لاختلاف موضوع الملاحظة فرداً كان أم جماعة أم ظاهرة؛ وتبعاً لاختلاف طريقة تسجيل الملاحظات والأدوات المستخدمة وهدف الملاحظة.

وتحدد كل طريقة من طرق الملاحظة العمليات والإجراءات التي يقوم بها الملاحظ في مراقبته للظواهر المختلفة للحصول على بيانات أكثر شمولاً ودقة من مجرد الملاحظة العابرة أو ما يمكن أن يسمى ملاحظة الصدفة.

وتشتمل هذه العمليات وتلك الإجراءات على المعينات التي يستخدمها الباحث في تدقيق ملاحظته مثل الخرائط وقوائم الشطب، والقوائم التفصيلية لأنواع السلوك المتوقع، والدوائر التليفزيونية للحصول على بيانات صحيحة. ولذا تتطلب الملاحظة العلمية تدريب الباحثين على تلك العمليات والإجراءات وطرق استخدام المعينات حتى تتم الملاحظة بطريقة ميسورة سهلة موضوعية دقيقة.

٢- أهم مجالات استخدام الملاحظة:

تستخدم الملاحظة في الأبحاث الاستطلاعية والكشفية لتجمیع البيانات التي يختبرها الباحث بعد ذلك بطرق البحث الأخرى. وفي المراحل الأولى لتجمیع بيانات

الأبحاث التي تستهدف وصف الظاهرة وصفاً دقيقاً أو اختبار الفرضيات اختباراً تجريبياً. وتستخدم أيضاً لجمع البيانات التي تساعد على تفسير النتائج التي يحصل عليها الباحث بالطرق الأخرى.

وكما تستخدم الملاحظة في مواقف الحياة الحقيقة اليومية فإنها تستخدم أيضاً في العمل، وبذلك تمتد مرونة استخدامها من انتباه الباحث للمشكلة وملاحظته لها وإحساسه بها إلى ما تتطلبه صياغتها من بيانات مناسبة يجمعها ويسجلها بعد ملاحظته لما يحدث، إلى التفصيل الدقيق لما يحدث خلال التجربة من استخدام الأجهزة والأدوات ومدى نجاح أو فشل استخدامها وملاحظة أسباب النجاح ومسارات الفشل.

ويتم مجال استخدامها فيما يقوم به الباحث نفسه من اشتراك فعلى مع الأفراد فيما يقومون به من نشاط فيلاحظ نفسه ويلاحظ الآخرين ويلاحظ تفاعل الآخرين معه، ويسجل خبرته الشخصية كما يسجل ما يحدث من الآخرين، وما يحدث لهم.

وقد يشترك الملاحظ أيضاً بطريقة لا يعرفها من معه من الأفراد ولا يتهمون إلى أنه يلاحظ سلوكهم. وقد لا يشترك معهم، ويقف مما يحدث أمامه موقف المشاهد ليسجل بطريقة موضوعية ما يحدث دون أن ينغمس في غamar الناس، وغمرة الأحداث التي يواجهها.

٣- مزايا الملاحظة:

من أهم مزايا الملاحظة المباشرة أنها تيسّر للباحث تسجيل السلوك كما يحدث في مواقفه الطبيعية. ومثال ذلك دراسة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين أفراد الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة، وذلك عن طريق تسجيل إشارات وإيماءات وتعابيرات الوجه وأقوال أفراد تلك الطبقات حينما يجمعهم نشاط اجتماعي مشترك، وكيف يؤثر بعضهم في البعض الآخر وكيف يتأثر به. ودراسة التنشئة الاجتماعية وذلك عن طريق سلوك الأمهات مع أطفالهن وما يقمن به من أفعال وما يستفوهن به من ألفاظ. وغير ذلك من أنماط السلوك التي لا يقتصر مظهرها الخارجي على مجرد ما يقوله أفراد التجربة أو ما يكتتبونه.

وكثير من الباحثين لا يجدون مندوحة عن اللجوء إلى الملاحظة المباشرة؛ لأن طرق البحث الأخرى لا تصلح لدراسة الظاهرة التي يتصدرون لها، ومثال ذلك ما يقوم به الأطفال الصغار والحيوانات من سلوك لا ينفع معه أي اتصال لفظي بين الباحث وأفراد التجربة؛ لأن هؤلاء الأفراد لا يتكلمون ولا يعبرون بذلك تعبيراً لفظياً عما يطلب منهم الباحث الإجابة عنه.

وستستخدم الملاحظة أيضاً في الحالات التي يقاوم فيها الأفراد الباحث ولا يتعاونون معه لأنهم قد يخشون ألا يرقى سلوكهم إلى المستوى المتوقع منهم. أو يتوجسون خيفة من البيانات التي يجمعها الباحث منهم وعنهما.

ولذا يحاول أغلب الباحثين ملاحظة السلوك وتسجله دون أن يشعر الأفراد بهذه الملاحظة حتى يتتجنب أي شوائب مصطنعة تتأي بعدها عن صورته العادلة الطبيعية، وبذلك يحصل الباحث على قطاع حقيقي لما يحدث في حياة الأفراد اليومية.

٤- حدود الملاحظة:

من أهم مزايا الملاحظة تسجيل الظاهرة كما تحدث وأثناء حدوثها. وبالرغم من هذه المزية فإنها تعد حداً من الحدود التي تعيق سير البحث أحياناً. فبعض الظواهر لا تحدث في الوقت الذي يتوقع فيه الباحث حدوثها. وبذلك قد لا يكون موجوداً أثناء حدوثها فيفوته بذلك تسجيلها. ومن أمثلة ذلك ما يحدث للباحث الأنثروبولوجي عندما يدرس خصائص ثقافة بدائية معينة، ثم يهتم بدراسة طقوس الزواج فلا تحدث كما يتوقعها، وبذلك يتتحول من الملاحظة إلى المقابلة فيسأل الناس بدل أن يسجل ما يرى وما يسمع، أو يتنتظر – وقد يطول انتظاره – حتى يقام حفل زواج آخر.

وإذا أراد الباحث أن يسجل سلوك الأفراد في مواجهة الكوارث والنكبات فإن عليه أن يحتمل ما يلاحظ من مآسٍ. وقد تخونه شجاعته فلا يقوى على احتمال ما يحدث. وبذلك تصعب ملاحظة الظواهر التي تتجاوز في حدتها قوة احتمال الباحث نفسه أو ترهقه من أمره عسراً.

وعندما تختلط الظاهرة التي يسجلها الباحث بظواهر أخرى أثناء حدوثها فإنها قد تحد من قدرة الباحث على تسجيلها في صورتها النقية. ومثال ذلك ما يحدث للباحث الذي يهتم بتسجيل سلوك الأفراد وهو يمارسون لعبة من العابهم المفضلة. وقد يستند الحماس ويتحول اللعب إلى شجار، وقد يصاب الباحث بأذى أثناء وجوده بين اللاعبين المتشاجرين.

ولا تصلح طريقة الملاحظة لتسجيل الظواهر التي تستغرق في حدوثها مدة زمنية طويلة لأن معنى ذلك أن يصاحب الباحث الظاهرة طوال تلك المدة ليسجل ما يطرأ عليها من تحول وتغير. ولذا فعل الباحث – في مثل تلك المواقف – أن يختار المراحل الزمنية المناسبة له وللظاهرة، وألمدى الذي يتفق مع توقيته لحدوث المظاهر المختلفة التي يستهدف تسجيلها. وذلك يعني تحديد عينة زمنية دقيقة وممثلة للأحداث التي يهتم بدراستها.

ومن الحدود التي كثيرة ما كان يشيرها نقاد هذه الطريقة أن البيانات التي يحصل عليها الباحث لا تعدو أن تكون بيانات وصفية ولا ترقى إلى مستوى البيانات الكمية. لكن الحقيقة أن الملاحظ المتدرب يستطيع أن يسجل البيانات العددية إذا أعد مسبقاً مقياساً مدرجاً يناسب ما يحدث من تغير كمي في مظاهر الظاهرة التي يلاحظها. وقد ترجع نشأة هذه الفكرة الناقدة إلى أن طريقة الملاحظة استخدمت أول ما استخدمت في علم الأنثروبولوجيا، وكان اهتمام الباحثين في ذلك الوقت محصوراً في تسجيل ما يحدث بطريقة وصفية.

٥- خطة الملاحظة:

يعد الباحث خطة لما سيلاحظ. وتبدأ هذه الخطة بإعداد قائمة يبين فيها الباحث بوضوح حدود كل سلوك سيلاحظه. فالإنسان لا يلاحظ مجرد الملاحظة بل يلاحظ أشياء يتطلبها البحث الذي يقوم به، وذلك لأن الأمور التي يمكن أن تلاحظ كثيرة ومتنوعة، لكن بعضها يتصل بموضوع البحث والبعض الآخر لا يتصل به. وتعتمد عملية إعداد موضوعات قائمة الظواهر التي ستلاحظ على أمور متعددة. أولها: الإطار النظري الذي يعتمد عليه البحث. وثانيها: الفروض التي يصوغها الباحث لاختبارها. وثالثها: ارتباط ما يلاحظ ارتباطاً رئيسياً بموضوع البحث. ورابعها: ارتباط كل موضوع يلاحظ ببعضه البعض ارتباطاً ضعيفاً حتى تقتد الملاحظة لأوسع مدى من مجالات مشكلة البحث، وذلك لأن اقتراب موضوعات قائمة الملاحظة وشدة ارتباطها يقصر مجالها على أبعاد قليلة من أبعاد المشكلة ويجعل بينها وبين شمولها لجميع خصائص الظاهرة التي تبحث. وغالباً ما تسبق عملية قائمة الموضوعات ملاحظات تمهيدية يقوم بها الباحث ليجمع الظواهر التي سيقوم عليها بحثه والتفاصيل التي سيعتمد عليها في بناء قائمته، وغالباً ما تكون هي أكثر الأمور تكراراً فيما يلاحظ ويشاهد ويراقب.

وتلى عملية إعداد قائمة الموضوعات التي يمكن تعريفها وتصنيفها عملية اختيار فئات التصنيف حتى يمكن معالجة موضوعاتها معالجة علمية وبسهولة ويسر. ولذا يستحسن أن يكون ما يسجل تحت كل فئة بسيطاً ولا يتضمن أكثر من سلوك واحد وأن يسجل بطريقة إيجابية وفي صيغة الحاضر.

وتلى عملية اختيار الفئات اختيار طريقة تسجيل الملاحظات. ويشترط لنجاح التسجيل أن يكون بسيطاً وسريعاً وعملياً، وأن يقبل بسهولة ترجمته إلى مقاييس كمية.

ومن الطرق الشائعة والناجحة في التسجيل اختيار عينة من الأحداث، أو اختيار عينة زمنية. وتحتاج عملية تسجيل الأحداث توفير المكان الخاص بالعلامات التكرارية

في قوائم التسجيل. وتساعد مثل تلك القوائم على تسجيل الأحداث التفصيلية المتعددة بطريقة سريعة وموضوعية. وقد استخدمها أندرسون Anderson وبورو⁽¹⁾ سنة ١٩٤٦ . في دراسة الزعامة من حيث السيطرة والتكمال. وقد سجل عدد من الملاحظين ما يقرب من ٦٠٠ حدث من أحداث الظاهرة واتفقوا في أغلب ما سجلوه.

ومن هذه القوائم أيضاً ما يسمى قوائم الشطب. وتتطلب عملية إعداد مثل تلك القوائم ملاحظة السلوك لمرات متعددة لاختيار المظاهر التي يتكرر ظهورها كثيراً في المواقف المختلفة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. ومن أمثلة قوائم الشطب ما يلى :

السلوك	النكرار
- يسأل
- يجيب على الأسئلة
- يتحدث مع غيره
- ينظر حوله

وكما تصلح مثل هذه المفردات لقوائم الشطب فإنها تصلح أيضاً لقوائم تسجيل تكرار السلوك، أي قوائم العلامات التكرارية.

وتتطلب عملية تسجيل المدى الزمني تحديد بدء ونهاية كل نشاط يهتم به الباحث على خط متند يمثل وحدات الزمن. ويمكن أيضاً تسجيل ما يحدث من نشاط يقوم به الفرد أو الأفراد خلال دقائق معدودة يحددها الباحث، كأن يسجل نوع العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين فردین خلال ٣ دقائق مثلاً. ومثال ذلك الدراسة التي قام بها باركر⁽²⁾ سنة ١٩٤٣ في ملاحظاته التي سجلها عن مظاهر الاتصال الاجتماعي بين أطفال ما قبل المدرسة. وبدأ الباحث بإعداد قائمة لتسجيل ملاحظاته، ثم أعد ترتيباً مسبقاً ملاحظة كل طفل من أطفال الجماعة التي يستهدف دراستها. وكان يغير هذا الترتيب كل يوم، فكان مثلاً يلاحظ كل طفل من أطفال الجماعة لمدة ٥ دقائق بحيث ينتهي من ملاحظة الطفل الأول في الدقائق الخمس الأولى ثم ينتقل بعدها إلى ملاحظة الطفل الثاني في الدقائق الخمس التالية وهكذا.

(1) Anderson, H. H., and Brewer, J. E.: Studies of teachers' classroom personalities. Applied Psych. Monog. 1946, 8.

(2) Barker, R. B., others (eds.): Child Behaviour and Development. N. Y. McGraw - Hill. 1943.

وتدل نتائج الابحاث على أن ملاحظة الفرد أو الظاهرة لفترات زمنية قصيرة ومتكررة خير من الملاحظة التي تمت لزمن طويل، وذلك لأن تسجيل الفترات الزمنية القصيرة يتحرر إلى حد كبير من أخطاء التذكر والسيان التي تعيب التسجيل في نهاية فترة زمنية طويلة. والتوقيت الزمني المناسب والشائع للتسجيل يمتد من 5 دقائق إلى 15 دقيقة ولا يكاد يتجاوز هذا المدى إلا في القليل النادر.

ويميل بعض الباحثين إلى اختيار رموز لتسجيل أنواع السلوك، ومن هذه الرموز الشائعة بين الباحثين، المربعات، والمثلثات، والدوائر، والنقط، والأسماء.

٦- ملاحظة السلوك الجماعي:

تعد ملاحظة السلوك الجماعي الطريقة المباشرة لبحث بعض الظواهر النفسية الاجتماعية، ومثال ذلك ملاحظة التماسك الجماعي أثناء حدوثه، وما يسفر عنه هذا التماسك من تعاون وما يؤدي إليه هذا التعاون من العمل بروح الفريق، وما تتجزءه الجماعة من أعمال. وتآزر أفراد الجماعة وتصديهم لأى عامل يهدد وحدتهم ويؤدي إلى انحلالها.

لكن ملاحظة السلوك الجماعي ليست عملية سهلة ميسورة مثل ملاحظة سلوك الفرد، وذلك لأن أفراد الجماعة غالباً ما يفصلون عن بعضهم البعض ليقوم كل منهم بعمل قد يبدو أنه عمل فردي لكنه في حقيقته نشاط جماعي. ومثال ذلك فريق كرة القدم حيث يقوم كل فرد بدوره وحده في تعاونه مع الآخرين ليتصرف فريقهم ويهزم الفريق الآخر. ويزيد من صعوبة الأمر أن أغلب الناس يستطيعون ملاحظة الأفراد أى كل فرد على حدة لكنهم بطبيعتهم لم يتعودوا على ملاحظة سلوك الجماعة كجماعة، وقد تحتاج مثل هذه الملاحظة إلى تدريب طويل ومارسة وخبرة حتى يمكن إجادتها هذه المهارة.

والطريقة المباشرة للتغلب على صعوبة ملاحظة وتسجيل السلوك الجماعي تتلخص في ملاحظة ما تقوم به الجماعة من إنجازات بدلاً من ملاحظة وتسجيل ما يقوم به كل فرد من إنجازات. فإذا استهدفت الجماعة القيام بعمل يتطلب إنجازه عمل الجماعة ككل ولا يستطيع أى فرد منها إنجازه وحده مثل ما يحرزه فريق كرة القدم أو كرة السلة من نجاح في انتصاره على الفريق الآخر. أو الغناء الجماعي أو القرار الذي تتخذه الجماعة في اجتماع لها بعد المناقشة التي تسبق مثل هذا القرار. فالإنجاز في هذه الحالات لا يعد عملاً فردياً.

وبذلك يمكن ملاحظة هذه التسائج وتسجيلها وتقييمها كإنجازات بنفس الطريقة التي نلاحظ بها نتائج عمل الفرد.

وتعتمد الطريقة الثانية للتغلب على صعوبة ملاحظة السلوك الجماعي على تسجيل سلوك الأفراد بطريقة أو بأخرى بما في ذلك التعبير اللفظي وغير اللفظي ثم تجميعها بطريقة كمية، ثم تحسب بعد ذلك مؤشرات التزعة المركزية والتشتت مثل متوسطات استجابات الأفراد وانحرافاتها المعيارية ونسبها المئوية.

وتدل هذه المؤشرات على خصائص الجماعة أكثر مما تدل على صفات أي فرد منها، وذلك لأن المقاييس الإحصائية مقاييس جماعية وليس مقاييس فردية. فهي بهذا المعنى نتائج ملاحظة السلوك الجماعي^(١).

٧- ثبات الملاحظة:

يعرف الثبات بأنه تطابق نتائج القياس في المرات المتعاقبة. وهذا يدل على مدى خلو القياس من الأخطاء. ويقاس الثبات بتطبيق أداة القياس مرة ثم تطبيقها مرة أخرى تحت نفس الظروف وحساب ارتباط المرتين، فكلما كان الارتباط مرتفعاً كان الثبات عالياً.

ويقاس ثبات الملاحظ عن طريق ثبات نتائج الملاحظ نفسه، وذلك بمقارنة ملاحظاته بملاحظات أفراد آخرين يتبعون نفس طريقته في تسجيل مشاهداتهم عن الظاهرة التي يلاحظونها^(٢).

وأخطاء الملاحظة على أنحاء شتى، منها ما هو متصل بعينة السلوك الذي يلاحظ، ومنها ما هو نابع من الملاحظ نفسه. فأما ما يتصل بعينة السلوك فيمكن تصحيح كثير من مثاليه إذا حدد الباحث بدقة خصائص المجتمع الأب الذي يشتق منه عينته، وذلك عن طريق تعريف تفصيلي دقيق للأفراد والموقف ولنوع السلوك الذي يصدر عن الأفراد في ذلك الموقف ولحدود العينة التي سيلتزم بها. وأما أخطاء الملاحظ نفسه فيمكن تصحيح مسارها بتسجيل الظاهرة كما تحدث وأثناء حدوثها لا بعد أن ينتهي الباحث من مراقبتها، وأن يخضع هذا التسجيل لخطة واضحة المعالم والأصول، وأن تكون هذه الخطة من البساطة والوضوح وال الموضوعية بحيث لا يختلف في تطبيقها باختلافاً كبيراً بمعالمها الرئيسية وإن اختلافاً في بعض تفصيلاتها.

(١) Newcomb, T. M.: Social Psychology. London, Tavistock, 1952, pp. 635 - 636.

(٢) راجع معامل كندال: سعد عبد الرحمن (القياس النفسي) دار الفكر العربي ١٩٩٨.

بذلك يرتفع الثبات وتختلص الملاحظة من كثير من الأخطاء والشوائب التي قد تتحول بينها وبين دقة أدوات القياس وطرق البحث.

(ب) الطريقة التجريبية:

١ - أهمية الطريقة التجريبية:

الطريقة التجريبية أساس التقدم العلمي في مجالات المعرفة البشرية لأنها تنتهي إلى الكشف عن أسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها. ولذا تعد هذه الطريقة، الطريقة الرئيسية في أبحاث العلوم الطبيعية، وتقترب العلوم الإنسانية من دقة موضوعية تلك العلوم بقدر استخدامها لتلك الطريقة في أبحاثها المختلفة.

وهي تحقق كل الأهداف الثلاثة الأساسية للبحث العلمي وهي: التنبؤ، والفهم، والتحكم. ولا تكاد ترقى أغلب الطرق الأخرى إلى ما ترقى إليه التجربة، لأن تلك الطرق غالباً ما تنتهي عند هدف الفهم ولا ترقى إلى هدف التحكم.

وتحتل الطريقة التجريبية أيضاً باساع مجالات تطبيقها في علم النفس الاجتماعي فلا يقصر استخدامها فقط على الإنسان بل تنتد أيضاً إلى الحيوان لتدريس الظواهر في حالاتها الندية بعيدة عن أثر الشوائب الثقافية التي يصعب أحياناً التحكم فيها وعزلها.

٢ - البحث التجاري والبحث غير التجاري:

في البحث التجاري يوفر الباحث الشروط وينشئ الموقف الضروري للاحظة الظواهر. وفي البحث غير التجاري يتعرف الباحث على المواقف التي يجد فيها الظواهر ليلاحظها، أو يتظرها حتى تظهر ثم يلاحظها.

وعندما يوفر الباحث الشروط وينشئ الموقف فإنه بذلك يهيئ لنفسه الفرص المناسبة لدراسة ما يريد دراسته تماماً دون أن تتعارضه ظواهر أخرى أو يستطرد لغير ما يريد.

ومن أمثلة تهيئة تلك الظروف ما قام به آش^(١) Asch سنة ١٩٥١ في دراسته لأثر الضغوط الجماعية على سلوك الفرد حيث طلب الباحث من سبعة أفراد أن يحددوا طولاً غير صحيح لخط واضح الطول، وليكن هذا التحديد ٣ سم بينما الطول الحقيقي للخط ٢ سم. وترك الباحث الفرد الثامن وحده ليحدد هو بنفسه طول الخط الذي يراه. وكان على كل فرد من الجماعة أن يعلن حكمه.

(1) Asch, S. E. Effects of group pressure upon the modification and distortion of Judgements. In. H. Guetzkow (ed.). Group, Leadership and Men. Pittsbnrgh, Pa: Carnegie Press. 1951, p. 177 - 190.

وقال كل فرد من الأفراد السبعة إن طول الخط ٣ سم، وعندما جاء الدور على الفرد الثامن وجد أن طول الخط يساوى ٢ سم فقط. وكان عليه أن يخضع لرأى الجماعة ويباريها فيقول ما قالت ويقرر أن طول الخط ٣ سم، أو يختلف عنها ويقول رأيه هو بصراحة ويعلن أن طول الخط ٢ سم فقط. وهو عندما يجاري الجماعة في حكمها فإنه بذلك يدل على تأثره بضغوطها، وعندما يصدر حكمه مستقلاً عنها فإنه بذلك يدل على استقلاله عنها وتحرره من ضغوطها.

والمتغير المستقل هنا رأى الجماعة في طول الخط، ويستطيع الباحث أن يطلب من أفراد الجماعة أن يزيدوا أو ينقصوا من طول الخط وفق ما يريد. والمتغير التابع هنا هو رأى الفرد الذي لم يطلب إليه الباحث مسبقاً أن يعلن قبولاً بحكم صدر إليه من الباحث.

٣- أركان الطريقة التجريبية:

قوم البحث التجاري دراسة العلاقات القائمة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة، وذلك عن طريق إحداث تغيرات مقصودة في المتغيرات المستقلة للكشف عن أثر ذلك التغيير فيما يحدث من تغير في المتغيرات التابعة، وذلك بهدف معرفة أسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها.

وغالباً ما تقتضي مثل هذه الدراسة اختيار جماعتين إحداهما تجريبية فيها تحدد العلاقة بين أثر تغيير المتغير المستقل على ما يحدث من تغير في التغيير التابع، وأخرى ضابطة فيها يثبت أثر المتغير المستقل لمعرفة ما يمكن أن يحدث في التغيير التابع وهو غير متأثر بالمتغير المستقل. وتم مقارنة نتائج الجماعتين لمعرفة أثر التغيير المقصود والتغيير غير المقصود، وذلك بهدف تحديد الأسباب الحقيقة للظاهرة.

٤- المتغير المستقل والمتغير التابع:

المتغير المستقل هو العامل الذي يظهر أو يختفي أو يتغير تبعاً لظهوره أو اختفاء أو تغير المتغير الذي يتحكم فيه الباحث ويعاشه تجربياً في ظهره أو يخفيه أو يزيده أو ينقصه في محاولته لتحديد علاقته بظاهرة تلاحظ. غالباً ما يرمز له في الأبحاث النفسية، والنفسية الاجتماعية بالرمز «م» أي المثير أو متغير الاستثارة.

والمتغير التابع غالباً ما يرمز له في الأبحاث النفسية والنفسية الاجتماعية بالرمز «س» أي الاستجابة أو متغير الاستجابة والباحث لا يتحكم فيما يحدث للمتغير التابع، وما عليه إلا أن يسجل ما يحدث لهذا المتغير نتيجة لتحكمه هو في المتغير المستقل، وذلك لأن ما يحدث للمتغير التابع هو في حقيقته نتيجة لما حدث أو يحدث للمتغير المستقل.

وقد بدأ البحث التجاربي في علم النفس الاجتماعي بالجماعة الصغيرة على أنها المتغير المستقل، فيظهر أثراً لها عندما يعمل الفرد في إطارها ويختفي أثراً لها عندما يعمل الفرد مستقلاً عنها وفي منأى عنها. وكان على الباحث أن يسجل أثر هذه الجماعة على سلوك الأفراد، وبذلك تصبح المتغيرات التابعة هي ما يطرأ على سلوك الأفراد من تغير نتيجة كونهم أعضاء في جماعة صغيرة عندما يكلفون بأعمال حركية أو يحلون مسائل حسابية وقضايا منطقية، أو يصدرون أحكاماً عقلية أو جمالية أو خلقية أو آراء عامة.

ثم تطور البحث التجاربي بعد ذلك في علم النفس الاجتماعي إلى مقارنة أداء الأفراد وهم يعملون معاً، يعمل كل فرد منهم مستقلاً عن الجماعة. وبذلك يصبح المتغير المستقل هنا هو الجماعة، فيظهر في عمل الفريق ويختفي في عمل الفرد. ويصبح المتغير أو المتغيرات التابعة هي نتائج السلوك كما تبدو في متوسط عمل الفريق وفي عمل الفرد.

وتعد أمثل تلك التجارب – في الأغلب والأعم – امتداداً للتجربة في علم النفس العام. وغالباً ما يخضع تفسير نتائجها للنظريات الشائعة في ذلك العلم. وأيا كان الرأي في موقع تلك التجارب من البحث العلمي في علم النفس الاجتماعي فإنها بلا شك تمثل بذء الاتجاه التجاربي في ذلك العلم.

ثم تطور التجربة بعد ذلك في علم النفس الاجتماعي، ولم تعد نظرة العلم إلى الجماعة الصغيرة على أنها متغير مستقل خارجي بالنسبة للفرد، بل أصبحت متغيراً مستقلاً داخلياً. وبذلك تغيرت نظرة العلم لتلك الجماعة من مجرد وسيط لممارسة الأفعال والسلوك إلى وحدة عضوية تحدد سلوك أعضائها. وتلك هي النظرة الجشتالية التي يرجع الفضل فيها إلى أبحاث ليفين⁽¹⁾. Levin عن ديناميات الجماعة. وبذلك تحول البحث من المنهج الأرسططالي إلى المنهج الجاليلي. وأصبحت الجماعة الصغيرة – من هذا المنظور الجديد – هي مجال القوى، تصدر منها وعنها الظواهر الاجتماعية التي تعتمد في خصائصها على دينامية تلك الجماعة مثل قوى الجذب والتماسک ومظاهر الزعامة، وغير ذلك من الظواهر التي تعد متغيرات تابعة لمتغيرات مستقلة يتحكم فيها الباحث فيوجه القوى المؤثرة في التفاعل الجماعي، وما يؤدي إليه هذا التفاعل من محصلة لتلك القوى.

و غالباً ما يعني مفهوم دينامية الجماعة في مثل تلك الأبحاث سيكولوجية الجماعة. لكن علينا أيضاً أن نخطو في هذا الميدان العلمي بحذر لأنه بالرغم من خصوبته

(1) Levin, K. Field Theory and Social Science. N. Y. Harper. 1951.

تلك الأفكار التي أعلنتها ليفين إلا أن ذلك لا يقلل كثيراً من أهمية الأنماط السابقة للتجريب في علم النفس الاجتماعي، وخاصة أن ليفين نفسه لم يصل إلى إطار نظري متكملاً لأبحاثه بل ظلت تلك الابحاث بثابة امتدادات جريئة في ميدان جديد وتکاد حتى الآن لا تتجاوز هذا الموقع وذلك المظور العلمي.

وبالرغم من الجهد الذي بذلها كثير من أتباع ليفين مثل هايدر⁽¹⁾ سنة ١٩٤٦ وكارتريت وهاراري⁽²⁾ سنة ١٩٥٦ إلا أن أغلب أبحاثهم لم تنجح إلا بالنسبة للجماعة الثنائية dyad والجماعة الثلاثية triad ولم تصلح للجماعات الأكثر من ذلك أفراداً.

وهكذا نرى أن النظرة إلى المتغيرات المستقلة والتابعة في علم النفس الاجتماعي نظرة واسعة شاملة تتمد من مجرد دراسة أثر الجماعة على الفرد إلى أثر تفاعಲها الداخلي على بقية أفرادها.

وتمتد مناهج البحث التجربى في علم النفس الاجتماعي عن طريق المتغيرات المستقلة والتغيرات التابعة إلى أهم منهجين من مناهج البحث العلمي وتعنى بهما المنهج الأرسططالي والمنهج الحالى.

٥- الجماعة التجريبية والجماعة الضابطة:

الجماعة التجريبية هي الجماعة التي يتعرض أفرادها للمتغير المستقل. والجماعة الضابطة هي الجماعة التي يناظر أفرادها أفراد الجماعة التجريبية ولا يتعرضون للمتغير المستقل.

إذا كان الهدف مثلاً هو قياس أثر وجود الجماعة على إنتاج الفرد فإن الجماعة التجريبية في هذه الحالة يمكن أن تكون من مجموعة من الأفراد بحيث يعمل كل فرد من أفرادها في مواجهة جماعة من الناس وتصبح المتغيرات التابعة في الجماعة التجريبية إنتاج الأفراد في الأعمال التي يقومون بها.

وتكون الجماعة الضابطة من مجموعة من الأفراد، بحيث يناظر أفرادها الجماعة التجريبية ويعمل كل فرد من أفرادها بعزل عن جماعة المواجهة التي يتعرض لها أفراد الجماعة التجريبية. وبذلك لا يتعرض أفراد مثل هذه الجماعة للمتغير المستقل. وتصبح المتغيرات التابعة أيضاً هي إنتاج أفراد الجماعة الضابطة أو استجاباتهم.

(1) Heider, F. Attitudes and cognitive organization. J. Psych. 1946, 21, 107 - 112.

(2) Catwright, D., and Harary, F. Structural balance: A generalization of Heider's theory. Psychol. Rev. 1956, 63, 277 - 293.

٦- التصميم التجاربي:

يدل التصميم التجاربي في معناه العام على خطة التجربة التي تشمل على اختيار الأفراد، وترتيب الإجراءات، ونوع المعالجة التجريبية، وطريقة تسجيل البيانات، مع الإشارة إلى الأسلوب الإحصائي الذي سيتبع في تحليل النتائج.

ويدل في معناه الخاص على تنظيم القياس في الجماعتين التجريبية والضابطة وفي المتغيرات المستقلة والتابعة.

ولتصميم التجاربي الخاص بتنظيم عمليات القياس نماذج مختلفة للشخص أهمها فيما يلى :

النموذج الأول: القياس البعدى للجماعتين:

يقياس أثر المتغير المستقل بمقارنة متوسط استجابات الجماعة التجريبية بعد تعرضها للمتغير المستقل بمتوسط استجابات الجماعة الضابطة التي لم تتعرض للمتغير المستقل، وذلك باعتبار أن تلك الاستجابات هي المتغيرات التابعية، ثم يحسب فرق المتوسطين والدلاله الإحصائية لهذا الفرق. فإذا كان لفرق دلالة إحصائية فإن ذلك يدل على أثر المتغير المستقل. وإذا لم يكن لفرق دلالة فإن ذلك يدل على انعدام أثر المتغير المستقل.

وإذا رمنا للمتغير المستقل بالرمز (س) وخاصة أن المفروض رياضياً أن المحور السيني في الرسم يمثل هذا المتغير، فإن المحور الصادي يمثل المتغير التابع، ولذا سترمز له بالرمز (ص). وبذلك يمكن توضيح أهم خصائص هذا النموذج في الجدول التالي: حيث يدل الرمز ص٢ على نتيجة القياس البعدى للمتغير التابع في الجماعة التجريبية، ويدل الرمز ص١ على نتيجة القياس البعدى للمتغير التابع في الجماعة الضابطة.

الفرق	القياس البعدى	المتغير المستقل	القياس القبلي	الجماعة
ص٢ - ص١	نعم (ص٢) نعم (ص١)	نعم لا	لا لا	التجريبية الضابطة

نموذج القياس البعدى للجماعتين التجريبية والضابطة

النموذج الثاني: القياس القبلي – البعدى للجماعتين:

تقاس التغيرات التابعة في الجماعتين التجريبية والضابطة قبل بدء التجربة وبعد انتهائهما، أي قبل تعرض الجماعة التجريبية للمتغير المستقل وبعد تعرضها ثم تفاصي الفروق وتحسب الدالة. والجدول التالي يبين هذا النموذج.

الفرق	المتغير المستقل	القياس البعدى	القياس القبلي	الجماعة
ق - ص٢ - ص١	نعم (ص٢)	نعم	نعم (ص١)	التجريبية
ق - ص١ - ص٢	نعم (ص٢)	لا	نعم (ص١)	الضابطة

نموذج القياس البعدى للجماعتين التجريبية والضابطة

ويدل الرمز ص١ على نتيجة القياس القبلي للمتغير التابع في الجماعة التجريبية. ويدل الرمز ص١ على نتيجة القياس القبلي للمتغير التابع في الجماعة الضابطة. ويدل الرمز ص٢ على نتيجة القياس البعدى للمتغير التابع في الجماعة التجريبية. ويدل الرمز ص٢ على نتيجة القياس للجماعة الضابطة. ويدل الرمز ق على فرق القياس القبلي من القياس البعدى للمتغير التابع في الجماعة التجريبية. ويدل الرمز ق على فرق القياس القبلي من القياس البعدى للمتغير في الجماعة الضابطة.

وعلى الباحث بعد ذلك أن يقارن ق، ق أو يقارن ص٢، ص١ ليستدل على أثر المتغير المستقل على المتغير التابع.

النموذج الثالث: القياس القبلي – البعدى لجماعة واحدة:

ومن القياس القبلي – البعدى ما يصبح على جماعة واحدة فقط هي الجماعة التجريبية، ويحل كل فرد محل الجماعة الضابطة، أي أن الفرد يصبح هو نفسه جماعته الضابطة فتقاس استجابته في المتغير التابع قبل تعرضه للمتغير المستقل ثم تفاصي استجابته بعد ذلك في المتغير التابع بعد تعرضه للمتغير المستقل. ويحسب الفرق بين الاستجابتين على أنه أثر المتغير المستقل.

الفرق	المتغير المستقل	القياس البعدى	القياس القبلي	الجماعة
ق = ص٢ - ص١	نعم (ص٢)	نعم	نعم (ص١)	الجماعة التجريبية

نموذج القياس القبلي والبعدى لجماعة واحدة

النموذج الرابع: القياس القبلي – البعدى لجماعتين متبادلتين:

يقاس المتغير التابع فى إحدى الجماعتين قبل تعرضها للمتغير المستقل ، ويقاس المتغير التابع فى الجماعة الثانية بعد تعرضها للمتغير المستقل . وتحتار الجماعاتان بطريقة عشوائية من الأفراد الذين سيتعرضون للمتغير المستقل . ويدل الفرق بين القياس القبلى فى الجماعة الأولى ، والقياس البعدى فى الجماعة الثانية على أثر المتغير المستقل . ويستخدم هذا النموذج لعزل أثر القياس للمتغير التابع على المتغير المستقل . والجدول التالى يدل على هذا النموذج .

الفرق	القياس البعدى	المتغير المستقل	القياس القبلى	الجماعات
ق - ص ٢ - ص ١	نعم (ص ٢)	نعم	لا	الجماعة التجريبية
	لا	ربما	نعم (ص ١)	الجماعة الضابطة

نموذج القياس القبلى لجماعتين متبادلتين

النموذج الخامس: القياس القبلى – البعدى للجماعات المتعددة:

لا تقتصر النماذج على مجرد جماعة تجريبية وجماعة ضابطة وعلى استعراض الاحتمالات الممكنة للقبيلية والبعدية والتجريبية والضابطة ، بل قد تتدنى بعض الأبحاث إلى نماذج معقدة مثل القياس القبلى البعدى لجماعة تجريبية وجماعتين ضابطتين ، أو لجماعة تجريبية وثلاث جماعات ضابطة .

ومن هذه النماذج ما يستخدم لفصل أثر المتغير المستقل عن أثر القياس القبلى حتى ولو كان بين القياسين تفاعل ، حيث يؤثر المستقل في القبلى ويتأثر به . وهذا يقتضى زيادة جماعة ضابطة ثانية على الجماعة الضابطة الأولى ، ويسمى مثل هذا النموذج ، نموذج الجماعات الثلاث . ولا تقاس الجماعة الثانية قياساً قبلياً ولكن تعرض للمتغير المستقل وتقاس قياساً بعدياً . ثم تقارن النتائج بعد ذلك وتحسب الفروق وفروق الفروق وذلك لتنقية التغيرات من شوائب القياس القبلى وشوائب التغير الذي يحدث خلال الفترة التي تمضى بين القياس القبلى والقياس البعدى .

ويستخدم نموذج الأربع جماعات ، أي جماعة تجريبية وثلاث جماعات ضابطة ، للتخلص من أثر التغيرات الجانبية التي تؤثر على النتائج ولا تدرج تحت فئات التغيرات المستقلة والتابعة ، وللتخلص أيضاً من أثر التغير الذي يحدث نتيجة للنمو خلال الفترة

التي تضى أيضاً بين القياس القبلى والقياس البعدى. وفي هذا النموذج تقاس الجماعة التجريبية والجماعة الضابطة الأولى قياساً قبلياً، ولا تقاس الجماعاتان الضابطتان الثانية والثالثة قياس قبلياً، بل نفترض أن قياسهما القبلى يساوى متوسط القياس القبلى للجماعة التجريبية وللجماعة الضابطة الأولى. وتعرض الجماعة التجريبية والضابطة الثانية للمتغير المستقل، ولا ت تعرض الجماعاتان الأولى الضابطة والثالثة الضابطة للمتغير المستقل. وتعالج النتائج باعتبار أن الجماعات الأربع تتعرض بنفس الدرجة للمتغيرات الجانبية، ثم يتم القياس البعدى للجماعات الأربع وتحسب الفروق وتقارن النتائج، ويدل فرق القياس القبلى والبعدى للجماعة الضابطة الثالثة في هذا النموذج على أثر المتغيرات الجانبية أو التغير الذى يحدث نتيجة للنمو، وذلك لأن هذه الجماعة لم تخضع للاقىاس القبلى ولم تتعرض للمتغير المستقل. ويدل التغير الذى يحدث في الجماعة الضابطة الثانية على أثر التغير المستقل وعلى أثر المتغيرات الجانبية أو النمو. ويدل التغير الذى يحدث في الجماعة الضابطة الأولى على أثر القياس القبلى وعلى أثر المتغيرات الجانبية أو النمو، ويمكن الحصول على أثر المتغير المستقل وحده فقط بطرح نتيجة التغير الذى يحدث في الجماعة الضابطة الثالثة من التغير الذى يحدث في الجماعة الضابطة الثانية.

ولا يكاد يختلف هذا النموذج الرابعى في معناه الدقيق عن إجراء التجربة مرتين بجماعة تجريبية واحدة، وجماعة ضابطة واحدة، وقياس قبلى - بعدي.

وتتطلب هذه النماذج حساب الفروق، وفروق الفروق، والدلالات الإحصائية مثل تلك المؤشرات الإحصائية. ولا تستخدم مثل تلك النماذج إلا في التصميمات التجريبية المعقدة. ولذا لا يلجأ إليها الباحثون إلا إذا فشلت النماذج السابقة البسيطة في المعالجة التجريبية لل المشكلة التي يتصدى البحث لها⁽¹⁾.

وفي وسع الباحث أن ينشئ لبحثه نماذج أخرى لمواجهة خصائص الظاهرة التي يبحثها. وتعتمد عملية استحداث مثل تلك النماذج على ابتكار الباحث وأصالته في ارتياض المجهول.

٧- نقد التجارب العملية:

وبالرغم من أهمية التجارب التي تجرى على الجماعة الصغيرة في المعمل، وخاصة بما تتحقق للباحث من ضبط علمي واضح لتغيرات الظواهر التي يدرسها، وبما تهيئه من

(1) Sellitz, C., Jahoda, M., deutsch, M., and Cook, S. W.: Research Methods in Social Relations. N. Y. Holt, Rinehart and Winston. 1963, pp. 108 - 122.

- Solomon, R. L. Extension of control group design. Psych. Bull. 1949, 46, pp. 137 - 150.

تحكم في التغير المستقل، ومن دقة في تسجيل ما يطرأ على التغير التابع من تغير نتيجة لغير التغير المستقل، إلا أن التفاعل الاجتماعي في حياتنا اليومية يتطور ببطء يختلف عن سرعة التغير التي تصاحب تجارب المعلم. وقد يصبح من المستحيل مجازاة النبض الطبيعي للتغير في إطار العمل. وبذلك تبدو أهمية الطرق الأخرى للبحث النفسي الاجتماعي مثل الملاحظة المقتنة التي تستد على فترات متعددة من الزمن لتساير بهذا الامتداد ببطء النبض الطبيعي للتغير في الحياة اليومية. ومثل الطريقة التبعية أو الطولية التي تصاحب الظاهرة وهي تغير خلال مراحلها الزمنية التي يلى بعضها بعضاً.

ويشترط أيضاً لنجاح تجارب المعلم بساطة التغيرات ولا يشق على الباحث ضبطها والتحكم فيها وتسجيلها. وهذه البساطة ليست دائماً هي الصورة التي توجد بها الظواهر في بيئتها الطبيعية. ولذلك فعلى الباحث أن يقترب كلما أمكن من الموقف الطبيعي الذي توجد فيه الظواهر المختلفة. وعليه أن يستخدم طرقاً أخرى غير الطريقة التجريبية لسجل الظواهر كما هي دون أن يفتعل لها المواقف غير الطبيعية التي تبعدها عن حقيقتها.

ودوافع الأفراد الذين يشتراكون في التجارب العملية تختلف - في الأغلب والأعم - عن الدوافع الحقيقة للأفراد في مواقف الحياة اليومية. وبذلك فإن سلوك الفرد في العمل سلوك شكلي، وسلوكه في الحياة استجابة طبيعية لما يواجهه من أحداث، وخاصة عندما يشعر الفرد في العمل أن سلوكه يخضع للملاحظة وأن سلوكه في حياته الطبيعية لا يخضع لتلك الملاحظة.

فالتجارب العملية بهذا المعنى ليست إلا نماذج سريعة وبسيطة لما يحدث في الحياة اليومية. ولذا يعبأ عليها كل ما يعبأ على مثل تلك النماذج من مواقف مصطنعة مفتعلة.

وقد بدأت بوادر مثل هذا النقد أخيراً تعم الميدان التجاري في علم النفس بصفة عامة، وفي علم النفس الاجتماعي بصفة خاصة حتى اضطر بعض علماء مناهج البحث إلى أن يتخذوا موقف المدافع عن الطريقة التجريبية في مقدمات كتبهم التي يعالجون فيها تلك الطريقة، بعد أن بسطوا بأمانة علمية نواحي القصور الذي تعانى منه الطريقة التجريبية. ولا أدل على ذلك من المقدمة التي يتحدث فيها المؤلفون كارلسmit⁽¹⁾. وإليزورث Elisworth وآرسون Aronson عن مأخذ الطريقة التجريبية في كتابهم الذي نشروه سنة ١٩٧٦ عن طرق البحث في علم النفس الاجتماعي.

(1) Carlsmith, J. M. Ellsworth, P. C., and Arson, E. : Methods of Research in Social Psychology. Reading Mass., Addison - Wesley, 1967, p. VII.

خامساً - أهم تصنیفات الأبحاث النفسية الاجتماعية

قد يتبرد إلى الذهن أننا نستطيع أن نصنف الأبحاث النفسية الاجتماعية إلى أنواع بالنسبة لمنهج البحث وطريقه، لكننا إذا فعلنا ذلك فكأننا ندور في دائرة مفرغة. ولذا ستعتمد على أسس أخرى أكثر اتصالاً بمستويات الأبحاث، ومدى التحكم أو اللاتحكم في متغيراتها ونوع الفائدة المرجوة منها.

والأساس الأول المقترن لتصنيف الأبحاث إلى أنواع هو أساس المستوى. ويتحدد المستوى بعدد الخطوات التي تستغرقها طريقة البحث. وتسمى أبحاث المستوى الأول الأبحاث الاستقصائية ولا تقاد خطوات طرقها تبعدي الخطوة الأولى. ومن أبحاث هذا المستوى الأبحاث الكشفية والاستطلاعية. وتسمى أبحاث المستوى الثاني الأبحاث الوصفية لأن خطواتها تنتهي عند تحليل المشكلة إلى متغيراتها وما يمكن أن يقوم بين هذه المتغيرات من علاقات ولا تشتمل بذلك على كل خطوات البحث. ومن أبحاث هذا المستوى البحوث الوصفية أو المسحية والتبعية والارتباطية. وتسمى أبحاث المستوى الثالث الأبحاث السببية لأنها تشتمل على جميع خطوات البحث وتستهدف الكشف عن الأسباب التي تكمن وراء الظاهرة. ومن أبحاث هذا المستوى الأبحاث التجريبية.

والأساس الثاني المقترن هو أساس التحكم في المتغيرات. فإذا تحكم الباحث في متغيرات الظاهرة وغير بعضها ليرصد ما يحدث من تغيير في البعض الآخر سمي البحث معملياً ومن أبحاث هذا النوع الأبحاث التجريبية، وهي تتسمى إلى هذا التصنيف باعتبار الإجراءات، وتتسمى إلى تصنيف المستويات باعتبار النتيجة التي تنتهي إليها. وإذا لم يتحكم الباحث في متغيرات الظاهرة ورمدها كما تحدث في مجالها الطبيعي سمي البحث ميدانياً. ومن أبحاث هذا النوع البحث الميداني نفسه.

والأساس الثالث المقترن هو نوع الفائدة. فإذا كانت الفائدة علمية أكاديمية سمي البحث أساسياً. ومن أبحاث هذا المستوى البحث الأساسي نفسه. وإذا كانت الفائدة عملية سمي البحث تطبيقاً. ومن أبحاث هذا النوع بحث الفعل أيضاً.

وبذلك ينتهي هذا التصنيف المقترن لتصنيف الأبحاث إلى التنظيم التالي:

- (أ) المستوى الأول: الأبحاث الاستقصائية. وأهمها الكشفية والاستطلاعية.
- (ب) المستوى الثاني: الأبحاث الوصفية، وأهمها المسحية، والتبعية، والارتباطية.
- (ج) المستوى الثالث: الأبحاث السببية. وأهمها التجريبية.

- (د) التحكم: الأبحاث المعملية. وأهمها التجريبية.
- (هـ) اللاتحكم: الأبحاث الميدانية.
- (وـ) الفائدة العلمية: الأبحاث الأساسية.
- (زـ) الفائدة العملية: الأبحاث التطبيقية، ويبحث الفعل Action research

وينبع فيما يلى الأبحاث التى لم ت exposures لها من قبل. وسنكتفى بالنسبة للأبحاث المعملية وهى أيضاً الأبحاث التجريبية بما سبق أن بيانه بالتفصيل فى شرحنا للطريقة التجريبية.

(أ) المستوى الأول، الأبحاث الاستقصائية:

١- الأبحاث الكشفية:

لا تتم عملية اختيار مشكلة البحث فى خطوة واحدة بل قد يتطلب الأمر القيام بدراسات وأبحاث كشفية للتأكد من صلاحية المشكلة للبحث وتحديد أهميتها وذلك قبل التوصل إلى القرار النهائى لاختيارها. وتسمى مثل هذه البحوث أيضاً ببحوث الجدوى، وبحوث الصياغة لأنها تساعد أيضاً على معرفة جدوى وفائدة بحث المشكلة، وتعين على صياغتها^(١).

وتزداد أهمية الدراسات والبحوث الكشفية كلما كان ميدان البحث جديداً وأغلب معالله غامضة أو مجهولة ولم تخضع بعد لخضوعاً واضحاً لأبحاث متعددة.

وكما تؤدى الدراسات الكشفية إلى تحديد المشكلة فإنها تستخدم أيضاً زيادة ألفة الباحث بمشكلة البحث، واستجلاء جوانبها المختلفة، وفي توضيح معالجتها ومفاهيمها الرئيسية، وفي ترتيب أولويات الخطوات التي يتطلبها البحث، وفي معرفة مدى إمكانات بحث المشكلة في المعمل أو في الميدان الحيوي لوجودها، أي كما تحدث في حياة الناس. وقد يستخدم الباحثون المترسون مثل هذه الأبحاث والدراسات الكشفية في الخطوات الضرورية للاهتداء إلى الفروض المناسبة لمشكلة البحث.

٢- الأبحاث الاستطلاعية:

تعقب الأبحاث والدراسات الكشفية الأبحاث والدراسات الاستطلاعية التي تستهدف معرفة مدى توافر العدد المناسب من أفراد العينة للقيام بالبحث ومدى توافر

(1)Exploratory studies	- دراسات كشفية	Feasibility studies	دراسات جدوى
Formulative studies	دراسات صياغة		

أدوات القياس، والأدوات الجديدة التي يتطلب البحث إعدادها، وبناء تلك الأدوات وتجربتها تجربة مبدئية لتصحيح عيوبها ومعرفة حدود ثباتها وصدقها كلما أمكن ذلك. وقد يحتاج مثل هذا الأمر إلى قيام الباحث بتحليل مفراداتها تحليلًا عاماً حتى يتحقق من صلاحيتها للقياس. وبذلك يتضمن البحث الاستطلاعى التجريب القبلي^(١). لأدوات القياس وخاصة في بناء استبيانات الاتجاهات النفسية التي تعد من أهم مباحث علم النفس الاجتماعي.

ويتضمن البحث الاستطلاعى أيضاً إعداد قوائم الملاحظة كما سبق أن بيننا ذلك في دراسة قوائم الشطب والقوائم التكرارية.

وفي مقدور الباحث أيضاً أن يجرِّب بطريقة مبدئية التصميم الذي يناسب بحثه وذلك بتجربة أكثر من تصميم في دراسته الاستطلاعية، وذلك لاختيار التصميم المناسب وخاصة في الأبحاث العملية كما سبق أن بيننا ذلك في دراسة تصميمات الطريقة التجريبية.

(ب) المستوى الثاني - الأبحاث الوصفية:

١- الأبحاث المسحية:

تحتخص البحوث والدراسات المسحية بتجميع البيانات من التقارير أو الجداول الكمية أو من كليهما. ويعتمد المسح العلمي على طرق وأدوات مختلفة لتجميع تلك البيانات. ومن أهم تلك الطرق الملاحظة، وأدواتها القوائم التكرارية، وقوائم الشطب، والتقارير الوصفية التي يكتبها الملاحظون عن الفواهر التي يسجلونها. وتعتمد البحوث والدراسات المسحية أيضاً على الوثائق والاستبيانات، والمقابلة.

وعلى الباحث أن يحدد منذ البدء مدى شمول البحث المسحى. فإذا أن يمتد بمسحة إلى المجتمع الأب، أو أن يقتصر على عينة يختارها من ذلك المجتمع. فإذا كان المجتمع صغيراً ومحدوداً فإن الباحث يستطيع أن يمسح المجتمع كله. وإذا كان المجتمع البحث كثيراً وغير محدد فإن عليه أن يختار عينة مناسبة وبطريقة علمية، ومثال ذلك العينة الطبقية العشوائية أو العشوائية فقط أو المقصودة ليجمع منها البيانات بأدواته التي يستخدمها في ذلك المسح.

٢- الأبحاث التبعية:

تعنى البحوث والدراسات التبعية^(٢). رصد وتسجيل التغير الذي يطرأ على ظاهرة ما خلال نموها أو تطورها من الحيوان إلى الإنسان، مثلاً، أو من طفولة الإنسان

(1) Pilot studies دراسات استطلاعية

- Pretest التجريب القبلي

(2) Genetic studies الدراسات التبعية

إلى مراهقتة ورشده وشيخوخته. ومن أهم ميادين علم النفس الاجتماعي التي تعتمد على البحوث التباعية ميدان التنشئة الاجتماعية وما يطرأ على النمو الاجتماعي من تغير خلال مراحل الحياة.

وتعتمد البحوث التبعية على نوعين من الطرق: الطريقة الطولية والطريقة المستمرة⁽¹⁾:

فاما الطريقة الطولية فتعتمد على تبع نمو ظاهرة نفسية اجتماعية عند جماعة محددة من الأفراد خلال سنوات نموهم المتتابعة عاما بعد آخر ، ورصد ما يحدث من تغير في الظاهرة نتيجة للنمو .

وأما الطريقة المستعرضة فتعتمد على اختيار جماعة من الأفراد من كل عمر من الأعمار المتالية لتدرس فيها خصائص الظاهرة بالرغم من اختلاف الأفراد.

وبالرغم من دقة الطريقة الطولية فإنها تستغرق من الباحث وقتا طويلا قد يمتد لسنوات متعددة. ولذلك فأغلب الباحثين المعاصرين يفضلون الطريقة المستعرضة على الطريقة الطولية لسرعة الحصول على النتائج.

٣- الأبحاث الارتباطية:

بدأ الاهتمام بالبحوث والدراسات الارتباطية منذ أوائل هذا القرن وذلك عندما اهتمى سبيرمان Spearman سنة ١٩٠٤ إلى تحليل معاملات الارتباط للكشف عن العامل العام الذى أطلق عليه بعد ذلك مصطلح الذكاء. وبذلك تأكّدت أهمية هذا النوع من البحوث في ميدان علم النفس الفارق. وأدى هذا النجاح إلى استخدام البحوث الارتباطية في أغلب ميادين علم النفس وخاصة في مباحث علم النفس الاجتماعي. ومثال ذلك التحليل العاملى للاتجاهات النفسية والقيم، وغير ذلك من الموضوعات التي يشتمل عليها هذا العلم.

وتلخص أهمية البحوث الارتباطية في أنها تكشف عن الخصائص المشتركة لمتغيرات متعددة مهما كان نوع هذه المتغيرات: هي بهذا المعنى تمتد إلى ما بعد التعرف على الظواهر العلمية المختلفة التي تنتهي عندها بحوث المسح والبحوث التبعية، إلى اكتشاف التنظيم الذي ترتبط به تلك الظواهر وخاصة عندما يتألف بعضها مع البعض الآخر ليكون بذلك نوعاً من أنواع التجمعات أو الفئات أو الطوائف. وهي بهذه التجمع

(1) Longitudinal method	الطريقة الطولية
- Transversal method	الطريقة المستعرضة

تطور بمستوى البحوث إلى ما يقرب من السببية التي تنتهي إليها البحوث العملية التجريبية، لكنها لا تصل بحق إلى تلك السببية، وإن كانت تشير إليها وإلى احتمالات وجودها. وبذلك تصبح كمداخل للمستوى الثالث أو النوع الأخير من أنواع البحوث، وخاصة عندما تند البحث الارتباطية إلى ما بعد الارتباط من تحليل للعوامل التي أدت إلى ذلك الارتباط أو إلى حساب معاملات الانحدار التي تعتمد أولاً وأخيراً على معاملات الارتباط والتي تمهد للتبؤ بقيم ظاهرة ما من الظواهر التي يدرسها الباحث وذلك بمعرفة القيم التي تقابلها في ظاهرة أخرى.

(ج) المستوى الثالث - الأبحاث السببية:

أهم أبحاث هذا المستوى هي الأبحاث التجريبية، وهي تجريبية باعتبار الطريقة، وسببية باعتبار التسيجة، وقد سبق شرحها بالتفصيل وشرح تصميماتها المختلفة في دراستنا للطريقة التجريبية. وسنكتفي هنا بمجرد ذكر مستواها ونوعها حتى تستقيم مكونات نموذج التصنيف المقترن للأبحاث.

(د) التحكم - الأبحاث العملية:

أهم أبحاث التحكم أيضاً هي الأبحاث التجريبية، وقد سبق ذكرها في الأبحاث السببية. وهي تسمى أيضاً إلى نوع التحكم باعتبار متغيراتها المستلقة وما تخضع له من تغيير وأثر هذا التغيير على المتغيرات التابعة. وبما أن هذا النوع من الأبحاث يجرى عادة – في الأغلب والأعم – في معامل البحث لتهيئة الشروط الالزمة للتحكم في متغيراتها وضبطها ضبطاً علمياً دقيقاً. لذا فهي تسمى معملية باعتبار مكان الإجراء.

(هـ) الالتحكم - البحث الميداني:

يتميز البحث الميداني بأنه يلاحظ ويرصد الظواهر كما تحدث في بيئتها الطبيعية ولا يضبطها أو يتحكم فيها بطريقة مفعولة كما يحدث في التجارب التي تجري داخل معامل البحث. ولذلك يحاول الباحث الميداني ألا يكون لوجوده أو وجود الباحثين الآخرين أي أثر يذكر على سلوك الأفراد والجماعات التي يجري البحث عليهم وبينهم. ولذا فنتائجها أكثر قابلية للتطبيق من الأبحاث الأخرى لاتصالها المباشر بواقع الحياة اليومية. وقد شاع هذا النوع من الأبحاث أخيراً في علم النفس الاجتماعي وظهرت مؤلفات عده توضح أهمية ونتائج الأبحاث النفسية الاجتماعية في أمور حياتنا اليومية.

وكثيراً ما يستخدم البحث الميداني في دراسة الأنماط السلوكية التي ترجع في اختلافها إلى اختلاف الأنماط الثقافية. وعلى الباحث الميداني الذي يتصدى مثل هذا

النوع من الأبحاث أن يعيش مع الناس الذين يدرسهم، وأن يستعين بطريقة الملاحظة في حصوله على المعلومات التي يسعى جمعها وتحليلها وتفسيرها. وقد يستخدم الباحث أيضاً طريقة المقابلة لجمع البيانات الأساسية من بعض الأفراد الذين يمثلون نماذج محددة في تلك المجتمعات.

(و) الفائدة العلمية - البحث الأساسي:

يعتمد علم النفس الاجتماعي في بنائه النظري على البحوث الأساسية التي تبدأ بالإجابة على أسئلة تتصل اتصالاً مباشراً بالبناء الفكري للعلم، وتنتهي بالنظريات التي تلخص ذلك البناء الفكري في تعميم يضم طائفة من الظواهر التي يتصدى علم النفس الاجتماعي لدراساتها. ومن أمثلة المحاولات الأولى لصياغة مثل تلك النظريات ما ذهب إليه تارد من أن أساس السلوك النفسي الاجتماعي هو التقليد أو نظرية التزعات الفطرية لمكروجل، ودورها في تحديد السلوك الاجتماعي عن طريق الغرائز والتزعات الفطرية العامة. وقد واجهت مثل هذه المحاولات والنظريات نقادات شديدة لأنها لم تعتمد على البحث الأساسي وطريقته العلمية في نشأتها ومراحل صياغتها. وهكذا تتضح أهمية البحوث الأساسية في البناء الصحيح للعلم.

وبذلك يتوجه البحث الأساسي في علم النفس الاجتماعي، كما يتوجه في العلوم الأخرى، إلى اكتشاف القواعد الأساسية التي تدعم البناء الفكري، وإلى التوصل إلى النظريات العلمية التي تتصف بالإيجاز والشمول والفرد، وما أسلفنا ذكره عن التنبؤ، والفهم، والتحكم.

والنظرية تعبير موجز عن حقائق عدّة. فهي بذلك تعميم. وجوهر التعميم الإيجاز. وهي بإيجازها هذا ت نحو نحو الاقتصاد في الجهد، والاقتصاد في الإيابنة عن القصد.

ويعني الشمول امتداد الإطار النظري ليشمل على الحقائق الفرعية التي تتصدى النظرية لتفسيرها. وبذلك تتألف تلك الحقائق في تنظيم متamasك متكملاً يشملها جميعاً ويسفر عنها. ويبلور مثل هذا التنظيم والتكامل في النظرية.

هذا وكلما انفردت إحدى النظريات بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها ثبتت النظرية وزادت صحتها. وجود نظرية أخرى تفسر نفس الحقائق التي تفسرها النظرية الأولى يضعف الأهمية العلمية للنظريتين لأن في ذلك الازدواج تناقضًا علمياً.

ومن النظريات الحديثة في علم النفس الاجتماعي التي اعتمدت على البحث الأساسي في بنائها الفكرى نظريات الاتجاهات والمجال، والدور، وغير ذلك من النظريات المختلفة.

(ز) - الفائدة العملية:

١- البحث التطبيقي:

يبدأ البحث التطبيقي بحل مشكلة قائمة، ولذلك يشتق الباحث التطبيقي فروضه من الاحتمالات العملية التي تقتضيها طبيعة حل المشكلة. وليس معنى هذا أن نقطة البدء التي يتطور منها البحث، مشكلة كانت أم مسألة علمية، تحدد دائماً نوع النتائج التي ينتهي إليها، فقد تؤدي المشكلة إلى اكتشاف حقيقة علمية، وقد تؤدي الحقيقة إلى علاج مشكلة قائمة. ولذلك فقد يهتدى العلم في نشاطه الدائب لاكتشاف الحقائق والقوانين وصياغة النظريات إلى حل مشكلة عملية، وهو في سعيه لحل المشكلات العملية اليومية قد يصل إلى بعض الحقائق التي تهنىء الفكر لصياغة نظرية جديدة.

ولذلك فالرغم من أنها نقسم الأبحاث بالنسبة لأهدافها إلى أساسية وتطبيقية إلا أنها مرتبطة. ولقد دأب علم النفس الاجتماعي منذ نشأته الأولى على أن يهتم بالمعرفة من أجل المعرفة في أبحاثه الأساسية، وبالمرة من أجل تطوير السلوك الاجتماعي وتصحيح مساره، وتحقيق مجتمع الرخاء والرفاهية والعدالة في محاولة جادة لإنشاء اليتيريا أو الجمهورية الفاضلة التي سعى الإنسان منذ فجر الفكر لتحقيقها.

ومن أمثلة الأبحاث التطبيقية في علم النفس الاجتماعي، طرق مقاومة التطرف، ووسائل التغلب على الإشاعة، وأساليب زيادة فعالية الأفراد في تفاعلهم الاجتماعي، والمناقشة الجماعية وأثرها في التفكير الجماعي، وتغيير الاتجاهات وقياس الرأي العام والعوامل المؤثرة في تكوينه وتوجيهه، والنماذج الجماعي، والروح المعنوية، والقيادة أو العامة.

وقد تطور مجال الأبحاث التطبيقية في علم النفس الاجتماعي حتى امتدت إلى أمور حياتنا اليومية^(١).

٢- بحث الفعل:

قد تكون الفجوة بين ميدان البحث التجاري وميدان التطبيق التنفيذي واسعة كبيرة، فتفشل العملية بالرغم من إمكان نجاحها في نواحيها العملية والتنفيذية. تفشل لضعف التكامل والتنسيق بين الناحيتين.

من أجل ذلك نشأ بحث الفعل^(٢) في إطار بحث العمليات^(٣) لعلاج هذه الصعوبة في أخطر ميادين البحث والتنفيذ، وذلك عندما يؤدي الفشل إلى خسارة فادحة في

(1) Swingle, P. G. (ed.) Social Psychology in everyday Life. London, Penguin. 1973.

(2) Action research

بحث الفعل

(3) Operational research

بحث العمليات

الأرواح. وهكذا نشأ بحث العمليات لإنجاح عملية تطبيق العلم لخدمة الحرب بطريقة جديدة لم تكن معروفة من قبل.

وعندما نشا بحث العمليات كان يهدف إلى تطوير الطرق العملية في البحث والتجربة لزيادة كفاءة استخدام الأسلحة الحربية الموجودة وليس لاختراع أسلحة جديدة. وهو في جوهره دراسة علمية للعمليات التي تحدث أثناء إنجاز عمل ما. لا كما تحدث في المعمل، وإنما كما تحدث في الواقع للوصول بالكافاءة إلى أقصى ما يمكن.

ولهذا يعرف بحث العمليات كما سبق أن بينا ذلك بأنه الدراسة العلمية للعمليات والطرق المستخدمة في موقع العمل ومواصف حياتنا اليومية لزيادة الفاعلية عن طريق تحسين العمليات باكتشاف طرق الإصلاح من خلال نقد وتقدير علاقة الفرد بنوعية ومستوى كم العمل وأساليب الأداء والتنفيذ.

ويعتمد التطبيق النفسي الاجتماعي لبحث العمليات على بحث الفعل، ومن أهم خصائص بحث الفعل ما يلى:

– اشتراك الباحثين مع العاملين في الميدان، وبذلك يتكون فريق البحث من الذين يجيدون إعداد التصميم العلمي الصحيح للبحث وأدواته وعيشه وطرق تحليل نتائجه. ومن الذين يعيشون أحداث المشكلة ويمارسون أداء العمل.

– يجرى البحث مباشرة في الميدان.

– يهدف البحث إلى علاج المشكلة في ظروفها العملية القائمة، ولا يهدف إلى مجرد الكشف عن بعض الحقائق العلمية المتصلة بالمشكلة أو النابعة منها.

واشتراك العاملين في الميدان مع الباحثين في بحث يساعد على دقة صياغة المشكلة، و يجعلها نابعة من الواقع اليومي للميدان، ويزود الباحث بالمعلومات المباشرة الضرورية لبناء التصميم العلمي الصحيح للبحث، ويساعد أيضا على صحة تطبيق نتائج البحث وعميم انتشاره.

وقد يؤدي اشتراك العاملين في الميدان مع الباحثين إلى تخفيف حدة التوتر التي غالبا ما تنشأ بينهم وتعوق تقبل كل نوع منهمما لمنهج الآخر وأسلوب معالجته للمشكلات.

ومن أمثلة بحث الفعل في علم النفس الاجتماعي ما يقوم به الباحثون مع المواطنين الذين يعيشون أحداث بيئتهم وأبعاد مشكلاتهم من دراسة مشتركة وجهد تعاوني في تنمية المجتمع القائم مهما كان نوعه؛ حضرياً كان أم قروياً أم بدرياً، وخاصة معالجة المشكلات الناشئة عن المجتمعات المستحدثة والتهجير والتوطين، وما ينشأ عنها من مشكلات حادة تحتاج إلى علاج علمي عملي مباشر سريع في نفس الموقع.

سادساً.. الملخص

تبدأ موضوعات هذا الفصل بتحليل الصعوبات التي يواجهها الباحث في ميدان علم النفس الاجتماعي، ثم يلى ذلك توضيح معنى المنهج العلمي وبيان لأهم أنواعه، وللطرق العلمية التي تتسمى إلى تلك الأنواع، وتنتهي موضوعات الفصل بتصنيف الأبحاث إلى أنواع.

وتتلخص أهم صعوبات البحث في علم النفس الاجتماعي في كثرة عدد الظواهر مما يؤدى إلى نوع طرق البحث من الملاحظة الميدانية إلى التجربة العملية. وكثرة عدد التغيرات، وهذه الصعوبة تتطلب الاستعانة بأساليب تحليل المتغيرات المتعددة. وتشابك العلاقات، وتأثير الظواهر بعملية البحث، ولذا فمن الأفضل استخدام التصميمات التجريبية التي تعتمد على أكثر من جماعة ضابطة.

ويحدد هذا الفصل بعد ذلك معنى المنهج على أنه علم طرق البحث، وهذا يعني الدراسة المنظمة المنطقية لقواعد وطرق البحث العلمي، وصياغتها صياغة إجرائية تيسر استخدامها. وتصنف المناهج إلى قبلية وبعدية، وإلى خارجية أرسططالية وداخلية جالية. وفي القبلية تسبق الطريقة الظواهر وتخطط لحدودها لضبط قياسها والتحكم في متغيراتها، ومن طرقها الطريقة التجريبية. وفي البعدية تسبق الظاهرة الطريقة، فالطريقة تسجل وترصد ما هو قائم فعلا دون تدخل في متغيراتها، ومن طرقها طريقة الملاحظة. وفي الخارجية الأرسططالية تنسب الظاهرة لغيرها من الظواهر الأخرى وتعتمد على الاستقراء للتعميم وعلى الاستبatement لاختيار صحة التعميم على الجزئيات. ومن طرقها الطريقة التجريبية. وفي الداخلية تنسب الظاهرة إلى مكوناتها، ومن طرقها طريقة تحليل التفاعل الاجتماعي وдинامياته.

ويعتمد المنهج في تقييمه لطرق البحث على ثلاثة معاير: أولها التنبؤ، والطرق التي تقتصر فقط على التنبؤ تعد طرق المستوى الأول من مستويات طرق البحث، والثاني الفهم، أي معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في حدوث الظاهرة. وتعود الطرق التي تعتمد على التنبؤ والفهم من طرق المستوى الثاني. والثالث التحكم، أي توجيه العوامل المؤثرة في الظاهرة. وتعود الطرق التي ترقى إلى هذا المستوى الثالث أرقى طرق البحث.

وتؤدي دراسة مناهج البحث إلى المطرق الصالحة للظواهر النفسية الاجتماعية. وتعنى بالطريقة العلمية القواعد التي تتبع لترتيب الإجراءات للتوصيل إلى الإجابة على تساؤلات البحث للحصول على المعرفة الازمة للبناء النظري للعلم أو حل المشكلات القائمة. هذا ولا توجد طريقة علمية واحدة، بل هي طرق متعددة تختلف تبعاً

لاختلاف نوع البحث ومهارات الباحثين، ولكنها برغم هذا التعدد تشتراك في خطوات عامة هي تحديد مشكلة البحث أو موضوعه، وفرضه، واختبار تلك الفروض، وتسجيل النتائج وتفسيرها. وتعتمد عملية اختيار الطريقة المناسبة على أساسين. الأول: خصائص موضوع البحث وهذا يتطلب تحليل أبعاد الموضوع لمعرفة ما إذا كان يمكن بحثه بطريقة واحدة أم بطرق متعددة. والثاني: خصائص الموقع وخصائص الظواهر لمعرفة ما إذا كان مكان البحث المعلم أم الميدان.

وتکاد تكون طرق الملاحظة والطرق التجريبية أهم الطرق المستخدمة في علم النفس الاجتماعي، وتعنى الملاحظة المراقبة المقصودة لرصد ما يحدث وتسجيله كما هو. وهي تعتمد على طرق متعددة، وتحتختلف هذه الطرق تبعاً لاختلاف موضوع الملاحظة. وتشتمل عمليات الملاحظة على المعينات والأدوات والوسائل، وتحتطلب تدريب الباحثين.

وتحتخدم الملاحظة في الأبحاث الاستطلاعية والاستكشافية في البحث الميداني وتستخدم أيضاً في البحث المعملى التجاربي، ومن أهم مزاياها تسجيل السلوك كما يحدث في مواقفه الطبيعية، وكما يتغير خلال نموه في التنشئة الاجتماعية. كما تستخدم عندما لا تصلح الطرق الأخرى، وخاصة عندما يصعب التفاهم مع الأفراد والأطفال والحيوانات. ويحد من عمومية انتشار الملاحظة أن بعض الظواهر تحدث عندما لا يتوقع فيه الباحث حدوثها وأن وجود الباحث قد يشكل خطورة له ومثال ذلك ملاحظة الكوارث والنكبات أثناء وقوعها، وأن الظواهر التي تلاحظ قد تختلط بظواهر أخرى تتحول دون نقائصها، وأن أغلب البيانات التي تجمع عن طريق الملاحظة بيانات وصفية فلا ترقى إلى المعالجة الكمية. ويشترط لنجاح الملاحظة خصوصها لخطة واضحة الخطوات والإجراءات. وتبدأ هذه الخطة بإعداد قائمة الأمور التي ستلاحظ، وتعتمد في اختيار موضوعاتها على الإطار النظري للبحث وفرضه، ويشترط في الموضوعات أن ترتبط بمشكلة البحث ارتباطاً عالياً، وأن ترتبط بعضها البعض ارتباطاً ضعيفاً حتى تتدلى إلى أكبر عدد من أبعاد مشكلة البحث. وتطور الخطة في خطوطها الثانية إلى اختيار فئات التصنيف. وتحدد خطوطها الثالثة طريقة تسجيل الملاحظة بحيث تكون بسيطة وسريعة وعملية ويمكن ترجمتها إلى مقادير كمية.

وللتتسجيل طرفيتان: الأولى: اختيار عينة من الأحداث والثانية اختيار عينة زمنية. ومن أهم المشكلات التي تواجه الملاحظ طريقة ملاحظة السلوك الجماعي، ويمكن التغلب على هذه المشكلات بتسجيل ما تقوم به الجماعة من إنجازات، أو بتسجيل سلوك كل فرد ثم حساب المؤشرات الإحصائية للتجمعات الكمية مثل المتوسط والانحراف المعياري، ويحسب ثبات الملاحظ بمقارنة ملاحظاته بلاحظات الآخرين.

والطريقة الثانية: الشائعة في علم النفس الاجتماعي هي الطريقة التجريبية، وتعد بحق الطريقة الرئيسية في أبحاث كل العلوم وعلى رأسها العلوم الطبيعية لأنها تحقق كل أهداف البحث العلمي من تنبؤ إلى فهم إلى تحكم. وتختلف الطريقة التجريبية عن طريقة الملاحظة في أنها تنشئ الموقف الضروري للاحظة الظاهرة. وتحكم في متغيراته بينما الملاحظة تسجل الموقف كما هو ولا تحكم في متغيراته.

وأركان الطريقة التجريبية أربعة: التغيرات المستقلة وهي التي تخضع لتحكم الباحث فيغيرها. والمتغيرات التابعة وهي التي يقيس الباحث أثر تغير المتغير المستقل عليها. والجماعة التجريبية وفيها يغير المتغير المستقل. والجماعة الضابطة وفيها لا يغير المتغير المستقل. ويسمى تنظيم القياس بين أركان البحث الأربع تصميماً تجريبياً.

وتتصميم نماذج مختلفة، الشائع منها خمسة نماذج. الأول: القياس البعدى للجماعتين التجريبية والضابطة، وفيه يقارن متوسط استجابات الجماعة التجريبية بعد تعرضها للمتغير المستقل بمتوسط استجابات الجماعة الضابطة التي لم تتعرض للمتغير المستقل. والثانى: القياس القبلى البعدى للمجامعتين وفيه تقاس المتغيرات التابعة فى الجماعتين التجريبية والضابطة قبل وبعد التجربة. والثالث: القياس القبلى البعدى لجماعة واحدة وفيه يصبح الفرد نفسه وكأنه الجماعة الضابطة، وتقاس استجابة الفرد قبل التعرض للمتغير المستقل وبعد التعرض له، وتقارن نتائج القياسين، ويشترط قصر المدة الزمنية بين القياسين للتغلب على العوامل الخارجية. والرابع: القياس القبلى البعدى لجماعتين متباينتين، ويستخدم لعزل أثر القياس القبلى للمتغير التابع على المتغير المستقل. ويفقس المتغير التابع في إحدى الجماعتين قبل تعرضها للمتغير المستقل. ويفقس المتغير التابع في الجماعة الثانية بعد تعرضها للمتغير المستقل. ويدل الفرق بين القبلى في الأولى والبعدى في الثانية على أثر المتغير المستقل. والخامس: القياس القبلى البعدى للجماعات المتعددة. ويستخدم لفصل أثر المتغير المستقل عن أثر القياس القبلى، ولعزل أثر المتغيرات الخلفية. وتقاس الجماعات التجريبية والجماعة الضابطة الأولى قبلياً. ونفترض أن القياس القبلى للثانية والثالثة الضابطة يساوى متوسط القبلى للتجريبية والضابطة الأولى. وتعزز التجريبية والضابطة الثانية للمتغير المستقل. وتقاس كل الجماعات قياساً بعدياً. وتحسب الفروق وتقارن النتائج. ويمكن الاستعاضة عن هذا النموذج بإجراء التجربة مرتين بجماعة تجريبية واحدة وضابطة واحدة وقياس قبلى وبعدى.

وبالرغم من أهمية ودقة الطريقة التجريبية إلا أنها بدأت تفقد جزءاً كبيراً من أهميتها عند الباحثين المعاصرین، وذلك لأن سرعة التغير الاجتماعي في المعلم أسرع منه في حياتنا الطبيعية، وأن التغيرات في الحياة اليومية ليست بيساطة متغيرات المعلم، وأن دافع أفراد التجربة في المعلم غير دوافعهم في مواقف الحياة.

ويتنهى هذا الفصل بتنظيم مقترن لتصنيف أهم الأبحاث النفسية الاجتماعية.

ويعتمد هذا التنظيم على أساس ثلاثة، الأول: أساس المستوى. ويقتصر المستوى الأول على الأبحاث التي لا تكاد تتعذر الخطوات الأولى من خطوات عملية البحث، وتسمى أبحاثه الاستقصائية، وأهمها الكشفية والاستطلاعية، والمستوى الثاني يصل بأبحاثه إلى أغلب خطوات عملية البحث لكنه لا يمتد إلى نهايتها، وتسمى أبحاثه الوصفية، وأهمها المسحية، والتبعية، والارتباطية. والمستوى الثالث: وتحصل أبحاثه إلى نهاية الخطوات، وتسمى أبحاثه السبيبية، وأهمها التجريبية. والأساس الثاني: هو مدى التحكم في المتغيرات. والقسم الأول هو التحكم وتحصل أبحاثه العملية، وأهمها التجريبية، والقسم الثاني هو اللاتحكم، وتحصل أبحاث الموقف الطبيعية وأهمها الميدانية. والأساس الثالث: نوع الفائدة، والقسم الأول هو الفائدة العلمية وأهم أبحاثه الأساسية، والقسم الثاني هو الفائدة العملية. وأهم أبحاثه التطبيقية، وببحث الفعل.

سابعاً - المراجع العامة

المراجع العربية:

١ - فان دالين. د. ب: مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ترجمة: محمد نيل نوفل وسليمان الخضرى الشيخ وطلعت منصور غربال ومراجعة سيد أحمد عثمان، القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩.

٢ - نجيب إسكندر ولويس كامل مليكة ورشدى فام منصور: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي. القاهرة. مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١.

(3) Burroughs, G. E. R.: Design and Analysis in Educational Research. Birmingham. Univ. Birirmingham Press, 1971.

(4) Carlsmith, J. H. Elisworth, P. C., and Aronson, E.: Methods of Research in Social Psychology. Reading, Mass. Addison Wesley. 1976.

(5) Fraisse, P., and Piaget, J.: Traite de Psychologie Experimentale. IX Psychologie Social. Paris. Press Univ. de France. 1965.

- (6) Goode, W. J., and Hatt, P.K.: Methods in Social Research. N. Y.
McGraw - Hill 1952.
- (7) Jones, E. E., and Gerard, H. B.: Foundations of Social Psychology. N.
Y. John Wiley. 1967.
- (8) Kourganoff, V.: La Recerche Scientifique. Paris. Press Univ. de
France. 1961.
- (9) Lindzey, G., and Aronson, E. (Eds.) : The Handbook of Social Psy-
chology. Reading Massachusetts. Addison Wesly. Vol. 2. 1961.
- (10) Newcomb, T. M.: Social Psychology. London. Routledge and Ke-
gan. 1952.
- (11) Sellitz, C., and others: Research Methods in Social Relations. N. Y.
Holt, Rinehart and Winston. 1963.
- (12) Weiss, C. H.: Evaluatiion Research. New jersey. Prentice Hall.
1972.



الفصل الحادى عشر

مظاهر السلوك الاجتماعى الحيوانى

- أولا . العلاقة بين السلوك الاجتماعى الحيوانى والإنسانى.
- ثانيا . التنظيمات الاجتماعية الحيوانية.
- ثالثا . العلاقات الاجتماعية الحيوانية.
- رابعا . مظاهر السلوك الاجتماعى عند الحشرات والطيور والرئيسيات.
- خامسا . الملخص.

ما كان ليشر أن ينشئ الحياة الاجتماعية من العدم. فجذورها أعمق من بشريته، وأصلها لا يصدر عن الحياة الإنسانية وحدها، بل إنها لظهور واضحة عند بعض الأنواع الحيوانية حتى أصبحنا نطلق على بعض الحشرات اسم الحشرات الاجتماعية مثل النمل والنحل. وتسلك بعض الطيور مسالك اجتماعية واضحة في علاقاتها مع بعضها البعض ومع غيرها. وتقرب المظاهر الاجتماعية الحيوانية للرئيسيات أى الثدييات العليا من الخصائص النفسية الاجتماعية للإنسان، وخاصة أن الإنسان يتمي علمياً إلى تلك الرئيسيات، وإن اختلف عنها في بعض صفاته اختلافاً نوعياً لا كمياً، ومثال ذلك قدرته الفائقة على استخدام اللغة الرمزية، وبذلك أصبح بحق سيد الأحياء على هذه الأرض.

وسيبدأ هذا الفصل بدراسة علاقة السلوك الاجتماعي الحيواني بالسلوك الاجتماعي الإنساني، وكيف تنتقل مظاهره عبر الحيوان إلى الإنسان، ثم تتطور موضوعات هذا الفصل من ذلك إلى دراسة التنظيمات الاجتماعية الحيوانية، ثم تنتهي من ذلك كله إلى دراسة أهم خصائص السلوك الاجتماعي للحشرات والطيور والرئيسيات.

أولاً- العلاقة بين السلوك الاجتماعي الحيواني والإنساني

تهدف دراسة العلاقة بين السلوك الاجتماعي الحيواني والإنساني إلى الكشف عن الأصول الحيوانية لبعض أنماط السلوك الإنساني. وتنطلب مثل هذه الدراسة إعادة تعريف السلوك الاجتماعي حتى يصل إلى مستوى التعميم الذي يمتد بأفاقه إلى السلوك الحيواني والإنساني معاً.

بهذا تتأكد أهمية دراسة السلوك الحيواني في علم النفس الاجتماعي، كما تأكّدت في أغلب الفروع الأخرى لعلم النفس مثل علم النفس التجاري، وبيكلولوجية التعلم. ويقتضي البحث عن تلك الأصول الحيوانية الكشف عن خصائص السلوك الاجتماعي الحيواني من حيث مدى تشابهه، واختلافه عن بعضه البعض، وما يقترب به من السلوك الإنساني، وما يفترق به عنه.

(أ) معنى السلوك الاجتماعي الحيواني:

عندما نعالج موضوع السلوك الاجتماعي عند الحيوان فعلينا أن نعيد تعريف هذا السلوك حتى لا يصبح مقصوراً على الإنسان فقط. وبذلك يعني السلوك الاجتماعي

في هذا الإطار الجديد النشاط الذي يستثار بين أفراد النوع الواحد في تفاعلها الاجتماعي حيث يؤثر بعضها في البعض الآخر ويتأثر به.

وقد أصبح من المتعارف عليه الآن أن أي سلوك يسلكه الحيوان لا يخلو من مظاهر اجتماعية يتصل به ويرتبط باستثارته واستجابته ولا يخلو أيضاً من بعض الأسباب أو النتائج الاجتماعية.

ولذا فإن أغلب المشتغلين بعلم النفس الحيواني لا يميلون إلى تقسيم السلوك إلى اجتماعي ولا اجتماعي. وإنما يميلون إلى تحديد درجة الاجتماعية على مقياس متتابع التدرج يبدأ قريباً من الصفر ويقاد يصل في نهايته إلى مائة.

ويبدأ صفر مثل هذا المقياس بال人群中ات التي لا تعتمد على التفاعل الاجتماعي النفسي لأفراد النوع الواحد، ويقترب من مستوى الصفر كل تجمع ينشأ عن مثير خارجي ولا ينبع من تفاعل أفراد الجماعة نفسها، مثل هروب جماعات الحيوانات وهي تعدو في فرع من النيران التي تشتعل في الغابات، ومثل الخذاب جماعات الفراش نحو مصدر الإضاءة.

ويتردج المقياس بعد ذلك في مستوياته التصاعدية المتعاقبة حتى يصل قرب نهايته إلى التفاعل النفسي الاجتماعي الخصب الذي ينشأ بين الأفراد، وبين الأفراد والجماعة، وبين الجماعات، ليسفر بذلك عن مثيرات تحول في ديناميات التفاعل إلى استجابات، واستجابات تحول إلى مثيرات.

وهكذا يتطلب السلوك الاجتماعي مستوى أعلى من التنظيم الذي يتطلبه السلوك الفردي الاجتماعي. ولهذه الفكرة أهميتها التجريبية في دراسة وتحليل سلوك الحيوانات المختلفة وخاصة الدنيا منها. وذلك لأن السلوك الاجتماعي يعني العلاقات المتبادلة بين الأفراد، ولا يقتصر على السلوك الذي يصدر فقط عن فرد من الأفراد.

(ب) أهمية دراسة الحياة الاجتماعية عند الحيوانات:

سلم هنا إلمامة وحيدة بالحياة الاجتماعية عند الحيوانات لأهميتها القصوى في فهم وتحليل السلوك النفسي الاجتماعي للإنسان، ولا تكاد تقل أهميتها في هذا الميدان عن أهمية التجارب التي تجري على الفئران والحيوانات الأخرى لدراسة عملية التعلم عند الإنسان.

ولدراسة الحياة الاجتماعية عند الحيوانات أهميتها أيضاً في معرفة نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها، وفي أنها تزود الباحث بأبسط صور العلاقات الاجتماعية،

ليستعين بهذه البساطة في تحليل العلاقات المعقدة التي تبدو في حياة الإنسان ان اليومية. وهي أيضا تمهد له السبيل لدراسة أثر الوراثة والبيئة في السلوك الاجتماعي للإنسان. فإذا اشترك الإنسان والحيوان في مظاهر ما من مظاهر السلوك الاجتماعي فإننا نرجعه - عادة - إلى عامل بيولوجي عام، وإذا اختلف الإنسان والحيوان في مظاهر من مظاهر السلوك الاجتماعي وتتميز به الإنسان عن الحيوان، فإننا نرجعه إلى الثقافة والتراكم الاجتماعي البشري. هذا وفي وسع الباحث أن يجد في السلوك الاجتماعي للحيوانات ميدانا مهما لتجاربه. ذلك لأن نتائج التجارب أقرب لموضوعية العلم في الحيوان منها في الإنسان لدقة التحكم في المؤشرات المختلفة، ولسهولة عزل الظاهرة الخاصة بالبحث، ولعدم التجاوب الشخصي بين الباحث من ناحية، ومادة التجربة من ناحية أخرى.

(ج) مدى تشابه واختلاف السلوك الاجتماعي عند الحيوانات

لكل نوع من أنواع الحيوانات خصائص معينة تحدد خصائص سلوكه، وتعتمد هذه الخصائص على حركات الجسم أو بعض أعضائه، وعندما تتنظم هذه الحركات معا في صورة مركبة تصبح بعد ثباتها وتواترها في ظهورها نمطا من أنماط السلوك.

وتعتبر الخطوة الأساسية في دراسة السلوك الاجتماعي لأى نوع من الحيوانات هي إعداد قائمة بأنماط السلوك التي يعتمد عليها الحيوان في توافقه مع بيئته الاجتماعية.

وقد تتشابه بعض أنماط السلوك لأنواع الحيوانية المتقاربة. وعلى سبيل المثال يتقارب صوت نباح الكلاب والذئاب والثعالب في مواجهتها للمواقف الاجتماعية المشابهة أو المماثلة.

وقد تختلف أنماط السلوك الاجتماعي بين أفراد النوع الواحد كما تدل على ذلك التجارب التي أجريت على حيوانات المعمل، واللاحظات التي سجلت على الحيوانات الطليفة في بيئتها الطبيعية. وقد يرجع هذا الاختلاف إلى صفات وراثية تكوينية. وقد يرجع لأثر البيئة وعلاقة الحيوان بمتغيراتها المحيطة به.

وهناك من الدلائل العلمية ما يشير أيضا إلى اختلاف السلوك الاجتماعي اختلافا بينا بين أفراد النوع الإنساني، لكن البحث عن أساس هذا السلوك وهذا الاختلاف أمر عسير، لأن الفصل الواضح بين النواحي الوراثية وخبرات الطفولة المبكرة لم يستقر بعد بالنسبة للنوع الإنساني.

(د) التفرقة بين السلوك الاجتماعي الإنساني والحيواني

يختلف السلوك الاجتماعي الإنساني عن السلوك الاجتماعي الحيواني في أنه معقد تهيمن عليه ثقافة متميزة. ومعنى بالثقافة ذلك الكل المعقد في تكوينه الذي يشمل العقائد، والفن، والخلق، والقانون، والتقاليد، والمعتقدات، وكل ما يكتسبه الفرد في حياته الاجتماعية.

والنفرقة النفسية الاجتماعية بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان تنحصر في قدرة الإنسان على إدراك واستخدام الرموز في حياته اليومية. واللغة أهم الرموز الصوتية. وتنشأ هذه القدرة عند الإنسان من ملابسات الحياة الاجتماعية، ومن طول مرحلة الطفولة واعتمادها المباشر على البيئة الاجتماعية وتأثيرها بجري الأحداث الذي ينحو نحو عالم تهيمن عليه رموز عامة وحضارة متميزة. وبالتالي فإن هذه الرمزية تؤدي بالإنسان إلى شعوره بذاته، وإدراكه للنظام القائم وخضوعه له، وتأثيره الشعوري واللاشعوري بالمعايير الخلقية المختلفة.

وتشترك لغة الحيوانات مع لغة الإنسان في أنها أصوات تصدر عن الجسم يصاحبها نشاط عقلي خاص، وتتصف هذه الأصوات بأنها تثير في أفراد نفس النوع استجابات خاصة.

وتختلف لغة الحيوانات عن لغة الإنسان، في أن لغة الحيوانات أصوات منفردة تعبر عن حالة انفعالية خاصة، فهي تنبع من أصول غريزية فطرية فالكلب ينبع حتى ولو عزل بعد ولادته مباشرة عن أي كلب آخر، فهو في نباذه هذا غير مقلد وغير متأثر بالبيئة الاجتماعية الكلبية. وعلى العكس من ذلك نجد أن الطفل المصري إذا نقل بعد ولادته مباشرة ليعيش في بلد آخر مع قوم يتكلمون لغة غير العربية، كالإنجليز مثلاً، فإنه يتحدث الإنجليزية كأى طفل إنجليزي ولا يتحدث أو يفهم اللغة العربية.

ولنا بعد هذا التحليل أن نقرر أن القدرة اللغوية فطرية، وأن تعلم أي لغة أمر مكتسب يختلف باختلاف طبيعة كل لغة، وأن البيئة التي تساعد الفرد على اكتساب لغته هي البيئة الاجتماعية وليس البيئة الطبيعية. واللغة بهذا المعنى تناج فوق العضوي، أي أنها عضوية في أساسها، وفوق العضوية في مظاهرها الرمزي البشرى.

فعقربية النوع الإنساني تقوم على ثقافته. وهو وحده من بين جميع أنواع المملكة الحيوانية يتميز بتلك الثقافة. ويرى كثير من العلماء وخاصة علماء الأنثربولوجى أن الثقافة انبثقت فجأة يوم أن ظهر الإنسان على سطح هذه الأرض، أي أن وجودها رهن بوجوده.

وبظهور الثقافة ظهرت معها وسائل الاتصال الرمزية الصحيحة، وظهرت معها الاختراعات بأنواعها المختلفة، وظهرت معها الوسائل والطرق التي تؤدي إلى اكتساب الصفة الاجتماعية.

وظهرت مهارات جديدة اكتشفها أو اخترعها أفراد ممتازون في ذكائهم وفي قدراتهم وفي مواهبهم ثم نقلوها إلى باقي أفراد النوع الإنساني، وكانت وسائلهم في

ذلك هي اللغة والتقليد، ثم نقلها الأطفال عن آبائهم بنفس الوسائل والطرق التي نقلها الآباء من قادة الفكر والاختراع. وهكذا سرت من جيل إلى جيل عبر الزمن حتى أمست عرفا وأصبحت تقاليد مرعية.

فاللغة اللفظية هي جوهر الثقافة. اللغة التي تقوم على المدركات والتجريد هي التي ميزت النوع الإنساني عن بقية أنواع المملكة الحيوانية. فلا يشق على الكثير من أنواع الحيوانات أن يعبر عن جوعه، لكن الإنسان وحده هو القادر على أن يطلب لحما أو برقاً لغذائه، فاللألفاظ أردية تتدثر بها الخبرات والتجارب التي تم بالفرد وبالنوع الإنساني كله. والألفاظ تجريد وتعميم لجزئيات محسوسة مادية. فقولك «هذه البرتقالة» يعني برتقالة معينة تراها بعينيك وتلمسها بيديك. وقولك «برتقال» يعني أي برتقال في العالم. فهو تجريد وتعميم يشتمل على كل برتقالة وجدت وستجد، ويجمع هذا اللفظ الكلى جميع الصفات المشتركة العامة في كل أنواع البرتقال، ولا ينطوي على الصفات الخاصة التي تميز كل برتقالة عن أي برتقالة أخرى.

وقد أعلن جولييان هكسلي^(١) سنة ١٩٤١ أنه ما كان لكائن حتى غير الإنسان أن يخترع لغة رمزية مجردة، وذلك لأن الإنسان بتكوينه البيولوجي، وبسموه وتعقيد جهازه العصبي، ومرورته الفائقة وتأقلمه مع البيانات المختلفة، يقف فوق ذروة سلم التطور.

ثانياً - التنظيمات الاجتماعية الحيوانية

التنظيمات الاجتماعية ظاهرة تنشأ من تجمعات الأفراد، وما تسفر عنه هذه التجمعات من علاقات وتفاعل وдинامية. ولا ترقى مثل هذه التجمعات إلى مستوى التنظيم إذا ظلت مقصورة على مجرد الوجود المكانى في حيز مشترك، بل تمتد إلى وظائف محددة ومتعلقة.

وسنبين فيما يلى خصائص التجمعات الحيوانية، وما تمثله الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية من أنماط سلوكية على الحيوانات، ونشأة نظام الأسرة، وعلاقة بعض تلك التجمعات بالأرض، ومدى دفاع الأفراد عن موطن الإقامة.

(أ) التجمعات الحيوانية:

يؤدى السلوك الاجتماعي لبعض أنواع الحيوانات إلى تجمع الأفراد معاً في جماعات لها تنظيم واضح، ويسفر مثل هذا التنظيم عن المظاهر المختلفة للعلاقات

(1) Huxley, J. *Man Stands Alone*. London: Harper and Brothers. 1941.

الاجتماعية مثل السيطرة والخنوع، والقيادة والتبعية، كما هو الحال بالنسبة لجماعات الذئاب حيث تعيش معاً في جماعات لها خصائص محددة، وبالرغم من أن الذئب يستطيع أن يفترس ذئباً آخر إلا أنه يتعاون مع ذئاب جماعته في قتل الفريسة ولا يعتدى عادة على ذئب آخر، أى على حيوان من نفس نوعه.

وبذلك لا تعتمد وحدة التجمعات الحيوانية على مجرد وجود الأفراد في حيز مكاني مشترك لكنها تعتمد على العلاقات التي تقوم بين كل فردین أو أكثر من أفراد الجماعة.

وتتنوع التجمعات الحيوانية تنوعاً شديداً، وهي تخضع في ذلك التنوع والاختلاف إلى اتساع مدى أنماط السلوك الحيواني. فقد يكون التجمع للتعاون على اصطياد فريسة ما، وقد يكون للبحث عن المأوى المناسب والدفاع عنه.

وبذلك يؤدى كل تنظيم من تنظيمات أنماط السلوك الاجتماعي الحيواني إلى نوع مختلف من أنواع التجمعات الحيوانية، وخاصة أن بعض هذه الأنماط تظهر عند بعض أنواع الحيوانات ولا تظهر عند الأنواع الأخرى.

وقد يكون التجمع موقتاً أو مستمراً. فعندما تجتمع الحيوانات لارتياد بقعة من الأرض واكتشاف ما بها، أو للبحث عن المأوى المناسب أو لإشباع الغريزة الجنسية في مواسم معينة، فإن مثل هذا النوع من السلوك يؤدى إلى تجمعات موقتة. وعندما تجتمع الحيوانات للعناية بالصغار وخاصة عندما يقوم حيوان بإطعام حيوان آخر، فإن ذلك يؤدى إلى تجمع مستمر يشبه التجمعات العائلية، ويشيع هذا النمط من التجمع عند الثدييات العليا وعنده الطيور، وعند الحشرات الاجتماعية مثل النمل والنحل.

ويختلف حجم الجماعة الحيوانية تبعاً لاختلاف النوع الذي يستترى إليه الحيوان. وعلى سبيل المثال فجماعة الشعال لا تزيد عن الذكر والأثني وما ينجذب، ولا تستطيع الشعال أن تعيش في جماعات كبيرة تقوم على التوافق المتبادل بين الأفراد لتبقى الجماعة بحجمها الكبير.

(ب) الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية:

الجماعة التي يتمتع بها الفرد تسمى الجماعة الداخلية، والجماعة التي لا يتمتع بها هي جماعة خارجية بالنسبة له. وبين الجماعتين فوارق وحدود قائمة. غالباً ما ينشأ التعصب من التباين القائم بين الجماعتين.

وينطبق هذا التقسيم على أغلب أنواع المملكة الحيوانية. فالنمل يتعرف على أفراد جماعته من رائحتها ويهاجم كل غملة لا تنتهي إلى جماعته. والطيور تهاجم كل طائر لا

يتمنى إلى زمرتها، والشمبانزى لا ترتاح إلى أى شمبانزى غريب يقترب منها، وقد تألف صحبته بعد حين لكنها لا تملك إلا أن تنفر منه بادئ ذي بدء. ويشتند نباح كلاب الحى عندما تبصر كلبا غريبا عنها.

ولا تقوم هذه التفرقة النوعية على أساس الطبيعة البيولوجية التى تقارب بين أفراد النوع الواحد، وتبعاً دينه وبين أفراد الأنواع الأخرى، فكثيراً ما شوهدت البقرة الوحشية مع الفيل بين أحضان الغابات، وكثيراً ما شوهد الحمار الوحشى يرعى مع الغزال والنعام. وكلب الحراسة يهش لأصحابه حينما يلقاهم وينبع فى وجه كل إنسان غريب يطاً بقدميه عتبة الدار.

ولو كانت التفرقة النوعية هي أساس المحدود القائمة بين كل جماعة داخلية وكل جماعة خارجية لما هاجم الطير كل طير لا يتمنى إلى جماعته، ولما هاجمت كلاب الحى كل كلب شارد ضال تقوده أقدامه نحوها.

لكن التفرقة بين الجماعتين تقوم في جوهرها على أساس العلاقات الاجتماعية التي تربط كائناً بأخر وتواخى بينهما.

(ج) نظام الأسرة:

يهم علم النفس الاجتماعي بدراسة نظام الأسرة وخصائصها عند الرئيسيات وأى الشدييات العليا، ليكشف بذلك عن المظاهر الأولى التي صاحبت نشأة الأسرة في صورتها البشرية ونوعية العوامل التي أدت إلى تطورها.

ولم يصل العلم بعد في اكتشافاته إلى ما يقرب من الأسرة البشرية إلا عند قردة الجيبون Gibbons حيث لا يكاد يزيد عدد أفراد جماعتها عن ذكر وأنثى وما ينجذب من أطفال⁽¹⁾). ويرجع صغر حجم هذه الأسرة إلى كثرة ما ينشأ من شجار وعدوان بين أفراد كل جنس، أى بين الذكور والذكور، وبين الإناث والإناث.

وت تكون وحدة النظام الاجتماعي عند أغلب الرئيسيات الأخرى من جماعة الذكور، وأخرى من الإناث والصغار. وفي مثل هذه الجماعة يولد الفرد، ويعيش، ويعيش، ويموت. ولا يرتبط الذكور بأى من الصغار ارتباطاً لأطفاله، لاستحالة تحديد الأب بيولوجيا في أغلب تلك الحالات. وعندما يمكن تحديد إقامة بعض هذه الرئيسيات فإنه يمكن معرفة العلاقة بين الآباء والأمهات والأطفال كما تدل على ذلك أبحاث

(1) Carpenter, C. R. Naturalistic Behavior of Nonhuman Primates. Pennsylvania: Univ. Park Pennsylvania. 1944. ?Vol. 4, p. 630.

сад(١) Sade التي نشرها سنة ١٩٦٥ عند ملاحظاته على قردة الريصص Rhesus في المقاطعة التي تعيش فيها في سانتياغو، وقد لاحظ الباحث أن العلاقات التي تقوم بين الأمهات والأطفال علاقات مستمرة، وكذلك العلاقات التي تقوم بين الأطفال التي تولد من أم واحدة، ولم يلاحظ مثل تلك العلاقات بين الآباء والأطفال.

(د) موطن الإقامة:

تحافظ قردة الكاليسبيس Callicebus التي تعيش في أمريكا الجنوبية على موطن إقامتها، وتدافع عنه ضد أي مغيرة. غالباً ما تجتمع قردة كل موقع بصفة دورية على حدود موطنها لتشاجر مع قردة الواقع المجاورة لها.

وتحدد قردة كينيا بأفريقيا لنفسها موطنها صغيراً للإقامة، وتدافع عنه ضد أي دخيل.

وكثيراً ما تتدخل مواطن الإقامة عند أغلب الرئيسيات، أي الثدييات العليا، دون أن يشير هذا التدخل إلى سلوك عدواني. فهي بذلك لا تحفظ لنفسها موطن ثابت للإقامة، ومثال ذلك الشمبانزي والغوريلا التي تصنع لنفسها كل ليلة مأوى نام فيه وتنتقل بذلك من موقع لأخر.

ثالثاً - العلاقات الاجتماعية الحيوانية

يميل أغلب العلماء إلى قصر موضوع علم النفس الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية، وما ينشأ عنها من تفاعل ودينامية ومظاهر نفسية اجتماعية مختلفة.

وسبعين فيما يلي خصائص تلك العلاقات الاجتماعية في مجالها الحيواني والعوامل التي تحدد نشأتها وجودها، ودورها في التنشئة الاجتماعية. وما ينشأ بين الطفل وأمه من علاقات تحدد مسار حياته المقبلة، ومدى اعتماد وسائل التفاهم غير اللفظي على تلك العلاقات، وأثرها في عملية التقليد، ودورها في الغضب والعدوان الذي تنسم به بعض أنواع السلوك الحيواني في موقف الخوف والإحباط، وما ينشأ عنها من سيطرة وختنوع.

(أ) العلاقات الاجتماعية بين الحيوانات:

يمكن أن تعرف العلاقة الاجتماعية على أنها سلوك متواتر متوقع يحدث بين فردان يؤثر أحدهما في الآخر ويتأثر به.

(1) Sade, D. S. Some aspects of parent off spring and sibling relations in a group of rhesus monkeys. Amer. J. Phys. Anthropol. 1965, 23, 1 18.

وبالرغم من أن هذا المفهوم معروف وشائع منذ زمن بعيد بين المستغلين بالحياة الاجتماعية الإنسانية إلا أن أهميته بين أفراد المملكة الحيوانية لم تظهر إلا سنة ١٩٢٢ في البحث الذي نشره شيزلدريرب إب^(١). Schjelderup - Ebb عن خصائص جماعات الدجاج، وخاصة ما يحدث بين دجاجتين في التقاطهما للطعام، وعندما يختصمان على الطعام فإن إحدى الدجاجتين تنقر الأخرى في رأسها أو تتتجنبها. وهكذا يمكن تحليل هذه العلاقة الاجتماعية على أساس السيطرة والخنوع.

وتوصف العلاقة التي تنشأ بين الأنواع الحيوانية المختلفة بأنها اجتماعية، وأبسط وأقرب صور هذه العلاقات ما نشاهده من ارتباطات بين الحيوانات الأليفه والإنسان كعلاقة الكلب بصاحبه عندما يقابلها بالفرح والترحاب، ويعبر عن فرحة بقفزاته المتعاقبة وحركات ذيله السريعة وعدوه ذهاباً وجية، وقد يقال أيضاً، مع شئ من التجاوز، أن علاقة المفترس بفريسته علاقة اجتماعية شأنها في ذلك شأن علاقة العائل بالذى يتغفل عليه.

وأيا كان الرأي في جوهر هذه العلاقات فهي تدل على اتصال قائم بين فردین يؤثر أحدهما في الآخر ويتأثر به: ولذا تعد علاقات اجتماعية.

ولقد عكف كاربتر^(٢). Carpenter على دراسة خصائص وعدد العلاقات الاجتماعية بين القردة وبعض الثدييات العليا الأخرى. ووصف العلاقات القائمة بين الذكور والإثاث، وبين الصغار. وبذلك اهتم بناحيتين رئيسيتين: الجنس والعمر. وببحث جميع الاحتمالات الممكنة للعلاقات الثنائية. وانتهى إلى طريقة لحسابها. والمعادلة التالية تبين هذا العدد حيث يدل الرمز (ن) على عدد أفراد الجماعة.

$$\text{عدد العلاقات} = \frac{n(n - 1)}{2}$$

$$\text{فإذا كان عدد أفراد الجماعة (7) فإن عدد العلاقات} = \frac{7(7 - 1)}{2}$$

$$= 21 \text{ علاقة}$$

وكما عكف كاربتر على تحديد عدد العلاقات عكف أيضاً على بحث أهم أنواع العلاقات الاجتماعية الممكنة بين الحيوانات، وانتهى إلى أنها تلخص فيما يلى:

(1) Scott, J. P. The Social Psychology of Infrahuman Animals. In G. Lindez et al (eds.) The Handbook of Social Psychology. Readir.g Massachusetts, Addison ` Wesley. 1969, Vol. 4, p. 616.

(2) Carpenter, C. R. Naturalistic Behavior of Nonhuman Primates. Pennsylvania: Univ. Park. Pennsylvania. 1944, Vol. 4, p. 616.

- ١ – العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى .
 - ٢ – علاقات السيطرة والخنوع .
 - ٣ – علاقات الرعاية والتعلق مثل علاقات الوالدين بصغرهما .
 - ٤ – علاقات الرعاية المتبادلة مثل تبادل الإطعام بين أفراد مستعمرات النمل .
- وجميع هذه الأنواع تؤدي إلى التماส الجماعي بين أفراد الجماعة الحيوانية الواحدة .

- (ب) **أهم العوامل التي تؤثر في العلاقات الاجتماعية الحيوانية**، يمكن أن نلخص أهم العوامل التي تؤثر في تحديد نوع العلاقات الاجتماعية الحيوانية فيما يلى :
- ١- **البيئة الطبيعية** . فللمناخ مثلاً أثره في هجرة الطيور وغيرها من الحيوانات .
 - ٢- **التكوين البيولوجي** . فاختلاف التكوين البيولوجي لأفراد مملكة النحل يحدد وظائف أفرادها من العاملة إلى الملكة .
 - ٣- **العوامل الفسيولوجية** . فهي تحدد علاقة الذكر بالأنثى ، وتشكل روابط اجتماعية معينة .
 - ٤- **العوامل النفسية** . وخاصة العوامل الانفعالية ، ففرز الشاة يسرى في القطيع كله .

(ج) **التنشئة الاجتماعية الأولية**، تعنى بالتنشئة الاجتماعية في معناها العام – الحيواني والإنساني – العملية والعمليات التي يمر بها الكائن الحي ليصبح بذلك فرداً في جماعة، يتأثر بها ويؤثر فيها . وتعتمد في بيتها على ما يمكن أن يسمى التنشئة الاجتماعية الأولية ، وهي التنشئة التي تقوم في جوهرها على مدى تعلق الوليد بأمه تعلقاً يقترب في كثير من نواحيه من تعلق المتطفل بالذى يعوله .

ويلخص سكوت⁽¹⁾ Scott في بحثه الذي نشره سنة ١٩٦٧ المظہرين الرئیسین للتنشئة الاجتماعية الأولية فيما يلى :

(1) Scott, J.P. The Development of Social Motivation. In D. Levine (Ed.). Nebraska Symposium on Motivation: Lincoln: Univ. of Nebraske Press. 19667.

١ - خوف الطفل وبكاؤه عندما تغيب عنه أمه أو أهله وأقرانه، واستجابته في هذه الحالة توصف بأنها معتدلة نسبياً، وتضعف حدتها أو تزول تبعاً لزيادة العمر.

٢ - خوف الطفل وبكاؤه عندما ينقل إلى بيئه غير مألوفة بحيث لا يستطيع أن يتعرف فيها على ما يخفف عنه شعوره بالاغتراب، واستجابته في هذه الحالة توصف بأنها حادة شديدة، وتزداد حدتها تبعاً لزيادة العمر.

ولعل خير مثال يؤكد نتائج أبحاث سكوت عن التنشئة الاجتماعية الأولية ما توصل إليه الباحثون بعد دراسة سلوك الكلاب الصغيرة بعد عزلها مؤقتاً في بيئه غريبة غير مألوفة لها، وعندئذ بدأت الكلاب في نباح مستمر حتى وصل متوسط أصوات نباحها إلى ١٤ صوتاً في الدقيقة، وعندما أعيدت إلى بيئتها المألوفة كفت مباشرة عن النباح. وتقل نسبة أصوات النباح إذا ما عزلت الكلاب عن أهلهما وأقرانها في مسكنها المألوف ولم تنقل إلى بيئه أخرى غريبة.

ولقد تواترت نتائج الأبحاث العلمية المتعددة على تأكيد عمومية التنشئة الاجتماعية الأولية عند عدد كبير من الأنواع المختلفة للطيور والثدييات. ويکاد ينحصر نشاطها السريع في فترة زمنية محدودة وقصيرة. وغالباً ما تبدأ هذه التنشئة عند الحيوانات مباشرة بعد الولادة أو الفقس، وتتأخر في بدئها عند الأنواع البطيئة النمو.

وتحدث عملية مماثلة في مظاهرها السابقين عند الطفل البشري فيما بين الأسبوع السادس والشهر السادس^(١).

ومظاهر التنشئة الاجتماعية الأولية تبدأ عند الكتاكيت وأفراخ البط خلال الـ ٢٤ ساعة الأولى من بدء حياتها، ثم تزداد استجابات الخوف بسرعة بعد ذلك خلال الأيام الأربع الأولى بعد الفقس، فيتعلق الكتكوت أو فرخ البط بأى حيوان أو حتى بأى شيء لا حياة فيه بما في ذلك أفراد نوعه أو أفراد الأنواع الأخرى من الحيوانات، أو حتى بالنمذاج أو البديل الصناعية لأفراد نوعه بشرط أن تكون كل هذه الحيوانات أو النماذج مألوفة له من قبل، كما تدل على ذلك نتائج أبحاث مولتز^(٢). Moltz سنة ١٩٦٠ والتي تتلخص في أن الكتكوت يخاف إذا ترك وحده كما يبدو ذلك في طريقة صياغه، ثم يختفي هذا الخوف عندما يقترب الكتكوت من شيء مألوف لديه.

(1) Gray, P. H. Theory and Evidence of Imprinting in Human Infants. J. Psychol. 1958, 46, 155 - 166.

(2) Moltz, H. Imprinting: Empirical Basis and Theoretical Significance Psych. Bull. 1960, 57, 291 - 314.

وقد درست عملية التنشئة الاجتماعية عند الثدييات دراسة مستفيضة على الكلاب الأليفة.

وتبدأ هذه العملية بعد الولادة بثلاثة أسابيع، وخلال الأسابيع التالية حتى يصل عمر الكلب إلى 12 أسبوعاً يتعلّق فيها الكلب الصغير بالكلاب الأخرى الصغيرة، وبالناس، والأشياء المنشرة في البيئة الطبيعية المحيطة به. وتصل هذه العملية إلى قمتها في المدى العمري الذي يمتد من الأسبوع السادس إلى الأسبوع الثامن، ثم تصل هذه العملية إلى نهايتها عندما يبدأ الكلب يخاف خوفاً شديداً من الحيوانات الغريبة^(١).

وتدل نتائج الأبحاث التي أجريت على الكلاب وعلى الطيور على أن هذه العملية لا تعتمد على الطعام كثواب، ولا تتأثر كثيراً بالعقاب. وبذلك تصبح عملية التنشئة الاجتماعية الأولية، في الأغلب والأعم، عملية داخلية.

وأوضح هارلو^(٢) سنة ١٩٥٨ أن صغار القردة التي تربى بمفرز عن أمها تتعلق بالنمذاج غير الحية لبدائل الأمهات، وعندما تكون لها الخيرة فإنها تتعلق بالبديل الذي يشعرها بالدفء والراحة أكثر مما تتعلق بالبديل الذي تحصل منه على طعامها.

وبذلك يرفض هارلو الفرض الذي يعتبر التنشئة الاجتماعية عملية مكتسبة تعتمد على بعض الحاجات الأساسية مثل الطعام.

وبذلك تصبح عملية التنشئة الاجتماعية الأولية، عند كثير من العلماء، عملية داخلية إلى حد كبير، ولا تتأثر إلا قليلاً أو كثيراً بالثيرات الخارجية وبالتدعيم. ولذا فهي تختلف من هذه الناحية عن السلوك الذي يخضع للتدعيم الخارجي، وهذا ما يميزها عن العمليات الأخرى.

ولا تعتمد المرحلة الأولى لهذه العملية على نمو استجابات الخوف في مواجهة الأغراب كما يدل على ذلك سلوك الكلاب الصغيرة التي لا يسفر سلوكها إلا عن استجابة خوف عابرة قصيرة تجاه الأغراب، بينما تفعل بشدة لغياب الأقارب والأقران. ثم تتطور العملية حتى يصبح الخوف من الأغراب والبيئة غير المألوفة حائلاً قوياً بين الصغير وبين التعود على كل ما هو جديد غير مألوف.

(1) Scott, J. P., and J. L. Fuller. *Genetics and the Social Behavior of the Dog*. Chicago, Univ. of Chicago Press. 1965.

(2) Harlow, H. *The Nature of Love*. Amer. Psychologists. 1958, 10, 673 - 685.

ربما أن هذا لا يعني أن هذه الخاصية قد انتهت تماماً، فإننا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن عملية التنشئة الاجتماعية الأولية لها من خصائصها ما يؤدي إلى استمرارها في الحاج ومثابرة غريبة، وهذا ما يمكنها من تكوين روابط أخرى على امتداد حياة الفرد إذا وجدت الظروف المناسبة لذلك.

(د) وسائل التفاهم غير اللفظي:

توارت نتائج الأبحاث المتعددة على تأكيد التشابه الكبير القائم بين وسائل التفاهم غير اللفظي عند الإنسان والرئيسيات الأخرى وخاصة تعبيرات الوجه، ونوع وطريقة الوقفة، ونبرة الصوت واتجاه التحديق^(١).

وهذا التشابه يلقى كثيراً من الضوء على نشأة تلك الوسائل ومدى تطورها.

وتدل نتائج الدراسات المقارنة للثقافات المختلفة على تشابه بعض وسائل التفاهم غير اللفظي من مجتمع لآخر، وذلك بالرغم من اختلاف ثقافات مثل تلك المجتمعات. ويقوم التفاهم الاجتماعي بين الثدييات العليا على إشارات مختلفة بعضها بصرى، وبعضها سمعى، وبعضها سمعى بصرى، ومثال ذلك صياح الغوريلا وهي تضرب صدرها بيديها.

ولعل أقرب وسائل الاتصال اللغوى إلى لغة الإنسان تلك التي تصدر عن قردة أمريكا الجنوبية، حيث تتألف لغتها من طائفة كبيرة من التجمعات الصوتية المتعددة المرنة القابلة للتعديل تحت تأثير الخبرات الجديدة التي تمارسها تلك القردة.

ومهما يكن من أمر هذه الوسائل اللغوية غير اللفظية التي تستخدمها الثدييات العليا فإنها لا ترقى في أي صورة من صورها إلى لغة الإنسان اللفظية ووحداتها الرمزية.

(هـ) التقليد عند الحيوانات والإنسان:

التقليد ظاهرة اجتماعية يشتراك فيها الإنسان وبعض أنواع الحيوان. وهو في جوهره استجابة فرد لمثير يصدر عن فرد آخر. وبين الاستجابة والمثير تشابه قد يقارب بينهما إلى درجة التمايز.

وقد يقلد الحيوان الإنسان، أو يقلد الحيوان حيواناً آخر. والحيوان يقلد الإنسان في التصفيق والتقبيل والرقص والإشارات واللعب واستخدام بعض الآلات البسيطة، ولا

(1) Argyle, M. Bodily Communication. London, Methuen, 1976, p. 4.

يعنى هذا أن تلك الأمور مقصورة على الإنسان وحده، إذ قد يقوم بها الحيوان من تلقاء نفسه. هذا، وتدل نتائج الابحاث المختلفة على أن الحيوانات تميل إلى التقليد. فالدجاجة التي تأكل طعامها حتى تشبع ثم تكتف عن الطعام، تعود لطعامها ثانية رغم شبعها حينما ترى دجاجة جائعة تأكل أمامها. والشمبانزى الذى يرفض أن يأكل قطعة من السيليلوز يعود فيأكلها حينما يرى إنسانا يمضغها أمامه.

ويتردج التقليد عند الكائن الحى من مجرد إثارة الانتباه إلى أن يصل إلى مستوى التقليد الصحيح، أى أنه يمر بالمراحل التالية:

- ١- الاستثناء-إثارة انتباه المقلد للنشاط الذى سيقلده.
 - ٢- الفايـة-تهيـء المقلـد لإدراك وفهم الهدف الذى يـشقـعـ معـناـهـ منـ طـبـيـعـةـ المـشـيرـ وـمـنـ طـبـيـعـةـ المـوـقـفـ الذـىـ يـشـتمـلـ عـلـيـهـ.
 - ٣- الوسـيـلةـ-مـلاـحةـ المـقـلـدـ وـفـهـمـهـ لـالـأـسـالـيـبـ وـالـوـسـائـلـ التـىـ يـقـومـ بـهـاـ الـفـرـدـ الـآـخـرـ أـمـامـهـ.
 - ٤- المـارـسـةـ-مـارـسـةـ العـمـلـ بـالـوـسـائـلـ التـىـ تـحـقـقـ الـهـدـفـ مـعـ مـتـابـعـةـ تـصـحـيـحـ المـارـسـةـ حـتـىـ يـطـابـقـ سـلـوكـ المـقـلـدـ مـاـ يـقـومـ بـهـ الـفـرـدـ الـآـخـرـ.
- والإنسان أشد وأدق مقلداً بين جميع أفراد المملكة الحيوانية، ويليه في تلك المرتبة الشمبانزى ثم القردة.

وتدل دراسات فالنتين^(١). Valentine التي نشرها سنة ١٩٢٠ على أن التقليد يظهر عند الأطفال في سن مبكرة. وهو يؤيد رأيه هذا بتجاربه التي أجرتها على عدد كبير من الأطفال تمت أعمارهم من بضعة أسابيع إلى ٢١ شهراً. وتتلخص تلك التجارب في إجراء ٣٦ حركة مختلفة أمام الأطفال. وتنقسم هذه الحركات إلى نوعين:

- ١ - نوع يعتمد على مجرد تحريك عضلات الوجه، واليدين، والرأس.
- ٢ - نوع يعتمد في جوهره على استخدام بعض الأجهزة البسيطة مثل دق الطبل.

ولقد أسفرت نتائج تلك التجارب عن الحقائق التالية:

- ١ - تقليد الابتسم والضحك وإخراج اللسان، ويقوم به الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ستة أشهر.

(1) Valentine, C. W. The Psychology of Imitation. B. J. Psych. 1930, 21, 105 - 132.

٢ - تقليد حركات الرأس وإشارات اليدين، ويقوم به الأطفال الذين تمت
أعمارهم من ستة أشهر إلى سنة.

٣ - تقليد الحركات التي تعتمد على الأجهزة البسيطة، ويقوم به الأطفال الذين
تزيد أعمارهم عن سنة.

فالتقليد إذن سلوك يقوم به الإنسان والحيوان ويعتمد في تطوره عند الإنسان على
مراحل النمو التي يمر بها الطفل وعلى حظه من النضج.

(و) السلوك العدواني عند الحيوانات

مفهوم العدوان عند الحيوانات مفهوم معقد يحتاج لمزيد من الدقة والتحديد،
و خاصة في أغلب الابحاث التي نشرت في هذا الميدان.

ويدل مفهوم العدوان عند أغلب الباحثين على طائفة متعددة مختلفة من السلوك
يجمعها قدر مشترك هو الغضب والإيذاء أو الرغبة في الإيذاء^(١) وكثيراً ما يصف
الباحثون سلوك المفترس مع فريسته في مطاردتها ثم قتلها لأكلها-سلوك عدوانياً، وما
ينشأ من قتال بين أفراد قطيع من الحيوانات وقطعاع آخر، أو بين أفراد القطيع الواحد،
وما ينشأ عن المنافسة بين أفراد النوع الواحد مثل نباح كلب على كلب آخر واعتدائهما
عليه، أو بين أفراد الأنواع المختلفة مثل مطاردة كلب لقطة أو قطة لفأر، وما يحدث
عندما يدافع الحيوان عن مكان إقامته ضد أي مغيرة، وما يحدث أيضاً عندما تدافع الأنثى
عن أطفالها فتعتدى على كل مغيرة أو عابر سبيل.

وتختلف أيضاً نتائج دراسة السلوك العدواني على الحيوانات الطليقة، في غاباتها
وبيئتها الطبيعية عن تلك التي تجري على الحيوانات الأسيرة في حدائق الحيوانات أو
أقفاص المعامل.

ويعرف لامبو^(١). Lambo. سنة ١٩٧١ العدوان بأنه هجوم على فرد أو شيء، أو
على الذات نفسها، وقد يكون عنيناً مخبرياً، ويؤدي إلى إيلام الآخرين.

والعدوان في نظر فرويد وبعض الباحثين الآخرين مثل دولارد^(٢). Dollard. سنة ١٩٣٩ ، ينشأ من الإحباط والإخفاق في إشباع الحاجات الغريزية، ولقد دلت نتائج
أبحاث زاندر^(٣). Zander. سنة ١٩٤٤ على زيادة تكرار حدوث العدوان نتيجة لزيادة
تكرار حدوث الإحباط.

(1) Lambo, T. A. Aggressiveness in the human life cycle within different socio - cultural settings. Inter. Soc. Scie. 1971, XXIII, 1, 79 - 88.

(2) Dollard, J. Et al. Frustration and Aggression. New Haven, Conn.: Yale Univ. Press. 1939.

(3) Zander, A. R. A study of experimental frustration. Psychol. Monog. 1944, 56, 256 - 507.

ويعرف الإحباط بأنه موقف يمنع أو يعوق مسار السلوك نحو تحقيق هدفه سواء أكان الهدف حقيقياً أم خيالياً، تفصيلاً أم عاماً، مادياً أم رمزاً.

وبالرغم من كثرة التجارب التي تؤيد فكرة العدوان الناشئ عن الإحباط إلا أن الإحباط لا يؤدى فقط إلى العدوان بل قد يؤدى إلى مسالك أخرى مثل التراجع.

وينشأ العدوان عند أغلب الحيوانات نتيجة لمؤشرات حسية معروفة، يتلخص أهمها في النواحي البصرية، والسمعية، واللمسية والشممية.

ففرد المكاف وغوريلا الجبال تسلك سلوكاً عدوانياً إذا ما أمعن النظر فيها أي إنسان.

وعندما يسمع الغراب تغريد طائر فإنه سرعان ما يصبح في فزع فيجتمع حوله أفراد لهاجمة ذلك الطائر الغريب وإيذائه والاعتداء عليه.

وإذا أحس الفأر بأحد يمسك ذيله أو يقرصه فإنه يستدير نحوه في وحشية ليهاجمه وبعضه.

وتدل نتائج أغلب الأبحاث على أن حاسة الشم من أقوى مثيرات السلوك العدوانى عند القوارض وخاصة الفيران⁽¹⁾. فعندما وضع فأران معاً في قفص واحد نشأت بينهما معارك متعددة، وأصبح سلوكهما عدوانياً، ثم خفت حدتها مع مرور الزمن، ونقصت مرات حدوثه بطريقة ملحوظة. وعندما استبدل فأر جديداً بأحد هذين الفارين نشأت المعارك من جديد واشتد القتال بينهما. فإذا بال فأر المستبعد على فأر الجديد وأكسيه بذلك رائحته فإن فأر المستبع في القفص يتقبل الجديد دون أن يناسبه العداء الشديد. وبالعكس إذا بال فأر غريب على أحد فأري القفص فإن المثار تبدأ بينهما من جديد في حرارة وقوه بعد أن كانت قد خفت حدتها واعتلت.

(ز) السيطرة والزعامة:

السيطرة ظاهرة اجتماعية تبدو واضحة عند أنواع كثيرة من الحيوانات. وتعنى بها تأثر فرد أو جماعة بفرد آخر والانقياد له، وتمهيد الفرصة لزعامته. وبذلك تصبح الزعامة عند الحيوانات مقصورة على السيطرة والخنوع ولا تمت إلى المظاهر الأخرى للزعامة في صورها الإنسانية المتعددة المتباينة.

وسبعين فيما يلى مظاهر السيطرة عند الحيوانات المختلفة لنبين بذلك خصائص الزعامة، ثم نخلص من تلك المظاهر إلى تحديد أهم العوامل التي تؤثر فيها وتعتمد عليها.

(1) Ropartz, P. The relation between olfactory perception and aggressive behaviour in mic. Amin. Behav. 1968, 16, 97 - 109.

١- مظاهر السيطرة:

تلخصن أهم مظاهر السيطرة في المقر الذي يختاره الزعيم لإقامته ليحدد بذلك أهميته ومكانته، وفي مدى توجيهه لتحركات الجماعة سواء أكان هذا التوجيه بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة.

ولقد كشفت نتائج الملاحظات العلمية التي قام بها العلماء^(١). على القردة الإفريقية على أن أكثرها سيطرة يتخد لنفسه مقراً وسط الجماعة وخاصة عندما يتحرك جموع القردة من مكان لأخر، ويتحدد الأقل سيطرة مكانه بعيداً عن الوسط ويزداد هذا التباعد تبعاً لنقصان السيطرة. ويستمر انحدار هذه المستويات حتى لا يبقى أمام صغار القردة إلا الإطار الخارجي للجماعة. وعندما يحس أحد هؤلاء الصغار بأى خطر يقترب منه سرعان ما يصبح طلباً للنجدة، وعندئذ يترك الكبار مواقعهم في وسط الجماعة ليحملوا الصغار. فيهددوا المعتدى أو يهاجموه. وبذلك تستطيع جماعة القردة أن تطرد أي دخيل عليها وحماية صغارها منه.

وتحتل الإناث والأطفال موقعاً قريباً من كبار الذكور طلباً للحماية، وتمتد هذه الحماية من الكبار للصغار في مواقف الحياة الخطرة.

ويترسم القردة العاوية^(٢). أحد أنوادها من الذكور الأقوباء، وهو الذي يقفز أولاً من شجرة لأخرى، وتتبعه بعد ذلك جماعة القردة فتقفز وراءه، وبذلك يحدد هو اتجاه سير الجماعة بطريقة مباشرة.

ولا يتدخل زعيم قردة الماكاك^(٣). في توجيه تحركات الجماعة إلا إذا اختلف معها، وهو بذلك لا يبدأ عملية الفوز إلا أنه يهتم بها و يؤثر في توجيهها بشكل أو بأخر، فمثلاً إذا قفزت الجماعة في اتجاه ما، وقفز هو في اتجاه آخر فإن الجماعة سرعان ما تعود إليه لتفوز معه في اتجاهه هو. وبذلك يوجه تحركات الجماعة بطريقة غير مباشرة.

ومن القردة نوع ثالث لا يتدخل زعيمها في توجيه تحركاتها وإنما يترك الأمر كله لأحد صغار القردة الذين يتشارون عند أطراف الجماعة، أو حتى لإحدى كبار الإناث كما يحدث بين قردة البابون^(٤). حيث يتزعمها أشد الذكور الكبار بأساً وقوة، ويمارس سيطرته في مسالك أخرى غير تحديد تحركات الجماعة.

(1) De Vore, I. (Ed.) Primate Behavior, N. Y.: Holt. 1965.

القردة العاوية

(2) Howling Monkeys

قردة الماكاك

(3) Macaques Monkeys

قردة البابون

(4) Baboon Monkeys

٢ - عوامل السيطرة:

تعتمد سيطرة الفرد على الجماعة التي يتبعها على عوامل مختلفة أهمها الجنس ذكرًا كان أم أنثى، والقوة، والعمر الزمني، والموقف الذي يغلب بعض خصائص شخصية فرد ما على شخصية فرد آخر أو على خصائص مجموعة من الأفراد.

ويختلف نوع العامل من حيث فعاليته وتأثيره تبعاً لاختلاف نوع الحيوان. وسبعين فيما يلي كل عامل من تلك العوامل، ودور كل منها في السيطرة والزعامة.

فالزعامة مثلاً في مجتمعات الغوريلا ت Shawl دائمًا للذكر، وكذلك عند ذكور الدجاج الرومي. وتتعدد السيطرة عند الماشية وخاصة ذات الحوافر الغليظة صورة أخرى تناسب مع خصائصها وطبيعتها، فتميل أكبر الإناث إلى تحديد اتجاه حركة بقية القطيع ولذلك تتخذ مكانها في الصدارة بينما يبقى كبار الذكور في الخطوط الخلفية حيث يكثر احتمال ظهور الدخلاء. والسيطرة أيضاً عند الطائر الصغير المعروف بأبي فصادة للأنثى.

وبعض أنواع الطيور ت نحو القتال في سبيل الغلبة والسيطرة، ومثال ذلك قتال الديكة، حيث يسلك المغلوب على أمره سلوكاً ظاهراً الطاعة والخوف، وباطنه العزلة والاتساع بعيداً عن غريمه. وبذلك تعتمد السيطرة في هذه الحالة على القوة البدنية للزعيم.

والزعامة عند بعض أنواع الطيور ترجع إلى العمر الزمني. وبذلك يسيطر الطائر العجوز على متوسط السن وصغاره. ولهذه الظاهرة الأخيرة نتها في المجتمعات الإنسانية الأولى، حين كان يسيطر كهول الأسرة والقبيلة والعشيرة على شبابها وصغارها.

وهناك ظاهرة أخرى لا تخضع في تفسيرها للجنس أو للقوة أو للسن وإنما تخضع لعوامل شخصية تختلف تأثيراتها تبعاً لاختلاف متغيرات الموقف نفسه. وتدل أبحاث شيزيلدريب إب^(١). Schjelderup - Ebbe على أن طائراً ما مثل (أ) يغلب طائراً آخر مثل (ب) ويغلب (ب) طائراً آخر مثل (ج) ويتنهى الأمر بأن يغلب (ج) (أ) بدل أن يغلب (أ) (ج).

وتدل نتائج تجارب ماسلو^(٢). Maslow بوضوح على أهمية متغيرات الموقف في تحديد نوع السيطرة وما يتبعها من زعامة. فعندما لاحظ الباحث أن طائراً تمكّن من

(1) Schjelderup - Ebbe, T. Social Behavior of Birds. in Murchison, G. A Handbook of Social Psychology. Worcester, Mass: Clark Univ. Press 135.

(2) Maslow, A. H. The role of dominance in the social and sexual behavior of infra-human primates. J. of Psychology. 1936, 48, pp. 261 - 277.

السيطرة على طائر آخر نقل الطائر المغلوب على أمره إلى مكان آخر واستبدل به طائراً ثالثاً، فتغلب الأول على الثالث، ثم جمعهم الباحث بعد ذلك في موقع واحد فتضامن الثاني والثالث وهزما الأول، فاستكان لهما وذهب عنه نعرته الأولى. وعندما أبعد الطائر الثالث عنهما ظل الأول في استكانته، ولم يعود قتاله في سبيل سيطرته.

رابعاً - مظاهر السلوك الاجتماعي عند الحشرات والطيور والرئيسيات:

يتنهى هذا الفصل إلى دراسة المظاهر الاجتماعية للحشرات وخاصة النحل والنمل، والطيور ولبعض الرئيسيات وخاصة القردة والشمبانزي والغوريلا.

وتعود هذه الدراسة تطبيقاً لما سبق أن بناه من الخصائص العامة للسلوك الاجتماعي، وما يقترب به من السلوك الإنساني، وما يتعد به عنه، وما يسفر عنه هذا السلوك من تنظيمات اجتماعية تهسيء المجال لوجود الأسرة، وما تعتمد عليه تلك التنظيمات من علاقات اجتماعية مختلفة.

(أ) مظاهر السلوك الاجتماعي عند الحشرات:

انتهى التطور بالحياة الاجتماعية عند بعض أنواع الحشرات إلى مستوى يوصف أحياناً بأنه ذروة ذلك التطور. فبعض هذه الحشرات تعيش في جماعات تتألف كل جماعة من آلاف الأفراد، يسرون معاً وكأنهم فيلق جيش منظم، يعبرون العقبات التي يلاقونها في طريقهم في مهارة ونظام، يساعد بعضهم بعضاً تجاه الخطر المشترك، يدافعون عن مساكنهم بحيلتهم وأرواحهم، يوزعون العمل بينهم توزيعاً عادلاً لا غبن فيه ولا إجحاف. يشترون جميعاً في تنشئة الصغار، وتتفنّى فرديتهم وتتلاشى في خدمة الجماعة.

ولقد تطورت الحياة الاجتماعية عند تلك الحشرات من آماد سحرية واستقرت في صورتها النهائية من ملايين السنين، ولم يتطور من جميع أنواع الحشرات المعروفة والتي تقدر بحوالي ٥٠٠٠ نوع إلا نسبة ضئيلة تبلغ حوالي ٣٪، ولعل أهم أنواع الحشرات الاجتماعية هي النحل والنمل.

١- مدى تقارب السلوك الاجتماعي للحشرات من الإنسان:

المقارنة العابرة بين حياة الإنسان وحياة تلك الحشرات تدل دالة واضحة على أنها سبقتنا بأشواط بعيدة في مضمار الحياة الاجتماعية، لكن يعييها ثباتها واستقرارها وجمودها.

ويعتقد هويلر⁽¹⁾. Wheeler أن التفرقة العلمية بين السلوك الاجتماعي للحشرات وبين السلوك الاجتماعي للإنسان أمر جد عسير للتشابه البالغ بين نوعي السلوك، ويخالفه في ذلك بعض العلماء الذين يرون أن تشابه الحياة الاجتماعية عند الحشرات عند الإنسان تشابه ضئيل لا يؤدى إلى حقيقة علمية ثابتة.

لكن شأن ما بين الإنسان وما بين تلك الحشرات، فالإنسان حينما يصل الصراط السوى في سلوكه الاجتماعي يجد نفسه إما في أعماق السجون أو في مستشفى المجانين. ويجد المجتمع قد أقام له دورا للقضاء لتحكم لصالح الجماعة. وأقام له دورا للعلم لإعداده لحياة قوامها النظم الاجتماعية والتقاليد والعرف، وكل ما اصطلح عليه الجماعة وقدسته. فت تلك القيم والمعايير التي تهيمن على حياة الإنسان إنما هي وليدة ثقافته. وهي تختلف أحيانا من شعب لشعب ومن جيل لجيل، وتتطور وترقى برقى المثل العليا، وبجهود قادة الفكر، ويتطور فكرة الإنسان عن نفسه، وعن الكون كله، فهي خاضعة في جوهرها للتطور الفكري عند الإنسان.

لكن تلك الحشرات الاجتماعية لا تدرك ولا تدرك في حياتها جنوحا أو نفورة لأنها لا ترى حياتها طريقا غير الذي تسلكه، فهي اجتماعية بالفطرة، ترث ألوان حياتها المختلفة مع ما ترث من صفات بيولوجية فسيولوجية. وهي بذلك أشبه ما تكون بالآلات وأجهزة تلقائية صماء تحركها أنماط خاصة استقرت في أعماقها منذ ملايين السنين.

ومهما يكن من أمر حياتنا فهي ترسم لنا طرقا وسبلا تهدينا إلى ما نسعى إليه أحيانا من نظم جديدة لحياة اجتماعية فاضلة.

وبالرغم من هذا الحمود الذي يتصف به سلوكها فإنها تتصف بالمرونة أيضا في مواجهة ظروف البيئة المتغيرة أو خلال تكوين مستعمراتها، ولهذا عاشت هذه الأحقاد الطويلة لقدرتها على التوافق مع متغيرات البيئة.

حدود الحمود والمرونة:

تعيش أغلب الحشرات الاجتماعية في مستعمرات تشبه أحيانا في وظائف أفرادها وظائف العائلة البشرية الكبيرة أو القبيلة.

وبالرغم من التحديد الدقيق لعمل كل فرد من أفراد تلك المستعمرات بما يدل على جسدها واستقرارها إلا أن نفس هذه الأعمال تسفر عن مرنة غريبة في مواجهة

(1) Wheeler, W. M. social life among. the insects. Sci. Mon. 1922, IV, 25, 385 - 404.

الظروف الجديدة وفي بدء تكوين كل مستعمرة من تلك المستعمرات، فمثلاً عندما تهاجر ملكة النحل لبداً مملكة جديدة فإنها تختر لنفسها مكان إقامتها ثم تسلك في البداية سلوك النحلة المنعزلة، ثم يتطور سلوكها بعد ذلك إلى سلوك الشغالة فتعنى بصغرها لتケف لهم الحياة في المهجـر الجديد. وعندما يتوافر العدد الكافـي من الشغالـة يتـطور دورها فتصـبح مـلكـة للـخلـية^(١).

وتتصف أيضاً مستعمرات النمل في نشأتها الأولى بنفس المرونة التي تتصف بها خلايا النحل، ويـتغير تـوزـيع وظـائـف أـفـرادـ المستـعـمـرة تـبعـاً لـنـموـ المـسـتـعـمـرة منـ بـدـائـيـةـ إلىـ تـجـمعـ مـعـقـدـ فـيـ تـكـوـيـنـهـ وـنـظـامـهـ،ـ وـبـذـلـكـ تـصـبـعـ وـظـائـفـ أـفـرادـ الجـيلـ الأولـ مـقـصـورـةـ عـلـىـ الشـغالـةـ،ـ ثـمـ تـعـنـىـ هـذـهـ الشـغالـةـ بـرـعاـيـةـ الجـيلـ الثـانـيـ الـذـيـ يـظـهـرـ فـيـ الجـنـودـ،ـ ثـمـ تـثـبـتـ بـعـدـ ذـلـكـ وـظـائـفـ كـلـ طـبـقـةـ وـكـلـ فـردـ وـتـصـبـعـ أـدـوارـهـ جـامـدـةـ مـسـتـقـرـةـ.ـ وـعـنـدـمـاـ تـصـلـ تـجـمـعـاتـ تـلـكـ الحـشـراتـ إـلـىـ صـورـتـهاـ النـهـائـيـةـ أوـ شـبـهـ النـهـائـيـةـ يـصـبـعـ تـوزـيعـ العـمـلـ حـادـاـ دـقـيقـاـ جـامـداـ.

والسبـبـ الـذـيـ مـنـ أـجـلـهـ تـصـفـ أـعـمـالـ تـجـمـعـاتـ الحـشـراتـ بـالـدـقـةـ وـالـجـمـودـ هوـ المـحـافظـةـ عـلـىـ النـوـعـ وـالـسـلـالـةـ وـذـلـكـ عـنـ طـرـيقـ التـنـاسـلـ،ـ وـالتـغـذـيةـ وـالـحـمـاءـ.ـ وـتـلـكـ هـىـ الـحـاجـاتـ الرـئـيـسـيـةـ الـتـىـ تـسـعـىـ الحـشـراتـ لـتـحـقـيقـهـاـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ بـذـلـكـ هـىـ كـلـ حـيـاتـهاـ عـبـرـ مـلـاـيـنـ السـنـينـ الـتـىـ عـاشـتـهاـ.

وقد انتهى التطور في حياة تلك الحشرات إلى تقسيم التجمعات إلى طبقات محددة التكوين والوظائف، وبذلك أصبح تكوين الملكة مهيأً للولادة والتناسل، وتكون الملكة للتجذية، وتكون الجنود للحماية. ويعتمد مثل ذلك التكوين على عاملين رئيسيين هما الوراثة ونوع التغذية. فعلى سبيل المثال تتغذى يرقة ملكة النحل دائماً على غذاء الملكات وتتغذى يرقات الشغالة على هذا الغذاء في الأيام الثلاثة الأولى من حياتها فقط، ثم تتغذى بعد ذلك على غذاء الشغالات. ولا أمر ما تصبح هذه الشغالات عقيمة حتى تصبح عملية التناسل مقصورة على الملكة. ويكتمل نمو الملكة في مدى ١٦ يوماً ويكتمل نمو الشغالات في مدى ٢١ يوماً. وبالمثل فإن التوزيع الظيفي في مستعمرات النمل الذي يميز الملكة عن الشغالة وعن الجنود يتأثر فيما يلي بالبيئة ويتوزع الغذاء أكثر مما يتأثر بالوراثة، والدليل على ذلك أنه عندما يقل الغذاء في مستعمرة النمل فإن الجيل

(1) Schneirla, T. C. Problems in thebiopsychology of social organization. J. Abn. Soc. Psychol. 1946, 41, 385 - 402.

الجديد يصبح كله من الشغالة^(١). وهذا يعني أن تحديد نوع الطبقة يصبح من المرونة بحيث يتغير تبعاً لتغير الظروف البيئية المحيطة بتلك الحشرات الاجتماعية وخاصة في المراحل الأولى لتكوين المستعمرة.

٣- وسائل التفاصيم:

تعد وسائل الاتصال الاجتماعي ركناً أساسياً في فهم التنظيم الاجتماعي وما يسفر عنه من تعاون بين أفراد التنظيم نتيجة لتأثير سلوك فرد ما بسلوك فرد آخر حيث يتم هذا التأثير عن طريق ذلك الاتصال.

وتتلخص أهمية دراسة وسائل الاتصال الاجتماعي عند الحشرات الاجتماعية في أنها تمهد الطريق للكشف عن نشأة وتطور وسائل الاتصال الاجتماعي عامة وعن الإنسان خاصة للتشابه الغريب القائم بين الحياة الاجتماعية للحشرات الاجتماعية والإنسان.

وقد دلت نتائج الملاحظات والتجارب العلمية التي أجريت على النمل على أن الإشارات اللمسية والكميائية والسمعية هي أهم وسائل الاتصال الاجتماعي وأن أكثرها شيوعاً هي الإشارات الكيميائية، ولذا فسر عان ما يهاجم النمل أى غلة يشم فيها رائحة غريبة تختلف عن رائحة مستعمرة النمل، حتى ولو كانت تلك النملة تنتمي لتلك المستعمرة، وبالعكس لا يهاجم النمل أى غلة غريبة لها نفس رائحة المستعمرة^(٢).

وفي مستعمرات النمل يقف الجنود متراسة عند مداخلها فلا تستطيع أى غلة من الشغالة أن تدخل المستعمرة أو تخرج منها إلا إذا ربيت على رأس أحد الجنود أو على بطنه، وعندئذ يتحرك الجندي لتمر النملة ثم يعود بعد ذلك إلى مكانه ليسد بذلك منفذ الدخول والخروج. ولمثل هذا الجندي قدرة فائقة على تمييز أى غلة دخيلة فلا يسمح لها بالمرور مهما ربيت على رأسه أو بطنه. وهكذا يصبح اللمس لغة يفهم النمل رموزها.

ويستخدم النحل الإشارات البصرية في رسائله التي ينقلها لزملائه عندما يعثر على مصدر للغذاء: فهو يرقص ليحدد برقشه اتجاه ذلك المصدر وموقعه وبعده أيضاً^(٣). فتقل دورات الرقص عندما يكون مصدر الغذاء بعيداً، وتزداد عندما يكون قريباً، ويحدد ميل النحلة وهي ترقص اتجاه المصدر.

(1) Gregg, R. E. The origin of castes in ants with special reference to Pheidole Morrisii Forel. Ecology, 1942, 23, 295 - 308.

(2) Dropkin, V. H. Host specificity relations of termites protozoa. Ecology 1941, 22, 200 - 202.

(3) Frisch, K. von. Bees; Their Vision, Chemical, Senses, and Language. Ithaca: Cornell Univ. Press. 1950.

الصدقة والضيافة:

من أهم الظواهر التي لاحظها العلماء⁽¹⁾ في مستعمرات النمل والنمل، وبعض الحشرات الاجتماعية الأخرى الصدقة والضيافة، وهي بذلك تقترب في كثير من نواحيها من السلوك الاجتماعي البشري.

ويمتد علاقة تلك الحشرات بالضيوف من مجرد تقبل وجودها إلى الترحيب بها إلى الاستضافة الفعلية التي قد تصل إلى الإيواء والإطعام. ولقد لاحظ هويلر أن بعض أنواع النمل تخضع لضيوفها مساكن قريبة منها، وأن صغار النمل تتسلق ظهور الضيوف العابرة وتلعق أجسامها وخاصة رءوسها وأفواها. ولا يعرض الأهل على سلوك صغارها في طريقة ترحبيها. ويفيد اهتمام الكبار بالضيوف فيما يقدم لها من طعام.

الرق:

تحتفل حاجة الحشرات وخاصة النمل للرقيق على حسب نوعها. ولقد لاحظ الباحثون أربعة أنواع من النمل تستعين في أمور حياتها اليومية بالرقيق، فهناك نوع من النمل يحفظ بالرقيق لكنه يستطيع أن يحيا بدونه. وأنواع الثلاثة الأخرى لا تستطيع أن تحيى إذا لم تكفل لها الرقيقة حياتها. ويحصل النمل على ما يبغى من رقيقة عن طريق الغارات التي يقوم بها ليحصل بذلك على البرقات التي تربى بعد ذلك في عشش الرقيقة لتقوم بعد ذلك بتغذية وتربية الصغار، أي بالأعمال التي تقوم بها شغالات تلك المستعمرة. ويعرض مثل ذلك الرقيقة للأذى عندما يقاوم أو يعترض.

(ب) مظاهر السلوك الاجتماعي عند الطيور:

يختلف السلوك الاجتماعي عند الطيور عن الحشرات في أن الطيور متأخرة في تطورها الاجتماعي تأثيراً بعيداً، لكنها رغم ذلك متنوعة مختلفة. ومن الطيور ما يعيش في جماعات كبيرة، ومنها ما يعيش في جماعات صغيرة، ومنها ما يسلك في حياته سبل اجتماعية واضحة. ومنها ما يسلك سبل تجنب إلى العزلة أكثر مما تتجه إلى

(1) Wasmann, E. Psychology of Ants and of Higher Animals. St. Louis: B. Herder. 1905.

- Wheeler, W. M. The Social Insects, Their Origin and Evolution. N. Y.: Harcourt, Brace, 1928.

- Plath, O. E. Insect Societies. In Murchison (Ed.) A Handbook of Social Psychology. Worcester, Mass.: Clark Univ. Press. 1985. pp. 83 - 141.

الجمع، ومنها ما يألف الحياة الاجتماعية لشهر عدة. ومنها ما يحياها في لحظات عابرة ثم ينفر منها. فحياتها إذن حول قلب تتأرجح بين قطبين وتتذبذب بين نهايتيين.

ويجب أن نفرق بين مجرد التجمع، وبين الحياة الاجتماعية. فقد تتجمع الطيور في صعيد واحد، لكنها لا تتعاون ولا تتصل من قريب أو من بعيد بأية صلة اجتماعية. وقد تتجمع الطيور للهجرة فتنتظم في وحدة جامعة يقودها مرشد منها يتقدمها فتندفع في طيرانها إثره.

ولقد درس لورنز^(١) هجرة بعض الطيور فشاهد الجمع يضطرب عند غياب بعض أفراده. وشاهد الجمع يطارد كل طائر غريب يحاول أن ينضم إليه ويشاركه هجرته.

وشاهد أيضاً حياة هذا النوع من الطيور طوال أيام السنة فالقاها تعيش في جماعات لها وحدتها الاجتماعية، حيث يرتبط أفرادها بعلاقات متبادلة مشتركة.

وتکاد تشتراك أغلب أنواع الطيور في شعورها المرهف بحب السيطرة وحب الحنون، فما اجتمع طائزان معاً إلا وأدرك كل منهما مكانه بالنسبة للأخر، فإذا أحدهما قائد والأخر مقود.

(ج) مظاهر السلوك الاجتماعي عند القردة:

١- مدى تقارب السلوك الاجتماعي للقردة من الإنسان:

بين القردة والإنسان تشابه في بعض نواحي السلوك الاجتماعي لكل منهم وتبادر في بعض نواحيه الأخرى. والدراسة المقارنة للقردة والإنسان تلقى ضوءاً على بعض المتابع الأولى للحياة الاجتماعية الإنسانية، وتسفر عن تماثل النوع الإنساني ببعض الصفات، واستقلاله وانفراده بها وحده^(٢). وبذلك فالمقارنة تهدينا إلى ما يلى:

١ - تبدأ علاقة الأم بوليدتها كعلاقة بيولوجية ثم تتطور إلى نوع من الرعاية والحماية. ويلمس الباحث بذور الأسرة وجدورها الأولى في تلك العلاقة. فهي تزود الناشئ الصغير بمقومات حياته المقبلة. لكنها تقصّر عن أن تبلغ المستوى الإنساني لعجزها عن السمو إلى تكوين الثقافة بعناصرها المختلفة كما تبدو في الإنسان.

(1) Friedmann, H. Bird Societies. In G. Urchison, A Handbook of Social Psychology. Worcester Mass.: Clark Univ. Press. 1935.

(2) Young, K. Handbook of Social Psychology. N. Y.: Appleton, 1948. 27 - 39.

٢ - يتخذ السلوك العدائي عند القردة مظهرا من مظاهر التنازع على السيطرة للاستحواز على الغذاء أو للفوز بالأثنى. وقد يكون السلوك العدائي مباشرة فيبدو في العراك البدني العنيف، وقد يكون غير مباشر فيبدو في تجهم الوجه وإشارات اليدين ونبرات الصوت.

٣ - تتأثر سيطرة القرد على أئمته بدوره النشاط الجنسي. وفي مقدور الأثنى أن تخضع الذكر وتسيطر عليه عندما يراودها عن نفسها، لكنه سرعان ما يستعيد سيطرته وزعامته عندما تنتهي تلك الدورة.

٤ - تلعب صغار القردة ألعابا مختلفة تشبه ألعاب الأطفال. ولا يميل الكبار إلى اللعب.

٥ - يتعاون جميع القردة في البحث عن الطعام، وفي مواجهة الخطر المشترك، وفي دفاعهم عن غذائهم وعن صغارهم. وهم بتعاونهم هذا يشبهون النوع الإنساني في بعض ألوان سلوكه الاجتماعي.

٦ - تفهم القردة بالأصوات والإشارات - كما أسلفنا - لكنها عاجزة عن اختراع لغة رمزية تنتقل من جيل إلى جيل آخر، وتنقل معها تراث وخبرات الأجيال الماضية كما يفعل الإنسان. وعلى الرغم من أن حنجرة القردة وأوتارها الصوتية صالحة للنطق بالفاظ أية لغة كانت، إلا أن التكوين العضوي للمخ ليس صالحًا لاختراع اللغة^(١).

٧ - يتعلم القرد بسرعة ويستخدم أحيانا بعض الآلات البسيطة في حياته كالعصى والحبال، لكنه يعجز عن إدراك العلاقات المجردة، وعن إدراكه لذاته ككائن اجتماعي.

٨ - يعطف القرد على الضعف، لكنه سرعان ما ينسى كل ما يرتبط بالموقف الذي أثار عطفه عندما تنتقل به أمور الحياة بعيدا عن الإدراك المباشر لذلك الموقف.

٢ - علاقة الطفل بأمه

تتألف جماعة القردة عادة من القرد وإناثه وصغاره. والجماعة بتكوينها هذا تؤدي وظائف متعددة أهمها التنااسل، وتنشئة الصغار، والبحث عن الطعام، والدفاع

(١) تبلغ خلايا المخ العصبية حوالي ١٢ مليون خلية في الإنسان، وترتبط هذه الخلايا بأنسجة عصبية تقاد تبدو تحت الميكروسكوب وكأنها لانهائية. ولهذه الأنسجة أهميتها الكبرى في التكوين الوظيفي للمخ البشري. وإذا قورن هذا المخ بأمماكن الرئيسيات أي الثدييات العليا فإنه يبدو بالنسبة لها وكأنه عملاق في عالم كله أقزام. ولقد بلغ به تطوره المعارض العليا حتى تمايز عن تطور الحيوانات كلها في تعقيد التكوين وفي عمق وسمو الوظائف التي يقوم بها.

عن حق الجماعة أمام كل خطر، ومهاجمة كل معتد جائز. وهكذا تستمتع القردة ب حياتها الاجتماعية ويبدو استمتاعها هذا في ميلها إلى التجمع، وعزوفها عن العزلة، وما تيسر لها الحياة من اللهو واللعب.

وحنان الأم وعطفها على صغارها يشبه حنان الأم الآدمية وعطفها على أولادها. وتظل علاقة الأم بوليدتها قوية وثقل حتى يبلغ عمر الصغير أربعة أشهر يصبح بعدها قادرًا على القفز والعدو والاستقلال بحياته نوعاً ما، لكنه لا يفتأ يلجم إلينهما كلما خاف أذى أو شرا، وعندما يتعرض الصغير للخطر ويصبح طلباً للعون فإن أمه سرعان ما تستجيب له، ويستجيب له أيضاً أي قرد كبير يكون قريباً منه، ويدفع عنه الأذى. وبذلك يتدرّب صغار جماعة القردة على الا يؤذى بعضهم بعضاً، وحتى عندما يفرض الكبار سيطرتهم على الصغار فإنهم لا يضرّونهم وإنما يكتفون فقط بمطاردتهم وتهديدهم لفظياً لا يخرج في جوهره عن الصياح والوعيد.

ولا تقتصر وظيفة الأم على مجرد إرضاع الوليد، بل تمتد إلى نظافتها وتجيئه وتعليمه، وهكذا يحب الرضيع أمه، وينتقل هذا الحب - مع تدرج نموه - إلى القردة الكبار، وينتقل أحياناً إلى الإنسان الذي يدرّبه ويعني به.

٣- وسائل التفاهم:

للقردة أصوات وإشارات خاصة تنقل بها انفعالاتها ورغباتها إلى الآخرين، وهي وسيلة للتعبير عن النشاط الجنسي، وال الحاجة للطعام، والهرب واللعب والسيطرة. ولها من وسائل الاتصال الاجتماعي ضروب أخرى غير الأصوات والإشارات. فهي تؤدي المعنى الذي تريد أن يفهمه عنها رفاقها بما يبدو على أساسير وجهها من غضب أو سرور، وبما يبدو في وقوتها من معان مختلفة.

٤- التعاون:

يقرر كوهлер^(١) Kohler أن التعاون بين القردة قوى واضح، ويستدل على ذلك بعض تجاربه التي أجراها عليها، فلقد لاحظ أنها عندما تجد موزاً معلقاً بعيداً عنها، وعندما تجد - في نفس الوقت - بضعة صناديق خشبية مبعثرة بالقرب منها، فإنها تتعاون في وضع الصناديق بعضها فوق بعض لتصل إلى الموز.

(د) مظاهر السلوك الاجتماعي عند الشمبانزي:

ليس من السهل دراسة السلوك الاجتماعي للشمبانزي لأن أغلبها يهرب من الباحثين إلى أعلى الأشجار، لأنها تعيش في جماعات صغيرة في غابات لا يرتادها الإنسان لصعوبة دروبها وتشابك أغصانها ووعورة مداخلها ومخارجها.

(١) Kohler. W. The Mentality of Apes. N. Y.: Harcourt, Brace. 1926.

وبالرغم من كل المصاعب فلقد تمكّن كورتلاند^(١). Kortlandt سنة ١٩٦٢ من دراسة السلوك الاجتماعي للشمبانزي، وذلك عندما سُنحت له الظروف بأن يلاحظها وهي تغشى الأماكن المكشوفة وتطمئن لوجود الباحث ولا تهرب منه. وكذلك تمكّن أيضًا جودال^(٢). Goodall سنة ١٩٦٥ من تسجيل ملاحظاته عنها عندما توافرت له نفس تلك الظروف المناسبة.

١- القدرة على استخدام الأدوات،

سجل الباحثان ملاحظاتهما التي توصلوا إليها، ومن أهم تلك النتائج التي اتفقا فيها أن الشمبانزي تستطيع أن تستخدم ما تجده في بيئتها الطبيعية من أشياء مختلفة استخدام الإنسان للأدوات والأجهزة التي يستعين بها في حياته العملية. وانفرد جودال بدراسة سلوك الشمبانزي عندما تتجه في أسر الحيوانات الأخرى الصغيرة تمهيداً لأكلها.

٢- جماعات الشمبانزي،

دلت نتائج الأبحاث السابقة على أن جماعات الشمبانزي أقل استقراراً وأكثر تبايناً من جماعات القردة، وأن جماعاتها قد تكون من قلة من الإناث مع الصغار، أو قلة من الذكور فقط، أو الذكور والإناث دون الصغار. وتعيش مثل هذه الجماعات معاً في نفس المنطقة وتلتقي بين الحين والآخر.

وقد تكون جماعات مؤقتة من أي خليط من الأعمار والجنس.

٣- الخوف والعدوان،

غالباً ما يصاحب الخوف عند الشمبانزي السلوك العدوانى ولذا يعد الخوف أحياناً من أهم مثيرات السلوك العدوانى. وسنبين فيما يلى المواقف التي تثير الخوف ومدى علاقة الخوف بالعدوان ثم نستطرد بعد ذلك إلى دراسة ظاهرة العدوان.

وكثيراً ما يخاف الشمبانزي من الأشياء التي لا تسبب له أذى ولا ترتبط بأية صورة من صور الخوف البدائي. فهو قد يخاف من شخص ما، أو من جهاز علمي أو من بعض أجزاءه، أو من حبل له طول وسمك ولون ونسق معين، ولا يخاف من الحال الأخرى، أو من فطيرة بها دودة، أو من نوع من الخضروات له شكل متمايز، وهكذا. ولقد سجل^(٣) Kohler سنة ١٩٢٧ وهب^(٤) Hebb سنة ١٩٤٦ ما يحدث من فزع لدى الشمبانزي عندما يرى لعبة تمثل حماراً، أو تمثلاً لرأس شمبانزي، أو تمثلاً لرأس إنسان.

(1) Kortlandt, A. *Chimpanzes in the wild*. Sci. Amer. 1926, 206, 5, 128 - 138.

(2) Goodall, J. *Chimpanzes of the Bombe Stream Reserve*. In, I. De Vore (Ed.) *Primate Behavior*. N. Y.: Holt, Rinehart & Winston, 1965.

(3) Kohler, W. *The Mentality of Apes*, N. Y.: Harcourt Brace, 1926.

(4) Hebb, D. O. *On the nature of fear*. Psychol. Rev. 1946, 53, 259 - 276.

ومن أهم التجارب التي قام بها هب^(١) Hebb سنة ١٩٤٩ على ارتباط الخوف بالعدوان ما حدث لجماعة من الشمبانزي الصغار والكبار عندما شاهدت شمبانزي صغيراً بعد تخديره. فاما الصغار فقد اعتدى بعضها عليه البعض والضرب حتى اضطر الباحث إلى إبعاده عنها. وأما الكبار فقد ثار بعضها وبدأت مظاهر الخوف واضحة على وجوه أغلبها، وقد صاحب هذا الخوف سلوك عدواني. وأما أنه فقد انتابها خوف شديد وهلع بالغ وراحت تقفز قفزات حادة وقوية داخل قفصها ثم تحول سلوكها إلى سلوك عدواني، فبدأت تشد أسلاك القفص وتحاول تحطيمها.

ويستمتع الشمبانزي بإغاظة الآخرين، ولذا فهو كثيراً ما يصبح فجأة ويضرب قضبان القفص ليحيف أي إنسان يقترب منه، ويثير أيضاً ثورته العارمة عندما يرشه بعض الناس بالماء. أي أنه بذلك يغيظ الآخرين عندما يفزعهم ويغتاظ منهم عندما يداعبونه.

ويرتبط غضب الشمبانزي بالإحباط، ولذا فقد يكون المثير المألوف للغضب ما يصدر عن الناس أو الشمبانزي من أفعال لا يرضي هو عنها، أو عن فشلهم في أن يقوموا بما يتوقعه منهم من أفعال.

وقد لا يغضب الشمبانزي إذا حيل بينه وبين شيء ما، لكنه يغضب ويثور ويتحول سلوكه إلى سلوك عدواني إذا لم يحدث ما كان يتوقعه^(٢). ومثال ذلك ما حدث لأحد ذكور الشمبانزي عندما أدخلوا له أنثى في القفص المجاور له، فنهض وسار نحوها عندما رآها واقرب جداً منها إلى أن حالت قضبان القفص وأسلاكه بينه وبينها، فتقبل الموقف كما هو ولم يغضب بالرغم من أن هدفه لم يتحقق، لكنه سرعان ما يغضب ويثور ويتحول سلوكه إلى سلوك عدواني إذا أفهمه حارسه بطريقة ما أنه سيأخذه إلى قفص الأنثى ثم لم يفعل.

(هـ) مظاهر السلوك الاجتماعي عند الغوريلا

تختلف الغوريلا عن بقية الثدييات العليا في أنها نباتية. شأنها في ذلك شأن الأبقار والأغنام، ولذا فهي تحتاج لكمية كبيرة من الغذاء ليكفي أجسامها الضخمة وقوتها الهائلة. وحجمها وقوتها يحميها من أغلب الدخلاء.

(1) Hebb, D. O. the Organization of Behavior. N. Y.: Wiley, 1949.

(2) Hebb, D. O., and Thompson, W. R. The Social Significance of Animal Studies. In G. Lindeley and E. Aronson. The Handbook of Social Psychology. Reading, Massachusetts: Addison Wealey, 1968 Vol. 2, pp. 756 - 757.

وقد لاحظ شيلر Schaller⁽¹⁾. سنة ١٩٦٣ قلة عدد أفراد جماعة الغوريلا شأنها في ذلك شأن جماعات الشمبانزي. غالباً ما تتألف الجماعة من ذكر أو ذكرين وقلة من الإناث والصغار والأطفال.

ونادراً ما تتشاجر الغوريلا مع بعضها البعض، لكنها سرعان ما تسلك مسلكاً عدوانياً تجاه أي دخيل يهدد منها فتضرب صدرها بيدها وهي تصيح في غضب لتخيف الدخيل فإذا لم يترك مأمنها هاجمته بقسوة واعتدى عليه.

ولقد اكتشف شيلر أنه يستطيع أن يقترب من جماعة الغوريلا دون أن يصييه أذى إذا فهم عنها مثيراتها الاجتماعية. فتحديق البصر في عيني الغوريلا يثير نزعتها للعدوان، وسرعان ما تهاجم أي فرد يحملق في وجهها، ولذا كان الباحث يلاحظها من إحدى زوايا عينيه دون أن يشعرها أنه ينظر إليها مباشرة حتى تظن أنه ينظر إلى شيء آخر غيرها ولا يعنيه من أمرها شيء. وكانت الغوريلا تمر به دون أن تفتكر في إيذائه وتتركه وشأنه.

خامساً - الملخص

تند جذور الحياة الاجتماعية إلى ما هو أبعد من الإنسان حيث تبدأ عند الحيوانات، لكن الإنسان يتميز عنها باستخدام لغة لفظية رمزية. وتهدف دراسة العلاقة بين السلوك الاجتماعي الحيواني والإنساني إلى الكشف عن الأصول الحيوانية لبعض أنماط السلوك الاجتماعي الإنساني.

ونعني بالسلوك الاجتماعي الحيواني ما يستثار بين أفراد النوع الواحد من نشاط في تفاعلها الاجتماعي حيث يؤثر بعضها في البعض الآخر ويتأثر به. ويؤكد الاتجاه الحديث عمومية السلوك الاجتماعي بحيث يقيم له مقياساً متصل انتدريج يبدأ صفره من اللاجتماعي ثم يتطور حتى يصل إلى نهاية عند السلوك الاجتماعي الصحيح الذي يقترب مستوى من الحد النهائي للمقياس.

وتؤدي دراسة السلوك الاجتماعي الحيواني لفهم وتحليل السلوك الاجتماعي الإنساني؛ لأن الصور البسيطة للعلاقات الحيوانية تساعد على تفسير السلوك الإنساني المعقّد وتوضح نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها لسهولة التجريب على الحيوان، وللتفرقة بين أثر الوراثة والبيئة في الأنماط المختلفة للسلوك الاجتماعي.

ولا يستقيم السلوك الاجتماعي الحيواني – عادة – في نمط واحد، فكثيراً ما يتشابه سلوك أنواع مختلفة، وكثيراً ما تختلف بعض أنماط سلوك النوع الواحد.

(1) Schaller, G. B. *The Mountain Gorilla*. Chicago Press, 1963.

ولا تعتمد التجمعات الحيوانية على مجرد وجود الأفراد في حيز مكاني مشترك بل تعتمد على العلاقات التي تنشأ بين الأفراد. وقد يكون التجمع للتعاون على اصطياد الفريسة أو للبحث عن المأوى، وقد يكون موقوتاً أو مستمراً، ويختلف حجم الجماعة الحيوانية اختلافاً كبيراً من نوع لآخر.

وبعض الحيوانات تهاجم كل غريب عن جماعتها فتسرف بهذا السلوك من انتمائها إلى جماعة داخلية تقابلها جماعة خارجية تشتمل على الأغراط عنها. وقد تكون الجماعة الداخلية من أفراد من أنواع مختلفة كما ترعى البقرة الوحشية مع الفيل. وقد تقترب بعض الجماعات الحيوانية في نظامها من الأسرة البشرية فتتألف من ذكر وإناثه وصغارها. وبعضها يتكون من الذكور فقط أو من الإناث وأطفالها. وترتبط بعض تلك الجماعات ارتباطاً وثيقاً بالمكان الذي تعيش فيه فتهاجم كل دخيل يقترب منها. والبعض الآخر لا يكاد يقيم في مكانه إلا ليلة واحدة.

ويعتمد السلوك الاجتماعي في جميع مستوياته الحيوانية والإنسانية على العلاقات التي تنشأ بين الأفراد وبين الأفراد والجماعات. وتعرف العلاقة بأنها كل ما يحدث بين فردین أو أكثر فيؤثر أحدهما في الآخر ويتأثر به. ويعتمد عدد العلاقات على عدد الأفراد فيصبح 10 عندما يكون عدد الأفراد 5 ، ثم يزداد زيادة كبيرة كلما زاد عدد الأفراد حتى يصل إلى 45 عندما يكون عدد الأفراد 10 ، وتتلخص أهم أنواع العلاقات الجنسية، وعلاقات السيطرة والخنوع، والرعاية والتعلق، وتتحدد نوعية هذه العلاقات بالبيئة الطبيعية وخاصة المناخ وأثره على هجرة الطيور، وبالتكوين البيولوجي الذي يحدد وظائف أفراد الجماعة وخاصة في خلايا النحل والنمل، وبالعوامل الفسيولوجية التي تبين دور الذكر والأثني وخاصة في مواسم التزاوج وما يسفر عنه هذا الدور من سيطرة وخنوع، وبالعوامل النفسية التي تفسر انتقال الفزع من فرد لجميع أفراد القطيع.

وتحدد العلاقات التي تنشأ بين الأم أو بديلها وطفلها بهذه التباينات الاجتماعية التي توجه حياة الفرد حتى يصبح عضواً في مجتمع الكبار. وتميز التباينة الاجتماعية الأولية التي تبدأ بها تلك العلاقات بخوف الطفل خوفاً معتدلاً وبكائه عندما تغيب عنه أمه، وبخوفه شدیداً وفزعه وصرارخه عندما يتقلّل إلى بيئته غريبة. وتبدأ مثل تلك العمليات مباشرةً بعد الولادة عند الطيور، وتبدأ متأخرة نسبياً عند الرئيسيات وخاصة عند الإنسان.

وتعتمد الحيوانات كما يعتمد الإنسان على وسائل محددة للتتفاهم الاجتماعي. وتشابه وسائل التفاهم غير اللفظي وخاصة تعبيرات الوجه، واتجاه التحديق عند الإنسان

والحيوان. وتتشابه أيضاً وسائل التفاهم غير اللفظي من مجتمع إنسانى لمجتمع آخر بالرغم من الاختلاف الثقافى القائم بين المجتمعين، والوسائل إما أن تكون بصرية أو سمعية، أو بصرية سمعية.

وكما يعتمد الإنسان في كثير من نواحي تعلمه على التقليد، يعتمد عليه الحيوان أيضاً. ويعنى التقليد تشابه الاستجابة والمثير بين فردین. وقد يصل هذا التشابه إلى حد التماثل. ويتم التقليد خلال مراحل تبدأ بإثارة نشاط المقلد ثم تتبع بعد ذلك من التوجه نحو الهدف إلى إدراك الطرق والأساليب حتى ينتهي إلى الممارسة الفعلية باستخدام الوسائل المناسبة لتحقيق الهدف. والإنسان أكبر مقلد بين الحيوانات يليه في ذلك الشمبانزى ثم القردة.

وتحيل بعض الحيوانات إلى السلوك العدوانى للدفاع عن وجودها أو لتحقيق استمرار ذلك الوجود. ويرى العدوان بأنه هجوم على فرد أو شئ أو على الذات نفسها، وينطوى على الغضب والإيذاء، أو الرغبة في الإيذاء.

وقد ينشأ العدوان من الإحباط، لكن الإحباط قد يؤدى أيضاً إلى أشياء أخرى غير العدوان. وتحتختلف مثيرات العدوان تبعاً لاختلاف نوع الحيوان، فقد تكون بصرية، أو سمعية، أو لحسية، أو شمية كيميائية.

وتتصل ظاهرة الرزعامة عند الحيوانات بالسيطرة والخنوع، وتعنى السيطرة تأثر فرد أو جماعة بفرد آخر والانقياد له. وتتضح أهم مظاهر السيطرة في اختيار الرعيم لمن إقامته، وغالباً ما يكون هذا المقر وسط الجماعة، وفي تحديده لاتجاه سير الجماعة. وهو إما أن يبدأ الحركة أو يعلن موافقته أو رفضه. وتتأثر السيطرة بالجنس فيسيطر الذكر في جماعات الغوريلا وتسيطر الأنثى في قطعان الماشية، وتتأثر أيضاً بالقوة البدنية، وبالعمر الزمني، وبالعوامل الشخصية التي تختلف تبعاً لاختلاف الموقف.

وتتضح أغلب مظاهر السلوك الاجتماعي الحيواني عند الحشرات الاجتماعية وخاصة النحل والنمل وعند الطيور والرئيسيات.

وقد وصل التطور بالحشرات الاجتماعية إلى حياتها الحالية خلال ملايين السنين، وتبليغ نسبة ما تطور منها إلى ما لم يتطور حوالي ٣٪ من مجموع أنواع الحشرات الذي يبلغ ٥٠٠ نوع. وتقرب مظاهر الحياة الاجتماعية للنحل والنمل من مظاهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، وتشتت عنها في جمودها واستقرارها، وإن كانت تسفر في سلوكها عن نواح غريبة من المرونة، وخاصة في مواجهتها للظروف الجديدة، مثل انتقال

ملكة النحل لمكان جديد وقيامها بوظائف الشغالة إلى أن يتوافر العدد الكافي من الشغالة لقيام خلية النحل بوظائفها.

وتعتمد الحشرات الاجتماعية في تفاهمنها على إشارات لسنية أو شمية، أو كيميائية، أو سمعية، وأكثرها شيوعا الإشارات الشمية. فسرعان ما يهاجم النمل أى نملة يشم فيها رائحة غريبة. وتستخدم النحلة الإشارات البصرية لتحديد مصدر الغذاء وبعده وذلك عن طريق رقصات معينة.

وكثيرا ما يسفر سلوك النحل والنمل عن مظاهر اجتماعية قد تظن بادئ ذي بدء أنها مقصورة على الإنسان، فهي تنشئ صداقات بينها وبين غيرها من أفراد الخلايا الأخرى، وتخصص للضيوف مكانا للإقامة وتغير على غيرها من أفراد المستعمرات الأخرى لتحصل على بركات تربيتها وتدربيها لتصبح رقيقا يقوم على خدمتها.

وعيش الطيور في جماعات لها وحدتها الاجتماعية، وكثيرا ما تضطرب جماعتها في هجرتها إذا غاب أحد أفرادها، وهي أيضا تطارد كل طائر غريب يحاول أن ينضم إليها ويشاركها هجرتها. وتشترك أغلب أنواع الطيور في حب السيطرة وحب الخنوع.

وتتقارب مظاهر السلوك الاجتماعي للقردة من نظيراتها عند الإنسان. وتدل نتائج الدراسات المقارنة على تقارب نظامي الأسرة عند القردة والإنسان، وذلك لأن علاقة الأم بوليدتها في الحالتين تبدأ بـ بيولوجية، ثم تتطور بعد ذلك إلى رعاية وحماية وتوجيه. ويقترب السلوك العدواني للقردة من السلوك العدواني للإنسان، وخاصة في سيطرته وخنوعه. وهو قد يكون مباشرة كما يحدث في العراك البدني، أو غير مباشر كما يدو في تحفهم الوجه وإشارات اليدين ونبرات الصوت. وتتأثر علاقه الفرد بأثناء ومدى سيطرته عليها بدوره النشاط الجنسي. وتلعب صغار القردة ألعابا تشبه إلى حد كبير ألعاب الأطفال. وتعاون القردة في البحث عن الطعام وفي مواجهة الخطر المشترك. وبالرغم من أن للقردة إشارات تستخدمنا في التفاهم إلا أنها لا ترقى إلى لغة الإنسان اللفظية الرمزية، فهي لا تعلو أن تكون مجرد أصوات تعبر عن انفعالات. ويستخدم القرد بعض الأدوات والأجهزة، وهو بذلك يشبه الإنسان. ويعطف القردة الكبار على الصغار كما يعطف الرجال والنساء على الأطفال.

ولا يختلف السلوك الاجتماعي للشمبانزي كثيرا عن سلوك القردة، فهي أيضا تستطيع أن تستخدم الأدوات والأجهزة البسيطة أو تعيش في جماعاتها لكنها أقل استقرارا وأكثر تباينا من جماعات القردة. وقد تتكون من الذكور فقط، أو الإناث والصغار، أو الذكور والإناث دون الصغار، ويحصل الخوف عندها اتصالا وثيقا بالعدوان

وقد يصبح الخوف نفسه من أهم مثيرات العدوان. وهي تخاف من بعض الأشياء العادبة مثل وجود شخص ما، أو من جهاز علمي، أو من حبل له شكل خاص، أو حتى من بعض الخضرروات، أو من تمثال لرأس شمبانزي أو لرأس إنسان.

وعيش الغوريلا في جماعات صغيرة شأنها في ذلك شأن جماعات الشمبانزي. وغالباً ما تكون جماعة الغوريلا من ذكر أو من ذكريين، وقلة من الإناث والأطفال. وتثور الغوريلا إذا حملق أي فرد في وجهها فتضرب صدرها بيديها وتصيح ثم تهاجم.

سادساً - المراجع العامة

- (1) Allee, W. C. Animal Aggregations. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1931.
- (2) ----- Principles of Animals Ecology. Philadelphia: Saunders. 1949.
- (3) ----- Cooperation among Animals. N. Y. : Schuman. 1951.
- (4) Altmann, S. A. (Ed.) Social Communication among Primates. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1967.
- (5) Carpenter, O. R. Naturalistic Behavior of Nonhuman Primates. Pennsylvania: Univ. Park Pennsylvania. 1944.
- (6) De Vore, I. (Ed.) Primate Behavior. N. Y.: Holt, Rinehart and Winston. 1965.
- (7) Dollard, J., and Others. Frustration and Aggression. New Haven: Yale Univ. Press. 1939.
- (8) Kohler, W. The Mentality of Apes. N. Y.: Harcourt, Brace. 1926.
- (9) Murchison, C. (Ed.) A Handbook of Social Psychology Warcester, Mass.: Clark Univ. Press. 1935.
- (10) Miller, N. E., and Dollard, J. Social Learning and Imitation. New HavenL Yale Univ. Press. 1941.
- (11) Portmann, A. Animals as Social Beings. N. Y.: Viking Press. 1961.

- (12) Schaller, G. B. *The Mountain Gorilla*. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1963.
- (13) Scott, G. P. *Aggression*. Chicago: Univ. of Chicago Press. 1958.
- (14) Scott, J. P. *The Social Psychology of Infrahuman Animal*. In G. Lindzey and E. Aronson (Eds.) *The Handbook of Social Psychology*. Reading Massachusetts: Addison - Wrsley. Vol. 4. 1969.
- (15) Southwick, C. H. (Ed.) *Primate Social Behavior*. N. Y.: Van Nostrand. 1963.
- (16) Tinbergen, N. *Social Behavior in Animals*. London: Methuen. 1953.
- (17) Zuckerman, S. *The Social Life of Monkeys and Apes*. London: Kegan Paul. 1932.

مُنْتَهَى سُورَ الْأَزْبَيْرِيَّةِ

WWW.BOOKS4ALL.NET

٩٩ / ٢١٠٥	رقم الإيداع
977 - 10 - 1212 - 6	الترقيم الدولي I. S. B. N